

تاريخ الطب

obeikandi.com

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

محقق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دار المعارف

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم ؛ كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد ؛ فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ^(١) . ٧٧٦/١

والرقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه فى لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذى أووا إليه ، أو نقروه فى الجبل الذى أووا إليه ، أو كتبوه ^(٢) فى لوح وجعلوه فى صندوق خلّفوه ^(٣) عندهم ، « إذ أوى الفتية إلى الكهف » .

وكان عدد الفتية - فيما ذكر ابن عباس - سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن سيمك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٤) ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ^(٥) .

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) فى الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلقوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم - وهو الذي كان يلبى شيراً الطعام لهم ، الذي ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبوا من رقتهم : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .^(١)

حدثني عبد الله بن محمد الزهري ، قال : حدثنا سفيان ، عن مقاتل : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ - اسمه يملبخا .^(٢)

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال - فيما حدثنا به ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه : اسمه يملبخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلُّهم تاسعهم . وكان - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - يسميهم فيقول : كان أحدهم - وهو أكبرهم والذي كلم الملك عن سائرهم - مكسملينا ، والآخر محسملينا ، والثالث يملبخا ، والرابع مرطوس^(٣) ، والخامس كسوطونس^(٤) ، والسادس بيرونس^(٥) ، والسابع ريمونس^(٦) ، والثامن بطونس^(٧) ، والتاسع قالوس^(٨) . وكانوا أحداثاً .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أستاذهم وضح الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا .

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٤٨ (بلاق) .

(٢) ت ، ح : « تمنيح » ، التفسير : « يملبخ » .

(٣) التفسير : « مرطونس » .

(٤) التفسير : « كسوطونس » ، ل : « كسر طويس » .

(٥) التفسير : « يبورس » .

(٦) التفسير : « يكرؤوس » .

(٧) التفسير : « يطبيونس » ، ل : « بطويس » ، ح : « بطوس » .

(٨) التفسير : « قالوش » .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو -
يعنى ابن قيس الملائى - فى قوله : ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ ، كانت
الفتية على دين عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وكان ملكهم
كافراً . وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ،
وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، فإن الله عز وجل ابتعثهم من رقبتهم بعد
ما رفع المسيح ، فى الفترة بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والله أعلم أى
ذلك كان .

فأما الذى عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح .
فأما أنه كان فى أيام ملوك الطوائف ؛ فإن ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل
العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم فى ذلك الزمان ملك يقال له : دقنوس ، يعبد الأصنام - فيما
ذكر عنه - فبلغه عن الفتية خلافهم إياه فى دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ،
حتى صاروا إلى جبل لم يقال له - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن
عباس - نحلوس .

وكان سبب إيمانهم وخلافهم به قومهم - فيما حدثنا الحسن بن يحيى ،
قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن
سلوس^(١) ، - أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى
مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقبل له : إن على بابها صنماً
لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأتى حماماً ، وكان فيه
قريباً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر^(٢) نفسه من صاحب الحمام .
ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ، ودر^(٣) عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه
[الإسلام]^(٤) وجعل يسترسل إليه . وعلقه فتية من أهل المدينة وجعل يخبرهم

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سلوش » .

(٢) ح ، ل : « يأجر » . (٣) فى ط : « رد » وما أثبت من التفسير وانظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان يشترط^(١) على صاحب الحمّام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة ، فدخل بها الحمّام ، فغيره الحواري ، فقال : أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك^(٢) هذه الكذا^(٣) ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبّه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فاتتا في الحمّام جميعاً ، فأتّى الملك فقيل له : قتل صاحبُ الحمّام ابنتك . فالتُمِسَ ، فلم يُقدَرْ عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسمّوا الفتية ؛ فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحبٍ لهم في زرع له ؛ وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التُمِسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فترؤن رأيكم . فضرب على آذانهم ، فخرج المَلَك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلّما أراد رجل أن يدخلَ أرعب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابنِ عليهم باب الكهف ، فدعّهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل^(٤) . فغبروا — بعد ما بنى عليهم باب الكهف — زماناً بعد زمان .

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدَهم بورق يشترى لهم طعاماً ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره ، حتى دخل على رجل ، فقال : بعني بهذه الدراهم طعاماً ، قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت ، وأصحابي لي أمس ، فأوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال :

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « معك » .

(٣) التفسير : « النكداء » .

(٤) إلى هنا ، الخبر في التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنتى لك بها ! فرفعه إلى الملك - وكان ملكاً صالحاً - فقال : من أين لك هذه الوريق ؟ قال : خرجت أنا وأصحابى لى أمس حتى أدركتنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرونى أن أشتري لهم طعاماً . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلّما دخل رجل أُرعب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، واتخذوها مسجداً يصلّون فيه .

٧٨١/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، ففتردوا^(١) بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سمّخانيهم . فلبثوا دهرًا طويلاً ، حتى هلكت أمّتهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلماً ، واختلفوا فى الروح والجسد ، فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل : تبعث الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئاً . فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المسوح ، وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عز وجل ، فقال : يا ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل يُنكر الوجه ويعرف الطريق^(٢) ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ، فلما نظر الرجل إلى الوريق أنكرها - قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُبّع - يعنى الإبل الصغار - قال له الفتى : أليس ليكم فلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « فتمردوا » .

(٢) ت : « الطريق » .

وإن الله عز وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان - يعنى ملكهم الذى مضى - فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى : دعونى أدخل إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطشوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ^(١) .

• • •

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فرؤوا بالكهف ؛ فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهب عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

• • •

قال أبو جعفر : فكان منهم ^(٢) :

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٣ (بولاق) .

(٢) أى من كان فى أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

— فكان فيما ذُكِرَ — من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ،
 وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنهاي عن عبادتها ،
 والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بُعِثَ
 إليهم ما قصه الله في كتابه ، فقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ
 فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَا لَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا
 فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ٨٨٣/١
 إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

• • •

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في
 ذهابه لربه مغاضباً وظنه أن لن يُقَدَّرَ ^(٣) عليه ، وفي ^(٤) حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أُرْسِلَ إليهم ، وقبل
 إبلاغه إياهم رسالة ربه ؛ وذلك أن القوم الذين أُرْسِلَ إليهم لما حضرم عذاب
 الله أمير بالمصير إليهم ؛ ليعلمهم ما قد أظلمت من ذلك ، لينبئوا مِمَّا هم عليه
 مقيمون مما يسخطه الله ، فاستنظر ربه المصير إليهم ، فلم يُنْظِرْهُ ، فغضب
 لاستعجال الله إياه للتفوذ لأمره وترك إنظاره .

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا في ت : وفي ط : « نقدر » .

(٤) ح ، ل : « في » بدون واو .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن الأشيب ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سليمان ، قال : حدثنا شهر بن حوشب ، قال : أتاه جبريل عليه السلام - يعني يونس - وقال : انطلق إلى أهل نينوى ، فأندِرهم أن العذاب قد حضرهم . قال : ألتمسُ دابةً ، قال : الأمرُ أعجل من ذلك ، قال : ألتمسُ حذاءً ، قال : الأمرُ أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست السفينة لا تتقدمُ ولا تأخرُ . قال : فساهموا . قال : فسَهِمُ^(١) ، فجاء الحوت يبصص بذنبه ، فنودي الحوت : أيا حوت ؛ إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً ، فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرَّ به على الأبلّة^(٢) ، ثم انطلق حتى مرَّ به على دجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى^(٣) .

٧٨٤/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا أبو هلال ، قال : حدثنا شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : إنَّما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

• • •

وقال آخرون : كان ذلك منه بعد دعائه مَنْ أُرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالة ربِّه ، ولكنَّه وعدهم نزول ما كان حدَّهم من بأس الله في وقت وقتته لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان ، فلما أظلم القوم عذابُ الله ، فغشيتهم - كما وصف الله في تنزيله - تابوا إلى الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه ، فغضب من ذلك ، وقال : وعدتهم وعداً ، فكذب وعدي ! فذهب مغاضباً ربِّه ، وكره الرجوع إليهم وقد جرَّبوا عليه الكذب .

(١) سهم ، بالبناء للمجهول ، أي غلب .

(٢) ط : « الأبلّة » ، وما أثبتته من ت ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعثه الله تعالى - يعني يونس - إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فأخرج من بين أظهرهم . فأعلم قومهم الذي وعدهم الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن هو خرج من بين أظهرهم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التي وعِدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحذروا . فخرجوا من القرية إلى بَرّاز^(١) من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله واستقالوه فأقالهم . وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به بار ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَرّاز من الأرض ، وفرقوا^(٢) بين كل ذات ولد وولدها ، ثم عجزوا إلى الله وتابوا إليه ، فقبل منهم ، وأخر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ، ثم ردّ عنهم ! ومضى على وجهه مغاضباً لربه فاستزلّه الشيطان^(٣) .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس]^(٤) ، قال : حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب ، فحدث عن قوم يونس حيث أُنذر قومهم فكذبوه ، فأخبرهم أنه مصيبتهم العذاب وفارقهم ، فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب ؛ لكنهم^(٥) خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا

(١) البراز : الفضاء الواسع الخالي من الشجر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير .

(٥) كذا ورد الاستدراك هنا بلفظ « لكنهم » ، وورد بعد بلفظ « لكنه » ، في التاريخ

والتفسير ؛ وهو غير واضح .

في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) .

فلم يكن قرية غشيتها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ، فلما رأى ذلك يونس ، لکنه ذهب عاتباً على ربه ، وانطلق مغاضباً ، وظن أن لن يُقَدَّرَ عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح ^(٢) . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس - وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتي ، فالتقوني في البحر . وإنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ^(٣) ، فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي . وإنهم أبوا عليه أن يلقيه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي ، وإنهم أبوا عليه أن يلقيه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ^(٤) - وعرف الخطيئة - ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ^(٦) . وألقى على ساحل البحر ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين - وهي فيما ذكر - شجرة القرع يتقطر عليه

٧٨٦/١

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفي التفسير : « فسام : فقارح . ومن المسويين : من المفلولين ، يقال منه : أدهض الله حجة فلان فدهضت ، أي أبطلها فبطلت . »

(٤) سورة الأنبياء ٨٧ . (٥) سورة الصافات ٢٤٣ - ١٤٥ .

من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قُوَّتُه . ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة ٧٨٧/١ فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعُتِبَ فُقِيلَ له : أْحْزَنْتَ عَلَى شَجَرَةٍ ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم جميعاً !

ثم إنَّ الله اجْتَبَاهُ مِنَ الضَّلَالَةِ ، فجعله من الصالحين ، ثم أَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ وَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ اللهَ قد تَابَ عَلَيْهِمْ . فَعَمِدَ إِلَيْهِمْ ، حتى لَقِيَ رَاعِيًا ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، فقال له : فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي قد لَقِيتْ يونس . فقال : لا أَسْتَطِيعُ إِلَّا بِشَاهِدٍ ، فَمَسَى لَهُ عِزْرًا مِنْ غَنَمِهِ ، فقال : هذه تشهد لك أَنَّكَ قد لَقِيتْ يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقعة التي أنت فيها تشهد لك أَنَّكَ قد لَقِيتْ يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أَنَّكَ قد لَقِيتْ يونس . وإِنَّهُ رَجَعَ الرَّاعِي إِلَى قَوْمِهِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَقِيَ يونس فَكَذَّبُوهُ وَهَمُّوا بِهِ شَرًّا ، فقال : لا تَعْجَلُوا عَلَيَّ حَتَّى أَصْبِيحَ ، فلما أَصْبَحَ غَدَا بِهِمْ إِلَى الْبُقْعَةِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا يونس فَاسْتَنْطَقَهَا ، فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهُ لَقِيَ يونس ، وسأل العِزْرَ ، فَأَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُ لَقِيَ يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فَأَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُ قد لَقِيَ يونس . ثم إنَّ يونس أَنَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ . قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۖ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ۝ ^(١) .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ^(٢) ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : حدثنا ٧٨٨/١ ابن مسعود في بيت المال ، قال : إنَّ يونسَ كان وعد قومَه العذاب ، وأخبرهم أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ففَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا ، ثُمَّ خَرَجُوا فِجَارًا إِلَى الله ، واستغفروه ، فكفَّ اللهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان مَنْ كَذَبَ وَلَمْ يَكُنْ ^(٣) لَهُ بَيِّنَةٌ قُتِلَ

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « المبقري » ، والصواب ما في الباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذْهُ ولا تخدش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخذه ، ثم هَوَى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : إن هذا تسييح دواب البحر . قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا لنسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصافى فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمير الحوت ، فقذفه في الساحل كما قال الله : ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ، وكان سقمه الذى وصفه الله به ، أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس ^(٢) ، قد بُشِّر ^(٣) اللحم والعظم ^(٤) .

٧٨٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به - يعنى الحوت - حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبي المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني أبو صخر ،

(١) كذا في ت ، وفي ط : « زوجة » . (٢) المنفوس : حديث العهد بالولادة .

(٣) ت : « نشز » ، والتفسير « نشر » . (٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

وفي ط : « تنشر » .

قال : أخبرني ابن قُسيَط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرح بالعراء ، فأنبت الله عليه يقطينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ، هيَّ الله له أروية^(١) وحشيشة ، تأكل من حشاش^(٢) الأرض - أو هشاش الأرض - فتفسح^(٣) عليه ، فترويه من لبنها كلَّ عشيَّة وبُكرة ، حتى نبت^(٤) .

• • •

ومما كان أيضاً في أيام ملوك الطوائف :

(١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعل .

(٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فسحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجليها .

(٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاقي) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيله ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۚ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۚ ۝ ﴾ (١) الآيات التي ذكر تعالى ذكره في خبرهم . ٧٩٠/١

• • •

واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة - الذين ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقص فيها خبرهم - أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الروم ، وهو أنطيوخس ، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكية .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» - فيما حدثنا محمد بن إسحاق - قال : مما بلغه عن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى - فيما يذكر - فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفاً عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه حين طهر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها ، مدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس بن أنطيوخس (٢) ، يعبد الأصنام ، صاحب شرك

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبطيحس » .

فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق وصدق وشلوم^(١) ، فقدّم الله إليه ٧٩١/١ .
وإلى أهل مدينته^(٢) منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

• • •

وقال آخرون : بل كانوا من حواريّ عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم إياهم ، لما كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك ، أضيف إرساله إياهم إلى الله ، فقليل : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بيشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ . قال : ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم ، فكذبوهما ، فأعزّهما بثالث ، ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ... ﴾ ، الآية .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر الله ، وصدّعت بالذي أمرت به ، وعابت دينهم وما هم عليه ، قال [أصحاب القرية]^(٣) لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤) . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أى أعمالكم ، ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيباً^(٥) ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم ٧٩٢/١

(١) التفسير : « سلوم » . (٢) ح ، ل : « المدينة » .

(٣) زيادة يقتضها السياق . (٤) الخبر إلى هنا في التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)

(٥) قال في التفسير : « اسمه - فيما ذكر - حبيب بن مري » .

يَذْكُرُهُمُ اللَّهُ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ •
 أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أَيْ لَا يَسْأَلُونَكُمْ أَمْوَالَكُمْ عَلَى
 مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَى ، وَهُمْ لَكُمْ نَاصِحُونَ فَاتَّبِعُوهُمْ تَهْتَدُوا بِهِدَاهُمْ .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ : قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ
 قَتَادَةَ ، قَالَ : لَمَّا انْتَهَى - يَعْنِي حَبِيبًا - إِلَى الرِّسْلِ ، قَالَ : هَلْ تَسْأَلُونَ عَلَى هَذَا
 مِنْ أَجْرٍ ؟ قَالُوا : لَا ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ •
 أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

• • •

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ : ثُمَّ نَادَاهُمْ بِخِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ وَعِبَادَةَ رَبِّهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ نَفْعَهُ
 وَلَا ضَرَّهُ غَيْرُهُ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا لِي لَا أُعْبَدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ •
 أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

أَيْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ، الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ وَثَبُوا عَلَيْهِ
 وَثْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُ ، وَاسْتَضَعَفُوهُ لَضَعْفِهِ وَسَقَمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ
 بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ : وَطْئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ ، حَتَّى
 خَرَجَ قُصْبُهُ مِنْ دُبُرِهِ (١) .

وَقَالَ اللَّهُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَدْخَلَهَا حَيًّا يَرْزُقُ فِيهَا ، قَدْ
 أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سَقَمَ الدُّنْيَا وَحَزَنَهَا وَنَصَبَهَا ، فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ
 وَكَرَامَتِهِ ، قَالَ : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُكْرَمِينَ ﴾ . وَغَضِبَ اللَّهُ لَهُ لَاسْتِضْعَافِهِمْ إِيَّاهُ غَضَبًا لَمْ يُبْسَقِ [مَعَهَا] مِنَ الْقَوْمِ
 شَيْئًا فَعَجَّلَ لَهُمُ النِّقْمَةَ بِمَا اسْتَحْلَوْا مِنْهُ وَقَالَ : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يَقُولُ : مَا كَابَدْنَاهُمْ بِالْجُمُوعِ ،

٧٩٣/١

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُذَامُ قد أسرع فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مُؤَمِّلٌ ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مَخْلَدٍ ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرى .

• • •

وكان فيهم^(١) :

شمسون

٧٩٤/١ وكان من أهل قرية من قرى الروم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان^(١) من خبره وخبرهم - فيما ذكر - ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي ليبيد ، عن وهب بن منبه اليماني : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمه قد جعلته نذيرة^(٢) ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويسبي ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيهم لقيهم بلحني يعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي مع^(٣) اللحنى ماء عذب فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطي قوة في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدون في الله ويغزوهم ، ويصيب منهم حاجته ، لا يقدر من عليه شيء ؛ حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جمللاً ، فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوها حبلاً وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه . فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جلدبه بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها : لم فعلت ؟ فقالت : أجرب به قوتك ، ما رأيت مثلك قط ! فأرسلت إليهم أني قد ربطته بالحبل فلم أغن عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتها في عنقه ، ثم أحكمتها ، فلما هبّ جذبها ، ف وقعت من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم فعلت هذا ؟ قالت : أجرب به قوتك ؛ ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمسون !

٧٩٥/١

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يجعله أبواه قياً أو خادماً للكنيسة أو المعبود .

(٣) ط : « في » وما أثبت من ل .

أَمَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَغْلِبُكَ ! قَالَ : لَا ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، قَالَتْ : وَمَا هُوَ ؟
 قَالَ : مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ بِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ — وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ —
 فَقَالَ لَهَا : وَيْحَكَ ! إِنَّ أُمَّتِي جَعَلَتْنِي نَذِيرَةً ^(١) ، فَلَا يَغْلِبُنِي شَيْءٌ أَبَدًا ، وَلَا يَضْبِطُنِي
 إِلَّا شَعْرِي فَلَمَّا نَامَ أَوثَقْتُ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِشَعْرِ رَأْسِهِ ، فَأَوْثَقَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثْتُ
 إِلَى الْقَوْمِ ، فَجَاءُوا فَأَخَذُوهُ ، فَجَدَعُوا أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ ، وَفَقَقُوا عَيْنَيْهِ ، وَوَقَفُوهُ لِلنَّاسِ
 بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَثْنَةِ — وَكَانَتْ مَثْنَةً ذَاتَ أَسَاطِينِ ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ قَدْ أَشْرَفَ
 عَلَيْهَا بِالنَّاسِ لِيَنْظُرُوا إِلَى شَمْسُونَ ، وَمَا يَصْنَعُ بِهِ — فَدَعَا اللَّهُ شَمْسُونَ حِينَ مَثَلُوا
 بِهِ وَوَقَفُوهُ أَنْ يَسْلُطَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بِعَمُودَيْنِ ^(٢) مِنْ عُمُدِ الْمَثْنَةِ الَّتِي
 عَلَيْهَا الْمَلِكُ وَالنَّاسُ الَّذِينَ مَعَهُ فَيَجْذِبُهُمَا ، فَجَذَبَهُمَا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ
 وَمَا أَصَابُوا مِنْ جَسَدِهِ ، وَوَقَعَتِ الْمَثْنَةُ بِالْمَلِكِ وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ ؛ فَهَلَكُوا
 فِيهَا هَدْمًا .

(١) ط : « نَذِيرًا » وانظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس - فيما ذكر - عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممن أدرك بقايا من حواريتي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنه تجهز مرة إلى ملك بالموصل ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذاً^(١) ، وكان قد ملك الشام^(٢) كله ، وكان جبّاراً عاتياً لا يطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان مؤمناً بكم إيمانه في عصبه معه صالحين ، يستخفون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريتين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثير المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصدقة ، فكان يأتي عليه الزمان يتلّف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضربة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة ؛ فكانت هذه حاله في المال . وكان إنما يرغب في المال ، ويعمره ويكسبه من أجل الصدقة ؛ لولا ذلك كان الفقر أحب إليه من الغنى .

وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يؤذوه في دينه ، أو يفتنوه عنه ؛ فخرج يوم ملك الموصل ، ومعه مال يريد أن يهديه له ؛ لثلاث يعمل لأحد من تلك الملوك عليه سلطاناً دونه ؛ فجاءه^(٣) حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده^(٤) عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوقد ناراً ، وقرب أصنافاً من أصناف العذاب الذي كان يعذب به من خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : «أفلون» فنصب ؛ فالتاس يعرضون عليه ، فمن لم يسجد له ألقى في تلك النار ، وعذب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس ما يصنع فطّيع به

(١) ل : « دادايه » .

(٢) ل : « دان له » .

(٣) ل : « فجاء » ، وكذلك في ابن الأثير .

(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه ، وحدّث نفسه بجهاده ، وألقى الله في نفسه بُغْضَه ومُحَارِبَتَه ، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسّمه في أهل مِلَّتِه حتى لم يبق منه شيئاً ؛ وكره أن يجاهده بالمال ، وأحبّ أن يلقى ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضباً وأسفاً ، فقال له : اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يملكك وغيرك ، وهو^(١) الذي خلّقت ورزقك ، وهو الذي يُحييكم ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنّ^(٢) قد عمدت إلى خلقي من خلقه - قال له : كن فكان - أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فزيتته بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبّدته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً .

فكلّم الملك جرجيس بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيده ، وتعريفه أمر الصنم ، وأنّه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسأله إياه عنه ، ومن هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمّته ، أذلّ عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلّقت ، وفيه أصير . وأخبره ما الذي جاء به وحاله . وإنّه دعا ذلك الملك جرجيس إلى عبادة الله ورفعض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيس إلى عبادة الصنم الذي يعبد ، وقال : لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لَرُئِيَ عليك أثره كما ترى أثري على من حولي من ملوك قومي .

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له - فيما قال : أين تجعل طرقلينا^(٣) ، وما نال^(٤) بولابتك ؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدؤه آدمياً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تتناه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه الثور ،

(١) ل : « هو » من غير وار .

(٢) ت : « وإنك » .

(٣) ت : « طرقلينا » .

(٤) ل : « ما نال » .

فصار إنسياً ملكياً ، سمائياً أرضياً ؛ يطير مع الملائكة . وحدّثني : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإنّ الله فضّله على رجال العالمين ، وجعله وأمه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصّه به من الكرامة . وقال أيضاً : وحدّثني : أين تجعل أمّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته ، وطهرّ جوفها لروحه ، وسوّدها على إمامته ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزيل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذ^(١) كانت من شيعتك وملّكتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها ، فانتهشت لحمها ولوّغت دمه ، وجرت الثعالب^(٢) والضباع أوصالها ! فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

٧٩٩/١

فقال له الملك : إنك لتحدّثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأنتي بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما ؛ حتى أنظر إليهما ، وأعتبر بهما ؛ فأني أنكر أن يكون هذا في البشّر .

فقال له جرجيس : إنّما جاءك الإنكار من قبل الغيرة^(٣) بالله ، وأمّا الرّجلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلّا أن تعمل بعملهما ، فتتزلّ منازلما . فقال له الملك : أمّا نحن فقد أعدّنا إليك ، وقد تبيّن لنا كذبك ، لأنك فخرت بأمور عجزت عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خيّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلّون ، فيشيّه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلّون هو الذي رفع السماء - وعدّ عليه أشياء من قدرة الله - فقد أصبّت ونصحت [لي]^(٤) ، وإلّا فاتخسأ أيّتها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبّه ويسبّ آلهته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاط الحديد ، فخذش بها

(١) في الأصول : « إذا » .

(٢) زاد في ل : « إليه » .

(٣) الفرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكلّة من ل .

جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخردل .
 فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستة مسامير من حديد فأحُميت حتى إذا جعلت
 ناراً ، أمر بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتله ،
 أمر بمحوص من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في
 جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى برّد حرّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به !
 فقال له جرجيس : أمّا أخبرتك أنّ لك ربّاً هو أولّى بك من نفسك !
 قال : بلى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذي حمّل عنّي عذابك ، وصبرني
 ليحتجّ عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومملكه ،
 وأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن ، فقال الملأ من قومه : إنك إن تركته
 طليقاً يكلّم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مرّ له بعذاب في السجن
 يشغله عن كلام الناس . فأمر فبطّح في السجن على وجهه ، ثم أوتد في يديه
 ورجليه أربعة أوتاد من حديد ، في كلّ ركن منها وتيد ، ثم أمر بأسطوان^(١)
 من رخام ، فوضع على ظهره . حمّل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم
 أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقلّوه ؛ فظلّ يومه ذلك
 موتداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً - وذلك أوّل ما أيّد بالملائكة ،
 وأوّل ما جاءه الوحي - فقلع^(٢) عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
 وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
 الحقّ بعدوك فجاهده في الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشّر واصبر ؛
 فإنّي ابتليك بعدوى هذا سبع سنين ، يعذبك ويقتلك فيهنّ أربع مِرار ، في
 كلّ ذلك أردّ إليك روحك ؛ فإذا كانت القتلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك
 أجرك . فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعّونهم إلى الله .
 فقال له الملك : أجرجيس ! قال : نعم ، قال : منّ أنخرجك من السجن ؟

(١) ل : « أسطوانة » .

(٢) كذا في ابن الأثير ؛ وفي الأصول « فقلع » .

قال : أخرجتني الذي سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملئ غيظاً ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس تُصنّف له ، أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خَشَبَتَيْنِ ، ووضعوا عليه سيفاً على مفريق رأسه ، فوَشَّرُوهُ^(١) حتى سقط بين رجليه ، وصار جزلَتَيْنِ^(٢) ، ثم عمدوا إلى جزلتيه ، فقطعوها قطعاً . وله سبعة أسدضارية في جَبْ ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموا بجسده إليها ، فلما هوى نحوها أمر الله الأسد فخضعت برؤسها وأعناقها ، وقامت على براثنها ، لا تألو أن تقيّه الأذى ؛ فظلّ يومه ذلك ميتاً ، فكانت طوليلة ميتة ذاقها . فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض ، حتى سواه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملكاً فأخرجته من قعر الحبّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبّيك ! قال : اعلم أن القدرة التي خلّق آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الحبّ ، فالحق بعدوك ثم جاهده في الله حقّ جهاده ، وموت الصابرين . ٨٠٢/١

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم غكوف على عيّنهم لم قد صنعوه فرحاً - زعموا بموت جرجيس - فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو ؟ قال الملك : ما بجرجيس من خفاء ، إنّه لمو ! ألا ترون إلى سكون ربحه ، وقيلة هيئته . قال جرجيس : بلى ، أنا هو حقّاً ! بنس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم ، فكان الله - وحقّ - لمـخيراً وأرحم منكم . أحياني وردّ على روعي . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : ساحر سحر أيديكم وأعينكم عنه . فجمعوا له من كان ببلادهم من السحرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما تُسرّي به عني ، قال له : ادع لي بثور من البقر ، فلما أتني به نفث في إحدى أذنيه فانشقت باثنتين ، ثم نفث في الأخرى ؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذر فحرث وبذر ، ونبت

(١) ت : « فوَشَّرُوهُ » ، وما بمعنى .

(٢) يقال : قطعه جزلتين ، أي نصفين .

الزرع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرى ، وطحن وعجن ، وخبز وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما ترون ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى^(١) دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلباً ، قال : ادع لى بقدر من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ؛ فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجدر إلا خيراً ، قد كنت عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب ، فقوانى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيها الملك ، أنك لو كنت تقاسى رجلاً مثلك إذا كنت غلبته ، ولكنك تقاسى جبار السموات ، وهو الملك الذى لا يُرام ! وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهوى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إننى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فأت ، وجئتك لترحمنى وتدعوا الله أن يُحيى لى ثورى . فذرفت عيناه . ثم دعا^(٢) الله أن يحيى لها ثورها ، وأعطاهَا عصا ، فقال : اذهبي إلى ثورك ، فاقرعيه بهذه العصا وقولى له : اجئى بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرقت السباع ، وبينى وبينك أيام ، فقال : لولم تجدى منه إلا سناً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام بإذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد روقيه^(٣) وشعر ذنبه ، فجمعت أحدهما إلى الآخر ، ثم قرعتهما بالعصا التى أعطاهَا ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك - وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا منى أيها القوم أحدثكم ، قالوا : نعم ، فتكلم ، قال : إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ، وزعمتم أنه سحر أيديكم عنه وأعينكم . فأراكم أنكم تغذّبونه ، ولم يصل إليه عذابكم ! وأراكم أنكم

(١) ت : « تمسخ لى هذا » .

(٢) ل : « ودعا » .

(٣) الرزق : القرن من كل ذى قرن .

قد قتلتموه فلم يمت ، فهل رأيتم ساحراً قطّ قدّر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحياً ميتاً قطّ ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعله بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كلّهُ ، فقالوا له : إنّ كلامك لكلام رجل قد أصغى إليه ، قال : ما زال أمره لى معجباً منذ رأيت منه ما رأيت ، قالوا له : فلعله استهواك ! قال : بل آمنت وأشهدُ الله أنّى برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابته بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلّم .

فلما سمع الناس بموته أفزعهم ، وكنتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس يكتُمونه برز للناس ، فكشف لهم أمره ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميت ، فقالوا : صدق ، ونعيم ما قال ! يرحمه الله ! فعمد إليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمشلات^(١) . حتى أفناهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربك . فأحيا لك أصحابك ؛ هؤلاء الذين قُتِلوا بمجربتك ! فقال له جرجيس : ما خلتى بينك وبينهم حتى خارَ لهم^(٢) . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس : إنك زعمت يا جرجيس أنّ إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنّى سأثلك أمراً إن فعله إلهك آمنت بك وصدقتك ، وكفيتك قومي هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكلُّ صنع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى ؛ فادع ربك ينشئ هذه الآتية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّل مرّة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

فقال له جرجيس : قد سألت أمراً عزيزاً علىّ وعليك ؛ وإنّه على الله حينئذ . فدعا ربه ، فما برحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر ، وتلك الآتية كلّها ، فساخت عروقها ، وألبست اللحاء ، وتشعبت ، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجليطيس ، الذى تمنى عليه ما تمنى ،

(١) المثلثات : المقوبات .

(٢) ت : « جازاهم » .

فقال : أنا أعدّ لك هذا الساحر عذاباً يضلّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نِفْطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشوّ في جوفها ، ثم أوقد تحسّت الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهمت الصورة ، وذاب كل شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فلأت السماء سحباً أسودَ مظلماً ، فيه رعدٌ لا يفرّ ، وبرقٌ وصواعقٌ متداركات ، وأرسل الله إعصاراً فلأت بلادهم عجاجاً وقتاماً ، حتى اسودّ ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيرين في تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلتها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من روعته أهل الشام أجمعون ، وكلّهم يسمعه في ساعة واحدة ؛ فخرّوا لوجوههم صعيّقين من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حيّاً ، فلما وقف يكلّمهم انكشفت الظلمة ، وأسفّر ما بين السماء والأرض ، ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقلينا : لا ندري يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك ؟ فإن كان هو الذي يصنعها ، فادعه يُخَيّ لنا موتانا ، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتاً من أمواتنا ، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا ، فادعه يُخَيّهم حتى يعودوا كما كانوا ونكلّمهم ، ونعرف مَنْ عرفنا منهم ، ومَنْ لا نعرف أخبّرنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ، ويُرِيكم هذه العجائب ^(١) إلاّ ليتّ عليكم حججه ، فستوجبوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورقات ورميم . ثم أقبل على الدعاء فما برحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمي يوبيل ^(٢) ، فقال : متى ميت ؟ قال : في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام ^(٣) .

(١) ت : « الأعاجيب » .

(٢) ل : « يوبك » .

(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه ، إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصره في بيتها فلا يصل إليه من عند أحد طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يحلف^(١) به ، ما عهدنا بالطعام^(٢) منذ كذا وكذا ، وسأخرج وألتمس لك شيئاً . قال لها جرجيس : هل تعرفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدعاهما إلى الله فصدقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دِعامَة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدِعامَة ، فأنبئت كل فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمى حتى كان فيما أنبت اللبَاء^(٣) واللوبياء .

قال أبو جعفر : اللبَاء نبت بالشَّام له حب يؤكل . وظهر للدِعامَة فرع من فوق البيت أظله وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغَدًا ؛ فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربَّ العظيم ليشقِّ ابني ، قال : أذنيه مني ، فأذنته منه ، فبصق في عينيه فأبصر ، فنفت في أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أختره ؛ فإن له يوماً عظيماً . وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إنني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له : تلك الشجرة نبت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ؛ فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت^(٤) الفقيرة وشقني لها ابنتها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة ليقطع ، فلما هموا بقطعها أيسها الله تعالى كما كانت أول مرة ، فركوها ، وأمر بجرجيس فبطح على

٨٠٨/١

(١) ل : « تحلف به » .

(٢) ت : « ما عهدنا من طعام » .

(٣) قال في اللسان : اللبَاء : حب أبيض كالحمص شديد البياض يؤكل ، وفي ط : « اللبَاء »

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « أشبعت » . تحريف .

وجهه وأوتد^(١) له أربعة أوتاد ، وأمر بعجل فأوقر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفاراً^(٢) ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطع^(٣) ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذروه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب ، فإنني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعتها حتى عاد الرماد صبرة كهيئته قبل أن يذروه ، والذين ذروه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبراً ينفض رأسه ، فرجعوا ، ورجع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياء ، والريح التي جمعتها . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك ! فلولاً أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لا تبعتك وأمنت بك ؛ ولكن اسجد لأفلتون سجدة واحدة ، أو اذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، ويئس منه ، فخذعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلتني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، ففرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إني أعزم عليك ألا تنظر هذا اليوم ، ولا تبين هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ، فيرى الناس كرامتك على . فأخلى له بيته ، وأخرج منه من كان فيه . فظل فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلي ، ويقرأ الزبور - وكان أحسن الناس صوتاً - فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها

(١) ت : « ووتد » .

(٢) في الأصول : « وأشفاراً » ؛ والصواب ما أثبتته من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانتقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها . وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها^(١) : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز في أعراضهم ، تحمل ابنها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشغولون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجله سويتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قطّ بقدميه ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب ، فادع لي هذه الأصنام ، وهي حيثئذ على منابر من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلتك إلا ما جثته^(٢) . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تخرج إلى جرجيس ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فحسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقاً من الحسف ، فلما مرّ بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أينها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّررت بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كله ؛ وإنه ليقع^(٣) لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة ، فسجد^(٤) له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجميع الملائكة

(١) ل : « سكن في بيتها » .

(٢) ت : « إلا ما أجثته » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « فسجدوا » .

المقربين ، وأهل السموات كلهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاه جرجيس ، فما دخل إبليس ٨١١/١ منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الخسف ، ولا يدخله بعدها - فيما يذكرون - أبداً . وقال الملك : يا جرجيس خدعتني وغررتني ، وأهلك آلتني ، فقال له جرجيس : إنما فعلت ذلك عمداً لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذاً لامتنعت مني ، فكيف ثقنتك وبلك بآلهة لم تمنع أنفسها مني ! وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربتي . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلمتهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتهم بدينها ، وعددت عليهم أفعال جرجيس ، والعبارة التي أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلك أصنامكم . الله الله أيها القوم في أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلكت هذا الساحر في ليلة واحدة ! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين ؛ فلم يطق مني شيئاً . قالت له : أفا رأيت الله كيف يظفرك بك ، ويسلطه عليك ، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها ، فعلفت بها ، وجعلت^(١) عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس . فلما أليمت من وجع العذاب قالت : ادع ربك يا جرجيس بخفف عني ، فإني قد أليمت [من] العذاب فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكت ، فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوق ، ٨١٢/١ معهما تاج من حكني الجنة ينتظران به رجلي أن تخرج ، فإذا خرجت زيناهما بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ؛ فقال : اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيني به فضائل الشهداء ! اللهم فهذا آخر أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم فإني أسألك ألا تقبض رجلي ، ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به ، وما تشفي به صدري ، وتقر به عيني ؛ فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا

بعدي داعٍ في بلاء ولا كرب فيذكرني ، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبتني فيه .

فلما فرغ من هذا الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمدوا
إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، ليعطيّه الله تعالى بالقتلة الرابعة
ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من
وجه الأرض حتى أفلتها ، ثم جعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر
يخرج من تحتها دخان منتن ، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلا أنها أسقام
مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بيجريس ، وقتل معه
أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك . رحمها الله !

٨١٣/١ ونرجع الآن إلى :

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التاريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائل من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس ، وبني إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ، وثب أردشير بن بابك شاه ماك خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب بن كيوجي بن كيميئش - وقيل في نسبه : أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافريد بن ساسان الأكبر ، بن بهمن بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب - بفارس طالبا - بزعمه - بدم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مريدا - فيما يقول (١) - رد الملك إلى أهله ، وإلى (٢) ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذكر أن مولده كان بقرية من قرى إصطخر يقال لها طبروده ، من رستاق خير من كورة إصطخر . وكان جدّه ساسان شجاعا شديدا البطش ، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلا من أهل إصطخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قيما على بيت نار إصطخر ، يقال له بيت

(١) ت : « نهم » . (٢) ت : « على » .

نار أنا هيد،^(١) وكان مغرمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت راميهشت لساسان بابك ، وطولُ شعره حين ولدته أطولُ من شبر . فلما احتسنتك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملكك إصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدثت عن هشام بن محمد — جُوزِهَر . وقال غيره : كان يسمى جُزِهَر ، وكان له خَصِيّ يقال له تيرى ، قد صيره أَرْجَبًا^(٢) بدارا بَسْجِرْد . فلما أتى لأردشير سبعُ سنين ، سار به أبوه إلى جُزِهَر ، وهو بالبيضاء ، فوقفه بين يديه ، وسأله أن يضمه إلى تيرى ؛ ليكون ربيبًا له ، وأرجبًا من بعده في موضعه . فأجابته إلى ذلك ، وكتب بما سأله من ذلك سِجِلًا ، وصار به إلى تيرى ، فقبله أحسن قبول ، وتبناه . فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر ، وحسّن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين والعرفاء صلاح مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أن أردشير تواضع واستكان لذلك ، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم ، وأنه رأى في نومه ملكًا جلس إلى رأسه ، فقال له : إن الله يملكك البلاد ؛ فليأخذ لذلك أهبتَه ، فلما استيقظ سرّ بذلك ، وأحسن من نفسه قوّةً وشدةً بطش ، لم يكن يعهد مثله .

وكان أوّل ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بَسْجِرْد ، يقال له جوبانان ، فقتل ملكًا كان بها يقال له فاسين^(٣) . ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكًا كان بها يقال له مَنُوشَهَر ، ثم إلى موضع يقال له لروير^(٤) ، فقتل ملكًا كان بها يقال له دارا ، وملك هذه المواضع قومًا من قبلكه ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بَجُزِهَر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جُزِهَر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أَرْدَوَانَ البَهْلَوِيّ ملك الجبال وما يتصل بها ، يتضرّع له ويسأله الإذن في تنويع سابور ابنه بتاج جُزِهَر . فكتب إليه أَرْدَوَان كتابًا عنيّفًا ، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

(١) ت : « نار أهيد » ؛ س : « نارهد » .

(٢) وهى أيضًا : « هرجبدا » ، وانظر ص ٤٤ ، س ١٦ .

(٣) ت : « قاسين » ، س : « قاسير » .

(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوين » .

قتلِهما مَنْ قَتَلَا - فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك في تلك الأيام ، فتتوج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعاً ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصطخر ، فألقى بها عدة من إخوته ، كان بعضهم أكبر سنّاً منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلم الجميع لأردشير ، فتتوج بالتاج ، وجلس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجيد ، ورتب قوماً مراتب ، وصيّر رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر^(١) وزيراً ، وأطلق يده وفوض إليه ، وصيّر رجلاً يقال له فاهر^(٢) مؤيداً موبدان ، وأحسن من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أن أهل دارا بسجرد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كرممان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتل وهو قتلاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ؛ فللك أردشير على كرممان ابناً له يقال له أردشير أيضاً .

وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنود ، كان يعظم ويعبد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين ، وقتل مَنْ كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى مِهْرَك ، وكان ملك إيراهاسان من أردشير خيرة ، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل مِهْرَك ، ثم سار إلى جُور ، فأستسها ، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربال ، وبيت نار هناك .

فبينا هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضورهم ؛ فإذا فيه : إنك قد عدوت طورك ، واجتلبت حتفك ، أيها الكردي المربي في خيام الأكراد ! مَنْ أذن لك في التاج الذي لبسته ، والبلاد التي احتويت عليها وغلبت ملوكها وأهلها ! ومَنْ أمرك ببناء المدينة التي أسستها في صحراء - يريد جور - مع أنا إن خلدناك

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « قاهر » ، ل : « هاهر » .

وبناءها فابتني في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة ، وسمّتها رام أردشير .
 ٨١٨/١ وأعلمه أنه قد وجّه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق .

فكتب إليه أردشير : إن الله حبانى بالتاج الذى لبسته ، وملّكنى البلاد
 التى افتتحتها ، وأعاننى على مَنْ قتل من الجبابرة والملوك ؛ وأمّا المدينة التى
 أبنيها وسمّيتها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكس منك ، فأبعث برأسك وكنوزك
 إلى بيت النار الذى أسسته في أردشير خرة .

ثم شخص أردشير نحو إصطخر ، وخلف أبرسام بأردشير خرة ، فلم
 يلبث أردشير إلّا قليلا حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه
 منكوبا . ثم سار ^(١) إلى إصبهان فأسر شاذ سابور ملكها ، وقتله ، ثم عاد إلى
 فارس ، وتوجّه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرّجان وإلى بنيان ^(٢)
 وطاشان من رامهرمز ، ثم إلى سرق . فلما سار إلى ما هنالك ، ركب في
 رهط من أصحابه ؛ حتى وقف على شاطئ دجيل ، فظفر بالمدينة ، وابتني
 مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ؛ ثم ارتحل من فارس راجعا
 إلى الأهواز على طريق جيره وكازرون ، ثم صار من الأهواز إلى ميسان ،
 فقتل ملكا كان بها يقال له بندو ^(٣) ، وبني هنالك كرخ ميسان ، ثم
 انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعا يقتتلان فيه ، فأرسل إليه
 أردوان : إننى أوافيك في صحراء تدعى هُرْمُزجان ، لانسلاخ مِهْرماه . فوافاه
 أردشير قبل الوقت ، وتبوأ من الصحراء موضعا ، وخندق على نفسه وجنده ،
 واحتوى على عيّن كانت هناك ، ووافاه أردوان . فاصطف القوم للقتال ،
 ٨١٩/١ وقد تقدّم سابور بن أردشير دافعا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور
 دارا بنداذ ، كاتب أردوان بيده ، فانقضّ أردشير من موضعه إلى أردوان حتى
 قتله ، وكثر القتل في أصحابه ، وهرب مَنْ بقى على وجهه . ويقال : إن
 أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه . وفي ذلك اليوم سمى أردشير
 « شَاهَنْشَاه » .

(١) ل : « صار » .

(٢) ط : « سار » ، وما أثبت من التصويبات .

(٣) م : « نبوا » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَذَان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذَرَبِيجان وإرمينية والموصل عَنَوَة ، ثم سار من الموصل إلى سُوَرِسْتَان ؛ وهي السَّوَاد فاحتَازها ، وبني على شاطئ دِجْلَة قبالة مدينة طهسيون^(١) - وهي المدينة التي في شرق المدائن - مدينة^(٢) غربية سماها به أَرْدَشِير ، وكَوَّرها وضم إليها بَهْرَسِير ، والرُّومَقَان ، ونهر دَرَقِيط ، وكَوَّثِي ونهر جَوْبَر ، واستعمل عليها عمالاً ، ثم تَوَجَّه من السَّوَاد إلى لَاصْطَخَر ، وسار منها إلى سَجِسْتَان ، ثم جَرَّجَان ، ثم إلى أِبْرَشَهَر ، ومَرَو ، وبلخ ، وخَوَارِزْم ؛ إلى تخوم بلاد خُرَّاسَان . ثم رجع إلى مَرَو ، وقتل جماعة وبعث رءوسهم إلى بيت نار أَنَاهِيْد ، ثم انصرف من مَرَو إلى فارس . ونزل جُور ، فأثَّه رسل ملك كُوشَان ، وملك طُورَان ، وملك مُكْرَان بالطاعة . ثم تَوَجَّه أَرْدَشِير من ٨٢٠/١ جُور إلى البَحْرَيْن ، فحاصر سَنَطْرُق^(٣) ملكها ، واضطره الجَهْد إلى أن يرضى بنفسه من سُوَر الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المدائن ، فأقام بها وتَوَجَّ سابور ابنه بتاجه في حياته .

ويقال : إنَّه كانت بقرية يقال لها الأَر^(٤) ، من رُسْتاق كُوجَرَان^(٥) من رساتيق سيف أَرْدَشِير خُزَّة ملكة تعظَّم وتعبد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أَرْدَشِير سدنتها وقتلها ، وغنم أموالاً وكنوزاً عظيماً كانت لها : وإنَّه كان بني ثَمَانِي مدن ؛ منها بفارس مدينة أَرْدَشِير خُزَّة ؛ وهي جُور ، ومدينة رام أَرْدَشِير ، ومدينة رِيو أَرْدَشِير ، وبالأهواز هَرْمُز أَرْدَشِير ؛ وهي سوق الأهواز ، وبالسَّوَاد به أَرْدَشِير ؛ وهي غربي المدائن ، وإستاباذ أَرْدَشِير ؛ وهي كَرَّخ مَيْسَان ، وبالبَحْرَيْن فنياذ أَرْدَشِير^(٦) ؛ وهي مدينة الخَطَّ ، وبالموصل بوذ أَرْدَشِير ؛ وهي حَزَّة .

• • •

(١) ت : « طهسيون » ، س : « طهسيون » .

(٢) في الأصول : « مدينة » .

(٣) ت : « سيطرق » .

(٤) ت : « الأَر » ، أ س ، ل : « ألان » .

(٥) ت : « جوجران » . (٦) ط : « فسا أَرْدَشِير » ، وما أثبتته من التصويبات .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ، احتج عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان في آخر أمره رسم لمن بعده عهده ، ولم يزل محموداً مظفراً منصوراً ، لا يفشل له جمع ، ولا ترد له راية ؛ وقهر الملوك حول مملكته وأذلهم ، وأثخن في الأرض ، وكوّر الكوّر ، ومدّن المدن ، ورتّب المراتب ، واستكثّر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

وحُدثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير في أهل فارس يريد الغلبة على الملك بالعراق ، فوافق بابا ملكاً [كان] ^(١) على الأرمنيين ، ووافق أردوان ملكاً على الأرذوانيين .

قال هشام : الأرمنيون أنباط السواد ، والأرذوانيون أنباط الشام .

قال : وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك ، فاجتمعا على قتال أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يوماً ، وهذا يوماً ؛ فإذا كان يوم بابا لم يبق له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يبق لأردشير ؛ فلمّا رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكفّ عنه ويدعه وأرادون ، ويخلّي أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرّغ أردشير لحرب أردوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وسمّيع له ، وأطاع بابا ^(٢) ، فضبط أردشير ملك العراق ودانت له ملوكها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد ممّا خالفهم وواقفه .

• • •

ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنسوخ أن يقيموا في مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فهم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشأم إلى من هنالك من قضاة .

وكان نليس من العرب يُحدّثون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

(٢) ت : « بابا وأطاع » .

(١) تكملة من ت .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث :
ثلث تنوخ ، وهو مَنْ كان يسكن المظالّ وبيوت الشعّر والوبر في غرى
الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثاني العباد ، وهم الذين
كانوا سكنوا الحيرة وابتنّوا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا
بأهل الحيرة ، ونزلوا فيهم ، ممّن لم يكن من تنوخ الوبر ؛ ولا من العباد الذين
دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنيّتا جميعاً في زمن بختنصر ، فخربت
الحيرة لتحوّل أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار
خمسائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمّرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى ،
باتّخاذها إياها منزلاً ، فعمّرت الحيرة خمسائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن
وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ؛ فكان جميعُ مُلكِ عمرو بن عدى مائة
سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون
سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك في زمن أردشير بن
بابلک أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين
وشهران .

ذكر الخبير

عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

٨٢٣/١

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور . وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانيين ، الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفناهم بسبب أليّة كان ساسان بن أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ، أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق^(١) من نسل أشك بن خرّه أحدًا ، وأوجب ذلك على عقبه ، وأوصاهم بالألّا يبقوا منهم أحدًا إن هم ملكوا ، أو ملك منهم أحد يومًا . فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم جميعًا ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحدًا لعزّة جدّه ساسان .

فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير^(٢) في دار المملكة ، فأعجبه جمالها وحسنها ، فسألها - وكانت ابنة الملك المقتول - عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادمًا لبعض نساء الملوك ، فسألها : أبكر أنت أم ثيب ؟ فأخبرته أنها بكر ، فأوقعها واتخذها لنفسه ، فعلقته منه ، فلما أمنتها على نفسها لاستمكانها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها^(٣) ودعا هرجبذا أبرسام - وكان شيخًا مسنًا - فأخبره أنها أقرت أنها من نسل أشك ، وقال : نحن أولى باستقام الوفاء بنابر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها

٨٢٤/١

من قلبي على ما قد علمت ، فانطلق بها فاقتلها . فضى الشيخ ليقتلها ، فأخبرته أنها حبلى ؛ فأتى بها القوابل ، فشهدن بحبلها ، فأودعها سربًا في الأرض ، ثم قطع هذا كيرة فوضعها في حق ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحقّ إليه ، وسأله أن يختم عليه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية عند الشيخ ، حتى وضعت غلامًا ، فكره الشيخ أن يُسمّى ابن الملك دونه ،

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .

(٢) ل : « كان أردشير وجدها » .

(٣) ت : « نفّر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيّاً حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبيّ ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسماه اسماً جامعاً يكون صفة واسماً ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسماه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أولُ مَنْ سُمّيَ بهذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أردشير . وقال بعضهم : بل سماه « أشه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشك ، الذي كانت أم الغلام من نسله .

* * *

فغَيَّرَ (١) أردشير دهرّاً لا يُؤلّد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذي عنده الصبيّ ، فوجده محزوناً ، فقال : ما يُحْزِنُكَ أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أأحزن ، وقد ضربتُ بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتي ، وصفا لي المُلْكُ ملك آباءى ، ثم أهلك لا يعقبني فيه عَقِبٌ ، ولا يكون لي فيه بقيّة ! فقال له الشيخ : سرّك الله أيها الملك وعمرك ! لك عندى ولد طيّب نفيس ، فادع بالحقّ الذى استودعتك ، وختمته بخاتمك أركّ برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحقّ ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فضّه ، وفتح الحقّ ، ٨٢٥/١ فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتاباً فيه : إنّنا لما اخترنا ابنة أشك التى علقت من ملك الملوك أردشير حين أمرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إتياء (٢) زرع الملك الطيّب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وتبرأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضيه إلى عَضْهِهَا سبيلاً ، وقمنا بتقوية الحقّ المزروع (٣) حتى لحق بأهله ، وذلك فى ساعة كذا من عام كذا . فأمره أردشير عند ذلك أن يهيئّه فى مائة غلام . وقال بعضهم : فى ألف غلام من أترابه وأشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يُدْخِلُهُمْ عليه جميعاً لا يفرق بينهم فى زِيٍّ ولا قامة ولا أدب ؛ ففعل ذلك الشيخ ؛ فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعاً

(١) ط : « عبر » . (٢) إتياء : إهلاك .

(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزروع » .

فأخسِرْجوا إلى حجرة الإيوان ، فأعطُوا صوالجة ، فلعبوا بالكرة وهو في الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة في الإيوان الذي هو فيه ^(١) ، فكاع الغلمان ^(٢) جميعاً أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلَّ أَرْدَشِيرَ بدخوله عليه ، وإقدامه وجسْرَاته مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرّة حين رآه ، ورقته عليه دون أصحابه أنه ابنه . فقال له أَرْدَشِيرُ بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أَرْدَشِيرُ : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنه ابنه شهرَ أمره ، وعقد له التاج من بعده .

٨٢٦/١

وكان سابور قد ابتلى منه أهلُ فارس — قبل أن يُفَضِّيَ إليه المُلْكُ — في حياة أبيه — عقلاً وفضلاً وعلماً ، مع شدة بطش ، وبلاغة منطق ، ورأفة بالريّة ورقّة . فلما عقّد التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له بطول البقاء ، وأطنبوا في ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعون لإحسانه بشيء يعدل عنده ذكرهم والده ، ووعدهم خيراً .

ثم أمر بما كان في الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسمها فيمن رآه لها موضعاً ؛ من الوجوه والجنود وأهل الحاجة ، وكتب إلى عمّاله بالكُور والنواحي أن يفعلوا مثل ذلك في الأموال التي في أيديهم ، فوصل من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد، والشريف والوضيع ، والخاص والعام ما عمّهم ورُفِغَت ^(٣) معاشهم . ثم تخيّر لهم العمّال ، وأشرف عليهم وعلى الريّة إشرافاً شديداً ، فبان فضل سيرته ، وبعُدَ صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نصيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من مملكته ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصروهم حيناً ، ثم أتاها عن ناحية من خراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخصَ إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نصيبين . وزعموا ^(٤) أن سور المدينة تصدّع وانفجرت له فُرْجة دخل ^(٥) منها ،

(١) ل : « فيه الملك » .

(٢) كاع الغلمان : جبنوا . وفي الحديث : « ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب » ؛

الكاعة : جمع كائع ؛ وهو الجبان .

(٣) ط : « رفعت » تصعيف ، والرفع : السعة في الرزق .

(٤) ت : « فرعموا » .

(٥) ت : « فدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالاً عظيمة كانت لقيصر هنالك ، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة .

وقيل : إن فيما افتتح قالوقية وقذوقية ، وإنه حاصر ملكاً كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه ، وأسكنهم ٨٢٧/١ جندى سابور .

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذرون تستر ، على أن يجعل عرضه ألف ذراع ، فبناه الرومى يقوم أشخاصهم إليه من الروم ، وحكم سابور في فكاكه بعد فراغه من الشاذرون ، فقيل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة ، وأطلقه بعد أن جدد أنفه . وقيل إنه قتله .

وكان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ، وهو الذى يقول فيه أبوذواد الأيادى :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضْرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونَ^(١)

والعرب تسميه الضيّن . وقيل : إن الضيّن من أهل بآجرمى .

وزعم هشام بن الكلبي^(٢) أنه من العرب من قضاة وأنه الضيّن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاة ، وأن أمه من يزيد بن حلوان اسمها جيهلة^(٣) ، وأنه إنما كان يعرف بأمه . وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة ، وكان معه من بنى عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام ، وأنه تطرف من بعض السواد في غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال في ذلك من فعل الضيّن ، عمرو بن إله^(٤) بن الجدى بن الدهاء بن جشم بن حلوان

٨٢٨/١

(١) كذا في اللسان ٦ : ٢٩ ، وقرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفي معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ نسب إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن جماعة ، منهم هشام الكلبي . (٣) في الأغاني : « جيلة » . (٤) في الأغاني : « عمرو بن السليح بن حدى بن الدهاء بن غم بن حلوان » ، وفي معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ : « الجدى بن الدهاء » ، وفي ق ، ل : « الجدى » .

ابن عمران بن الحاف بن قضاة :

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ^(١)
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نِكَالًا وَقَتَلْنَا هَرَايِذَ شَهْرَ زُورٍ^(٢)
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّيْرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، ونحصرن
الضبيزن في الحصن ، فرغم ابن الكلبى أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ،
لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضبيزن .
وأما الأعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه
حولين ، فقال^(٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضَرِ إِذْ أَهْلُهُ بُنِعْنِي وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمَ!^(٤)
أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجُنُودِ دَحَوَيْنِ تَضَرَّبُ فِيهِ الْقَدُمُ^(٥)
فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقَمَّ^(٦)
فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِقْلَهُ أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمَ
وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَحْشِمُهُ مَنْ جَشِمَ

٨٢٩/١

• • •

ثم إن ابنة للضبيزن يقال لها النضيرة عركت^(٧) فأخرجت إلى ربض^(٨)

(١) هو علاف بن حلوان بن الحاف بن قضاة ؛ وإليه تنسب الخيل العلافية . والخيل
الصلادمة : القوية الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهذان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم
أكرد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التي أولا :

أَتَهَجَّرُ غَانِيَةً أَمْ تُتَلِّمُ أَمِ الْخَيْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمُ

(٤) الديوان : « أَلَمْ تَرَى الْخَضِرَ » .

(٥) الديوان : « أَقَامَ بِهِ سَابُورُ » . والقدم : جمع قدام .

(٦) في ط : « وَمِثْلُ مُحَاوَرِهِ لَمْ يُقَمَّ » وما أثبت عن الديوان .

(٧) في الأغاني : « عركت ، أى حاضت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكذلك كان يفعل بالنساء إذا هنَّ عَرَكنَ — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كل واحد منهما صاحبه ، فعشيقته وعشيقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دَلَّسْتُكَ على ما تهْتَدِم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : حكمك ^(١) وأرفعك على نسائي ، وأخصك بنفسى دونن . قالت : عليك بحمامة ورقاء مطوَّقة ، فاكتب في رجلها بيمينٍ جارية بيكرٍ زرقاء ، ثم أرسلتها ، فإنها تقع على حائط المدينة ؛ فتداعى ^(٢) المدينة . وكان ذلك طَلَسَم ^(٣) المدينة لا يهدمها إلا هذا ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرسَ الخمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداعت المدينة ، ففتحتها عنوة ، وقيل الضيَّرن يومئذ ، وأبيدت أفتاء قضاة الذين كانوا مع الضيَّرن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصببت قبائل من بني حُلُوان؛ فانقرضوا ودرجوا ، فقال عمرو ^(٤) بن إلهة — وكان مع الضيَّرن :

ألم يحزنك والأنباء تنمى ^(٥) بما لآقت سراة بني عبيد !
ومصرع ضيَّرن وبني أييه وأخلص الكتائب من تزيدي ^(٦) !
أناهم بالقيول مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحصن صخرأ ^(٧) كأنَّ ثفالهُ زبرُ الحديدِ

وأخرب سابور المدينة ، واحتمل النضيرة ابنة الضيَّرن ، فأعرس بها بعين التمر ، فلذكر أنها لم تزل ليلتها تنصوّر ^(٨) من خشونة فرشها ، وهي من

(١) في الأغاني : « أحكمك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبتته عن الأغاني .

(٣) الظلم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدي بن الدهاث .

(٥) تنمى ، أى تشيع .

(٦) أخلص الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٧) الأغاني : « من أواسي الحضر » . والأواسى : جمع آسية ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم

أصله ، من سارية أو غيرها .

(٨) الأغاني : « تنصوّر » .

٨٣٠/١ حرير محشوة بالقزّ فالتمس ما كان يؤذيها ، فإذا ورقة آس ملتزقة بعكثها من عكثها قد أثرت فيها . قال : وكان ينظر إلى مُحَمَّها من لين بشرتها - فقال لها سابور : ويحك بأي شيء كان يغدوك أبوك ؟ قالت : بالزُّبْد والمخّ وشهد الأبقار من النحل وصفو الخمر . قال : وأبيك لأنا أحدث عهداً بك ، وآثر^(١) لك من أبيك الذي غذاك بما تذكركين . فأمر^(٢) رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غداثها بذنتيه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أَفْقَرَ الْجِصْنُ مِنْ نَصِيرَةِ فَالِمِرِّ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرَارِ^(٣)

وقد أكثر الشعراء ذكر ضيّر هذا في أشعارهم ، وإياه عنى عدى بن زيد بقوله :

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَةً تُجَيِّ إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٤)

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِدًا سَاءَ فَلِمَطِيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ^(٥)

لَمْ يَهَبْهُ رَبُّبُ الْمَنُونِ فَبَادَ الْـ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

ويقال إن سابور بنى بميسان شاذ سابور ، التي تسمى بالنَّبْطِيَّة «ريما»^(٦) .

• • •

وفي أيام سابور ظهر مانيّ الزنديق ، ويقال : إن سابور لصاً سار إلى موضع جُنْدَى سابور ليؤسّسها صادف عندها شيخاً يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتخذ في ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن أُلْهِمْتُ الكتابة مع ما قد بلغت من السنّ جاز أن يبني في هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب في سنة ، فخلا به المعلم وبدأ بخلّ رأسه

٨٣١/١

(١) ط : « وآثر » ، وما أثبتته عن الأغاني . (٢) الأغاني : « ثم أمر » .

(٣) الثَّرَار : واد بين سنجار وتكريت ؛ كان في القديم منازل لبكر بن وائل ؛ ويعر بمدينة الحضر ؛ ثم يصب في دجلة أسفل تكريت .

(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٥) الكلّس : الصاروخ ؛ وهي النورة وأخلطها التي تصرّج بها النزل وغيرها . فارسي معرب .

(٦) ط : « ديما » .

ولحيته لثلاثا يتشاغل بهما ، وجادته التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومهتر ، فقلّده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكور الناحية وسماها بهما زنديو سابور ، وتأويل ذلك : « خير من أنطاكية » ، ومدينة سابور - وهي التي تسمى جندى سابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » باسم القتيّم كان على بنائها . ولما حضر سابور الموت ملّك ابنه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف في سنى ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

• • •

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز . وكان يلقب بالجرىء ، وكان يُشَبَّه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحق به في رأيه وتدبيره ، إلا أنه كان من البطش والجرأة وعِظَم الخلق على أمر عظيم . وكانت أمه - فيما قيل - من بنات مِهْرَك ، الملك الذي قتله أردشير بأردشير خُرة . وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله من يملك . فاتبع أردشير نسله فقتلهم ، وأفلتت أم هرمز . وكانت ذات عقل وجمال وكمال وشدة خلقي ، ف وقعت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرعاء . وإن سابور خرج يوماً متصيداً ، فأمعن في طلب الصيد ، واشتد به العطش ، ٨٣٢/١ فارتفعت له الأخبية التي كانت أم هرمز أوت إليها ، فقصدها فوجد الرعاء غيباً ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعاين منها جمالا فائقاً ، وقواماً عجيباً ، ووجهاً عتيقاً . ثم لم يلبث أن حضر الرعاء ، فسألهم سابور عنها ، فنسبها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوجه منهن ، فساعفه ، فصار بها إلى منزله ، وأمر بها فنظفت وكُسيت وحليت ، وأرادها على نفسها ؛ فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعت وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجب من قوتها ، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره ؛ ففحص عن أمرها

فأخبرته أنها ابنة مِهْرَك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت إبقاء عليه من أردشير ،
 فعاهدها على سِتْرِ أمرها ، ووطئها فولدت هُرْمَز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .
 وإن أردشير ركب يوماً ، ثم انكفاً إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره
 له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرْمَز ، وقد ترعرع
 وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح في أثر الكرة ، فلما وقعت عين أردشير
 عليه أنكره ، ووقف على المشابهة التي فيه منهم ؛ لأن الكيئة التي في آل أردشير
 كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات ^(١) كانت فيهم ؛
 من حُسْن الوجوه ، وعَبَالَةٍ ^(٢) الخلق ، وأمور كانوا بها مخصوصين في
 أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفراً على سبيل الإقرار
 بالخطأ مما كان منه ، وأخبر أباه حقيقة الخبر ، فُسِرَّ به ، وأعلمه أنه قد
 تحقق الذي ذكر المنجمون في ولد مِهْرَك ، ومن يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا
 فيه إلى هُرْمَز ؛ إذ كان من نسل مِهْرَك ، وأن ذلك قد سلّى ما كان في
 نفسه وأذهبه .

٨٣٣/١

فلما هلك أردشير وأفضى الأمر إلى سابور وإلى هُرْمَز خراسان ، وسيّره
 إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقَمَعَ مَنْ كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبراً
 شديداً ، فوشى به الوشاة إلى سابور ، وهَمَمَ أنه إن دعاه لم يُجِيبْ ، وأنه
 على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقليل : إنه خلا بنفسه ،
 فقطع يده وحسّمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها في نفيس من الثياب ،
 وصيّرهما في سَفَطٍ ^(٣) ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنه إنما
 فعل ما فعل ؛ لإزالة اللّهمة عنه ؛ ولأن في رسمهم ألا يملّكوا ذا عاهة . فلما وصل
 الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفاً ، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل ،
 واعتذر ، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضواً عضواً ، لم يؤثّر عليه أحد بالملك .
 فلنكه .

* * *

(١) ت ، س : « علامات » . (٢) العبالة هنا : ضخامة الجسم ؛ وأصله في الدراعين .

(٣) السفط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوا له فأحسن لهم الجواب ، وعرفوا منه صدق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعدل في رعيته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

وكان من محمّل سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ٨٣٤/١ — بعد مهلك عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة على فرج^(١) العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن عمرو بن عدى ، يقال له امرؤ القيس البدي^(٢) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكر هشام بن محمد — مملّكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن^(٣) هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانى عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذكر — رجلاً ذا حلم وتؤدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتّبّع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعوه إلى دينه ، فاستبرأ ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جندى سابور ، يدعى باب الماني ، وقتل أصحابه ومن دخل في ملته . وكان ملكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

• • •

(١) الفرّج هنا : موضع الخفاقة من العدو المجاور . (٢) ت ، س : « البدي » .

(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمور ، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء
بمثل ما كانوا يدعون لآبائه ، فردّ عليهم مردّاً حسناً ، وأحسن فيهم السيرة ، ٨٣٥/١
وقال : إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر ، وإن يكن غير ذلك نرضى بالقسم .
واختلف في سني ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة .
وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

• • •

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن
أردشير ؛ فلما عقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له ببركة
الولاية وطول العمر ، فردّ عليهم أحسن الردّ ، وكان قبل أن يُفَضَّى إليه الملك
مملّكا على سجستان .
وكان ملكه أربع سنين .

• • •

[ذكر ملك نرسی بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام ، وهو أخو بهرام الثالث ، فلما
عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوا له فوعدهم
خيراً ، وأمرهم بمكانفته على أمره ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال يوم ملك :
إنّا لن نضيق شكر الله على ما أنعم به علينا .
وكان ملكه تسع سنين .

• • •

[ذكر ملك هرمز بن نرسی]

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
وكان الناس قد وحلوا منه ، وأحسوا بالفظاظة والشدّة ، فأعلمهم أنه قد

عليهم ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغلظة والفظاظة رقة ورأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعدل السيرة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية. ٨٣٦/١
ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى. وقد قال بعضهم: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل في بطن أمه، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان ملوك هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

[ذكر ملك سابور ذي الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن ترسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملوكاً بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبشوا خبره في الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف، وتقلد الوزراء والكتاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرهم، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم، وأن أهلها إنما يتلومون^(١) صبيّاً في المهد، لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطمعت في مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شئ من معاشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعاشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فكثروا على ٨٣٧/١
ذلك من أمرهم حيناً، لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدتهم تاج الملوك على طفل من الأطفال، وقلة هيئة الناس له؛ حتى تحرك سابور وترعرع، فلمّا ترعرع ذكر أن أول ما عرف من تدبيره وحسن فهمه، أنه استيقظ ذات

ليلة وهو في قصر المملكة بطَيْسَبُون ، من ضوضاء الناس بسَحَر ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجّةُ الناس عند ازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومديرين ؛ فأمر باتخاذ جسر آخر ؛ حتى يكون أحدهما معبراً للمقبلين ؛ والآخر معبراً للمديرين ، فلا يزدحم الناس في المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما فطن من ذلك على صغر سنه . وتقدّم فيما أمر به من ذلك ، فلذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عقد جسر بالقرب من الجسر الذي كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجواز على الجسر ، وجعل الغلام يتزيد في اليوم ما يتزیده غيره في الحين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يعرضون عليه الأمر بعد الأمر ، فكان فيما عرض عليه أمر الجنود التي في الثغور ، ومن كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أخل ، وعظّموا عليه الأمر في ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرن هذا عندكم ؛ فإنّ الخيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ؛ بأنه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها ^(١) ، وعظّم غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ؛ فن أحب أن ينصرف إلى أهله فليتنصرف مأذوناً له في ذلك ، ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرف ذلك له . وتقدّم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

٨٣٨/١

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسّنه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطلّ تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحّة منطقته على ما سمعنا به . ثم تابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتدّ عظمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيباً ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه ، وما أقاموا من أديهم ونفوا من أعدائهم ، وما اختل من أمورهم ، في الأيام التي مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

يبتدئ العمل في الذَّبَّ عن البيضة ، وأنه يقدر الشخص إلى بعض الأعداء لمحاربتة ، وأنَّ عدة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين متشكرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما قدر من الشخص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الازدياد على العدة التي ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدم إليهم في المضي لأمره ، وهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيتهم . ثم قطع البحر في أصحابه ، فورد الخط ، واستقرى بلاد البحرين ، ٨٣٩/١ يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأقشى فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر ؛ حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن يستجيبه منه غار في جبل ، ولا جزيرة في بحر ؛ ثم عطف إلى بلاد عبد القيس ، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فليح بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا عوره^(١) ، ولا جُب من جبابهم إلا طمه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبى وطم مياههم . وإنه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هيج والخط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر ، ومن كان من بكر بن وائل كرمان ، وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملة من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبنيت بأرض السواد مدينة وسماها ، بزرج سابور - وهي الأنبار - وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران خرة سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمى بالسريانية الكرخ ، والأخرى السوس ؛ وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة دانيال النبي عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبى منها سببياً كثيراً ،

(١) عوره ، أي طمه وكبسه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية . وأمر فبنيّت بباجرّمى مدينة سماها خنّى سابور وكوّر كورة ، وبأرض خراسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكوّر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفرّق مُلُكُه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فلذكت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُليَانوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النصرانيّة ، ويُسِيرُ ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهنيّتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأخبار النصارى . وإنّه جمع جموعاً من الروم والخزر ، ومن كان في مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

٨٤١/١

وانتهزت^(١) العرب بذلك السبب الفرّصة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر لُليَانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ؛ فوجهتهم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجهه عيوناً تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالم في شجاعتهم وعيشتهم^(٢) فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار في أناس من ثقاته ليعاين عسكرهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّمة لليانوس ، وجهه رهطاً ممّن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسّسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذرت الروم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقِرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجهه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطانته ، يعلمه ما لقى من أمره ، وينذره ، فارتحل

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنَّ من كان فى عسكر الليانوس من العرب سألوه أن يأذن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فرحفوا ٨٤٢/١ إلى سابور ، فقاتلوه ففَضُّوا جمعته ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهرب سابور فيمن بقيَ من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلةً سابور ، وظفير ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لىَ من الليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القواد أن يقدّموا عليه فيمن قبيلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلِّ أفق ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لُليانوس مدينة بهاردشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنَّ لليانوس كان جالساً ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غرَّبٌ (١) فى فؤاده فقتله ، فأسقط فى رُوع جنده ، وهالهم الذى نزل به ، ويشوا من التفصى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى الملكَ لهم فيملكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألحوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِلة النصرانية ، وأنه لا يلى ناساً له مخالفين فى المِلة . فأخبرته الروم أنهم على مِلتِهِ ، وأنهم إنما كانوا يكتمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملكوه عليهم ، وأظهروا النصرانية .

وإنَّ سابور علم بهلاك لليانوس ، فأرسل إلى قواد جنود الروم ، يقول : إنَّ الله قد أمكنا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيتانا ، وتخطيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهيمى لقتالكم سيفاً ، ونشرع له ٨٤٣/١ رحماً ؛ فسرّحوا إلينا رئيساً إن كنتم رستموه عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قواد جنده ، فاستبدَّ برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشراف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور مجيئه إليه ، فتلقاه وتساجدا ، فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعيم عنده يومئذٍ ونعم .

وإنَّ سابور أرسل إلى قواد جند الروم وذوى الرياسة منهم (٢) يُعلمهم أنهم

(١) سهم غرب : لا يدرى راميهِ . (٢) س ، ل : « فيهم » .

لو ملّكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ، وأنّ تملّيكهم إياه يُنْجِيهِمْ مِنْ سَطْوَتِهِ . وقويّ أمر يوسانوس بجهده ، ثم قال : إنّ الروم قد شنّوا الغارة على بلادنا ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السّواد من نخل وشجر ، وخرّبوا^(١) عمارتها ؛ فإمّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوّضونا من ذلك نصّيبين وحيزها ، عوضاً منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الروم .

فأجاب يوسانوس وأشرف جنده سابور إلى ما سأل من العوّض ، ودفعوا إليه نصّيبين ، فبلغ ذلك أهلها ، فجلّسوا منها إلى مدن في مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثني عشر ألف أهل بيت من أهل لصطخر وإصبهان وكور أختر من بلاده وحيزه إلى نصّيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومنّ معه من الجنود إلى الرّوم ، وملكها زمناً^(٢) يسيراً ثم هلك .

وإنّ سابور ضيّق بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك .
وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف

• • •

وذكر بعض أهل^(٣) الأخبار أنّ سابور بعد أن أنشخ في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا إليها ممّا قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشّام ، وسار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبار مدّتهم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حيناً ، وبلغه أنّ قيصر أوّل ، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلّق سابور بهيئة السّؤال حتى شهيد^(٤) ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرف هيئته وحاله في طعامه ، ففطّن له فأخذه ، وأمر به قيصر فأدرج في جلد ثور ، ثم سار بجنوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

(١) ت : « وأخربوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل ونحرا المداخن والقرى وقطع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُندَى سابور ، وقد تحصن أهلها ، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سبى الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القيد الذى كان عليه زيتاً من زقاق كانت بقربهم ، ففعلوا ذلك ، ولان الجلد وانسل منه ، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتد سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فانتبه أصحاب قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان فى المدينة وعبّأهم ، وخرج إلى الروم فى تلك الليلة سحراً ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ؛ ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المداخن وجُندَى سابور ، حتى يرم به ماهدم منها ، وبأن^(١) يغرس الزيتون مكان النخل والشجر الذى عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، وبعث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا ؛ فلذلك تركت الروم اتّخاذ الأعقاب ، ورتق الذؤاب^(٢) .

ثم أقام سابور فى مملكته حينئذ . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها ، وسبى سبياً كثيراً ، وأسكن مَنْ سبى مدينة بناها بناحية السُّوس ، وسماها إيران شهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرَمَانَ وتَوَجَّجَ والأهواز ، وبني مدينة نيسابور ومداخن أخرى بالسند وسجستان ، ونقل طبيباً من الهند فأسكنه الكَرخ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طبيبه أهل السُّوس ؛ ولذلك صار أهل تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالملك لأخيه أردشير . وكان ملك سابور اثنين وسبعين سنة .

* * *

وهلك فى عهد سابور عامله على ضاحية مُضر وربيعه ، امرؤ القيس البدء^(٣) بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة فى ط ، وانظر المسعودى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البدى » ؛ س : « البدى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس - فيما ذُكر - فبقيَ في عمله بقيَّةَ ملك سابور ،
 وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسی ، وبعض أيام سابور بن سابور . ٨٤٦/١
 وكان جميع عمله - على ما ذكرت - من العرب ، وولايته عليهم - فيما
 ذكر ابن الكلبي - ثلاثين سنة .

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسی
 ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عقِدَ التاج
 على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر ، وشكروا عنده
 أخاه سابور ، فأحسن جوابهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه
 عنده ، فلما استقرَّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسی . فاستبشرت
 الرعيةً بذلك وبرجوع مُلك أبيه إليه ، فلقيتهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى
 العمال في حُسْنِ السيرة والرفق بالرعية ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتابه وحاشيته ،
 وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزل عادلاً على رعيته ، متحنناً عليهم لما كان تبين
 من مودتهم ومحبتهم وطاعتهم ، وخضع له نعمة أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
 وإنَّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فُسْطاط كان ضُرب عليه في حجرة
 من حُجْرِهِ ، فسقط عليه الفسْطاط .
 وكان ملكه خمس سنين .

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقَّب كَرْمَان ٨٤٧/١
 شاه ؛ وذلك أنَّ أباه سابور كان ولَّاه في حياته كَرْمَان ، فكتب إلى قواده
 كتاباً يحثُّهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتَقْوَى الله والنصيحة للملك ، وبنَى
 بكرْمَان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيته ، محموداً في أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإن ناساً من الفتاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إياه بنشاب^(١) .

• • •

[ذكر ملك يزددجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يزددجرد الملقب بالأثيم ، بن بهرام الملقب بكزمان شاه بن سابور ذى الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول : إن يزددجرد الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقب بكزمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يزددجرد بن سابور ذى الأكتاف . ومن نسه هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد . وكان - فيما ذكر - فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وأعظمها - فيما قيل - وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفاً من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته في الضار من الأمور ، واستعمال كل ما عنده من ذلك ، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع ٨٤٨/١ فطنة كانت بجهات الشر ، وشدة عجبته بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غليظاً سيئ الخلق ، ردى الطعنة^(٢) حتى بلغ من شدة غلظه وحِدته أن الصغير من الزلات كان عنده كبيراً ، واليسير من السقطات عظيماً . ثم لم يقدر أحد - وإن كان لطيف المنزلته منه - أن يكون لمن ابتلى عنده بشيء من ذلك شفيعاً ، وكان دهره كله للناس متهمياً ، ولم يكن يأتمن أحداً على شيء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أولى الخسيس من العرف استعجل ذلك ، وإن جسّر على كلامه في أمر كلمته فيه رجل غيره قال له : ما قدر جعلتلك^(٣) في هذا الأمر الذى كلمتنا فيه ؟ وما أخذت عليه ؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلا الوفود القادمون عليه من قبيل ملوك الأمم . وإن رعيته إنما سألوا من سطوته وبلية ، وما كان جمع من اللال السيئة بتمسكهم

(٢) ردى الطعنة ، أى سبى السيرة .

(١) ت ، س : « بنشاب » .

(٣) الجمالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، وخفاة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطيع ^(١) أن يُبلِّغ منه مثله في مدة ثلثمائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أقطع منه . وكان إذا بلغه أن أحداً من بطانته صافى رجلاً من أهل صناعته أو طبخته نحاه عن خدمته .

وكان استوزر عند ولايته نرسي حكيم دهره . وكان نرسي كاملاً في أدبه ، فاضلاً في جميع مذاهبه ، متقدماً لأهل زمانه . وكانوا يسمونه ميهَر نرسي وميهَر نرسيه ، ويلقب بالهزاربسنده ، فأملت الرعية بما كان منه أن ينزع عن أخلاقه ، وأن يُصلح نرسي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدت ^(٢) إهانته الأشراف والعظماء ، وحمل على الضعفاء ، وأكثر من سفك الدماء ، وتسلط تسلطاً لم يُبْسَل الرعية بمثله في أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنه لا يزداد إلا تايماً في الجور ، اجتمعوا فشكوا ما يتزل بهم من ظلمه ، وتضرعوا إلى ربهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعموا أنه كان بجرجان ، فرأى ذات يوم في قصره فرساً عاتراً ^(٣) — لم ير مثله في الخيل ، في حسن صورة ، وتمام خلقت — أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس منه ، لأنه كان متجاوز الحال ، فأخبر يزدجرد خبره ، فأمر به أن يُسرج ويُلجم ، ويدخل عليه ، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إلجامة وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنتهى إليه امتناعُ الفرس عليهم ، فخرج ببده ^(٤) إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وألقى لبداً على ظهره ، ووضع فوقه سرجاً ، وشدَّ حزامه ولَبَّسَه فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه ليُسْفِرَه ^(٥) استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رمحه هلك منها مكانه ، ثم لم يعاين ذلك الفرس . ويقال : إن الفرس ملأ فروجه جريماً فلم يدرك ولم

٨٤٩/١

٨٥٠/١

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) في الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كأنه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أنفر الدابة ، أي عمل لها أنفراً ، وأنفراً : السير الذي في مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعيّة بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورأفته بنا .

وكان مُلْك يَزْدَجِرْد في قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة، وخمسة أشهر وستة عشر يوماً . وفي قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

* * *

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدى في عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابورُ بن سابور على عمله أوس بن قلام في قول هشام . قال : وهو من العماليق من بني عمرو بن عَمَلِيق ، فثار به جَحْجَجِي بن عَتِيك بن لَحْم فقتله ، فكان جميعُ ولاية أوس خمس سنين ، وهلك في عهد بهرام بن سابور ذي الأكتاف . واستخلف بعده في عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو خمساً وعشرين سنة ، وكان هلاكه في عهد يَزْدَجِرْد الأثيم . ثم استخلف يَزْدَجِرْد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، وهو فارس حليمة ، وصاحب الخورتنق .

وكان ^(١) سبب بنائه الخورتنق — فيما ذكر — أن يَزْدَجِرْد الأثيم بن بهرام كَرَمَان شاه بن سابور ذي الأكتاف كان لا يبق له ولد فولد له بهرام ، فسأل ٨٥١/١ عن منزل برتي مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جنور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورتنق مسكنًا له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ، وكان الذي بنى الخورتنق رجلاً يقال له سينمار ، فلما فرغ من بنائه ، تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفوني أجرى وتصنعون بي ما أنا أهله بنيتُه بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدر على أن تبني ما هو أفضل منه

(١) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٤ - ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبته ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق^(١) ؛ ففي ذلك يقول أبو الطمّحان
القيسي :

جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاهَا ، وَرَبِّهَا . وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّى جَزَاءَ الْمَكْفَرِ^(٢)

وقال سليط بن سعد :

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنٍ فَعِلَ كَمَا يُجْزَى سِنِمَارُ

وقال يزيد بن إياس النهشلي :

جَزَى اللَّهُ كَمَالًا بِأَسْوَأِ فَعْلِهِ جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاءَ مُؤَفَّرَا

وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي - وكان أهدى أفراساً إلى

الحارث بن مارية الغسانی ، وقد إليه فأعجبته وأعجب به بعد العزى وحديثه ،

وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم^(٣) بن عوف من بني عبدة ود ، من كلب ،

فنهشته حية ، فظن الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزى : جئني بهؤلاء

القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعال ،

فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلن ولا فعلن ! فقال : رجونا من حباثك أمراً حال

دون عقابك . ودعا ابنه : شرأحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرًّا جَزَايَهُ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ^(٤)

سِوَى رَضَةِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلَّى عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكَبِ^(٥)

فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانُ تَمَّ سَمُوقُهُ وَأَضَّ كَمِثْلَ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ^(٦)

(١) في الأغاني : « من أعل الجوسق » .

(٢) في الأغاني ؛ وعنه في خزانة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفر : المحسن

المجحد إحسانه .

(٣) كذا في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدة » .

(٤) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ،

واليعنى ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٥) القراميد ، مفردة قرمد ؛ وهو الأجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان :

« سبعين حجة » ، وفي معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) في معجم البلدان : « كثل الطود والشامخ الصعب » .

فَأَتَاهُمُ مِنْ بَعْدِ حَرَمَيْنِ وَحِقْبَةٍ وَقَدْ هَرَّهٗ أَهْلُ الْمَشَارِقِ وَالْقُرْبِ
وَقَنَّ سِنْمَارُ بِهِ كُلَّ حَبْرَةٍ (١)
قَالَ أَقْدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ بَرْجِهِ
وَمَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فَأَعْلَمُوا
لَيْتَمَسِّنَ بِالْخَيْلِ عُقْرَ بِلَادِهِمْ
وَدُونَ الَّذِي مَنَى ابْنُ جَفْنَةَ نَفْسَهُ
وَقَدْ رَامَنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْءُ حَارِثُ
فَعُودِ رَسَلُولًا لَدَى الْأَكْمِ الصُّهْبِ ٨٥٣/١

قال هشام : وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نكايته في عدوه ، وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين : يقال لإحدهما : دوسر ، وهي لتنوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما : القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب .

قال : فذكر لنا - والله أعلم - أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورتنى ، فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، وهو على متن النجف ، في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذى يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فم يئال ذاك ؟ قال : بتركك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ، فترك مملكته من ليلته وليس المسوح ، وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضره أباه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذن عليهم ، سألوا عنه فلم يجده ، وفي ذلك يقول عدى بن زيد العبادى :

(١) الحبرة : السرور ، وفي الحيوان ومعجم البلدان : « حبرة » .

(٢) ت : « أعظم الخطب » . (٣) المزى : المقلق المرجع .

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ أَشْهُدُ رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَبْصِيرٌ^(١)
 سَرَّهُ حَالَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضٌ وَالسَّيْرُ^(٢) ٨٥٤/١
 فَارْتَعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِبُّ طَهَّ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ^(٣)
 ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتَنَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)
 نَمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ، فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ^(٥)

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكَهُ وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبي : من ذلك في زمن يَزْدَجِرْدَ خمس عشرة سنة ، وفي زمن بَهْرَامِ جُور بن يَزْدَجِرْدَ أربع عشرة سنة .

وأما العلماء من الفُرس بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره .

[ذكر ملك بَهْرَامِ جُور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِرْدَ الأئيم ابنه بَهْرَامِ جُور بن يَزْدَجِرْدَ الْحَشِين ابن بَهْرَامِ كَرْمَانَ شاه بن سابور ذي الأكتاف . وذكر أن مولده كان هُرْمُزْدُوزْ فَروُزْدِين ماه^(١) ، لسبع ساعات مضيين من الشَّهَار . فإنَّ أباه يَزْدَجِرْدَ دعا ساعة ولدَ بَهْرَامِ ممتنَّ كان ببابه من المنجِّمين ، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبيينه بياناً يدلُّ على الذي يثول إليه كلَّ أمره ، فقاموا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِرْدَ أَنَّ الله مورثُ بَهْرَامِ مُلْكُ أبيه ، وأنَّ رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأنَّ من الرأى أن يربِّي بغير بلادِه ، فأجال يَزْدَجِرْدَ الرأى في دفعه في الرضاع والتربية إلى بعض مَنْ ببابه من الروم أو العرب أو غيرهم ممن لم يكن من الفرس ، فبدا له في اختيار العرب لتربيته وحضانته ، فدعا بالمنذر ٨٥٥/١

(١) في الأغاني ٢ : ١٣٩ : « وتذكر » . (٢) الأغاني : « سره ماله » .

(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أى ذهبت به .

(٥) يريد أنه ولد في غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر في السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان، واستحضنه بهرام، وشرّفه وأكرمه، وملّكه على العرب، وجبّاه
بمرتبتين سنيتين، تدعى إحداهما: رام أبزود يزْدَجِرْد، وتأويله «زاد سرور
يزْدَجِرْد»، والأخرى تدعى بمهيشْت، وتأويلها «أعظم الحَوْل»، وأمر له بصلة
وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته، وأمره أن يسير بهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محلّته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام
صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب رضية، من بنات الأشراف، منهن امرأتان
من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لهنّ بما أصلحهنّ من
الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتجنّ إليه، فتداولنّ رضاعه ثلاث
سنين، وفطّمن في السنة الرابعة، حتى إذا أتت له ^(١) خمس سنين، قال للمنذر:
أحضرنّ مؤدبين ذوي علم، مدرّبين بالتعليم، ليعلموني الكتابة والرمي والفقه.
فقال له المنذر: إنك بعد صغير السن، ولم يأن لك أن تأخذ في التعليم؛
فالزم ما يلزم الصبيان الأحداث، حتى تبلغ من السنّ ما يطبق التعلم والتأدّب،
وأحضِر ^(٢) مَنْ يعلمك كلّ ما سألت تعلمه. فقال بهرام للمنذر: أنا لعمري
صغير، ولكنّ عقلي عقل مُحْتَنِك، وأنت كبير السنّ وعقلك عقل ضَرَع ^(٣).

أما تعلم أيّها الرجل؛ أن كلّ ما يتقدّم في طلبه ينال في وقته، وما يطلب
في وقته ينال في غير وقته، وما يُفَرِّط في طلبه يَفْقُوت فلا ينال! وإنّي من ولد
الملوك، والملوك صائر إلى بإذن الله، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح
العلم؛ لأنه لهم زِين، وللملوكهم ركن به يقوون. فعجّل على بمن سألتك
من المؤدّبين.

فوجّه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام هذه إلى باب الملك مَنْ أناه برهط
من فقهاء الفرس. ومعلّم الرمي والفرسية ومعلّم الكتابة وخاصة ^(٤) ذوي
الأدب، وجميع له حكماء من حكماء فارس والروم، ومحدثين من العرب، فألزمهم
بهرام، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك الميّهن وقتاً يأتونه فيه؛ وقدّر

(١) ل: «عليه». (٢) ت: «وأحضرك».

(٣) الضرع، بالتحريك: الصغير السن الضعيف.

(٤) ط: «وحصة».

لهم قلدراً يفيدونه ما عندهم ، فتفرغ بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم ، وللإستماع ^(١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث ، ووعى كل ما استمع ، وثقف كل ما علم . بأيسر تعليم . وألّفى بعد أن بلغ اثنتي عشرة سنة ، وقد استفاد كل ما أفيد وحفظه ، وفاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب ؛ حتى اعترفوا له بفضلهم عليهم .

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه ، وأمرهم بالانصراف عنه ، وأمر معلمى الرمنى والفروسيّة بالإقامة عنده ؛ ليأخذ عنهم كل ما ينبغي له التدرّب به ، والإحكام له ؛ ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر ، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها ، فأذن النعمان للعرب بذلك ، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بهرام فى اختيار الخيل لمركبه ، فقال لبهرام : لا تجشمن العرب لإجراء خيلهم ؛ ولكن مر من يعرض الخيل عليك ، واختر منها رضاك ، وارتبطه لنفسك . فقال له بهرام : قد أحسنت القول ؛ ولكنى أفضل الرجال سؤدداً وشرفاً ، وليس ينبغي أن يكون مركبى إلا أفضل الخيل ، وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة ^(٢) ؛ ولا تجربة بلا إجراء .

فرضى المنذر مقالته ، وأمر النعمان العرب فأحضروا خيلهم ، وركب بهرام والمنذر لحضور الحلبة ، وسرحت الخيل من فرسخين ، فبدر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً سابقاً ، ثم أقبل بعده بقيتها بداد بداد ^(٣) من بين فرسين تالينين ، أو ثلاثة موزعة ، أو سكتيتاً ^(٤) . فقرب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام ، وقال : يبارك الله لك فيه ، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به ، وتشكر للمنذر .

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حمّله عليه المنذر إلى الصيد ، فبصر بعانة ^(٥) ، فرمى عليها وقصد نحوها ؛ فإذا هو بأسد قد شد على

(١) س ، ل : « والاستماع » .

(٢) ت : « فى التجربة » .

(٣) بداد بداد ؛ أى مرتين . وفى الأصول : « بدار بدار » .

(٤) السكتيت : من يحمى آخر الحلبة .

(٥) العانة : القطيع من حمر الوحش .

عَبِيرٌ كَانَ فِيهَا ، فَتَنَاولَ ظَهْرَهُ بِفِيهِ لِيَقْصِمَهُ وَيَقْتَرِسَهُ ، فَرَمَاهُ بِبَهْرَامَ رَمِيَةً فِي ظَهْرِهِ ، فَفَنَفَذَتِ النَّشَابَةُ مِنْ بَطْنِهِ وَظَهَرَ الْعَبِيرُ وَسُرَّتِيهِ حَتَّى أَقْفَضَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَسَاحَتْ فِيهَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِيَّهَا ، فَتَحَرَّكَ طَوِيلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَشْهَدِ نَاسٍ مِنَ الْعَرَبِ وَحَرَسِ بَهْرَامَ وَغَيْرِهِمْ . فَأَمَرَ بِبَهْرَامَ فَصَوَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ وَالْعَبِيرِ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ .

ثُمَّ إِنَّ بَهْرَامَ أَعْلَمَ الْمُنْذِرَ أَنَّهُ عَلَى الْإِلْمَامِ بِأَبِيهِ ، فَشَخَّصَ إِلَى أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَزْدَجِيرِدُ لِسُوءِ خُلُقِهِ لَا يَجْفِلُ بَوْلَهُ لَهُ ، فَاتَّخَذَ بِبَهْرَامَ لِلخِدْمَةِ ، فَلَقِيَ بِبَهْرَامَ مِنْ ذَلِكَ عَنَاءٌ .

ثُمَّ إِنَّ يَزْدَجِيرِدَ وَقَدْ عَلَيْهِ أَخٌ لَقَبِصَرُ ، يَقَالُ لَهُ : ثِيَاذُوسُ ، فِي طَلَبِ الصِّلَحِ وَالْهَدَنَةِ لَقَبِصَرِ وَالرُّومِ ، فَسَأَلَهُ بِبَهْرَامُ أَنْ يَكَلِّمَ يَزْدَجِيرِدَ فِي الْإِذْنِ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْمُنْذِرِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى التَّعَنُّمِ وَالتَّلَذُّذِ . وَهَلَكَ أَبُوهُ يَزْدَجِيرِدُ وَبَهْرَامُ غَائِبٌ ، فَتَعَاقَدَ نَاسٌ مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ أَلَّا يَمْلِكُوا أَحَدًا مِنْ ذُرِّيَّةِ يَزْدَجِيرِدَ لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ يَزْدَجِيرِدَ لَمْ يَخْلُفْ وَلَدًا يَحْتَمِلُ الْمَلِكُ غَيْرَ بَهْرَامَ ، وَلَمْ يَلِ بِبَهْرَامَ وَلَايَةً قَطُّ يُبْلَى^(١) بِهَا خَبْرُهُ ، وَيَعْرِفُ بِهَا حَالَهُ ، وَلَمْ يَتَأَدَّبْ بِأَدَبِ الْعَجَمِ ؛ وَإِنَّمَا أَدَبُهُ أَدَبُ الْعَرَبِ ، وَخُلُقُهُ كَخُلُقِهِمْ ، لَنَشِئِهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ . وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَكَلِمَةُ الْعَامَةِ عَلَى صَرْفِ الْمَلِكِ عَنْ بَهْرَامَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عِتْرَةِ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكٍ ، يَقَالُ لَهُ كَسْرَى ، وَلَمْ يَقِيمُوا أَنْ مَلَكَوهُ . فَانْتَهَى هَلَاكُ يَزْدَجِيرِدَ وَالَّذِي كَانَ مِنْ تَمْلِكِهِمْ كَسْرَى إِلَى بَهْرَامَ وَهُوَ بِبَادِيَةِ الْعَرَبِ ، فَدَعَا بِالْمُنْذِرِ وَالتَّعْمَانَ ابْنَهُ ، وَنَاسٍ مِنْ عِلِّيَّةِ الْعَرَبِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي لَا أَحْسِبُكُمْ تَجْمَعُدُونَ خَصِيصَتِي وَالَّذِي كَانَ أَتَاكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ بِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ كَانَ عَلَيْكُمْ ، مَعَ فِظَاظَتِهِ وَشِدَّتِهِ كَانَتْ عَلَى الْفَرَسِ ؛ وَأَخْبِرْهُمْ بِالَّذِي أَتَاهُ مِنْ نَعْيِ أَبِيهِ ، وَتَمْلِكِ الْفَرَسَ مِنْ مَلَكَوْا عَنْ تَشَاوُرِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ .

فَقَالَ الْمُنْذِرُ : لَا يَهْوِلَنَّكَ ذَلِكَ حَتَّى الْطِيفِ الْحِيلَةُ^(٢) فِيهِ . وَإِنَّ الْمُنْذِرَ

(١) ت : « يَبْلَى » .

(٢) ط : « الْحِيلَةُ ، وَمَا أَتَتْهُ مِنْ » .

جَهْزَ عَشْرَةَ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ فِرْسَانَ الْعَرَبِ ، وَوَجَّهَهُمْ مَعَ ابْنِهِ إِلَى طَيْسُبُون^(١) وَبِهَتْأَرْدَشِيرَ مَدِينَتَيْ الْمَلِكِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْسُكَرَ قَرِيبًا مِنْهُمَا ، وَيُدْمِنَ إِرْسَالَ طَلَانْعِهِ إِلَيْهِمَا ، فَإِنْ تَحَرَّكَ أَحَدُ لِقَاتِهِ قَاتَلَهُ وَأَغَارَ عَلَى مَا وَالَاهُمَا ، وَأَسْرَسَبَّيَ ، وَنَاهَا عَنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ . فَسَارَ النِّعْمَانُ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَتَيْنِ ، وَوَجَّهَ طَلَانْعَهُ إِلَيْهِمَا ، وَاسْتَعْظَمَ قِتَالَ الْفِرْسِ . وَإِنْ مَنَّ بِالْبَابِ مِنَ الْعِظْمَاءِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ أَوْفَدُوا جَوَانِي صَاحِبِ رِسَائِلِ يَزْدَجِيرْدَ إِلَى الْمَنْذَرِ ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَعْلَمُونَهُ أَمْرَ النِّعْمَانِ ، فَلَمَّا وَرَدَ جَوَانِي عَلَى الْمَنْذَرِ وَقَرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ الْمَلِكُ بِهَتْأَرَامَ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ مَنْ يُوْصِلُهُ إِلَيْهِ . فَدَخَلَ جَوَانِي عَلَى بَهْتَرَامَ فَرَاغَهُ مَا رَأَى مِنْ وَسَامَتِهِ وَبِهَاتِهِ ، وَأَغْفَلَ السَّجُودَ دَهْشَةً ، فَعَرَفَ بِهَتْأَرَامَ أَنَّهُ إِنَّمَا تَرَكَ السَّجُودَ لِمَا رَآهُ مِنْ رُؤَاثِهِ ، فَكَلَّمَهُ بِهَتْأَرَامَ ، وَوَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَحْسَنَ الْوَعْدِ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَنْذَرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يُجِيبَ فِي الَّذِي كَتَبَ ، فَقَالَ الْمَنْذَرُ لِلْجَوَانِي : قَدْ تَدَبَّرْتُ الْكِتَابَ الَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ ، وَإِنَّمَا وَجَّهَ النِّعْمَانُ إِلَى نَاحِيَتِكُمُ الْمَلِكُ بِهَتْأَرَامَ حَيْثُ مَلَكَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَخَوَّلَهُ إِيَّاكُمْ .

فَلَمَّا سَمِعَ جَوَانِي مَقَالَ الْمَنْذَرِ ، وَتَذَكَّرَ مَا عَايَنَ مِنْ رُؤَا بَهْرَامَ وَهَيْبَتِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَأَنْ^(٢) جَمِيعَ مَنْ شَاوَرَ^(٣) فِي صَرْفِ الْمَلِكِ عَنْ بَهْتَرَامَ مَخْصُومَ مَحْجُوجَ ، قَالَ^(٤) لِلْمَنْذَرِ : إِنِّي لَسْتُ بِمُحِيرًا جَوَابًا ، وَلَكِنْ سِرُّ إِنِّي رَأَيْتُ إِلَى مُحَلَّةِ الْمُلُوكِ فَيَجْتَمِعُ^(٥) إِلَيْكَ مَنْ بَهَا مِنَ الْعِظْمَاءِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَتَشَاوَرُوا فِي ذَلِكَ . وَأَتَى فِيهِ مَا يَحْمِلُ ، فَلَيْسَ لَنْ يَخَالَفُوكَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تُشِيرُ بِهِ .

فَرَدَّ الْمَنْذَرُ جَوَانِي إِلَى مَنْ أَرْسَاهُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَعَدَّ وَسَارَ بَعْدَ فُضُولِ جَوَانِي مِنْ عِنْدِهِ بِيَوْمٍ بِبَهْرَامَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ فِرْسَانَ الْعَرَبِ وَذَوَى^(٦) ٨٦٠/١
الْبَاسِ وَالتَّجْدَةِ مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَتَيْ الْمَلِكِ ، حَتَّى إِذَا وَرَدَهُمَا ، أَمَرَ فُجْمَعَ النَّاسَ ، وَجَلَسَ بِهَتْأَرَامَ عَلَى مَنَبَرٍ^(٧) مِنْ ذَهَبٍ مَكْلُتٍ بِجَوْهَرٍ ، وَجَلَسَ الْمَنْذَرُ عَنْ يَمِينِهِ ،

(١) ت : « طَيْسُبُون » . س : « طَيْسُون » . (٢) ل : « عِلْمُ بَانَ » .

(٣) ت ، س : « تَشَاوَرَ » . (٤) ل : « فَقَالَ » .

(٥) ت : « فَتَجْمَعُ » . (٦) ت : « وَأَوَّلَى » . (٧) ت : « سَرِير » .

وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يَزْدَجِرْدُ أبي بهرام كانت ، وسوء سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض ، وأكثر القتل ظلماً ، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها ، وأموراً غير ذلك فظيعة . وذكروا أنهم إنما تعاقدوا وتوثقوا على صرف الملك عن ولد يَزْدَجِرْدُ لذلك ، وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعى المنذر ما بشوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أولي بإجابة القوم متى . فقال بهرام : إنني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبتم إليه يَزْدَجِرْدُ لِمَا استقرّ عندي من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديّه ، ومتنكباً لطريقه^(١) ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ عليّ بالملك ، فأصلح كلّ ما أفسد ، وأرأب ما صدع ؛ فإن أتت للملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عددت لكم تبرأت من الملك طائعاً ، وقد أشهدت بذلك على الله وملائكته وموبّدان موبّد . وليكنّ هو فيها حكماً بيني وبينكم . وأنا مع الذي بينت على ما أعلمكم من رضاى بتمليككم من تناول التاج والزينة ؛ من بين أسدين ضاريين مشيبين ، فهو الملك .

• • •

فلما سمع القومُ مقالة بهرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بذلك ، وانبسطت آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إنّنا لسنا نقدر على ردّ قول بهرام ؛ مع ٨٦١/١ أنّا إن تمسنا على صرف الملك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمدّ واستجاش من العرب ؛ ولكنّا نمتحنه بما عرّض علينا مما لم يدعه إليه إلاّ ثقة بقوته وبطشه وجرأته ، فإن يكنّ على ما وصف به نفسه ، فليس لنا رأى إلاّ تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإن يهلك ضعفاً ومُعجزةً ، فنحن من هلكته^(٢) برآء ، ولشره وغائلته آمنون .

وتفرّقوا على هذا الرأى ، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام ، وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس ، وحضره من كان يحاده . فقال لهم : إمّا

أن تجيئوني فيما تكلمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخيعين^(١) لي بالطاعة . فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نَر منه إلّا ما نحب ؛ ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يُوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين ، وتتنازعانها أنت وكسرى ، فأيتكما تناولها من بينهما ، سلّمنا له الملك . فرضى بهرام بمقالتهم ، فأقّى بالتاج والزينة موبدان موبّد ، الموكل كان بعقد التاج على رأس كلِّ ملك يملك ، فوضعهما في ناحية ، وجاء بسطام إصبهبد ، بأسدين ضاريين مجوعين مُشبّلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بحذائه ، وأرخى وثاقهما ، ثم قال بهرام لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما مني ؛ لأنك تطلب الملك بورائه ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ، لثقته كانت ببطشه^(٢) وقوّته ، وحمل جرّزا^(٣) ، وتوجّه نحو التاج والزينة ، فقال له موبدان موبّد : استماتك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوع منك ، لا عن رأى أحد من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك . فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولا وِزّر عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ، فلما رأى موبّدان موبّد جيده في لقاها ، هتف به وقال : بُح بذنوبك ، وتبّ منها ، ثم أقدم إن كنت لا محالة مقدّما ، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدهما ، فلما دنا من بهرام وثب وثبة ، فعلا ظهره ، وعصر جسّبي الأسد بفخذه عصراً أثخنه ، وجعل يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ، فقبض على أذنيه ، وعركهما بيكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذي كان راكمه حتى دمغهما ثم قتلها كليهما على رأسهما بالجرز الذي كان حمله : وكان ذلك من صنيعه^(٤) بمراى من كسرى ومن حضر ذلك المحفل .

(٢) ل : « كانت في بطشه » .

(١) ل : « خاضعين » .

(٣) الجرز : عمود من الحديد . (٤) ت : « صنه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به ، وقال : عمرك الله بهرام ! الذى منّ حوله سامعون ، وله مطيعون ، ورزقه مملك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع^(١) الحضر ، وقالوا : قد أذعنّا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به ملىكاً . وأكثروا الدعاء له . وإنّ العظماء وأهل البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه^(٢) أن يكلم بهرام فى التغمد لإساعتهم فى أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلم المنذر بهرام فيما سأله من ذلك ، واستوبه ما كان احتمال عليهم فى نفسه ، فأسغفه بهرام فيما سأل ، وبسط آمالهم .

وإنّ بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة ، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته راحة ودعة ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعدّهم الخير من نفسه ، وبأمرهم بتقوى الله وطاعته .

• • •

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو^(٣) على ما سواه ، حتى كثرت ملامه رعيته إياه على ذلك ، وطمع منّ حوله من الملوك فى استباحة بلاده ، والغلبة على ملكه ؛ وكان أول من سبق إلى المكاثرة^(٤) له عليه خاقان ملك الترك ، فإنه غزاه فى مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان فى جمتمع عظيم إلى بلادهم ، فتعاضمهم ذلك وهالهم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لهم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامة ، فقالوا له : إنه قد أزملك أيها الملك من بائقة هذا العدو ما قد شغلك عما أنت عليه من اللهو والتلذذ ، فتأهب له كيلا يلحقنا منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربنا^(٥) قوى ونحن أولياؤه . ولم يزد إلا مثابرة على اللهو والتلذذ والصيد .

وإنه تجهز فسار إلى أذر بيجان لينسك^(٦) فى بيت نارها ، ويتوجه منها إلى

(١) ت : « الجمع » . (٢) ل : « فسألوه » .

(٣) س ، ل : « اللهو » . (٤) ت ، س : « المكاثرة » .

(٥) ت : « تعالى » . (٦) ينسك : يصعد .

أرمينية ، ويطلب الصيد في آجامها ، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخاً له يسمى نرسى على ما كان يدبّر من ملكه . فلم يشكّ الناس حين بلغهم مسير بهرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من عدوه ، وإسلام لملكه ؛ وتأمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخراج ، مخافةً منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتلتهم إن هم لم يُدعِنوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمع عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتهم ، وأمر جنده بالتورّع ، فأتى بهرام عين كان وجهه ليأتيه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزمه ، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فبيته ، وقتل خاقان بيده ، وأفتى القتل في جنده ، وانهم من سلكهم من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلفوا عسكرهم وذرائعهم وأثقالهم ، وأمن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوى ما غنم منهم ، ويسبى ذرائعهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر^(١) بهرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل^(٢) على ما غلب^(٣) عليه منها مَرزباناً حبشاً سريراً من فضة ، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسألوه أن يُعلمهم حد ما بينه وبينهم فلا يتعدوه ، فحدّ لهم حدّاً ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيروز الملك ابن يزدجرد ، فقدّمت إلى بلاد الترك ، ووجه بهرام قائداً من قواده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأثنخهم ، حتى أقرّوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية .

* * *

وإن بهرام انصرف^(٤) إلى أذربيجان ، راجعاً إلى محلّته من السّود ، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر ، فعلق على بيت نار أذربيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فترّل^(٥) دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « قظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .

(٣) ت : « ما قد غلب عليه » . س ، ل : « على ما غلب عليه » .

(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « ونزل » .

كتب إلى جُنْدِه وعَمَّالِه بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولَّى أخاه نَرْسِي خُرَّاسان ، وأمره أن يسير إليها وينزل بلسخ ، وتقدّم إليه بما أراد .

ثم إنَّ بَهْرَام سار في آخر مُلْكِه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشدَّ على عَيْر ، وأمعن في طلبه ، فارتطم في جُبٍّ ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُبِّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت بإتفاق تلك الأموال على مَنْ يخرجها منه ، فنقلوا من الجُبِّ طيناً كثيراً وحمأةً ، حتى جَمَعُوا من ذلك آكاماً عظاماً ، ولم يقدرُوا على جُثَّة بَهْرَام .

وذُكِرَ أن بَهْرَام لما انصرف إلى مملكته من غَزْوِه ^(١) الترك ، خطب أهل مملكته أياماً متوالية ، حشَّهم في خطبته على لزوم الطاعة ، وأعلمهم أنَّ نَيْتَه التَّوسُّعَة عليهم ، وإيصالُ الخير إليهم ، وأنَّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنَّ أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة ، فجعِدُوا ذلك أو مَنْ جحدَه منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الحَوَل والعبيد للملوك ، فأصاره ذلك إلى الغِلْظَة وضرب الأَبْشار وسفك الدماء . وإنَّ انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أَذَر بِييجان ، وإنه نَحَلَ بيت نار ^{٨٦٦/١} الشيز ما كان في إكليل خاقان من اليواقيت والجواهر ^(٢) وسيفاً كان لخاقان مُفَصَّصاً بدرّ وجوهر وحليّة كثيرة ، وأخذه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن الناس الحراج لثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النَّصْر في وجهه ، وقسَّم في الفقراء والمساكين مالا عظيماً ، وفي البيوتات وذوِي الأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتباً ، يذكر فيها أنَّ الخبر ورد عليه بورود خاقان بلادَه ، وأنَّه مَجَّد الله وعظَّمه وتوكَّل عليه ، وسار نحوه في سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلاثمائة فارس من نُخْبَة رابطته على طريق أَذَر بِييجان وجبل القَبْقُ ، حتى نفذ على براري خَوَارِزم ومغاوزها ، فأبلاه

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجواهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكر لهم ما وضع عنهم من الخراج ، وكان كتابه في ذلك كتاباً بليغاً .

وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التي بقيت عليهم من الخراج ، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولى فيها .

وقيل إن بهرام جور لما انصرف إلى طيسبُون من متغزاه خاقان التركي ، ولما نرسي أخاه خراسان ، وأنزله بلخ ، واستوزر مهتر نرسي بن بُرازة ، وخصه وجعله بزرجقَرَمَدَار ، وأعلمه أنه ماض إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطّف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ؛ ليخفف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدّم إليه بما أراد التقدّم إليه فيما خلقه عليه إلى أن انصرفه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متنكراً ، فكثت بها حينئذ لا يسأله أحد من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته ^(١) وقتله السباع ، وجماله وكمال خلقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبل ، وقتل ناساً كثيراً ، فسأل بعضهم أن يدلّه عليه ليقته ، وانتهى أمره إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل ، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنّع ^(٢) بهرام . ومضى بهرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مزبداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بهرام رماه رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب ، وقدّه بالنشّاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بمشفره ، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتز رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصّ خبره على الملك ، فعجب من شدته وجراته ، وجباه حياء عظيمًا ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفرس ، وكان

٨٦٧/١

(١) ت : « فروسته » .

(٢) ت : « إلى صنّيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخَطَ على شئء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك عدو قد نازعه مُلْكَه ، وسار إليه بجنود عظيمة ، فاشتدَّ وجَلُّ الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قُوته ، وأراد على الخضوع له وحَمَلَ الخراج إليه ، وهمَّ صاحب بهرام بإجابهته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وَضَمِنَ له كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعداً له ، فلما التقوا قال لأساورة الهند : احرسوا ظهري . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرّجُل على رأسه فنتهى ضربته إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين ، ويأتى الفيل فيقتله مشفّره بالسيف ، ويحتمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمي ، وأكثرهم رجالة لا دواب لهم — وكان بهرام إذا رى أحدهم أنفذ السهم فيه ، فلما عاينوا منه ما عاينوا ، ولّوا منهزمين لا يلوون على شئء ، وغنم صاحب بهرام ما كان في عسكر عدوه ، وانصرف مجبوراً مسروراً ، ومعه بهرام ، فكان في مكافأته إياه أن أنكحته ابنته ، ونحله الدّيبُل ومُكرّان وما يليها من أرض السند ، وكتب له بذلك كتاباً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى ضُمَّت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بهرام ، وانصرف بهرام مسروراً .

ثم إنه أغزى مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَة بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل ، وأمره أن يقصد عظيمها ، وينظره في أمر الإتاوة وغيرها ، ممّا لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مِهْرَنَرَسِي ، فتوجّه^(١) في تلك العدة ، ودخل القُسْطَنْطِينِيَّة ، وقام مقاماً مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكلّ الذي أراد بهرام ، ولم يزل لِمِهْرَنَرَسِي مُكرّماً ، وربما خفّف اسمه فقبل «نرسي» وربما قيل «مِهْرَنَرَسِي» ، وهو مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَة بن فرخزاد بن خورهباز بن سيسفاز ابن سينابروه بن كتي أشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب .

وكان مِهْرَنَرَسِي معظماً عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه ، وجودة آرائه ، وسكون العامة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه في القدر ، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبه ؛ وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا :

أحدهم زَرَوَنداذ ؛ كان مِهْرَ نرْمِي قصد به للدين والفقه ، فأدرك مِنْ ذلك امرأً عظيماً ، حتى صيّرهُ بهرام جور هِرَبْدان هِرَبْدَ ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبَدان مَوْبَدَ . وكان يقال للآخر : ما جُشْنَس ، ولم يزل متولّياً ديوان الخراج أيام بهرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية « راسْترای وشانسلان » . وكان الثالث اسمه كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية « أسْطُران سلار » ؛ وهذه مرتبة فوق مرتبة الإصْبَهَبْد تقارب مرتبة الأرْجَبَبْد ، وكان اسم مِهْرَ نرْمِي بمرتبته بالفارسية « بَزُرْ جفر ماندار » ؛ وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء » ٨٧٠/١

أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق دشتبارين من بكرة أردشير خُسرَ ، فابتنى فيه وفي جِريهِ من كُورة سابور لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار — هو باق فيما ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية — يقال لها مِهْرَنْرُسيان ، واتخذ بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ؛ فجعل واحداً منها لنفسه ، ومماه فراز مرا آوَرْ خُذايان ؛ وتفسير ذلك : « أقبل إلى سيّدتي » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لزرّاوْنداذ ، ومماه زراوندان ، والآخر لكارد ومماه كاردان ، والآخر لماجُشْنَس ، ومماه ماجُشْنَسْغان ؛ واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات ^(١) ، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة ألف نخلة ، وفي باغ اثني عشر ألف أصل زيتون ، وفي باغ اثنتي عشرة ألف سرّوة ^(٢) ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ؛ وإنّ ذلك — فيما ذكر — إلى اليوم باقٍ على أحسن حالاته .

٨٧١/١

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى بلاد السودان من ناحية ^(٣) اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسبى منهم خلقاً ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت . واختلفوا في مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم في اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ؛ فسرّه صاحب القاموس بالعرعر ، وأحدثه سرّوة .

(٣) ت : « مایل » .

أشهر وعشرين يوماً . وقال آخرون كان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالملك من بعده يزدجرد بن بهرام جور . فلما عقيد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوا له وهنئوه بالملك ، فرد عليهم ردًا حسنًا ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعية ، وطول جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه مثل الذي كانوا يعهدونه من أبيه ، فلا ينبغي لهم أن يستنكروه ؛ فإن خلواته إنما تكون في مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مهتر نرسي بن بُرازة صاحب أبيه ، وأنه سائر فيهم بأحسن^(١) السيرة ، ومستن لهم أفضل السنن ، ولم يزل قامعًا لعدوه ، رءوفًا برعيته وجنوده ، محسنًا إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هُرْمَز ، وكان ملكًا على سيجستان ، والآخر يقال له فيروز ؛ فغلب هُرْمَز على الملك من بعد هلاك أبيه يزدجرد ، ٨٧٢/١ فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بقصته وقصة هرمز أخيه ، وأنه أولى بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هُرْمَز ، ويحتوى على مُلك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يُجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبر أن هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجور لا يرضاه الله^(٢) ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يُستطاع أن يُستصف ويحترف في مُلك الملك الجائر إلا بالجور والظلم . فأمد فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش ، فأقبل بهم^(٣) وقاتل هُرْمَز أخاه فقتله ، وشتت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الثناوا على يزدجرد بن بهرام في الخراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجه إليهم مهتر نرسي بن بُرازة ، في مثل العدة التي كان بهرام وجهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

(١) ت : « أحسن » .

(٢) ل : « ما لا يرضاه » .

(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْكُ يَزْدَجَرْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ .
وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ]

ثُمَّ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامِ جُورَ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ وَثَلَاثَةَ
نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : اسْتَعَدَّ فَيْرُوزُ بْنُ خُرَّاسَانَ ،
وَاسْتَنْجَدَ بِأَهْلِ طَخَسَارِيسْتَانَ وَمَا يَلِيهَا ، وَسَارَ إِلَى أَخِيهِ هَرْمُزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ ،
وَهُوَ بِالرِّيِّ - وَكَانَتْ أُمَّهُمَا وَاحِدَةً ، وَاسْمُهَا دِينَكَ ، وَكَانَتْ بِالْمَدَائِنِ تَدْبِيرَ
مَا يَلِيهَا مِنَ الْمَلِكِ - فَظَفَرَ فَيْرُوزُ بِأَخِيهِ فَجَبَسَهُ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحَسَنَ السَّيْرَةَ ،
وَكَانَ يَتَدَبَّرُ ، وَقَحَّطَ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ سَبْعَ سِنِينَ ، فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَ [ذَلِكَ] (١)
الْأَمْرَ حَتَّى قَسَمَ مَا فِي بَيْوتِ الْأَمْوَالِ ، وَكَفَّ عَنِ الْجَبَايَةِ ، وَسَاسَهُمْ أَحْسَنَ
السِّيَاسَةِ ؛ فَلَمْ يَهْلِكْ فِي تِلْكَ السَّنِينَ أَحَدٌ ضَيَاعًا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .

وَسَارَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى طَخَسَارِيسْتَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْهِيَاظِلَةُ ، وَقَدْ
كَانَ قَوَادِمُهُمْ فِي أَوَّلِ مُلْكِهِ لِمَعُونَتِهِمْ إِيَّاهُ عَلَى أَخِيهِ ، وَكَانُوا - فِيمَا زَعَمُوا - يَعْمَلُونَ
عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ ، فَلَمْ يَسْتَحِلِّ تَرْكَ الْبِلَادِ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ ،
وَأَرْبَعَةُ بَنِينَ لَهُ ، وَأَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ ، كُلُّهُمْ كَانَ يُسَمَّى بِالْمَلِكِ ، وَغَلَبُوا عَلَى عَامَةِ
خُرَّاسَانَ حَتَّى سَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ يُقَالُ لَهُ سُوخْرَا مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ ،
وَكَانَ فِيهِمْ عَظِيمًا ، فَخَرَجَ فَيَمَنْ تَبِعَهُ شَبْهُ الْمُحْتَسِبِ الْمَتَطَوِّعِ حَتَّى لَقِيَ (٢)
صَاحِبَ الْهِيَاظِلَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ ، فَافْتَرَقَا عَلَى الصَّلَاحِ ؛ وَرَدَّ مَا لَمْ
يَضَعْ مِمَّا فِي عَسْكَرِ فَيْرُوزَ مِنَ الْأَسْرَاءِ وَالسَّبْيِ . وَمَلَكَ سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً .

وَقَالَ غَيْرُ هِشَامَ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ : كَانَ فَيْرُوزُ مَلِكًا مَحْدُودًا مُحَارَفًا (٣)
مَشْتُومًا عَلَى رِعِيَّتِهِ ، وَكَانَ جَلَّ قَوْلُهُ وَفَعَلَهُ فِيمَا هُوَ ضَرَرُ وَآفَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ
مَمْلَكَتِهِ . وَإِنَّ الْبِلَادَ قَحَّطَتْ فِي مُلْكِهِ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ ، فَغَارَتْ الْأَنْهَارُ
وَالْقُسْنَى وَالْعَيُونُ ، وَقَحَّكَتْ (٤) الْأَشْجَارُ وَالْفَيَاضُ ، وَهَاجَتْ عَامَّةُ الزَّرُوعِ

(١) تَكَلَّمَ مِنْ لَ ، س . (٢) ت : « أَقَى » . (٣) الْحَارِفُ : الْمَحْرُومُ الَّذِي
إِذَا طُلِبَ شَيْئًا لَا يَبْرُزُ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُبَارَكِ . (٤) لَ : « وَحَلَّتْ » .

والآجام في السَّهْل والجبل من بلاده ، ومُوت فيها الطَّيْر والوحوش ، وجاعت الأنعام والدواب ؛ حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة ، وقلَّ ماء دِجْلَة ، وعمَّ أهل بلاده اللزبات ^(١) والمجاعة والجهد والشدائد .

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لاخراج عليهم ولاجزية ، ولا نائبة ^{٨٧٤/١} ولا سُخْرة ، وأن قد ملكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعي فيما يقوتهم ويقيمهم ، ثم أعاد الكتاب إليهم في إخراج كلِّ مَنْ كان له منهم مطمورة أو هُرْى ^(٢) أو طعام أو غيره ^(٣) ؛ مما يقوت الناس ، والتأسي فيه ، وترك الاستئثار فيه ؛ وأن يكون حالُ أهل الغنى والفقر وأهل الشرف والضعفة في التأسي واحداً . وأخبرهم ^(٤) أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً عاقب أهل المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسى جوعاً ، ونكَّل بهم أشدَّ النَّكَّال .

فساس فيروز رعيته في تلك اللزبة والمجاعة سياسة لم يعط أحد منهم جوعاً ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرة ، يدعى بديه ^(٥) فتعظَّم ^(٦) ذلك عظماء الفرس ، وجميع أهل أردشير خُرة وفيروز ، وأنه ابتهل إلى ربه في نشر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثه عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلحت الأشجار . وإن فيروز أمر فبنيت بالرتى مدينة ، سماها رام فيروز ، وفيما بين جرجان وباب صول مدينة ، سماها رُوشن فيروز ، وبناحية أذربيجان مدينة وسماها شهرام ^(٧) فيروز .

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الجبوب ، والهرى ، بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت ، س : « بريه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت ، ل : « سهرام » .

ولما حَيَّيْتَ بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْكُ ، وأثخن في أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار يحنوده نحو خراسان مريداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاطَلَة ؛ فلما بلغ إخشنوار خبره اشتد منه رعبه . فذكر أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذل له نفسه ، وقال له : اقطع يدي ورجلي ، وألقني على طريق فيروز ، وأحسن إلى ولدي وعيالي — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرَّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وحنود الفرس ^(١) . فرق له فيروز ورحيمه ، وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصيح منه له — فيما زعم — أنه يدلُّه وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياطلة منه أحد ، فاغترَّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره ^(٢) له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّمَا شكوا عطشاً أعلمهم أنهم قد قَرَّبُوا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعاً علم أنهم لا يقدرُون فيه على تقدّم ولا تأخّر ، بيّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز : قد كُنَّا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذر ، فأما الآن فلا بدّ من المضيّ قُدُمًا حتى نوافي القوم على الحالات كلّها . فضوُّوا لوجوههم ، وقتل العطش أكثرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم ، فلما أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دَعَوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلّي سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتها حدّاً لا يجوز . فرضي إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتاباً مختوماً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خلّى سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حمّله الأنف والحميّة على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن نَهاه وزرائه وخاصته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد ، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .

(٢) ت : « ذكره » .

وأبى إلا ركوب رأيه ، وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل كان يخصه ويحتج رأيه ، يقال له مَرْدَبُودُ^(١) ، فلما رأى مَرْدَبُودُ بالحاجة ، كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقاً بينه وبين بلاد فيروز عظيماً ، فلما انتهى إليه فيروز عقّد عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلاماً له ولأصحابه في انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بعسكرهم احتجّ عليه إخشنوار بالكتاب الذي كتبه له ، ووعظه بعهده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا بالحاجاً ومحكاً وتواقفاً ، فكلّم كل واحد منهما صاحبه كلاماً طويلاً ، ونشبت^(٢) بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ؛ للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز ، فرفعها على رُمح وقال : اللهم خذْ بما في هذا الكتاب . فأنهزم فيروز وسها عن ٨٧٧ / ١ موضع الرايات ، وسقط في الخندق ، فهلك ، وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ودواوينه ، وأصاب جند فارس شيء لم يصيبهم مثله قط .

وكان بسجستان رجل من أهل كورة أردشير خيرة من الأعاجم ، ذو علم وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعه جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأغذّ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وآذنه بالحرب ، وتوعّده بالجائحة والبيّار ؛ فبعث إليه إخشنوار جيشاً عظيماً . فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدّلين ، فيقال : إنه رمى بعض مَنْ ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راحته ، فاستبقاه وقال له : انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا الفرس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا : أن سلّ حاجتك ، فقال له : حاجتي أن تردّ عليّ الديوان ، وتُطلق الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان في يده ، واستنفذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

(١) ت : « مردنود » .

(٢) ت : « ونشب » ، س : « ونشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنه غير منصرف إلا بها . فلما تبين الجيد؛
افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع
الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار
إلى الأعاجم شرقوه وعظموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

٨٧٨/١

وهو سوخرا بن ويسابور^(١) بن زهان^(٢) بن ترسي بن ويسابور بن قارين
ابن كروان بن أبيد بن أوبيد بن تيرويه^(٣) بن كردنك^(٤) بن فاور بن طوس
ابن نودكا بن منشو^(٥) بن نودر بن منوشهر .

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس من خبر فيروز وخبر إخشنوار
نحواً مما ذكرت ؛ غير أنه^(٦) ذكر أن فيروز لما خرج متوجهاً إلى إخشنوار ،
استخلف على مدينة طيسون^(٧) ومدينة بهر سير^(٨) - وكانتا محلة الملوك - سوخرا
هذا ، قال : وكان يقال لمرتبه قارن ، وكان يليّ معهما سجستان . وأن فيروز
لماً بلغ منارة كان بهرام جور ابتناها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛
لثلاث مجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين
التعدى لها ؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألا يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز
فصفد^(٩) فيها خمسون فيلاً وثلثمائة رجل ، فجرت أمامه جراً ، واتبعها ؛ أراد
بذلك زعم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز
في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انتهِ يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك ،
ولا تقْدِم على ما لم يقْدِموا عليه . فلم يحفل فيروز بقوله ، ولم تكرثه رسالته ؛
وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربتة

٨٧٩/١

(١) ل : « ساپور » .

(٢) س : « زهان » .

(٣) س : « يرويه » .

(٤) س : « كرديه » .

(٥) س : « منشو » .

(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « مما قد ذكرت غير أنه » .

(٧) س : « طيستون » ل : « طيسون » .

(٨) ت : « بهرشير » ، ل : « نهرشير » .

(٩) ط : « فصفد » .

ويستكرهها^(١) ، لأنَّ جُلَّ محاربة الترك إنَّما هو بالخداع والمكر والمكايدة ، وأنَّ إخشنوار أمر فحفر خلف عسكره خندق عَرْضُهُ عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغمَّتى بخشب ضعاف ، وألَّقى عليه تراباً ، ثم ارتحل في جنده ، ففضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره^(٢) ، فلم يشكَّ في أنَّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطيول ، وركب في جنده في طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغذوا السير ، وكان مسلَّكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقحموا على عَمَّابَةٍ^(٣) ، فتردَّى فيه فيروز وعامة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنَّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلِّ شيء فيه ، وأسر موبدان موبد ، وصارت فيروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثَّة فيروز وجُثَّة كلِّ مَنْ سقط معه في ذلك الخندق ، فوضعت في التواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يباشرها ، فأبت عليه .

وإنَّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس^(٤) ، فارتجوا له وفزعوا ، حتَّى إذا استقرَّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهَّب^(٥) وسار في عظم مَنْ كان قبْلَه من الجند إلى بلاد الهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبر مسيره لمحاربته ، فاستعدَّ وأقبل متلقياً له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومرتبته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ولمرتبه قارن ، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنَّ سبيلك في الأمر الذي قدِّمت له كسبيل فيروز . إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربته إيَّاي إلا الهلكة والبوار ، فلم ينهني سوخرا قول إخشنوار ، ولم يعبأ به ، وأمر جنوده فاستعدوا وتسَلَّحوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه ، فطلب مواعده وصلَّحه ،

(١) ت : « يتكرهها » .

(٢) ت : « معسكره » .

(٣) ط : « غمائه » .

(٤) س : « الفرس » .

(٥) ت : « فاهم » .

فلم يقبل منه سوخرا صلحاً دون أن يصير في يده كل شيء صار عنده من
عسكر فيروز. فسلم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومربطه
ونسائه ، وفيهن فيروز دخت ، ودفع إليه موبدان موبذ وكل أحد كان عنده
من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كله إلى بلاد الفرس .

واختلف في مدة^(١) ملك فيروز ؛ فقال بعضهم : كانت ستاً وعشرين سنة .
وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزْدَجَرْد بن بهرام وفيروز بين عمّالهما على العرب وأهل اليمن

حدّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدمُ الملوك من حِمِير في زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حِمِير وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممن يخدمُ حسان بن تَبَع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي ، وكان سيّدَ كِنْدَةٍ في زمانه . فلمّا سار حسان بن تَبَع إلى جدّيس خلّفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تَبَع أخاه حسان بن تَبَع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي . وكان ذا رأي ونبل ؛ وكان ممّا أراد عمرو لإكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة حسان بن تَبَع ، فتكلّمت في ذلك حِمِير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ؛ لأنّه لم يكن يطعمُ في التزويجُ إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تَبَع لعمرو بن حُجْر الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تَبَع عبد كُلال بن مَثُوب ؛ وذلك أن ولد حسان كانوا صغاراً ، إلّا ما كان من تَبَع بن حسان ؛ فإنّ الجنّ استهامته ، فأخذ الملك عبد كُلال بن مَثُوب مخافة أن يطعم في الملك غير أهل بيت المملكة ، فوليه بسنٍّ وتجربة وسياسة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النصرانية الأولى ، وكان يُسِرّ ذلك من قومه ، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان ، قدم عليه من الشام ، فوثب حَمِير بالغساني فقتله ، فرجع تَبَع بن حسان من استهامة الجنّ إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجم ، وأعتل من تعلّم في زمانه ، وأكثره حديثاً عما كان قبله ، وما يكون في الزمان بعده . فلئكَ تبع ابن حسان بن تَبَع بن مَلِكَيْم كَرَب بن تَبَع الأقرب ، فهابته حِمِير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر الكِنْدِي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ٨٨٢/١ ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء ، امرأة من النَمِير ، فذهب مُلْك

آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون .

وقال هشام^(١) : ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وأمه هند ابنة زيد مائة بن زيد الله بن عمرو الغسانی أربعاً وأربعين سنة ؛ من ذلك في زمن بهرام جور بن یزدجرد ثمانی سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن یزدجرد بن بهرام ثمانی عشرة سنة . وفي زمن فيروز بن یزدجرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر ، وأمه هر ابنة النعمان من بنی الهیجمانة ، ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، وهو الذي أسرته فارس عشرين سنة ؛ من ذلك في زمن فيروز بن یزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن یزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباد بن فيروز ، ست سنين .

• • •

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن یزدجرد ابنه بلاش بن فيروز بن یزدجرد ابن بهرام جور ، وكان قباد أخوه قد نازعه الملك ، فغلب^(٢) بلاش ، وهرب قباد إلى خاقان ملك التتر يسأله المعونة والممدد ، فلما عقد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهشوه ودعوا له ، وسألوه أن يكافئ سوغرا بما كان منه ، فخصه وأكرمه وجباه ، ولم يزل بلاش حسن السيرة ، حريصاً على العماراة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن بيتاً حرب وجلاً أهلته عنه إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسد فافتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبني بالسواد مدينة سماها بلا شاواذ ، وهي مدينة ساباط التي بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين .

• • •

[ذكر ملك قباد بن فيروز]

ثم ملك قباد بن فيروز بن یزدجرد بن بهرام جور ، وكان قباد قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصرأه على أخيه بلاش ، فمر في طريقه بحدود

(٢) س : « فغلبه » .

(١) س : « غير هشام » .

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شايعه على الشخوص متنكرين ، وفيهم زرميه بن سوخرا ، فتأقت نفس قباد إلى الجماع ، فشكا ذلك إلى زرميه ، وسأله أن يلتمس له امرأة ذات حسب ، ففعل ذلك ، وصار إلى امرأة صاحب منزله ، وكان رجلا من الأساورة ، وكانت له ابنة بكتر فائقة في الجمال ، فتنصّح لها في ابنتها ، وأشار^(١) عليها أن تبعث بها إلى قباد ، فأعلمت ذلك زوجها ، ولم يزل زرميه يرغّب المرأة وزوجها ، ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى فعلا ، وصارت الابنة إلى قباد ، واسمها نيوندخت^(٢) ، فغشيها قباد في تلك الليلة ، فحملت بأنو شيروان ، فأمر لها بجائزة حسنة ، وجباها حياء جزيلا .

وقيل : إن أم تلك الجارية سألتها عن هيئة قباد وحاله ، فأعلمتها أنها لا تعرف من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجا بالذهب ، فعلمت أمها أنه من أبناء الملوك وسرها ذلك . ومضى قباد إلى خاقان ، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابن ملك فارس ، وأن أخاه ضادة في الملك وغلبه ، وأنه أياه يستنصره فوعده أحسن العدة ، ومكث قباد عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده . فلما طال الأمر على قباد أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخذ ولدأ ، وأن تُكلم فيه زوجها ، وتسأله إنجاز عديته ففعلت ، ولم تزل تحمّل على خاقان حتى وجّه مع قباد جيشا ، فلما انصرف قباد بذلك الجيش ، وصار في ناحية نيسابور سأل الرجل الذي كان أياه بالجارية عن أمرها ، فاستخبر ذلك من أمها ، فأخبرته أنها قد ولدت غلاما ، فأمر قباد أن يؤتى بها ، فأنته ومعه أنو شروان تقوده بيدها . فلما دخلت عليه سألها عن قصة الغلام ، فأخبرته أنه ابنه ، وإذا هو قد نزع إليه في صورته وجماله .

ويقال : إن الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بلاش ، فتمنّ بالمولود ، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك ، فلما صار إلى المدائن^(٣) ،

(١) ت : « وألها » .

(٢) ت : « بيوندخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بالمدائن » .

واستوثق له أمرُ الملِكِ خصَّ سوخرا، وفوض إليه أمره، وشكر له ما كان من خدمة ابنه إياه، وجهَّ الجنودَ إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسبوا سبائا كثيرة، وبني بين الأهواز وفارس مدينةَ الرّجّان، وبني أيضا مدينةَ حلوان، وبني بكورة أردشير خيرةً في ناحية كارزين^(١) مدينة يقال لها قباد خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسوى أنهار احتفرها، وجسور عقدها. فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سوخرا تدبير ملكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقباد، وتهاونوا بأمره، فلما احتسنتك لم يحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازي - الذي يقال للبيت الذي هو منه مِهْران، وكان إصبهتد البلاد - في القدوم عليه فيمن قبله من الجند، فقدم سابور بهم عليه، فواصفه قباد حالة سوخرا، وأمره بأمره فيه، فغدا سابور على قباد فوجد عنده سوخرا جالسا، فثنى نحو قباد متجاوزاً له متغافلاً^(٢) لسوخرا، فلم يأبه سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهماً^(٣) كان معه في عنقه، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السّجن، فحينئذ قيل: «نقصت ريع سوخرا وهبت لمِهْران ريع»^(٤)، وذهب ذلك مثلاً. وإن قبادَ أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقتل، وإنه لما مضى لملك قباد عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبد والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وجسوه، لمتابعته^(٥) لرجل يقال له مَرْدَك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردّون من الكثيرين على المقلين، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والامتنعة فليس هو بأولى به من غيره، فافترص السفلة ذلك واغتمموه، وكانفوا^(٦) مردك وأصحابه وشايعهم، فابتلى الناس بهم، وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرّجل في داره فيغلبونه على منزله

(١) س: «كازرون». ت: «كارون».

(٢) س: «متغفلاً».

(٣) الوحق: الحبل في طرفيه أفشوطه يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ.

(٤) ت: «وهبت ريع هرام». (٥) ت: «لبايعة».

(٦) المكافئة: المعاونة.

ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قُبَاذَ على تزيين ذلك وتوعده بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئاً مما يتسع به . وصيروا قُبَاذَ في مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخاً له يُقال له جاماسب مكانه ، وقالوا لقُبَاذَ : إنك قد أثمت فيما عملت به فيما مضى ، وليس يطهرَك من ذلك إلا بإباحة نسائك ، وأرادوه على أن يدفع إليهم نفسه فيذبحوه ويجعلوه قُرْبَاناً للنَّار ، فلما رأى ذلك زَرْمِيهَر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلاً نفسه ، فقتل من المَزْدَكِيَّة ناساً كثيراً ، وأعاد قُبَاذَ إلى مُلْكِهِ ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المَزْدَكِيَّة بعد ذلك إنما يُحَرِّشُونَ قُبَاذَ على زَرْمِيهَر حتى قتله ، ولم يزل قُبَاذَ من خيار ملوكهم حتى حمله مَزْدَك على ما حمله عليه ؛ فانتشرت (١) الأطراف وفسدت الثغور .

• • •

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفُرس أنَّ العظماء من الفرس هم حبسوا قُبَاذَ حين اتَّبع مَزْدَك وشايعه على ما دعاه إليه من أمره ، وملَّكوا مكانه أخاه جاماسب بن فيروز ، وأن أختاً لقُبَاذَ أتت الحبس الذي كان فيه قُبَاذَ محبوساً ، فحاولت الدخول عليه (٢) ، فنعها إياه الرجل الموكل كان بالحبس ومن فيه ، وطمع الرجل أن يفصحها بذلك السبب ، وأتت إليها طمعه فيها ، فأخبرته أنها غير مخالفتيه في شيء مما يهوى منها ، فأذن لها فدخلت السجن فأقامت عند قُبَاذَ يوماً ، وأمرت فلُفَّ قُبَاذَ في بساط من البُسْط التي كانت معه في الحبس ، وحُمل على غلام من غلمانهِ قوياً ضابطاً ، وأُخْرِجَ من الحبس . فلما مرَّ الغلامُ بوالى الحبس سألَه عما كان حاملته فأفحم ، واتبعته أختُ قُبَاذَ فأخبرته أنه فيراش كانت افترشته في عراكها ، وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف ؛ فصدَّقها الرجل ولم يمس البساط ، ولم يدن منه استفذاراً له ، وخلصت عن الغلام الحامل لقُبَاذَ ، ففضى بقُبَاذَ ومضت على أثره . وهرب قُبَاذَ فلحق بأرض الهياطلة ليستمد ملكها ويستجيشه فيُحارب

(١) انتشرت الأطراف ، أى تفرق أمر الناس فيها .

(٢) س : « إليه » .

من خالفه وخلعه . وأنه نزل في مبدئه^(١) إليها بأبر شهر رجل من عظماء أهلها ،
له ابنة "مُعْصِر"^(٢) ، وأن نِكَاحَهُ أُمَّ كَسْرَى أنوشروان كان في سفره^(٣)
هذا ، وأن قبادرجع من سفره ذلك معه ابنه أنوشروان وأمّه ، فغلب أخاه
جاماسب على مُلْكِهِ بعد أن ملك أخوه جاماسب ست سنين ، وأن قباد
غزا بعد ذلك بلاد الروم ، وافتتح منها مدينة من مدُن الجزيرة تُدعى
آمِد ، وسبى أهلها ، وأمر فُبُنَيْتَ في حد ما بين فارص وأرض الأهواز
مدينة ، وسمّاها رامقباد^(٤) ، وهي التي تُسمى بومقباد^(٥) ، وتُدعى أيضاً أَرْجَان
وَكُور كُورَة ، وجعل لها رساتيق من كورة سرق ، كورة رام هُرْمَز ، وملك
قبادُ ابنه كسرى ، وكتب له بذلك كتاباً وختمه بخاتمه .

فلما هلك قبادُ — وكان مُلْكُهُ بسنى^(٦) مُلْكِ أخيه جاماسب :
ثلاثاً وأربعين سنة — فنَفَذَ كسرى ما أمر به قباد من ذلك .

(١) الأصول : « مبداء » .

(٢) المعصر : البنت التي بلغت شباهها ، وفي س : « محسن » .

(٣) ت : « سيره » .

(٤) ط : « رام قباد » ، وما أثبت من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « برمقباد » ، وانظر تصويبات ط .

(٦) ت : « كسى » .

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ في مملكته وبين عماله

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: لما لقي الحارث بن عمرو بن حُجر ابن عدى الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأقلته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قباذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد، وإني أحب أن ألقاك.

وكان قباذ زنديقاً يظهرُ الخيرَ ويكره الدماء، ويدارِ أعداءه فيما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواء في زمانه، واستضعفه الناس، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عددٍ وعدة حتى التقوا بقنطرة الفسيوم، فأمر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضعاً بين أبيهما، فجعل الذي فيه النوى إلى الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه إلى قباذ.

٨٨٩/١

فجعل الحارث يأكل التمر ويلقي النوى، وجعل قباذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكل مثل^(١) ما آكل! فقال: [له الحارث]^(٢) إنما يأكل النوى إيلسنا وغنمنا. وعلم أن قباذ يهزأ به، ثم اصطلحا على أن يورد الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم القرات إلى ألبابها^(٣)، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك. فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمى في السواد، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا القرات فيغيروا في السواد، فألقى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنتف ملئكمهم. ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من لصوص

(١) ط: «ما ذكر»، وما أثبتته عن ت.

(٢) ت: «من».

(٣) ت: «كما آكل».

(٤) تكلة من ت.

(٥) الألباب: جمع لب، وهو المنحر.

العرب قد أغاروا ، وأتته بحب لقاءه . فلقىّه ، فقال له قُباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب إلاّ بالمال والجنود ، قال له قُباذ : فما الذى تريد ؟ قال : أريد أن تُطعِمَنِي من السَّوَاد ما أأخذُ به سلاحاً ، فأمر له بما يلى جانب العرب من أسفل الفرات ، وهى ستّة طاسيخ^(١) ، فأرسل الحارث بن عمرو الكندي إلى تَبَع وهو باليمن : إننى قد طمعت فى ملك الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستّة طاسيخ ، فاجتمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شىء لأن الملك [عليهم] (٢) لا يأكل اللحم ، ولا يستحل هراقة الدماء لأنه زنديق . فجمع تَبَع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفُرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يَشُقَّ له نهراً إلى النَّجف ففعل ، وهو نهر الحيرة . فنزل عليه ووجه ابن أخيه شميراً ذا الجناح إلى قُباذ ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تَبَع شميراً ذا الجناح إلى خراسان ، ووجه تَبَع ابنه حسان إلى الصُّغد ، وقال : أبُكُما سبق إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما فى جيش عظيم ؛ يقال : كانا فى ستمائة ألف وأربعين ألفاً . وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم ، وهو الذى يقول :

أيا صاح عَجَبُكَ للداهية الحمير إذ نزلوا الجابية !
ثمانون ألفاً رَواياهُم لكل ثمانية راوِيه

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ، ثم مضى إلى رومية^(٣) وبينهما مسيرة أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب من معه جوع ، ووقع فيهم طاعون فرّقوا ، فأبصرهم الروم وما لقوا ، فوثبوا عليهم فقتلهم ، فلم يفلت منهم أحد . وسار شمر ذو الجناح حتى أتى سمرقند ، فحاصرها

(١) طاسيخ : جمع طروج ؛ وهو الناحية .

(٢) تكلة من ت .

(٣) ت « الروم » .

فلم يَظْفَرْ بشيءٍ منها . فلما رأى ذلك أطاف بالحرّس ، حتى أخذ رجلاً من أهلها ؛ فسأله عن المدينة ومليكها ، فقال له : أما ملكها فأحقُّ الناس ، ليس له همٌ إلا الشرابُ والأكلُ ، وله ابنة وهي التي تقضي أمرَ الناس . فبعث معه بهديّة إليها ، فقال له : أخبرها أنني إنما جئتُ من أرض العرب للذي بلغني من عقّليها لتُشكِحني نفسها ؛ فأصيب منها غلاماً يملكُ العجم والعرب ، وأنى لم أجد ألتبس المالَ ، وأنّ معي أربعة آلاف تابوت من ذهب وفضة هاهنا ، فأنا أدفعها إليها ، وأمضي إلى الصين ، فإن كانت الأرض لي كانت امرأتى ، وإن هلكَتْ كان ذلك المالُ لها . فلما أنهيت ^(١) إليها رسالته قالت : قد أجبته فليبعث بما ذكر ، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت ، في كلّ تابوت رجلان ، فكان لسمرقند أربعة أبواب على كلّ باب منها أربعة آلاف رجل ، وجعل العلامة بينه وبينهم أن يضربَ لهم بالحلجلجُل . وتقدّم في ذلك إلى رُسُلِهِ الذين وجّهَ معهم ، فلما صاروا في المدينة ضربَ لهم بالحلجلجُل فخرجوا ، فأخذوا بالأبواب ، وهبَ شمر في الناس ؛ فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زخوف الترك فهزَمهم ، ومضى إلى الصين فوجد حسان بن تُبّع قد كان سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها — فيما ذكر بعضُ الناس — حتى ماتا . وكان مقامُهما إحدى وعشرين سنة .

قال : وقال مَنْ زعم أنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تُبّعاً جعل النار فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدثَ حدثٌ أوقدوا النارَ بالليل ، فأتى الخبر في ليلة ، وجعل آية ما بينه وبينهم أن إذا أوقدت نارين من عندى فهو هلاكٌ يعفُر ، وإن أوقدت ثلاثاً فهو هلاكٌ تُبّع ، وإن كانت من عندهم نارٌ فهو هلاكٌ حسان ، وإن كانت نارين فهو هلاكهما . فكثروا بذلك .

ثم إنه أوقد نارين فكان هلاكٌ يعفُر ، ثم أوقد ثلاثاً فكان هلاكٌ تُبّع . قال : وأما الحديثُ المجمعُ عليه فإن شمرّاً وحساناً انصرفا في الطريق الذي كانا أخذا فيه حيث بدا ، حتى قدما على تُبّع بما حازا من الأموال بالصين ، وصنوف

(١) ت « انتهت » .

الجواهر^(١) والطَّيِّب والسَّيِّ ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار^(٢) تَبَعَ حتى قَدِمَ مَكَّةَ ، فنزل بالشَّعْبِ مِنَ الْمَطَايِخِ^(٣) ، وكانت وفاةُ تَبَعَ بِالْيَمَنِ ، فلم يخرج أحدٌ من ملوكِ اليمن بعده عنها غازياً إلى شيء من البلاد ، وكان مُلْكُهُ مائَةً وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا خرجوا من يَثْرِبَ مع تَبَعَ إلى مَكَّةَ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ .

قال : ويقولون : إن عَلِيَّ بْنَ كَعْبٍ الْأَخْبَارِ كان من بقية ما أورشَتْ تلك الأخبارُ ، وكان كَعْبُ الْأَخْبَارِ رجلاً من حمير .

وأما ابنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنَ التَّبَاعَةِ تَبَعَ الْآخَرُ ، وَأَنَّهُ تَبَعَ تَبَّانَ أَسْعَدَ أَبُو كَرْبِ بْنِ مَلِكِيكَرِبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو ذِي الْأَذْعَارِ ، وَهُوَ أَبُو حَسَنَانَ ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْهُ .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكُ كَسْرَى أَنْوَشِيرَوَانَ]

ثم ملك كِسْرَى أَنْوَشِيرَوَانَ بْنِ قُبَادَ بْنِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامَ جُورَ . فلما ملك كتب إلى أربعة فاذوسبانيين - كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قبلهم - كُتُباً نُسخةُ كتابه منها إلى فاذوسبان أذربيجان : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : من الملك كسرى بن قباد إلى واري ابن التَّخِيرِ جَانِ فَاذُوسْبَانَ أَذْرَبِيْجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ وَحِيْزَهَا ، وَدُبَاوَنْدَ وَطَبْرِسْتَانَ وَحِيْزَهَا ، وَمَنْ قَبْلَهُ : سَلامٌ ، فَإِنَّ أَحَرَّيَ مَا اسْتَوْحَشَ لَهُ النَّاسُ فَقَدْ مَنْ تَخَوَّفُوا فِي فَقْدِهِمْ إِيَّاهُ زَوَالَ النَّعِيمِ وَوُقُوعَ الْفِتَنِ ، وَحُلُولَ الْمَكَارِهِ بِالْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلِ مِنْهُمْ ، فِي نَفْسِهِ أَوْ حَشْمِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ كَرِيمِهِ ، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ

٨٩٣/١

(١) س : « الجواهر » .

(٢) ت : « ثم سار » .

(٣) المطايخ ؛ موضع بمكة ، ذكره ياقوت ؛ وقال : « مذكور في قصة تبع » .

وَحَشَّةٌ وَلَا فَقْدَ شَيْءٍ أَجَلَ رَزِيئَةٍ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَلَا أُحْرَى أَنْ تَعُمَّ بِهِ الْبَلِيَّةُ مِنْ فَقْدِ مَلِكٍ صَالِحٍ .

وإن كسرى لما استحكم له الملك أبطل ملة رجل متافق من أهل فسا يقال له: « زراذشت ^(١) » بن خردكان « ابتدعتها في المجوسية ، فتابعه الناس على بدعته تلك ، وفاق أمره فيها ، وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مذرنية ^(٢) » يقال له: « مزدق بن بامداد ^(٣) » ، وكان ممّا أمر به الناس وزيره لهم وحشهم عليه ، التآسى في أموالهم وأهليهم ، وذكر أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب ، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به ، وحشهم عليه من الدين كان مكرومة في الفعال ، ورضاً في التفاوض . فحضر بذلك السفلة على العلنية ، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وسهل السبل ^(٤) للغصبة إلى الغصب ، وللظلمة إلى الظلم ، وللعهارة إلى قضاء نهمتهم ، والوصول إلى الكرائم الثلاث لم يكونوا يطمعون فيهن ، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله . فنهى الناس كسرى عن السيرة بشيء مما ابتدع زراذشت ^(٥) بن خردكان ، ومزدق بن بامداد ^(٦) ، وأبطل بدعتهما ، وقتل بشراً كثيراً ثبتوا عليها ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها ، وقوماً من المثانية ، ^(٧) وثبت للمجوس ملتهم التي لم يزالوا عليها .

وكان يلي الإصبهنة - وهي الرياسة على الجنود - قبل ملئكه رجل ، وكان إليه إصبهنة البلاد ، ففرق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهنيين ، منهم أصبهنة المشرق وهو خراسان وما والاها ، وأصبهنة المغرب ، وأصبهنة نيمروز ، وهي بلاد اليمن ، وأصبهنة أذربيجان وما والاها ، وهي

(١) س : « زردشت » .

(٢) ت : « مذرنية » .

(٣) ت : « بامارد » .

(٤) س : « السبل » .

(٥) س : « زردشت » .

(٦) ت : « بامازد » .

(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المافوية » .

بلادُ الخزر، [وما والاها] ^(١)؛ لما رأى في ذلك من النظامِ لمُلكِهِ، وقوَى
المقاتلةِ بالأسلحةِ والكُراعِ، وارتجع بلاداً كانت من مملكةِ فارسٍ، خرج
بعضُها من يد الملكِ قَبَّادَ إلى ملوكِ الأممِ لعلَّ شَتَى وأسبابَ، منها السُّنْدُ،
وبُسْتُ، والرُّخَجُ، وزابُلسْتانَ، وطَخَارستانَ، ودَرْدِستانَ، وكابُلستانَ،
وأعظمَ القتلِ في أُمَّةٍ يقالُ لها البارزُ، ^(٢) وأجلى بقيَّتِهِم عن بلادِهِم،
وأسكنَهُم مواضعَ من بلادِ مملكتِهِ، وأذعنُوا له بالعبوديةِ، واستعانَ بِهِم في
حروبهِ، وأمر فأسيرَتِ أُمَّةٌ أخرى، يقالُ لها صولُ، وقُدِّمَ بِهِم عليه،
وأمر بِهِم فقتِلُوا، ما خلا ثمانينَ رجلاً من كُماثِهِم استحيَاهُم، وأمرَ بإنزاهِم
شهرامَ فيروزَ، يستعينُ بِهِم في حروبهِ .

٨٩٥/١

وإن أُمَّةً يقالُ لها أبخِيزُ، وأُمَّةٌ يقالُ لها بنجرُ، وأُمَّةٌ يقالُ لها بلنجرُ،
وأُمَّةٌ يقالُ لها الآنُ، تمالكُوا على غَزْوِ بلادِهِ، وأقبلُوا إلى أرمينيةِ ليُغيرُوا على
أهلِها، وكان مَسْلِكُهُم إليها يومئذٍ سهلاً مُمكنينَا، فأغضى كسرى على
ما كان منهم، حتى إذا تمكَّنُوا في بلادِهِ وجَّهَ إليهِم جنوداً، فقاتلُوهم واصطَلَمُوهم
ما خلا عَشْرَةُ آلافِ رجلٍ منهم أسروا، فأسكنُوا أذربيجانَ وما والاها،
وكان الملكُ فيروزُ بنى في ناحيةِ صولِ والآنَ بناءً بصخِرَ أرادَهُ ^(٣) أن
يحصنَ بلادَهُ عن تناولِ تلكِ الأممِ إِيَّاهَا، وأحدثَ الملكُ قَبَّادُ بنَ فيروزَ
من بَعْدِهِ أبِيهِ في تلكِ المواطنِ بناءً كثيراً، حتى إذا ملكَ كسرى أَمْرَ فَبُنِيَتْ
في ناحيةِ صولِ بصخِرُ منحوتٌ في ناحيةِ جرجانَ مدنٌ وحصونٌ وآكامٌ
وبنيانٌ كثيرٌ، ليكونَ حِرْزاً لأهلِ بلادِهِ يلجئونَ إليها من عدوٍّ إن دَمَهُم .

وإن سِنَجِيْبُوا خاقانَ كانَ أَمْنَعُ التُّركِ وأشجعُهُم، وأعزَّهُم وأكثرُهُم
جنوداً، وهو الذى قاتَلَ وزيرَ ^(٤) مَلِكِ الهياطلةِ غيرَ خائفٍ كثرةِ الهياطلةِ
ومتعَتَهُم، فقتَلَ وزيرَ مَلِكِها وعامةَ جنودهِ، وغنِمَ أموالَهُم، واحتوى على

(١) تكلة من ت .

(٢) الأصول : « البارز » .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

٨٩٦/١

بلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ، فتنحوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتقونهم بفداء يكفونهم^(١) به عن غزو بلادهم ، وإنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما وإلى بلاد صول^(٢) ، وأرسل إلى كسرى في توعده منه إياه واستطالة عليه ، أن يبعث إليه بأموال ، وإلى أبخز وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبل ملك كسرى ، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطئ بلادهم وناجزه . فلم يحفل كسرى بوعيده ، ولم يجبه إلى شيء مما سألته لتحصيله كان ناحية باب^(٣) صول ، ومناعة السبل والفجاج التي كان سنجبوا خاقان سالكتها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرسان والرجالة .

فبلغ سنجبوا خاقان تحصيل كسرى ثغر صول ، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائباً ، ولم يقدر من كان بإزاء جرجان من العدو - للحصون التي كان أمر كسرى قبضت حواليتها - أن يشنوها بغارة ، ويغلبوها عليها ، وكان كسرى أنوشروان قد عرف الناس منه فضلاً في رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عقيد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له ، فلما قضوا مقالتهم ، قام خطيباً ، فبدأ بذكر نعم الله على خلقه عند خلقه إياهم ، وتوكله بتدبير أمورهم ، وتقدير الأقوات والمعاش لهم ، ولم يدع شيئاً إلا ذكره في خطبته ، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم ، وانحطاد دينهم ، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم ، وأعلمهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويحسبهم ، وحث الناس على معاونته .

٨٩٧/١

ثم أمر برعوس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلِف فيه عنده أن يُلحق بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « يكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرفُ أبوه ، وأنَّ يُعطى نصيباً من مال الرجل الذى يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلِّ امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذَ الغالبُ لها حتى يغرمَ لها مهرَها ، وبرضى أهلها . ثم تُخيرُ المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلا أن يكونَ كان لها زوج أوَّل ، فتُردُّ إليه . وأمر بكل من كان أضرَّ برجل في ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحقُّ ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرِّمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قِيَمَهم فكُتِبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم ، وأغزلهم ، وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في أعماله ، وخيَّر نساء والده بين أن يُقيمُنَّ مع نسائه فيواستين ويصرنَّ في الأجر إلى أمثالهنَّ ، أو يبتغي لهنَّ أكفاءهنَّ من البعولة . وأمر بكبرى الأنهار ، وحفر القنَّى وإسلاف^(١) أصحاب العمارات وتقويتهم ؛ وأمر بإعادة كلِّ جسر قطع أو قنطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يردَّ ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتفقد الأساورة ، فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة ، وأجرى لهم ما يُقوِّمهم ووكل ببيوت النيران ، وسهل سبل الناس ، وبني في الطرق القصور والحصون ، وتخيَّر الحكام والعمال والولاة ، وتقدَّم إلى مَنْ ولى منهم أبلغ التقدَّم ، وعمد إلى سِير أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحَمَلَ الناس عليها ، فلما استوثق له المُلْك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكيةَ بعلمنين من مُلكه ، وكان فيها عظماء جنود قيسر ، فافتتحها . ثم أمر أن تُصوَّر له مدينة أنطاكيةَ على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جنَّب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة أنطاكية ، ثم حمل أهل أنطاكيةَ حتى أسكنهم إياها .

٨٩٨/١

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهلُ كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكيةَ ؛ كأنهم لم يخرجوا عنها . ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها ، ثم الإسكندرية ومادونها ، وخلف طائفة من

(١) إسلافهم : إقراضهم .

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له ^(١) قَتَيْصِر وحمل إليه الفدية ، ثم انصرف من الروم ، فأخذ نحو الحَزْر فأدرك فيهم تَبْلَه ، وما كانوا وتروه به في رعيته . ثم انصرف نحو عَدَن ، فسكّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقله من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عَدَن .

٨٩٩/١

وملك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام في ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاذه . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطة مطالباً بوتر فيروز جدّه - وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك - فكتب إليه قبل شخصه يُعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوزَ بُلُخ وما وراءها ، وأنزل جنوده فترغانة . ثم انصرف من خراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها ، فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والحَزْر ونظرائهم ، وكان مكرماً للعلماء .

. . .

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعمائة وأربعين سنة . قال : وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه ..

قال هشام : لما قوى شأن أنوشيروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر - وأمه ماء السماء امرأة من التَّميم^(١) - فَلَكَ الحيرة وما كان يلي آلُ الحارث بن عمرو ، آكل المُرار . فلم يزل على ذلك حتى هلك .

قال : وأنوشروان غزا بَزْجَان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العرب من قبَل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان - وأمه هيرَ ابنة النعمان - سبع سنين .

ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر - وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حُجْر أخت الحارث بن عمرو الكِنْدِي - أربع سنين .

ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى بن الذميل بن ثور ابن أسس بن ربي^(٢) بن ثَمارة بن لَحْم ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء - وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سمي بذلك لضفيرتين^(٣) كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء ، وهي مارية ابنة عَوْف ابن جُثَم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضبيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن التَّميم بن قاسط ؛ فكان جميع مُلكه تسعاً وأربعين سنة . ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر - وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار - ست عشرة سنة .

قال : ولثماني سنين وثمانية أشهر^(٤) من مُلك عمرو بن هند ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك في زمن أنوشيروان وعام الفيل الذي غزا فيه الأشرم أبو يكسوم البيت .

(١) س : ر : « اليمن » .

(٢) س : « أربي » .

(٣) ط : « لضفرين كانا » ؛ وما أثبتته من س ، ل .

(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقية خبر تبّع أيام قباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إياهم إليها

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبّع الآخر هو تبّان أسعد أبو كَرَب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها في بدئه لم يهيج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مُجمّع لإخراؤها، واستئصال أهلها وقطع نخلها؛ فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة، أحد بني النجار، ثم أحد بني عمرو بن مبلول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم - من بني عدى بن النجار يقال له أحمر - رجلاً من أصحاب تبّع، وجده في عَدَق^(١) له يحدّه، فضربه بمنسجله فقتله، وقال: إنما الثمر لمن أبّره، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تبّعاً عليهم حنقاً.

فبينما تبّع على ذلك من حربه وحرّبهم يقاتلهم ويقاثلونه - قال: فترعّم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقترونه بالليل فيعجبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إن قومنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بنى قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم تأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجرة نبي يخرج من هذا الحى من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره فتناهى عند ذلك من قوطهما عمّا كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علماً، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما. وكان اسم الحَبْرَيْن كعباً وأسداً، وكانا من بنى قريظة، وكانا

(١) العَدَق بالفتح: النخلة بما عليها من التمر، والجَد هنا: القطع. (٢) أبّره: أصلحه.

ابن عم ، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عمرو ؛ عن أبان بن أبي عيشة ، عن أنس بن مالك ، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية ؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزوة بن عمرو بن عبس بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، في حربهم وحرب تبسج ، يفتخر بعمر بن طلبة ويذكر فضله وامتناعه :

أَصْحَا أُمِ انْتَهَى ذُكْرُهُ أُمُ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ ^(١)
 أُمُ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ !
 إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ مِثْلُهَا آتَى الْفَقَى عِبْرَهُ ^(٢)
 فَسَلَا عِمْرَانَ أَوْ فَسَلَا أَسْدًا ذَيْفَدُومَعَ الزُّهْرَهُ ^(٣)
 فَيَلَقَى فِيهَا أَبُو كَرِبٍ سَابِقًا أَبْدَانَهَا ذِفْرَهُ ^(٤)
 ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَوْمٌ بِهَا أَبْنَى عَوْفٍ أُمِ النَّجْرَهُ ^(٥)
 يَا بَنَى النَّجَارِ إِنَّ لَنَا فِيهِمْ قَبْلَ الْأَوَانِ تِرَهُ ^(٦)
 فَتَلَقْتَهُمْ عَشْنَقَةً مَذْهَبًا كَالْفَيْيَةِ النَّثْرَهُ ^(٧)

٩٠٣

- (١) الخبر والشعر في ابن هشام ١ : ٢٥ - على هامش الروض الأنف . والذكر : جمع ذكوة بمعنى الذكري ؛ كما تقول : بكرة وبكر .
 (٢) قال السهيلي : « حرب رباعية مثل ؛ أي ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هي فوق ذلك » .
 (٣) قوله : « يفلو مع الزهرة » يريد صباحهم بفلس قبل مغيب الزهرة .
 (٤) أيدانها ذفرة ، يعني الدروع ، والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الدفر ، بالبدال المهملة ؛ فإنما هو فيها كره من الروائح . (السهيلي) .
 (٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .
 (٦) رواية ابن هشام :

• فِيهِمْ قَتَلَى وَإِنْ تَرَهُ •

- قال السهيلي : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتل وقرة ؛ . والوترة ؛ الوتر » .
 (٧) في ابن هشام :

• فَتَلَقْتَهُمْ مَسَايِفَةً •

وقال السهيلي في شرحه : « أي كتيبة مسايقة » . والغيبة : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهي التي لا تمسك ماء والعشقة : الطويلة من الإبل .

سَيِّدُ سَامَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يَغْزُ عَمْرًا لَا يَجِدُ قَدْرَهُ (١)

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تبّع :

تَكَلَّفْنِي مِنْ تَكَالَيْفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِيفِ وَالْمَنْصَعَةِ
نَخِيلًا حَمَمَهَا بَنُو مَالِكٍ خِيُولَ أَبِي كَرَبٍ الْمُقْطَعَةِ

قال : وكان تبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهى طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدُف من جُمُودان بين عُسْفان وأَمَج ، فى طريقه بين مكة والمدينة ، أتاه نفر من هُذَيْل ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبد أهله ، ويصلون عنده . وإنما يُريد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أراد من الملوك وبغى عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الخبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جُندك ؛ ولئن فعلت مادعوك إليه لتهلكن وليهلكن مَنْ معك جميعاً ، قال : فإذا تأمرانى أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق عنده رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما بمنعكما أننا من ذلك ؟ قالوا : أمّا والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ؛ ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوا حوله ، وبالدّماء التى يُهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك . أو كما قالوا له .

فعرف نصحتهما وصدق حديثهما ، فقرب النقر من هُذَيْل ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، وأرى فى المنام أن يكسو البيت ،

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدُ سَامِ الْمُلُوكِ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

قال السهيلي : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه .

فكساه الخَصَف^(١) ثم أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكسَاهُ الْمَعَاْفَر^(٢) ،
 ثم أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكسَاهُ الْمُلَاءَ وَالْوَصَائِلَ^(٣) ؛ فَكَانَ تَبَعٌ
 — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَوَّلَ مَنْ كَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ وَلَاتَهُ مِنْ جُرِّهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَطْهِيرِهِ ،
 وَأَلَّا يَقْرَبُوهُ دَمًا وَلَا مَيْتَةً وَلَا مِثْلًا ، وَهِيَ الْحَائِضُ^(٤) ، وَجَعَلَ لَهُ بَابًا وَمِفْتَاحًا ،
 ثُمَّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ ، وَبِالْحَبَشِيِّينَ ، حَتَّى إِذَا
 دَخَلَ الْيَمَنَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ حَتَّى يَحَاكُوهُ إِلَى
 النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بِالْيَمَنِ .

٩٠٥/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي
 مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ
 ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : حَدَّثَنَا أَنَّهُ تَبَعَ مَا دَنَا مِنَ الْيَمَنِ لِيَدْخُلَهَا ، حَالَتِ حِمْيَرُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا تَدْخُلْهَا عَلَيْنَا وَقَدْ فَارَقَتْ دِينَنَا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِهِ ،
 وَقَالَ : إِنَّهُ دِينٌ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ ، قَالُوا : فَجَاءَكُنَا إِلَى النَّارِ ، قَالَ : نَعَمْ — قَالَ :
 وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ نَارٌ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ،
 تَأْكُلُ الظَّالِمَ وَلَا تُضَرُّ الْمَظْلُومَ — فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَتَبِعَ قَالَ : أَنْصَفْتُمْ ، فَخَرَجَ
 قَوْمُهُ بِأَوْتَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ ، وَخَرَجَ الْحَبَشِيُّانَ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي أَعْنَاقِهِمَا
 مُتَقَلِّدِيهَا حَتَّى قَعَدُوا لِلنَّارِ عِنْدَ مَخْرَجِهَا الَّذِي تَخْرُجُ النَّارُ مِنْهُ ، فَخَرَجَتِ النَّارُ
 إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ حَادُوا عَنْهَا وَهَابُوهَا ، فَذَمَّرَهُمْ مَنْ حَضَرَهُمْ مِنَ
 النَّاسِ ، وَأَمَرُوهُمْ بِالصَّبْرِ فَصَبَرُوا ، حَتَّى غَشِيَتْهُمْ وَأَكَلَتِ الْأَوْتَانُ وَمَا قَرَّبُوا
 مَعَهَا ، وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ مِنْ رِجَالِ حِمْيَرٍ ، وَخَرَجَ الْحَبَشِيُّانَ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي

(١) الخَصَف : جمع خَصْفَةٍ ؛ وَهِيَ شَيْءٌ يَنْسَجُ مِنَ الْخُوصِ وَاللَّيْفِ .

(٢) المعافر : برود يمانية منسوبة إلى معافر ؛ قَبِيلَةٌ بِالْيَمَنِ ؛ قَالَ فِي اللِّسَانِ عَنْ الْأَزْهَرِيِّ :

« بَرْدٌ مَعَاْفَرِيٌّ : مَنْسُوبٌ إِلَى مَعَاْفَرِ الْيَمَنِ ؛ ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ . »

(٣) الوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن ؛ وَاحِدَتُهَا وَصِيلَةٌ .

(٤) في ط : « الْحَائِضُ » ، وَصَوَابُهُ مِنْ ابْنِ هَشَامٍ . قَالَ السَّبِيلِيُّ : وَقَوْلُهُ : « وَلَا تَقْرَبُوهُ »

مَثَلَاتٌ ؛ وَهِيَ الْحَائِضُ ؛ وَلَمْ يَرِدِ الْحَيْضُ ؛ لِأَنَّهُ حَائِضٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى مَحَائِضَ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ جَمْعٌ مُحْيِضَةٌ .

رَوَى خُرْقَةُ الْحَيْضِ . قَالَ : « وَيُقَالُ لِلْخُرْقَةِ مَثَلَاتٌ . . » وَيُرْوَى : « مَثَلَاتٌ » .

أعناقهما تعرق جباههما، لم تضرهما، فأصفت حِمِير عند ذلك على دينه ؛
فمن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهودية باليمن^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض
أصحابه أن الحَبْرَيْنِ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُمَا مِنْ حِمِيرٍ ؛ إِنَّمَا اتَّبَعُوا النَّارَ لِيَرُدَّوْهَا ،
وَقَالُوا : مَنْ رَدَّهَا فَهُوَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، فَدَنَا مِنْهَا رَجَالٌ مِنْ حِمِيرٍ بِأَوْنَانِهِمْ لِيَرُدَّوْهَا ،
فَدَنَتْ مِنْهُمْ لَنَا كُلَّهُمْ ، فَحَادُوا عَنْهَا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا رَدَّهَا ، وَدَنَا مِنْهَا الْحَبْرَانِ
بَعْدَ ذَلِكَ ، وَجَعَلَا يَتْلُوَانِ التَّوْرَةَ وَتَنَكُّصُ ، حَتَّى رَدَّاهَا إِلَى مَخْرَجِهَا الَّذِي خَرَجَتْ
مِنْهُ ؛ فَأَصَفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حَمِيرٌ عَلَى دِينِهِمَا ، وَكَانَ رِثَامٌ بَيْتًا لَهُمْ يَعْلَمُونَهُ وَيَنْحَرُونَ
عِنْدَهُ وَيُكَلِّمُونَهُ مِنْهُ إِذْ كَانُوا عَلَى شِرْكِهِمْ ، فَقَالَ الْحَبْرَانِ لَتَبَعِ : إِنَّمَا هُوَ
شَيْطَانٌ يَفْتَنُهُمْ وَيَلْعَبُ بِهِمْ ، فَخَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، قَالَ : فَشَأْنُكُمَا بِهِ ؛
فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ - فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ - كَلْبًا أَسْوَدَ ، فَذَبَحَاهُ وَهَدَمَا ذَلِكَ
الْبَيْتَ ؛ فَبَقِيَاهُ الْيَوْمَ بِالْيَمَنِ - كَمَا ذَكَرَ لِي - وَهُوَ رِثَامٌ بِهِ آثَارُ الدَّمَاءِ الَّتِي كَانَتْ
تُهْرَاقُ عَلَيْهِ^(٢) .

فَقَالَ تَبَعَ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ هَمُّهُ مِنْ أَمْرِ الْمَدِينَةِ وَشَأْنِ الْبَيْتِ وَمَا صَنَعَ
بِرَجَالِ هَذِيلِ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا ، وَمَا صَنَعَ بِالْبَيْتِ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ مِنْ كَسْوَتِهِ
وَتَطْهِيرِهِ ، وَمَا ذَكَرَ لَهُ الْحَبْرَانِ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرْمَدِ أَرْقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَهَّدُ
حَقًّا عَلَى سَبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبًا أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ !
وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنَزَلًا طَابَ الْمَيِّتُ بِهِ وَطَابَ الْمَرْقَدُ
وَجَعَلْتُ عَرَصَةَ مَنَزِلِ بَرِبَاوَةَ بَيْنَ الْعَمِيقِ إِلَى بَقِيعِ الْعَرَقَدِ
وَلَقَدْ تَرَكْنَا لَابَهَا وَقَرَارَهَا وَسَبَّاحَهَا فَرِشَتُ بَقَاعِ أَجْرَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْنَا يَثْرِبًا وَصُدُّورُنَا تَغْلِي بَلَابِلَهَا بِقَتْلِ مُحْصَدِ

(١) الخبر في ابن هشام ١: ٢٧ ، والبيحان ٢٩٦ . (٢) الخبر في ابن هشام ١: ٢٨ .

(٢) بيت رثام ، زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يملكون له حياضاً من دماء القربان ،
فيخرج فيصيب منها .

وَلَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينَ صَبْرٍ مُؤَلِيًا
 إِنْ جِئْتُ يَثْرَبَ لَا أَغَادِرُ وَسْطَهَا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ قُرَيْظَةَ عَالِمٍ
 قَالَ ارْزُقْ عَنْ قَرِيْبَةٍ مَحْفُوظَةٍ
 فَغَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثْرَبٍ
 وَتَرَكْتُهُمْ لِلَّهِ أَرْجُو عَفْوَهُ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ بِهَالِهِ مِنْ قَوْمِنَا
 نَفَرًا يَكُونُ النَّصْرُ فِي أَغْفَابِهِمْ
 مَا كُنْتُ أَخْسِبُ أَنْ بَيْتًا طَاهِرًا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ هُذَيْلٍ أَغْبَدُ
 قَالُوا بِمَكَّةَ بَيْنْتُ مَالٍ دَائِرٍ
 فَأَرَدْتُ أَمْرًا حَالَ رَبِّي دُونَهُ
 فَرَدَدْتُ مَا أَمَلْتُ فِيهِ وَفِيهِمْ
 قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْيَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا
 مَلِكَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَبْتَغِي
 فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
 مِنْ قَبْلِهِ بَلْقَيْسُ كَانَتْ عَمِّي

قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بِالْمُرَدِّ
 عِذْقًا وَلَا بُسْرًا يَبْثُرُ يَخْلُدُ
 حَبْرُ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مُسَوِّدُ
 لَنَبِيِّ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدٍ
 وَتَرَكْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ
 يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمَوْقَدِ
 نَفَرًا أَوْلَى حَسَبٍ وَأَمْسٍ يُحْمَدُ
 أَرْجُو بِذَلِكَ ثَوَابَ رَبِّ مُحَمَّدٍ
 لِلَّهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
 بِالذَّفِّ مِنْ جُمْدَانَ فَوْقَ الْمَسْنَدِ
 وَكُنُوزُهُ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
 وَاللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ
 وَتَرَكْتُهُمْ مَثَلًا لِأَهْلِ الْمَشْهَدِ
 مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ
 أَسْبَابَ عِلْمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
 فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَاطٍ حَرَمَدٍ ^(١)
 مَلَكَتُهُمْ حَتَّى أَتَاهَا الْهُدُودُ ^(٢)

٩٠٨/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ،
 قَالَ : هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ حَنْقٌ تَبَعَ عَلَى هَذَا الْحَيِّ
 مِنْ يَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، وَأَنَّهُ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةَ ،

(١) الخلب : الطين ، والثَاطُ الحَرَمَدُ : الحما الأسود .

(٢) الشعر أوردته ابن هشام في التيجان ١١٢ - ١١٤ ، ولم يورده في السيرة ؛ وذكر أنه مصنوع .

فنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره :

حنفاً على سبطين حلاً يرباً
أولى لهم بعقاب يوم مُفسِدٍ

٩٠٩/١ حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قديم على تَبِع قبل ذلك شافع بن كَلِيب الصَّدَقِ ، وكان كاهنًا ، فأقام عنده ، فلما أراد توديعه قال تَبِع : ما بَقِيَ مِن علمك ؟ قال : بقِيَ خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجدُ لقوم مُلْكًا يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا لملك غسان نَجَل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولن ؟ قال أجده لبار مبرور ، أئد بالقهور ، ووُصِف في الزبور ، وفُضِّلَت أُمته في السُّفُور ، يفرِّج الظلم بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأُمته حين يحيى ، أحد بني لؤى ، ثم أحد بني قصي . فبعث تَبِع إلى الزُّبُور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حدثه ، عن سَعِيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممن يروى الأحاديث ، فحدث بعضهم بعض الحديث ، وكل ذلك قد اجتمع في هذا الحديث : أن مَلِكًا من لَحْم ، كان باليمن فيما بين التَّبَاعَة من حَمِير ، يقال له : ربيعة بن نَصْر ، وقد كان قَبْل ملكه باليمن مَلِك تَبِع الأوَّل ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صَيْقُ ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلم بن زيد بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُثَم بن وائل بن الغوث بن قُطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع ابن العَرَنَجَج حَمِير بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطَان . وكان اسم سبأ عَبْد شَمْس ، وإنما سُمِّي سبأ — فيما يزعمون — لأنه كان أول من سبَى في العرب .

٩١٠/١

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التَّبَاعَة ، ثم كان بعد تَبِع الأوَّل زيد بن عمرو ، وشَمِير يُرْعَش بن ياسر يُنْعَم بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمه . وشَمِير يُرْعَش الذى غزا الصين وبني سَمَرْقَنْد وحيَّر الحيرة ، وهو الذى يقول :

أَنَاشِرٍ أَبُو كَرْبَ الْيَمَانِي جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ بَيْنِ وَشَامِ
لَا تِيْ أَغْبَدَا مَرَدُوا عَلَيْنَا وَرَأَى الصَّيْنَ فِي عَنَمِ وَيَامِ
فَنَحْكُمُ فِي بِلَادِهِمْ بِحُكْمِ سَوَاهِ لَا يُجَاوِزُ غَلَامِ

القصيدة كلها .

° ° °

قال : ثم كان بعد شمير يرعش بن ياسر يُسْنَعِمُ تَبَعُ الأصغر ، وهو تَبَّانُ
أسعد أبو كرب بن مَلِكِيَّ كَرَبِ بن زيد بن تَبَعِ الأول بن عمرو ذى الأذعار ،
وهو الذى قدم المدينة ، وساق الجبَرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام
وكساه ، وقال ما قال من الشعر فكل هؤلاء ملُكُه قبل ملك ربيعة بن نصر
اللمخمي ؛ فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلُكُ اليمن كله إلى حسان بن تَبَّانِ
أسعد أبي كرب بن مَلِكِيَّ كَرَبِ بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

٩١١/١

حدثنا ابن حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني ابن إسحاق عن
بعض أهل العلم أن ربيعة بن نَصْرَ رأى رؤيا هالته ، وفَطِطَ بها ، فلما رآها
بعث في أهل مملكته ، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائنًا ولا منجمًا إلا
جَمَعَهُ إليه ، ثم قال لهم : إنني قد رأيت رؤيا هالتي وفَطِطَ بها ، فأخبروني
بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم
بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، إنَّه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل
أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك : فإن
كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيطِح وشِقْ ، فإنه ليس أحدٌ أعلم منهما ،
فهما يخبرانك بما سألت - واسم سَطِيطِح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن
ذئب بن عدى بن مازن بن غَسَّان ، وكان يقال لسطيطح : الذئبي ، لنسبته إلى
ذئب بن عدى . وشِقْ بن صعب بن يشكر بن رُهْمِ بن أفرَكِ بن نذير بن
قيس بن عَبْقَرِ بن أَمَّار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه قبل شِقْ
سَطِيطِح ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكُهَّان ، فلما قدم عليه سطيطح دعاه

فقال له : يا سطّيح ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفطعت بها ، فأخبرتني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها ، قال - أفعّل ، رأيت جُمُجُمَةً - قال أبو جعفر : وقد وجدته في مواضع أخر ، رأيت حُمَمَةً^(١) - خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بأرض نُهْمَةٍ ، فأكلت منها كل ذات جُمُجُمَةٍ . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطّيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حَنَشٍ ، ليهيطن أرضكم الحبش ، فليملكُنَّ ما بين أبين إلى جرّش . قال له الملك : وأبيك يا سطّيح ؛ إن هذا لغائظ مٌوجِع ، فتي هو كائن يا سطّيح ؟ أتى زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومن ذا الذى يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يَزَن ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكى ، يأتيه الوحى من العلى . قال : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدّهر يسطّيح من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقّ ما تخبرنا يسطّيح ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق^(٢) ، إذا اتسق ، إن ما أنباتك به لحق . فلما فرغ قدم عليه شقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شقّ ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفطعتُ بها ، فأخبرتني عنها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها - كما قال لسطّيح ؛ وقد كتبه ما قال سطّيح لينظر أيتفقان أم يختلفان - قال : نعم ، رأيت جُمُجُمَةً ، خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ . فلما رأى ذلك الملك من قولهما شيئاً واحداً ، قال له : ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفَلَةٍ

(١) هى رواية ابن هشام فى السيرة . (٢) ط : « والعلق » .

البنان ، وليَمْلِكُنْ مابينَ أبينَ إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك يا شقيقَ إن هذا لنا لغائظٌ مَوجع ، فتي هو كائن ؟ أفي زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثم يستنقِذُكم منه عظيمُ ذو شان ، ويذيقهم أشدَّ الهوان . قال : ومَنْ هذا العظيمُ الشان ؟ قال : غلامٌ ليس بدني ولا مُدَنٍّ^(١) ، يخرج من بيت ذى يَزَن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسولٍ مرسلٍ ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ؛ يكون الملكُ في قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يحزى فيه الولاة ، يُدعى من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال : أحق ما تقول يا شقيق ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفعٍ وخفضٍ ؛ إن ما نبأتك لحق ما فيه أمض^(٢) . فلما فرغ من مسألتها ، وقع في نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ، فجهزَ بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلِحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم^(٣) .

٩١٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سَطِيج وشقيقٌ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك فى العرب ، وتحدثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذى كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى ، فى بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذينك الكاهنين : سَطِيج وشقيقٌ :

ما نظرت ذاتُ أشفارٍ كنظرِها حقاً كما نطقَ الذئبُ إذ سَجَعاً^(٤)

(١) المدنى : المقصر فى الأمر .

(٢) قال ابن هشام « أمض ، يعنى شكاً ، هذا بلفظ حمير . وقال أبو عمرو : « أمض ، أى باطل » .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٨ - ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان سَطِيحٍ لَمَّا يدعوه العرب الذئبيّ، لأنّه من ولد ذئب بن عدّى. فلما هلك ربيعة بن نصر، واجتمع مُلْكُ اليَمَنِ إلى حَسَّانَ بنِ تُبَّانَ أَسْعَدَ أَبِي كَرْبِ ابنِ مَلِكِيكَرِبِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرٍو ذِي الْأَذْعَارِ، كان مِمَّا هَاجَ أَمْرَ الْحَبَشَةِ وَتَحَوَّلَ الْمَلِكُ عَنْ حِمْيَرَ وَانْقَطَاعَ مَدَّةِ سُلْطَانِهِمْ - وَلِكُلِّ أَمْرٍ سَبَبٌ - أَنَّ حَسَّانَ ابنِ تُبَّانَ أَسْعَدَ أَبِي كَرْبِ، سَارَ بِأَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُ أَنْ يَطَّأَ بِهِمْ أَرْضَ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ، كَمَا كَانَتِ التَّبَاعَةُ قَبْلَهُ تَفْعَلُ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ أَرْضِ الْعِرَاقِ، كَرِهَتْ حِمْيَرَ وَقِبَائِلَ الْيَمَنِ السَّيْرَ مَعَهُ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ؛ فَكَلَّمُوا أَخًا لَهُ كَانَ مَعَهُ فِي جَيْشِهِ، يُقَالُ لَهُ عَمْرٍو، فَقَالُوا لَهُ: اقْتُلْ أَخَاكَ حَسَّانَ نَمْلَكَكَ عَلَيْنَا مَكَانَهُ، وَتَرْجِعْ بِنَا إِلَى بِلَادِنَا. فَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَاجْمَعَ أَخُوهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ حِمْيَرَ وَقِبَائِلِ الْيَمَنِ عَلَى قَتْلِ حَسَّانَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذِي رُعَيْنِ الْحَمِيرِيِّ، فَإِنَّهُ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مَمْلَكْتَنَا، لَا تَقْتُلْ أَخَاكَ وَلَا تَشْتَتِ أَمْرَ أَهْلِ بَيْتِكَ - أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ - فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ قَوْلُهُ - وَكَانَ ذُو رُعَيْنِ شَرِيفًا مِنْ حَمِيرٍ - تَعَمَّدَ إِلَى صَبْحِيْفَةٍ فَكَتَبَ فِيهَا:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا يَنْوَمُ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَإِمَّا حِمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمُعْذَرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

ثُمَّ خَتَمَ عَلَيْهَا. ثُمَّ أَتَى بِهَا عَمْرًا، فَقَالَ لَهُ: ضَعْ لِي عِنْدَكَ هَذَا الْكِتَابَ؛ فَإِنَّ لِي فِيهِ بَغْيَةٌ وَحَاجَةٌ، فَفَعَلَ. فَلَمَّا بَلَغَ حَسَّانَ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَخُوهُ عَمْرٍو وَحِمْيَرَ وَقِبَائِلَ الْيَمَنِ مِنْ قَتْلِهِ، قَالَ لِعَمْرٍو:

يَا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَى مَنِّي فَالْمَلِكُ تَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حُشُودٍ

فَأَبَى إِلَّا قَتْلَهُ، فَقَتَلَهُ ثُمَّ رَجَعَ بِنِ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ إِلَى الْيَمَنِ. فَقَالَ قَاتِلُ مِنْ حَمِيرٍ:

إِنَّ اللَّهَ مَنْ رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ^(١)

(١) رواية ابن هشام في السيرة: «لاه عينا» قال السهيلي في شرحه: «أراد» الله «وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الحذف كثير، ولكنه جاز في هذا الرسم خاصة لكثرة دواته على الألسنة».

قَتَلْتَهُ الْأَقْيَالُ مِنْ خَشْيَةِ الْحَجِي ش وَقَالُوا لَهُ لَبَابٍ لَبَابٍ^(١)
مَيْتُكُمْ خَيْرُنَا وَحَيُّكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي

فلما نزل عمرو بن تَبَّان أسعد أبي كرب اليمن مُنِعَ منه النوم ، وسلط عليه السهر - فيما يزعمون - فجعل لا ينام ، فلما جهده ذلك جعل يسأل الأطباء والخُزاة من الكهَّان والعرافين عما به ، ويقول : منيع مني النوم فلا أقدر عليه ، وقد جهدتني السهر ، فقال له قائل منهم : والله ما قتل رجل أخاه قطَّ أو ذا رحمٍ بغياً على مثل ما قتلت عليه أخاك إلاَّ ذهب نومُه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتل كلَّ مَنْ كان أمره بقتل أخيه حسان من أشراف حمير وقبائل اليمن ، حتى خلص إلى ذى رُعين ، فلما أراد قتله قال : إنَّ لي عندك براءة مما تريد أن تصنع بي ، قال له : وما براءتك عندي ؟ قال : أخرج الكتاب الذي كنت استودعتهك ووضعته عندك ، فأخرج له الكتاب ، فإذا فيه ذاك البتان من الشعر :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي مَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٍ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَلَمَّا حَيَّرُ غَدْرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَذَى رُعَيْنٍ

فلما قرأهما عمرو قال له ذورُعين : قد كنت نهيتك عن قتل أخيك فعصيتني ، فلما أبيت على وضعتُ هذا الكتاب عندك حجةً لي عليك ، وعذراً لي عندك ، وتخوفت أن يصيبك إن أنت قتلتَه الذي أصابك ، فإن أردت بي ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك ، كان هذا الكتاب نجاةً لي عندك ، فتركه عمرو بن تَبَّان أسعد فلم يقتله من بين أشراف حمير ، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته . وقال عمرو بن تَبَّان أسعد حين قتل من قتل من حمير وأهل اليمن ممَّن كان أمره بقتل أخيه حسان ، فقال :

شَرَيْنَا النَّوْمَ إِذْ عُصِبَتْ عَلَابٍ بِتَسْهِيدٍ وَعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنٍ^(٢)
تَنَادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمْ : لَبَابٍ وَقَدْ بَرَرْتَ مَعَاذِرُ ذِي رُعَيْنٍ
قَتَلْنَا مَنْ تَوَلَّى الْمَكْرَ مِنْهُمْ بَوَاءَ بَابِنِ رُهْمٍ غَيْرِ دَيْنٍ

(١) قال ابن اسحاق قوله : «لَبَابٍ ، لَبَابٍ» ، لا بأس ، لا بأس بلغة حمير . (٢) ط : «بين» .

قَتَلْنَاهُمْ بِحَسَّانَ بْنِ رُحْمٍ وَحَسَّانَ قَتِيلَ الثَّائِرِينَ
 قَتَلْنَاهُمْ فَلَا بُقْيَا عَلَيْهِمْ وَقَرَّتْ عِنْدَ ذَاكُمْ كُلُّ عَيْنٍ
 عُيُونُ نَوَادِبٍ يَبْكِينَ شَجْوًا حَرَائِرُ مِنْ نِسَاءِ الْفَيْلَقَيْنِ
 أَوَانِسَ بِالْعِشَاءِ وَهَنَّ حُورُ إِذَا طَلَعَتْ فُرُوعُ الشَّعْرَيْنِ
 فَنُعْرِفُ بِالْوَفَاءِ إِذَا انْتَمَيْنَا وَمَنْ يَغْدِرُ نُبَايْنَهُ بَيْنَ
 فَضَلْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا كَفَضَلَ الْإِبْرِزَى عَلَى اللَّجَيْنِ
 مَلَكْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا لَنَا الْأَسْبَابُ بَعْدَ التَّبَعَيْنِ
 مَلَكْنَا بَعْدَ دَاوُدَ زَمَانًا وَعَبَّدْنَا مُلُوكَ الْمَشْرِقَيْنِ
 زَبَرْنَا فِي ظَفَارِ زَبُورَ مَجْدٍ لِيَقْرَأَهُ قُرُومُ الْقَرِيبَيْنِ
 فَحَنَ الطَّالِبُونَ لِكُلِّ وَتَرٍ إِذَا قَالَ الْمَقَاوِلُ أَيْنَ أَيْنَ !
 سَأَشْفِي مِنْ وُلَاةِ الْمَكْرِ نَفْسِي وَكَانَ الْمَكْرُ حَيِّثُهمْ وَحَيِّ
 أَطَعْتُهُمْ فَلَمْ أَرْشُدْ وَكَانُوا غَوَاةً أَهْلَكُوا حَسْبِي وَزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تَبَّانَ أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد : عمرو بن تَبَّع هذا يدعى موثَبان ؛ لأنه وثب على أخيه حَسَّانَ بفَرْصَةِ نَعْمٍ فقتله — قال : وفَرْصَةُ نَعْمٍ رَحْبَةٌ طَوْقُ بْنُ مَالِكٍ ، وكانت نَعْمٌ سَرِيَّةٌ تَبَّعَ حَسَّانَ بْنِ أَسْعَدَ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فِيرَجُ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَفَرَّقُوا ، فَوَثَبَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ بِيُوتِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، يُقَالُ : لَهْ لَحْنِيعةُ يَنُوفِ ذَوْشَنَاتِر^(١) ، فَلَاكَهُمْ فَقَتَلَ خِيَارَهُمْ ، وَعَبَثَ بِبِيُوتِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْ حَمِيرٍ ، يَذْكُرُ مَا ضَيَّعَتْ^(٢) حَمِيرٌ مِنْ أَمْرِهَا ، وَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهَا ، وَنَفَتْ مِنْ خِيَارِهَا :

تَقْتُلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَاتَهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهِمْ لَهَا أُلْدَلَّ حَمِيرُ
تُدَمِّرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَاكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَظْلَمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَنْخَسِرُ

وكان الخنسية ينوف دوشناتر يصنع ذلك بهم - وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان - مع الذي بلغ منهم من القتل والبغى - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوق عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لثلاث يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكماً ، فجعله في فيه - أى ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّى سبيله ، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعَة ذو نواس بن ثَبَّان أسعد أبي كرب بن ملكيكترب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار أخو حسان - وزُرْعَة كان صبيّاً صغيراً حين أصيب أخوه ، فشَبَّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعَقْل - فبعث إليه الخنسية ينوف ذو شناتر ؛ ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبّله ، فلما أتاه رسوله عرف الذى يريد به ، فأخذ سيكّيناً حديداً لطيفاً ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه ، ثم وثب عليه واثبه ذو نواس بالسكّين قطعته به حتى قتله ، ثم احتز رأسه ، فجعله في كُؤَة مشربته تلك التى يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سواكه ذلك ، فجعله في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ، أرطب أم يباس ^(١) ؟ فقال : سل نخماس ^(٢) استرطبان ^(٣) ذو نواس ، استرطبان ذو نواس ؛ لا باس . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس الخنسية ينوف ذى شناتر فى الكؤ ة مقطوع فى فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس فى أثر ذى نواس حتى أدركوه ،

٩١٩/١

(١) اليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس فى لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيلي : قوله : « استرطبان » إلى آخر الكلام مشكل ؛ وفى الأغاني : « سعلم الأحراس ،

است ذى نواس ، رطب أم يباس » .

فقالوا له : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحمتنا من هذا الخبيث .
فلتكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . ويهود
ويهودت معه حمير ، وتسمى «يوسف» ، فأقام في ملكه زماناً . وبنجران بقايا
من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم
رأس يقال له عبد الله بن الثامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي
بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلهم أهل أوثان
يعبدونها . ثم إن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ،
فحملهم عليه فدانوا به ^(١) .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهوّد سمي يوسف ، وهو الذي خدّ
الأخدود بنجران وقتل النصارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأحنس ، عن وهب بن منبه اليافى ^(١) ، أنه حدثهم
أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم
يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ،
وكان سائحاً ينزل القرى ، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها
وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان ببناء يعمل الطين ، وكان يعظم
الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض
فصلّى بها حتى يُمسى ، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ؛
إذ فطن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبه صالح حباً لم يحبه
شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج
مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ،
وفيميون لا يدرى ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفياً منه لا يجب
أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّى ، فبينما هو يصلّى إذ أقبل نحوه التّنين -
الحية ذات الرؤوس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ،

(١) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٣٠ - ٢٨ - ٢٩ ، والأغاني ٢٠ : ٧ - ٩ (سأى) .

ولم يدرِ ما أصابها ، فخافها عليه فعِيلَ عَوْلُهُ^(١) ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبك قط ، وقد أردت صُحبتك والكينونة معك حيثما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ؛ فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية أن يفتنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرٌّ ، دعا له فشفي ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به الضرّ لم يأت . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنّه لا يأتي أحداً إذا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ؛ إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارتك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل في بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط^(٢) الرجل التوب عن الصبي ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبي : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفيه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِفَ ، فخرج من القرية ، واتّبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشام مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظرك وأقول : متى هوجاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم على ، فإنّي ميت الآن . قال : فأت ، وقام عليه حتى إراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدي عليهما فاخططفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما ببنجران - وأهل بنجران يؤمّن على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لهم عيد كل سنة ؛ إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها

(١) عيل عوله ، أى غلب على صبره ، وفى ط : « فعول عليه عولة » ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٢) انتشط الثوب : جذبه ورفع له إليه .

كل ثوب حسن وجدوه، وحلى النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوماً - فابتاع رجل من أشrafهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل - في بيت له أسكنه إياه سيده الذي ابتاعه - يصلّي، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح ؛ فرأى ذلك سيده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّا أنتم في باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذي أعبد أهلها، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهر ثم صلى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحاً فجعلتهما^(١) من أصلها فألقتهما، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب^(٢) .

فهذا حديث وهب بن منبه في خبر أهل نجران .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولى لبني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي . قال : وحدثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نجران أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نجران - ونجران القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما أن نزلها فيميون - قال : ولم يسموه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه، قالوا : رجل نزلها - ابنتي خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جعلتها ، أي قلمتها وأسقطها .

(٢) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم، فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتبه
إياه وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفك عنه . فلما أتى
عليه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما
يختلف الغلمان - فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه
فيه عمّد إلى قيد أح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قيد^(١) ؛ لكل
اسم قيد^(٢) ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قيد حاقداً ؛
حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقيدحه ، فوثب القيدح حتى خرج
منها ، لم يضره شيء ؛ فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه^(٣) قد علم
الاسم الذي كتبه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال : وكيف
علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخي ، قد أصبت فأمسك
على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا أتى نجران
لم يلتق أحداً به ضرراً إلا قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو
الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو
له فيشفي ، حتى لم يبق أحدٌ بنجران به ضرراً إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا
له فعوفي ، حتى رُفِع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على
أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ! قال : لا تقدر على
ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ،
ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه نجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا
هلك ، فبِئسَ لقي فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر :
إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فإنك إن
فعلت ذلك سلّطت على ققتلتي ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله
ابن الثامر ، ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجرة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك
مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء
به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم
من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران^(٤) .

(١) القدح : السهم . (٢) ح ، ل « بأنه » .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.
قال : فسار إليهم ذو نواس يجنوده من حِمِير وقبائل اليمن ،
فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاخترأوا
القتل ، فخذلهم الأخدود ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ؛ ومثل بهم كل مُثْلَة ،
حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دَوْس
ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرَّمْلَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول : إن الذي أفلت منهم رجل
من أهل نَجْرَان يقال له جَبَّار ^(١) بن فيض ^(٢) .

قال : وأثبت الحديثين عندى الذى حدثني أنه دَوْس ذو ثعلبان .
ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

ففى ذى نواس وجنوده تلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن
الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ^(٣) .
يقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم .
ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِلَ قبل ذلك ، قتله ملك كان قبْله ، هو
كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قُتِلَ ذو نواس مَنْ كان بعده من أهل دينه ^(٤) .

• • •

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل مُلْكُ اليمن متصلاً لا يطمع فيه
طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم فى زمن أنوشِروان . قال : وكان
سببُ ظهورهم أن ذا نَواس الحميرى ملك اليمن فى ذلك الزمان ، وكان
يهودياً ، فقدم عليه يهودى ، يقال له دَوْس من أهل نَجْرَان ، فأخبره
أن أهل نجران قتلوا ابنتين له ظلماً ، واستنصره عليهم — وأهل نَجْرَان نصارى —
فحِمَى ذونَواس لليهودية ، فغزا أهل نجران ، فأكثر فيهم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « قيض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض كالخندق

والجلول ونحوه » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥

من أهل نَجْرَان ، حتى قدم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه ، فقال له : الرجال عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك ، وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ أنه حدث أن رجلاً من أهل نَجْرَان فى زمن عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نَجْرَان لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن^(١) منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه ممسكاً عليها بيده ؛ فإذا أحرّت يده عنها انثعبت^(٢) دماً ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسك دمه ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربّى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر : أن أقرّوه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذى كان عليه . ففعلوا . ٩٢٧/١

وخرج دؤوس ذو ثعلبان^(٣) ، حين^(٤) أعجز القوم على وجهه ذلك ؛ حتى قدم^(٥) على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود ؛ ولكننى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل . فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، وطلب

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منهل سفت الريح فيه التراب حتى دفن .

(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفى ر ، ت : « انثعبت » ، ح ، ل : « انبعث » .

(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .

(٤) ت ، ح : « حتى » .

(٥) كذا فى ت ، وفى ط : « تقدم » ؛ وفى ابن هشام : « أتى » .

ثَارِهِ مَمَّنْ بِغَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ دِينِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ بِكِتَابِ قَيْصَرَ عَلَى النَّجَاشِيِّ صَاحِبِ الْحَبْشَةِ بَعَثَ مَعَهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْحَبْشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَبْشَةِ ، يَقَالَ لَهُ أَرِيَاطُ ، وَعَهْدُ إِلَيْهِ : إِنْ أَنْتَ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَاقْتُلْ ثَلَاثَ رِجَالِهِمْ ، وَأَخْرِبْ ثَلَاثَ بِلَادِهِمْ ، وَاسْبِ ثَلَاثَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ . فَخَرَجَ أَرِيَاطُ وَمَعَهُ جُنُودُهُ ، وَفِي جُنُودِهِ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ ، فَركب البحر ومعه دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ ، حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحِلِ الْيَمَنِ ، وَصَمِعَ بِهِمْ دُو نُوَاسُ فَجَمَعَ إِلَيْهِ حِمْيَرٌ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قِبَاثِلِ الْيَمَنِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عَلَى اخْتِلَافٍ وَتَفَرُّقٍ ، لِانْقِطَاعِ الْمُدَّةِ وَحُلُولِ الْبَلَاءِ وَالنَّقْصَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَرْبٌ غَيْرُ أَنَّهُ نَاضَ ذُو نُوَاسُ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَدَخَلَهَا أَرِيَاطُ بِجَمْعِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسُ مَا رَأَى مِمَّا نَزَلَ بِهِ وَبَقِيَّتِهِ وَجَهَ فَرَسَهُ إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَدَخَلَ فِيهِ فَخَاضَ بِهِ ضَحَضًا (١) الْبَحْرِ ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى غُصْمَةٍ ، فَأَقْحَمَهُ فِيهِ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ . وَوُطِئَ أَرِيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبْشَةِ ، فَقَتَلَ ثَلَاثَ رِجَالِهَا ، وَأَخْرَبَ ثَلَاثَ بِلَادِهَا ، وَبَعَثَ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِثَلَاثِ سَبَايَاهَا ثُمَّ أَقَامَ بِهَا ، قَدْ ضَبَطَهَا وَأَذَلَّهَا ، فَقَالَ قَاتِلْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ يَذْكُرُ مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ ؛ فَقَالَ : « لَا كَدَّوْسَ وَلَا كَأَعْلَاقٍ رَحِلَهُ » . يَعْنِي مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَبْشَةِ ، فَهِيَ مِثْلُ بِالْيَمَنِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَقَالَ ذُو جَدَنَ الْحَمِيرِيُّ وَهُوَ يَذْكُرُ حِمْيَرَ ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِنَ الذَّلِّ بَعْدَ الْعَزِّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَمَا هُدِّمَ مِنْ حَصُونِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ أَرِيَاطُ قَدْ أَخْرَبَ مَعَ مَا أَخْرَبَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ سِلَاحِينَ وَبَيْتُونَ وَغُصْمَدَانِ ؛ حَصُونًا لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ مِثْلَهَا ، فَقَالَ :

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمَعُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكِي أَسْقَا فِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَا
أَبْعَدَ يَبْنُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَبَعْدَ سِلَاحِينَ بَيْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا !
وَقَالَ ذُو جَدَنَ الْحَمِيرِيُّ فِي ذَلِكَ :

دَعِينِي لَا أَبَالِكَ لَنْ تُطِيقِي لِحَاكِ اللَّهِ قَدْ أَنْزَفَتْ رِيْقِي (٢)

(١) الضحضاح من الماء : الذي يظهر منه القمر .

(٢) أَنْزَفَتْ رِيْقِي ، أَيْ أَكْثَرَتْ عَلَى مِنَ الْعَذْلِ ؛ حَتَّى أَيَبَسَتْ رِيْقِي فِي فَمِي ، وَقَوْلَةُ الرِّيقِ مِنَ

الْحَصْرِ . قَالَ السَّجِيلُ .

لَدَى عَزَفِ الْقِيَانِ إِذِ انْتَشَيْنَا
وَشَرَبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارًا
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ
وَلَا مَتَرَهَّبٌ فِي أُسْطُوَانٍ
وَعُمْدَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ
بِمَنْهَمَةٍ وَأَسْفَلِهِ جُرُوبٌ
مَصَابِيحُ السَّلَاطِ تُلَوِّحُ فِيهِ
وَنَخْلَتُهُ الَّتِي غُرِسَتْ إِلَيْهِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا
وَأَسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَمِيتًا
وَمَاذُ نَسَقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ
إِذَا لَمْ يَشْكُنْ فِيهَا رَفِيقُ
وَلَوْ شَرِبَ الشَّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ^(١)
يُنَاطِحُ جُذْرَهُ بَيْضَ الْأَنْوَقِ^(٢)
بَنَوَهُ مُمَسِّكًا فِي رَأْسِ نَيْنٍ^(٣)
وَحُرُّ الْمَوْحَلِ اللَّثَقِ الزَّلَيقِ^(٤)
إِذَا يُنْسِي كَتَمَ مَاضِ الْبُرُوقِ
يَكَادُ الْبَسْرُ يَهْضُرُ بِالْعَذُوقِ^(٥)
وَعَيْرَ حُسْنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ^(٦)

٩٢٩/١

وقال ابن الذئبة^(٧) الثَّقَفِيُّ ، وهو يذكر حميرَ حين نزل بها السودان وما أصابوا

منهم :

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَقَى مِنْ مَقَرٍّ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكَبِيرُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَقَى صُحْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَزَرٍ^(٨)

(١) الشفاء هنا : ما يتداوى به ، تسمية للسبب باسم المسبب ، والنشوق . كل دواء يذوق من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ؛ ويقال في المثل إذا أريد ما لا يوجد : « أعز من بيض الأنوق » .

(٣) رواية ابن هشام : « مسكا » ، وهو المرتفع . والنيق : أعلى الجبل .

(٤) المنهمة : موضع الزهوان . والجروب : الحجارة السوداء ؛ ورواية ابن هشام « جرون » ؛ جمع جرن ، وهو النقيز . وحر الموحل : خالص كل شيء . واللثق ، من اللق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيلي) .

(٥) ط : « يهزر » ، وما أثبتته من ابن هشام ، قال السهيلي : أى يميل بها ، والعنوق : جمع عذق ، بالكسر ، وهى الكفاية . (٦) فى ابن هشام : « مستكيناً » . (٧) فى ابن

هشام « عبد الله بن الذئبة » ، والذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم .

(٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ .

أَبْعَدَ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ أَتُوا ذَا صَبَاحٍ بِذَاتِ الْعَبَرِ^(١)
 بِأَلْبِ أَلُوبٍ وَحَرَّابَةٍ^(٢) كَيْلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ
 يُصِمُّ صِيَاهُهمُ الْمُقْرَبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمَرِ^(٣)
 سَعَالَى كَيْلِ عَدِيدِ الثَّرَا بِبَيْبَسٍ مِنْهُمْ رَطَابُ الشَّجَرِ^(٤)

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه زعم أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . قال : فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظاهرتهم ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوا وقالوا : يقاتل كل رجل عن مَقُولته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدَّة من الإبل ، وخرج حتى لقي جمعهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جشتكم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والذرية . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النجاشي ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجَّه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن . ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتب ذى نواس إلى كل ناحية : أن اذبحوا كل ثور أسود في بلدكم ؛ فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشريد . وبلغ النجاشي ما كان من ذى نواس ، فجهز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس ألا طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به .

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ،

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف ألوب » ، وألب ألوب ، أى مجتمع كثير . الحرابة : أصحاب الحراب ، وانظر اللسان .

(٣) المقربات من الخيل : العناق التى لا تشرح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للدو . وفى ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شبههم بالسعال من الجفن ؛ جمع سعاة .

فقيل للنجاشي : إنه قد خلّع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجّه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرباط ، فلما حلّ بساحته ، بعث إليه أبرهة أنه يجمعني وإياك البلاد والدين ، والواجبُ عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممّن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأبينا ظفر بصاحبه كان المُلْكُ له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضى بذلك أرباط ، وأجمع أبرهة على المكرّ به ، فاتّعدا موضعاً يلتقيان فيه ، وأكن أبرهة لإرباط عبداً له ٩٣١/١ يقال له أرنجده ، في وَهْدَةٍ قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرباط فزرق^(١) أبرهة بحرْبته ، فزالَت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمّى الأشرم ، ونهض أرنجده من الحفرة ، فزرق أرباط فأنفذه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتكم فقال : لا تدخل امرأة اليمن على زوجها حتى يبدأ بي ، قال : لك ذاك ، فغير بذلك زماناً . ثم إن أهل اليمن عدّوا عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أنّى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشي قتل أرباط ، فألى ألا يكون له ناهية دون أن يهريق دم أبرهة ، ويطأ بلاده ، وبلغ أبرهة أليته ، فكتب إليه : أيّها الملك ، إنّما كان أرباط عبدك ، وأنا عبدك ، قدّم عليّ يريد توهين ملكك ، وقتل جندك ، فسألته أن يكفّ عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولا ، فإن أمرته بالكفّ عني ، وإلاّ سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتني ، فحاربتني فظهرت عليه ، وإنّما سلطاني لك ، وقد بلغني أنّك حلفت ألاّ تنتهي حتى تهريق دمي ، وتطأ بلادى . وقد بعثت إليك بقارورة من دمي ، وجراب من تراب أرضي ؛ وفي ذلك خروجك من يمينك ، فاستمّ أيّها الملك يدك عندي ؛ فإنّما أنا عبدك وعزّي عزّك . فرضى عنه النجاشي وأقرّه على عمله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرباط باليمن سنين^(٢) في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ،

(١) زرقه : طعنه بالمزراق ؛ وهي الحربة .

(٢) ح : « ستين » .

وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فأنحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تُفنيها شيئاً ؛ فابرز لي وأبرز لك ، فأيتنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتني فاخرج . فخرج إليه أبرهة . وكان رجلاً قصيراً لحيماً حادراً^(١) ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلًا وسيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة — يريد يافوخه^(٢) — فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ؛ فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عتودة في قتله أرياط : « أنا عتودة » ، من فرقة أردة ، لا أب ولا أم نجده » ، أى يقول : قتلك عبده ، قال : فقال الأشرم عند ذلك^(٣) لعتودة : حكمتك يا عتودة .^(٤) وإن كنت قتلتها ، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديت ، فقال عتودة : حكمتي ألا تدخل عروس من أهل اليمن ٩٣٣/١ على زوجها منهم حتى أصيبها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط . وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : عدا على أميري ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، وكتب إليه : أيها الملك ؛ إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط لها

(١) الحادر : الغليظ المجتمع ؛ كذا فسرده صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

(٣) ح : « بعد ذلك » .

(٤) كذا في ط ، وفي الكلام نقص .

وأُسوسُ لها ، وقد حُلقت رأسي كله حين بلغني قَسَمُ الملك ، وبعثت إليه
بجواب من تُراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فيبرَ قسمه .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك
بأرض اليمن ، حتى يأتيك أمرى . فلما رأى أبرهة أن النجاشي قد رضى عنه ،
وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذى يزن ، فترع منه امرأته
ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان - وأبو ريحانة^(١) ذو جدان ،
وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد
أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة
باليمن وغلामه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً ، ثم عدا
على عتودة رجل من حِمير - أو من خثعم - فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله -

وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية - قال : قد أننى لكم
يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ إني
والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذي سأل ما حكمته ، ولا أنعمته
عيناً ، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عَقْل ، ولا يتبعكم منى في قتله شيء تكرهونه .
قال : ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(٢) بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُر مثلاً في زمانها
بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها
الملك كنيسة لم يُبَن مثلاً لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها
حاج العرب .

فلما تحدّث العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من
النساء^(٣) أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعد^(٤)
فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ؛ فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟
فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة ، لما سمع

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبتته ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلي : « سميت
هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بناؤها وعلوها » .

(٣) ط : « النساء » ؛ وما أثبتته عن ابن هشام ، والنساء : هم الذين كانوا يؤخرون شهر
الحرم إلى صفر ، حاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاج العرب ، فغضب فجاء فقعده فيها ؛ أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعي بن حزابة الذكواني ، ثم السلمي ، في نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خُزاعي ؛ فبينما هم عنده غشيتهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه ، وكان يأكل الخصى ، فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعييننا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خُزاعي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لاناأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فلما أكرمتكم بعد أني لمتزلتكم مني . ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزاعي ، وأمره على مضّر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَيْس ؛ كنيسته التي بناها . فسار محمد بن خُزاعي ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة—وقد بلغ أهل نيهامة أمره ، وما جاء له—بعثوا إليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً ، وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمن البيت .

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنى أبرهة بعد أن رضى عنه النجاشي وأقره على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناءً معجيباً لم ير مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبق أثرها وذكرها ، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفُسيّفاء والرّخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشي حين استتمّ بناؤها : إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبر عليها ، فخرج رجل من ٩٣٦/١ بني مالك بن كنانة حتى قدّم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل ، فلقيه ذو نَفسر الحميري ، فقاتله فأسره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقني ، فإن حياتي خير لك من قتلي ، فاستبقاه ، ثم سار فلقيه نفيل

ابن حبيب الخثعمي ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسره ، فسأله أن يستبقيته ، ففعل وجعله دليلاً في أرض العرب .

» « «

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت ، وخرج معه بالفيل — قال : وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفضعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام — فخرج له رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نقر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهزم ذو نقر وأصحابه ، وأخذ له ذو نقر أسيراً ، فأتى به ، فلما أراد قتله قال له ذو نقر : أيها الملك ، لا تقتلني ؛ فإنه عسى أن يكون كوفي معك خيراً لك من قتلي . فتركه من القتل وجسه عنده في وثاق — وكان أبرهة رجلاً حليماً — ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم ، عرض له نقييل ابن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نقييل أسيراً ، فأتى به ؛ فلما هم بقتله قال له نقييل : أيها الملك ، لا تقتلني فإنني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فأعفاه وخلص سبيله ، وخرج به معه يدايه على الطريق ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ؛ إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذي بمكة — يعنون الكعبة — ونحن نبعث معك من يدلك . فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال ، حتى أنزله المغمس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قبره ، فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغمس .

ولما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهزمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حنَاطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : ٩٣٨/١ إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحرِبكم ؛ إنما جئت لخدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ؛ فإن لم يردّ حربى فأنتى به .

فلما دخل حنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربته ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — أو كما قال — فإن يمنعهُ فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع عنه — أو كما قال له — فقال له حنَاطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك — فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيهِ ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر — وكان له صديقاً — حتى دلّ عليه ، وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر ، هل عندك غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشيّاً ! ما عندى غناء فى شئ مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل لى صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبي .

فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس ؛ إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رعوس الجبال ، ٩٣٩/١ وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل ، فكاتم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رعوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك بحاجته وأحسن إليه . قال : فأذن له

أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة فيجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سرير ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ؛ أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمه لا تكلمني فيه ! قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذاك ، اردد إلى إبل .

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاطة بعمر بن نفثة بن عدى بن الدؤل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيّد بني كنانة - وخويلد بن وائلة الهذلي - وهو يومئذ سيّد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهمامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم . ٩٤٠/١

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شَعَف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرفة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بخلقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بخلقة باب الكعبة :

يَا رَبَّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبَّ فَاغْنِ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ اغْنِ عَنْهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضاً :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالِكَ^(١)
 لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوْا مُحَالِكَ^(٢)
 فَلَنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا أَوْلَى فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ^(٣)
 وَلَنْ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعَالِكَ
 جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْقِيلَ كَتَى يَسْبُوا عِيَالِكَ
 عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جَلَالِكَ

[وقال أيضاً]^(٤) :

وَكُنْتَ إِذَا أَنَّى بَاغٍ بِسِلْمٍ نُرَجِّي أَنْ تُكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
 فَوَلَّوْا لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خِزْيٍ وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَا لِكَ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بَارِجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا حَرَامَكَ

٩٤١/١

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال ، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهه فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهه هَيَّأَ لدخول مكة ، وهياً فيلته ، وعبى جيشه — وكان اسم الفيل محموداً — وأبرهه مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجهوا الفيل أقبل نُفَيْل بن حَبِيب الحِشْعَمِيّ حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه . فقال : ابرُكْ محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت ؛ فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نُفَيْل بن حَبِيب يشتد حتى صعد

(١) الحلال في البيت : القوم الحلول في المكان .

(٢) غداً ، أى غدا ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيها اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

في الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مراقيته فبزغوه^(٢) ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجروا في منقاره ، وحجروا في رجله مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ،
٩٤٢/١ وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أَيْنَ الْمَقَرِّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ !
وقال نفيل أيضاً :

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَنَا كَمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءَ فَلَمْ يُقَدِّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَمْ تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا كَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ رَأْيِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا^(٣)
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُتْلَى عَلَيْنَا
فَكَلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَى الْحُبْشَانِ دَيْنًا !

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملةً أنملةً ، كلما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسي معرب ؛ قال الجواليقي : « لأن فرسان العجم كانت تحمله معها يقاتلون به » . المغرب ٢٢٨ .

(٢) بزغوه : أدموه .

(٣) قال السهيلي : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكد لما قبله ؛ إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه ؛ لأن « فات » معناه « فارق » ، و « بان » .

أتملة اتبعها منه مدة تَمَثَّ (١) قِيحاً ودماً حتى قَدِمُوا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه - فيما يزعمون (٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبيه . قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلمي ، عن أبيه . قال : حدثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير الكعبي ، عن أبي مالك الحميري عن عطاء بن يسار . ٩٤٣/١ . قال : حدثنا محمد بن أبي سعيد الثقفي عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمه أبي رزين العُقَيْلي . قال : حدثنا سعيد بن مُسلم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ قالوا : كان النجاشي قد وجه أرباط أبا صحم (٣) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأدأحها (٤) ، وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستبدل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتيها من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيين لكم خيراً منه ! فبنى لهم بيتاً ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلّاه بالذهب والفضة ، وحفّاه بالجوهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ؛ وكان يوقد بالمسندل ، ويلطّخ جذره بالمسك ، فيسوده حتى يغيب الجوهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألّهون ، وتسلّكوا له ، وكان تُفيل الخثعمي يؤرّض (٥) له ما يكره ، فلما كان ليلة من

(١) قال السهيلي : تمث ، بالضم والكسر ؛ فعل رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قِيحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قِيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ - ٤٦ . (٣) ر : « ضخم » .

(٤) أدأحها : أذلها . (٥) أرض الشيء : سواه وزينه .

٩٤٤/١ الليالى لم ير أحداً يتحرك، فقام فجاء بعددٍ فطخ بها قبلته، وجمع جيئاً فألقاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضباً شديداً ، وقال : إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضته حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بفيله «محمود» - وكان فيلاً لم ير مثله في الأرض عِظماً وجسماً وقوة - فبعث به إليه ، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس ومعه ملك حِمْيَر ، ونُفَيْل بن حبيب الخثعمي ، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نعم الناس فأصابوا إبلًا لعبد المطلب ، وكان نُفَيْل صديقاً لعبد المطلب، فكلّمه في إبله، فكلّم نُفَيْل أبرهة، فقال: أيّها الملك ، قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قدراً ، وأقدمهم شرفاً ، يحمل على الجياد ، ويُعطى الأموال، ويطيّع ما هبّت الريح. فأدخله على أبرهة، فقال : حاجتك! قال : تردّ على إبلِي ، فقال : ما أرى ما بلغني عنك إلا الغرور، وقد ظننت أنّك تكلمني في بيتيكم الذي هو شرفكم، فقال عبد المطلب : ارددْ على إبلِي، ودونك البيت ؛ فإن له ربّاً سيمنعه . فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلدها النعال ، وأشعرها ، وجعلها هديّاً ، وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حِراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطِيع بن عدى وأبو مسعود الثقفي ، فقال عبد المطلب :

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاثْنَعُ حِلَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوْا مِحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ لَمْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

٩٤٥/١ قال : فأقبلت الطير من البحر أبابيل، مع كل طير [منها] ^(١) ثلاثة أحجار : حجران في رجله وحجر في منقاره ، فقفزت الحجارة عليهم ، لا تصيب شيئاً إلا هشمته، ولا نفط ذلك الموضع ، فكان ذلك أول ما كان الجُدرى والحصبه والأشجار المرة ، فأهملتهم الحجارة، وبعث الله سيلاً أتياً ، فذهب بهم فألقاهم في البحر .

قال : وولّى أبرهة ومَنْ بَقِيََ معه هُرَابًا ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً . وأما «محمود» فيل النجاشي قَرَبَضَ ولم يشجع على الحرم فنجأ ، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصِب . ويقال : كانت ثلاثة عشر فيلاً ، ونزل عبد المطلب من حراء ، فأقبل رجلان من الحبشة فقبلاً رأسه وقالا : أنت كنت أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن أول ما رُئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رُئى بها مُرار الشجر : الحرم والحنظل والعُشْر ، ذلك العام .

• • •

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه في الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنهم الحبشة ؛ فنكحوا نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب . قال : ولما ردّ الله الحبشة عن مكة ، فأصابهم ما أصابهم من النقمة ، عَظُمَت العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله ، قاتل الله عنهم ، فكفّاهم مؤونة عدوهم .

قال : ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً ، وأخرجوا الحبشة من اليمن ٩٤٦/١ — ثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرباط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزن الحميري ، وكان يكنى بأبي مرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب إليه أن يخرجهم عنه ، ويلبهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِهِ ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذلّ ، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وفادة في كلّ عام ، فأقيم عندي حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معي . قال : فأقام عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى

كسرى ، فلما قدم النعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن
 ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس
 فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقش^(١) العظيم ، مضروباً فيه
 الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب فى رأس
 طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُسْتَر بالثياب حتى يجلس
 فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب
 عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن
 ذى يزن برك ، ثم قال : أيتها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة ، فقال كسرى :
 أى الأغربة ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتكَ لتُنصِرَنى عليهم ،
 وتُخرجهم عنى ، ويكون مُلْكُ بلادى لك ، فأنت أحب إلينا منهم . قال :
 بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء والبعر ، وذلك
 مما لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة
 لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل ينثر الورق للناس يُنْهَبُها
 الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أن دخل على كسرى ، فقيل له :
 العربى الذى أعطيتَه ما أعطيتَه ينثر دراهمه للناس يُنْهَبُها العبيد والصبيان والإماء .
 فقال كسرى : إن لهذا الرجل لشأنا ، اتوني به ، فلما دخل عليه قال : عمدت
 إلى حياء الملك الذى حباك به تنثره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى
 الملك ! ما جبالُ أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة — يرغبه فيها لما رأى
 من زهادته فيها — إنما جئت الملك ليمنعننى من الظلم ، ويدفع عنى الذل ، فقال
 له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرازبته وأهل الرأى ممن كان يستشير فى أمره ، فقال :
 ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيتها الملك ، إن
 فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن هلكوا
 كان الذى أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلْكاً ازددته إلى ملكك .
 فقال : إن هذا الرأى ! أحصوا لى كم فى سجونى من الرجال ؟ فحسبوا له ،

(١) القنقل : مكيا يسع ثلاثين منا ، والمن : وزان رطلين .

فوجدوا في سجنونه ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حسباً وبيتاً ، اجعلوه عليهم . فوجدوا أفضلهم حسباً وبيتاً وهريز - وكان ذا سن - فبعثه مع سيف ، وأهـره على أصحابه ، ثم حملهم في ثمانى سفائن ، في كل سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم في البحر .

فخرجوا حتى إذا لججوا في البحر ، غرقت من السفن سفينتان بما فيهما ، فخلص إلى ساحل اليمن من أرض عدن ست سفائن ، فيهن ستائة رجل ، فيهم وهريز ، وسيف بن ذى وزن ، فلما اطمأننا بأرض اليمن ، قال وهريز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من رجل عربى ، وفرس عربى ؛ ثم اجعل رجلى مع رجلك ، حتى نموت جميعاً أو نظهر جميعاً . قال وهريز : أنصفت وأحسن ! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وهريز ابناً له كان معه - يقال له نوزاذ - على جريدة خيـل ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم . فخرج إليهم فناوشهم شيئاً من قتال ، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهريز حقاً عليهم ، وجيداً على قتالهم .

فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهريز : أرونى ملكهم ، فقالوا : ٩٤٩/١ ترى رجلاً على الفيل عاقداً ناجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذاك ^(١) ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحركوا فابتنوا حتى أودنكم ، فإننى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولا ثوبا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه - وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدتها - ثم أمر بحاجبيه

فعُصِّبَا له ، ثم وضع في قوسه نُشَابَةٌ فَمَغَطَ (١) فيها حتى إذا مَلَأَهَا أرسلها فصكَّ بها الياقوتة التي بين عينيهِ ، فتغلَّغت النشابة في رأسه ، حتى خرجت من قفاه ، وتنكَّس عن دابَّته ، واستدارت الحبشة ، ولائت به ، وحملت عليهم الفُرسُ ، وانهزمت الحبشة ، فقتلوا وهرب شريدهم في كلِّ وجه ، فأقبل وَهَرِزُ يَريدُ صنعاء يدخلها ؛ حتى إذا أتى بابها قال : لا تدخل رايي منكسةً أبداً ، اهدموا الباب . فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايته يُسارِها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى : إنني قد ضبطت لك اليمن ، وأخرجت مَنْ كان بها من الحبشة ؛ وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها ، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جِزْيَةً وخرجاً يؤديه إليه في كلِّ عام معلوم ، يُبْعَثُ إليه في كلِّ عام . وكتب إلى وهريز أن ينصرف إليه . فانصرف إليه وهريز ، وملك سيف بن ذي يزن على اليمن ، وكان أبوه ذو يزن من ملوك اليمن . ٩٥٠/١

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حِمْيَرَ والحبشة ، وملكهم وتوجيه كسرى من وجهه لحرب الحبشة باليمن (٢) .

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : ملك بعد أبرهة يكسوم ، ثم مسروق . قال : وهو الذي قتله وهريز في مُلْك كسرى بن قُبَاد ، ونفى الحبشة عن اليمن . قال : وكان من حديثه أن أبا مُرَّةَ الفَيَّاضَ ذا يزن ، كان من أشرف اليمن ، وكانت تحته ربحانة ابنة ذي جَدَن ، فولدت له غلاماً سمَّاه مَعْنَدٍ يَكْرِبُ ، وكانت ذات جمال ، فانتزعها الأشرم من أبي مُرَّةَ ، فاستنكحها ، فخرج أبو مُرَّةَ من اليمن ، فلحق ببعض ملوك بني المنذر — أظنُّه عمرو بن هند — فسأله أن يكتب له إلى كسرى كتاباً ، يعلمه فيه قدره وشرفه ونزوعه إليه فيما نزع إليه فيه . فقال : لا تعجل ، فإن لي عليه في كلِّ سنة وفادة ، وهذا وقتها ، فأقام قبله حتى وفَّده عليه معه ، فدخل عمرو بن هند على كسرى ،

(١) مَفَطُ الرجل القوسَ مَفَطاً ؛ إذا مَدَّها بالوتر . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ - ٥٢ .

فذكر له شرف ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألفظه وأحسن مسأله ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السودان قد غلبونا^(١) على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة^(٢) ، أجلّ الملك ٩٥١/١ عن ذكرها ، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقديره لساثر الملوك . فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤملين له ، راجين أن يقصم الله عدونا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدق ظنتنا ، ويحقق رجاءنا ، ويوجه معى جيشاً ينفون هذا العدو عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه — فإنها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى الملك من بلاد العرب — فعل .

قال : قد علمت أن بلادكم كما وصفت ، فأى السودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، قال أنوشير وان : إننى لأحب أن أصدق ظنك ، وأن تنصرف بحاجتك ؛ ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب ، وأكره أن أغرره بجندي ، ولّى فيما سألت نظّر ، وأنت على ما تحب . وأمر بإنزاله وإكرامه ؛ فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرة قال قصيدة بالحميرية يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجمت له ، أعجب بها .

وولدت ريحانة ابنة ذى جند لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسمّاه مسروقاً ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمه ريحانة في حِجر أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه ، فأقّى أمه فقال لها : منّ أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سبّنى فلان ، فأخبرته أن أباه أبو مرة الفيّاض ، واقتصت عليه خبره ، فوقع ذلك فى نفس الغلام ، وليث بعد ذلك لبثاً . ٩٥٢/١

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « شنه » .

(١) ح : « غلبوا » .

ثم إن الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى بزن قاصداً إلى ملك الروم ، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجهه يحامى عن الحبشة لموافقهم إياه على الدين ، فأنكفاً راجعاً إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيتها الملك ، إن لى عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لما نزل ، وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذى بزن ، الذى وعدته أن تنصره ، فأت بابك وحضرتك ، فثلك العدة حق لى وميراث يجب عليك الخروج لى منه . فرك له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتبهها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إننى لم آت لك للمال ، إنما جئتكم للرجال ، ولتمنعنى من الدل . فأعجب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقم حتى أنظر فى أمرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له المؤيدان : إن لهذا الغلام حقاً بتزوجه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عِدته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوونجدة وبأس ، فلو أن الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقتل عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهرز ، كان كسرى يعد له بألف أسوار^(٢) ، وقواهم وجههم وأمر بحملهم فى ثمانى سفائن ، فى كل سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، فغرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وسلمت ست ، فخرجوا بساحل حضرموت ، وسار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحيمير والأعراب ، ولحق بابن ذى بزن بشراً كثير ، ونزل وهرز على سيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلما نظر مسروق إلى قاتتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهرز : ما جاء بك ، وليس معك إلا من

(١) ح : « وكان » .

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ ترى ! لقد غررت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذنت لك ؛ فرجعت إلى بلادك ولم أهجك ؛ ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منى ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحببت ناجزتُك الساعة ، وإن أحببت أجملتُك حتى تنظرَ في أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهُزِرَ أمرهم . ورأى أنه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينك أجلاً ، وتعطينى موثقاً وعهداً ، وتأخذ مثله منى ، ألا يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضى الأجل ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كل واحد منهما في عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج ^(١) ابن وهزِرَ يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسه ، فتوسط به عسكرهم ، فقتلوه — وهزِرَ لا يشعر به — فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فلم يَمَ قتلتم ابنى ؟ فأرسل إليه مسروق : إن ابنتك حملت علينا ، وتوسط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً . قال وهزِرَ للرسول : قل له : إنه لم يكن ابنى ، إنما كان ابن زانية ، ولو كان ابنى لصبر ولم يغدر حتى ينقضى الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمى به فى الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه ، وحلف ألا يشرب خمراً ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضى الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلا يوماً واحداً ، أمر بالسفن التى كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق ، ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكل زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوا أمر بفضله فألقى فى البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أمّا ما حرقت من سفنكم ، فلانى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرقت من ثيابكم ، فإنه كان يغىظنى إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

ذلك إليهم ، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر ، فإنني كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قومًا تقتاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سببي هذا حتى يخرج من ظهري ؛ فإنني لم أكن لأمكنسهم من نفسي أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر .

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجل عصى أصحابه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين ، ٩٥٥/١
إمّا ظفروا بعدوهم ، وإمّا ماتوا كراماً ، وأمرهم أن تكون قسيهم موترة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقاً بالبسنجكان - ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك - وأقبل ^(١) مسروق فى جمع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرى أن دون الظفر شيئاً . وكان وهزّز قد كلّ بصره فقال : أرونى عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرساً ، فقالوا : قد ركب فرساً ، فقال : ارفعوا لى حاجبى ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبّر ، فرفعوهما بعصاة ، ثم أخرج نشابة ، فوضعها فى كبد قوسه ، وقال : أشيروا لى إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبت ^(٢) ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموا ، ونزع فى قوسه حتى إذا ملأها ^(٣) سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رشاء ، حتى صكت جبهة مسروق ، فسقط عن دابته ، وقتل فى ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة ، وانقضّ صفّهم لما رأوا صاحبهم صريعاً ، فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وأمر وهزّز بجثة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقى مكانها ، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يعدّ كثرة ، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتفين ، لا يمتنعون منه .

(٢) أثبت : عرفه حق المعرفة .

(١) ح : « فأقبل » .

(٣) ح : « ملأها » .

فقال وهزّز: أمّا حمير والأعراب فكفّروا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تبّقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جمل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في الحقيبة نشابة ، فقال : لأملك الويل ! أبعد أم طول مسير — حسب أن ٩٥٦/١
النشابة لحقته . وأقبل وهزّز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله في المخاليف .

وفي ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهزّز والفرس ، يقول أبو الصلت
أبو أميّة بن أبي الصلت الثقفي :

لِيَطْلُبِ الْوَتْرَ أَثْمَالُ ابْنِ ذِي يَزْنَ رَيِّمٌ فِي الْبَحْرِ لِالْأَعْدَاءِ أَحْوالاً^(١)
أَتَى هِرْقَلٌ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامُهُمْ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَقِصَ الَّذِي قَالَ^(٢)
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابِعَةٍ مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْعَدْتَ إِغْلالاً
حَتَّى أَتَى بَنِي الْأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ لَعَمْرِي لَقَدْ أَطَوَّلْتَ قَلْقَالاً^(٣)
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاهِ الْمُلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهَزَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا!
لَهُ دَرُهُمٌ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ ، بِيضٌ مَرَازِبَةٌ ، أَسَدٌ تَرْبَّبُ فِي الْغِيصَاتِ أَشْبَالَا
يَرْمُونَ عَنْ شُدْفٍ كَأَنَّهَا عُطُوفٌ فِي زَمَخَرٍ يُعْجِلُ الْمَرِيَّ إِعْجَالاً^(٤)
أَرْسَلْتُ أَسَدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالَا
فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَكِيًا فِي رَأْسِ غُمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مَحْجَلَالَا

(١) القصيدة في ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لامية بن أبي الصلت » . ريم في البحر : أقام فيه .

(٢) شالت نعامهم ، أي هلكوا ، والنعام في الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسي . والغبط : الهواذج . والزمرخ : القصب الفارسي .

وَأُظِّلَ بِالْمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأُسْبِلَ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالًا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنٍ شِيْبًا بَمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا^(١)

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهرز إلى كسرى،
وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقتل النساء عما في بطونها،
حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم حوْلاً، واتخذ منهم جَسَازِينَ
يسعون بين يديه بجراهم، فكث بذلك حينئذٍ كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة
تسعى بين يديه بجراهم، حتى إذا كان في وسط منهم وجنوه بالحراب حتى قتلوه،
ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى
بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف من الفُرس، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا
ولدَ عربيّة من أسود إلا قتله؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جَعْدًا
قَطَطًا^(٢) قد شرك فيه السودان إلا قتله.

فأقبل وهرز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشياً إلا
قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها. فكان عليها، وكان
يَجْبِسِيهَا إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرز،
فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البيهجنان بن المرزبان بن وهرز حتى
هلك، ثم أمر كسرى بعده خُسرَ بن البيهجنان بن المرزبان بن وهرز،
فكان عليها.

ثم إن كسرى غضب عليه، فحلف لياثينته به أهل اليمن يحملونه على
أعناقهم ففعلوا، فلما قُدم على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى
عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث بأذان
إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.
وكان -- فيما ذُكر -- بين كسرى ألو شير وان وبين يخطيانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا
آخرها بيتاً، قوله: «تلك المكارم لا قعبان من لبن». (٢) الحمد: القصير الشعر، وكذلك القَطَط.

الروم ، مودعة وهدنة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لَحْم ، كان ملكه كسرى على ما بين عُمان والبحرين واليَمامة إلى الطائف وسائر الحجاز وَمَنْ فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النعمان - نائبة^(١) ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ٩٥٩/١ والصلح ، ويعلمه ما لقيى المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذى ملكه على مَنْ في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يردَّ على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاً يستخفَّ بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفل بها ، فاستعدَّ كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرها ، ومدينة منبج ، ومدينة قنسرين ، ومدينة حلب ، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية ، ومدينة حِمص ، ومدينة كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عتوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طيسبُون على بناء مدينة أنطاكية - على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها ؛ وهى التى تسمى الرومية ، وكور^(٢) لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسوج نهر وان الأعلى ، وطسوج نهر وان الأوسط ، وطسوج نهر وان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسايا ، وأجرى على السبى الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق . وولى القيام ٩٦٠/١ بأمرهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاه الرياسة على أصحاب

صناعاته^(١) ، يقال له : برّاز ، رِقّة منه لذلك السَّبِي ، إرادة أن يستأنسوا ببراز لحال ملته ، ويسكنوا إليه . وأمّا سائر مدن الشام ومصر فإنّ يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمن له فدية يحملها إليه في كلّ سنة على ألاّ يغزو بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتاباً ، وختم هو وعظماء الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كلّ عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُور من كُورهم قبل ملك كسرى أنوشروان في خراجها الثلث ، ومن كُور الربع ، ومن كُور الخمس ، ومن كُور السدس ؛ على قدر شربها وعمارتها ، ومن جزية الجماجم شيئاً معلوماً ، فأمر الملك قباد بن فيثروز في آخر ملكه بمسح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصحّ الخراج عليها ، فُسيحت ؛ غير أن قباد هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستئمانها وإحصاء النخل والزيتون والجماجم ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جُمْل ذلك ، وأذن للناس إذنّاً عاماً ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الحمل التي استخرجت من أصناف غلات الأرض ، وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جِربان^(٢) هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع^(٣) ، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنجُم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا فتشّق أو شيء نكرهه . واحتجنا إلى تداركه أو حَسَمه ببذلنا فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدّة موجودة ، ولم نرد استئمانها على تلك الحال . فتأرون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

٩٦١/١

فلم يُشير عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينيس بكلمة ، فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى : أتضع أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على القاني من كِرم يموت ، وزرع يهيج^(٤) ، ونهر يغور ، وعين أو قنّاة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : يا ذا الكلّفة

(١) ح : « مبتاعاته » . (٢) الجربان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من الأرض ؛ فقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وستائة ذراع .

(٣) الوضيعة : ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . (٤) يهيج : ييبس .

المشثوم ، من أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتّاب ، فقال كسرى : اضربه بالدوى ^(١) حتى يموت ، فضربه بها الكتّاب خاصة تبرؤاً منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيّها الملك بما أنت ملزم منا من خراج .

وإن كسرى اختار رجالاً من أهل الرأى والنصيحة ، فأمرهم بالنظر فى أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون ورءوس أهل الجزية . ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته ، ورفاعة ^(٢) معاشهم ، ورفعها إليه . فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه فى ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم ، وهو الحنطة والشعير والأرز والكسرم والرطاب والنخل والزيتون ، وكان الذى وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً ، وعلى كل جريب أرض كسرم ثمانية دراهم ؛ وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً ، وعلى كل ست نخلات دقل ^(٣) مثل ذلك ؛ وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلا على كل نخل [فى] ^(٤) حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع . فقوى الناس فى معاشهم ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهربذة والكتّاب ؛ ومن كان فى خدمة الملك ، وصيروه على طبقات : اثني عشر درهماً وثمانية وستة وأربعة ، كقدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يألوا الجزية من كان أقى له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضاءها والاجتماع عليها فى السنة فى ثلاثة أنجم ، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله « الأمر المتراضى » ؛ وهى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتماع أهل الذمة عليها ، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كل

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحجر .

(٢) ح : « رفاهية » وهما بمعنى .

(٣) الدقل : أردأ التمر . (٤) من س

٩٦٣/١ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حنطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الأرض وعلى النخل والزيتون والحماحم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس . وأمر كسرى فدونت وضائعه نسخاً ، فاتخذت نسخة منها في ديوانه قبيله ، ودفعت نسخة إلى عمال الحراج ، ليجتباوا خراجهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكور ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكور والزيادة على أهل الحراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته ، وأن يرفعوا الحراج عن كل من أصاب زرعه أو شيئاً من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وتضمن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك ؛ ليأمر بحسبه للعمال ، وألا يخلوا بين العمال وبين اجتباء من أتى له دون عشرين سنة.

• • •

وكان كسرى ولي رجلاً من الكتاب - ناهياً بالنبل والمروءة والغناء والكفاية ، يقال له بابك بن البروان - ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إن أمرى لا يتم إلا بإزاحة عنتي في كل ما بي إليه الحاجة من صلاح أمر الملك في جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له في الموضع الذي كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سوسنجرد ونمط صوف فوقه ، ووضعت له وسائد لتكأته ، ثم جلس على ما فرش له ، ثم نادى مناديه في شاهد عسكر كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزمهم من السلاح ، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضره عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ؛ فأمرهم بالانصراف ، ونادى مناديه في اليوم الثاني بمثل ذلك ، فاجتمع إليه ^(١) الجند . فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا ^(٢) إليه ، وأمر مناديه أن ينادى في اليوم الثالث : ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرم بتاج وسرير ؛ فإنه عزم لا رخصة فيه ولا محابة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويعودوا » .

ليعرض عليه ، وكان الذي يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف^(١) ودرعا ، وجوشنا^(٢) ، وساقين ، وسيفاً ، ورمحاً ، وترساً ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتريهما ، وثلاثين بشابة ووترين مضفورين يعلقهما الفارس في مِغْضَر له ظهرياً .

فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهرهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنك أيها الملك واقف في موضع المعدلة التي لا محابة تكون منى معها ولا هواة ، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقتهما ، ثم غرد داعي بابك بصوته ، وقال : للكمي سيد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم الصرف . وكان يفضل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم .

٩٦٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غلظتي في الأمر الذي أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ؛ إنما هي لأن ينفذ لي عليه الأمر الذي وضعتني بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكاني^(٣) . فقال كسرى : ما غلظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعيّتنا ، وأقيم عليه أود ذى الأود منهم .

ثم إن كسرى وجّه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيّفان بن معد يكرب — ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذى يزن — جيشاً إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليها . فلمّا دانت لكسرى بلاد اليمن وجّه إلى سرتنديب من بلاد الهند — وهى أرض الجواهر — قائداً من قوّاده في جند كثيف ، فقاتل مليكها فقتله ، واستولّى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهرًا كثيراً .

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى ، فساقطت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشيروان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقة ، فدعا

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكاني » .

مَوْبَذَان مَوْبَذ ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاضل الناس ذلك ، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لهاونها ، فأخبرنا برأيك في ذلك .

فقال له موبذان مَوْبَذ : فإنني سمعت أيها الملك - عمرك الله - فقهاءنا يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدل الجور ، ويمحق ، بُلِيّ أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أن تنهى إليه أن فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزرائه وأصحاب أعماله ألا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ، فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون حاربهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .

٩٦٦/١

وكان لكسرى أولاد متآذبون ، فجعل الملك من بعده هُرْمُزُ ابنه الذي كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هُرْمُزُ الملك وقدرته على تدبير الملك ^(١) ورعيته ^(٢) ومعاملتهم .

* * *

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عهد كسرى أنوششروان ، عام قدّم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكة ، وساق فيه إليها الفيل ؛ يريد هدم بيت الله الحرام ؛ وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان . وفي هذا العام كان يوم جَبَلَة ، وهو يوم أتيام العرب مذكور .

(١) ح ، ن : « ملكه » .

(٢) ح ، ن : « ورعيته » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

قال : وسأل عثمان بن عفان قيس بن أشيم ، أخا بني عمرو بن لبيث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيت خذق^(١) الفيل أخضر محيلاً بعنقه بعام ، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده عبده . فقال ابنه : يا قيس ، أنت أعلم وما تقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المطلب ابن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن أبيه ، عن جدّه قيس بن مخزومة ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن ليدان^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين مضت من سلطان كسرى أنوشروان ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحدثت عن يحيى بن معين ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

حدثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ،

(١) خذق الفيل : روثه .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٧ ؛ لدان : مثني لدة ؛ وهو التراب .

قال : حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث ، قال : سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لقبات بن أشيم الكِنَافِي اللَّيْثِي : يا قبات ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلاً أعقله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول ؛ وقيل إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تُعرَف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ، فلم تزك في يد عقيل حتى توفي ، فباعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجاج بن يوسف ، فبنى داره التي يُقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيت في الدار ، حتى أخرجه الخيزران فجعلته مسجداً يصلي فيه .

٩٦٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون فيما يتحدث الناس — والله أعلم — أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع بالأرض فقلّو : أعيدّه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قُصور بُصّرى من أرض الشام ، فلمّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه . فأناه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمرت أن تسمّيه .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهري ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سُلَيْمان بن جبّير بن مُطعّم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سُوَيْد الثَّقَفِي ، عن

عثمان بن أبي العاص ، قال : حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ٩٦٩/١ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك ليل ولدته - قالت : فاشئ أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول : لتقعن علي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فبزمحمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به على هُبَل في جوف الكعبة ، فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس له الرضعاء ، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله ، بن الحارث ، بن شيجنة ، بن جابر ، بن رزام ، بن ناصرة ، بن فصيصة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى ، بن رفاعه ، بن ميلان ، بن ناصرة ، بن فصيصة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وخديمة^(١) ابنة الحارث وهي الشيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث . أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويؤمنون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن شيبه ، عن عميرة ابنة عبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برة ابنة

(١) قال السهيلي : « خديمة ، بكسر الخاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : حذافة ،

بالخاء المضمومة ، وبانفاء مكان الميم .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

أَبِي تُجْرَزَةَ، قَالَتْ : أَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبِيَّةُ ، ٩٧٠/١
 بَلْبَنَ ابْنِ لَهَا - يُقَالُ لَهُ مَسْرُوحٌ - أَيَّامًا قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ حَلِيمَةُ ؛ وَكَانَتْ
 قَدْ أَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَرْضَعَتْ بَعْدَهُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ
 عَبْدِ الْأَسَدِ الْخَزَوِيِّ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ -
 وَحَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 ابْنُ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحَارَبِيُّ ،
 عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ
 ابْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ - عَنْ الْجَهْمِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ مَوْلَى
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : كَانَتْ
 حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ .
 تُحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بِلْدِهَا مَعَهَا زَوْجُهَا وَابْنٌ لَهَا تَرْضَعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ
 بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ^(١) ، قَالَتْ : وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ
 لَمْ تُبْقِ شَيْئًا ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمَرَاءَ ، مَعَنَا شَارِفٌ ^(٢) لَنَا ؛ وَاللَّهُ
 مَا تَبَيَّضَ بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيَّتِنَا الَّتِي مَعِيَ مِنْ بَكَائِهِ مِنْ
 الْجُوعِ ، وَمَا فِي ثَدْيِي مَاءٌ يُغْشِيهِ ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْذُوهُ ^(٣) ، وَلَكِنَّا نَرْجُو
 الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ ؛ فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، فَلَقَدْ أَذْمَتُ ^(٤) بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجْفًا ، حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، فَمَا مِنَّا
 امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَبَّاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ
 يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : يَتِيمٌ ٩٧١/١

(١) الرضعا ؛ يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعا فهو جمع رضيع ؛ وأول السبيل رواية ابن
 إسحاق من وجهين ؛ أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعا ، والثاني أن يكون أراد
 بالرضعا الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً
 يرضع منه . (٢) الشارف من الإبل : المسنة المحرمة .

(٣) في ابن هشام : « ما يغذيه » .

(٤) قال السبيل : أذمت ، أي جاءت بما يذم عليه .

ما عسى أن تصنع أمه وجدّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قد مت معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : إني لأكرهه أن أرجع من بين صواحيبائي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك البيتيم فلا خدته ، قال : لا عليك أن تفعل ، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ! قالت : فذهبت إليه فأخذته وما حملني على ذلك إلا أني لم أجِد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياً بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما - وما كان ينام قبل ذلك - وقام زوجي إلى شرفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنتها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ، حتى انتهيناريًا وشبعنا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حين أصبحت : أتعلمين والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى تلك ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حمرهم ، حتى إن صواحي ليقلن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، اربعي علينا . أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لي هي ، فيقلن : والله إن لها لثأناً . قالت : ثم قدما منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويأتكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتروح أغنامهم جيعاً ماتبض^(١) بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً . فلم نزل نعرف من الله زيادة الخير به ، حتى مضت سستان وفصلته . وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(٢) ، فقد مثنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلّمنا أمه وقلنا لها : يا ظمّر ، لو تركت بتي عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة ! قالت :

٩٧٢/١

(١) اربعى : أقيى وانتظري ، ريع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانتظره .

(٢) الجفر : الشديد .

(٣) ماتبض : ماترشح .

فلم نزل بها حتى ردّ دناه معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد مقدّمنا به بأشهر مع أخيه في بهّم^(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه^(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نشتدّ ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قالت : فالتزمته والتزمته أبوه ، وقلنا له : مالك يا بنيّ ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاني فشقّا بطني فالتصا فيه شيئاً لا أدري ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خيائنا . قالت : وقال لي أبوه : والله يا حليلة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأدله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئّر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مكثه عندك ؟ قالت : قلت : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوفتُ الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا بشأنك . ، فاصدقيني خبرك ، قالت : فمدّني حتى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلاً والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لبنيّ لشأنًا ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنّه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسر منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لواضعٌ يديه بالأرض ، رافعٌ رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلق راشدة^(٣) .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزديّ ، قال : حدثنا محمد بن يعلى ، عن عمر بن صُبَيْح ، عن ثور بن يزيد الشاميّ ، عن مكحول الشاميّ ، عن شدّاد بن أوس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو مدّره قومه وسيدهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فمَثَلَ بين يدي النبيّ صلى الله عليه وسلم قائماً ، ونسبه

(١) البهم : الصغار من الغنم .

(٢) قال السهيليّ : « يقال : سطل اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط :

عود يضرب به » . (٣) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ - ١١٢ .

إلى جدّه ، فقال : يا بن عبد المطلب ، إننى أنبئتُ أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء ، ألا وإنك فوّتت بعظيم ، وإنما كانت الأنبياءُ والخلفاءُ في ٩٧٤/١ بينتين من بنى إسرائيل ، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان ، فما لك وللنبوة ! ولكن لكل قول حقيقة ، فأنبئتُ بحقيقة قولك ، وبدء شأنك ، قال : فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألتيه ، ثم قال : يا أخا بنى عامر ، إن لهذا الحديث الذى تسألنى عنه نبأً ومجلساً ، فاجلس ، فشئى رجلينه ثم برك كما يبرك البعير ، فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال : يا أخا بنى عامر ، إن حقيقة قولى وبدء شأنى ، أتى دعوة أبى إبراهيم ، وبشورى أخى عيسى بن مريم . وإننى كنت بكراً أمتى ، وإنها حملت بى كأثقل ما تحمّل ، وجعلت تشكى إلى صواحبها ثقل ما تجد . ثم إن أمتى رأيت فى المنام أن الذى فى بطنها نور ، قالت : فجعلت أتبع بصرى النور ، والنور يسبق بصرى ، حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها . ثم إننا ولدتني فنشأت ، فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش ، وبغضت إلى الشجر ، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر ، فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلى فى بطن واد مع أترباب لى من الصبيان نتقاذ بيننا بالجلّة ، إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملء ثلجاً ، فأخذوني من بين أصحابى ، فخرج أصحابى هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى ، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ، فإنه ليس منا ، هذا ابن سيد قريش ، وهو مسترضعُ فينا ، من غلام يتيم ليس له أب ، فإذا يرد عليكم قتله ، وماذا تصيبون من ذلك ! ولكن إن كنتم لا بد^(١) قاتليه ، فاختاروا منا أيتنا شتم ، فليأتكم مكانه فاقتلوه ، ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم . فلما رأى الصبيان القوم لا يُخبرون^(٢) إليهم جواباً ، انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحى ، يؤذنونهم ويستصرخونهم^(٣) على القوم ؛ فعمد أحدهم فأضجنى على الأرض

(٢) ط : « لا يخبرون »

(١) ح : « ولا »

(٣) ح : « مستصرخين »

إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ
إِلَيْهِ ، فَلَمْ ^(١) أَجِدْ لَذَلِكَ مَسًّا . ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ التَّلَجِ
فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا ، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ،
فَنَحَّاهُ عَنِّي ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَّعَهُ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سُودَاءَ ، فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ ؛ كَأَنَّهُ يَتَنَاولُ
شَيْئًا ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نَوْرِ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ
نُورًا ، وَذَلِكَ نُورُ النَّبَوَةِ وَالْحِكْمَةِ ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدَتْ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ
فِي قَلْبِي دَهْرًا ، ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ عَنِّي ، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ
مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي لِإِنْهَاضًا لَطِيفًا ، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي : زِنْنَهُ بِعَشْرَةِ
مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي
بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ .
فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ . قَالَ : ثُمَّ ضَمَمُونِي إِلَى
صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ ^(٢) قَالُوا : يَا حَبِيبُ ، لَمْ تُرْعَ ؛ إِنَّكَ
لَوْ تَدْرِي مَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّرْتَ عَيْنَاكَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ أَنَا
بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحِذَائِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي — وَهِيَ ظَهْرِي — أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى
صَوْتِهَا وَتَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ ! قَالَ : فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ،
فَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ! ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا وَحِيدَاهُ ! فَاذْكَبُوا
عَلَيَّ فَضَمَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا : حَبِّدَا
أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ! إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ . ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا يَتِيمَاهُ . اسْتَضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ
فَقَتِلْتَ لَضَعْفِكَ ، فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمَمُونِي ^(٣) إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي
وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ ! لَوْ تَعْلَمُ
مَاذَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ! قَالَ : فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَقِيرِ الْوَادِي ، فَلَمَّا بَصُرْتُ بِي

(١) كَذَا فِي ت ، ح ، وَ فِي ط : « لَمْ » . (٢) ح : « وَقَالُوا » .

(٣) ت ، ر : « وَضَمَمُونِي » .

أمّتي - وهي ظئري - قالت : يا بُنَيَّ ألا أراك حيّاً بعدُ ! فجاءت حتّى انكبّت علىّ وضممتني إلى صدرها ؛ فوالذي نفسي بيده ، إنني لفي حجرها وقد ضممتني إليها ، وإن يدي في يد بعضهم ، فجعلت ألتفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض ^(١) القوم : إن هذا الغلام قد أصابه لسم أو طائف من الجن ، فانطلقوا به إلى كاهنينا حتى ينظر إليه ويُدّأويه . فقلت : يا هذا ، ما بي شيء مما تذكر ، إن آرائي سليمة وفؤادي صحيح ، ليس بي قلبة ^(٢) . فقال أبي - وهو زوج ظئري - ألا ترون كلامه كلام صحيح ! إني لأرجو ألا يكون بابني بأس ^(٣) ، فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه ، فلمّا قصّوا عليه قصّتي قال : اسكُتوا حتّى أسع من الغلام ، فإنّه أعلمُ بأمره منكم ، فسألني ، فاقتصصت ^(٤) عليه أمرى ما بين أوله وآخره ، فلمّا سمع قولي ونسب إلىّ فضمتني ^(٥) إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يا لَلْعَرَب ، يا لَلْعَرَب ! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه ، فواللّات والعزى لئن تر كتموه وأدرك ، لَيُسَبِّدَنَّ دينَكُمْ وليُسْفِهَنَّ عقولَكُمْ وعقول آبائكم ، وليخالفنَّ أمركم ، وليأتينَّكم بدين لم تسمعوا بمثله قط ! فعصمت ظئري فانزعجتني من حجره وقالت : لأنّ أعتته وأجنّ من ابني هذا ! فلو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ، فاطلب لنفسك من يقتلك ، فإنّا غير قاتلي هذا الغلام . ثم احتملوني فأدّوني إلى أهلي فاصبحت مُفزعاً مما فعل بي ، وأصبح أثر الشقّ ما بين صدري إلى منتهى عاني كأنه الشراك ؛ فذلك حقيقة قولي وبدء شأني يا أخا بني عامر . فقال العامري : أشهد بالله الذي لا إله غيره ^(٦) أن أمرَك حق ^(٧) ، فأنبئتني

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بي قلبة ؛ أي ليس به شيء ؛ وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل في رهوها ، فيقلبها إلى فوق ؛ قال في اللسان : « ولا يستعمل إلا في النقي » .

(٣) ت ، ح : « شيء من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضمتني » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « لحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك - وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسائل : سل عما شئت ، وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : « سل عنك » ، لأنها لغة بني عامر ، فكلّمه بما عليم - فقال له العامري : أخبرني يا بن عبد المطلب ما يزيد في العليم ؟ قال : التعلّم ، قال : فأخبرني ما يدل على العليم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : السؤال ، قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟ قال : التهاذي ، قال : فأخبرني هل ينفع البر بعد الفجور ؟ قال : نعم ، التوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهب السيئات ، وإذا ذكر العبدُ ربّه عند الرّخاء ، أغاثه ^(١) عند البلاء ، قال العامري : وكيف ^(٢) ذلك يا بن عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأن الله يقول : لا وعزّتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أمّنين ، ولا أجمع له أبداً خوّقين ، إن هو خافني في الدنيا أمّنيّ يوم أجمع فيه عبادي عندي في حظيرة الفردوس ^(٣) ، فيلوم له أمّنه ، ولا أمّحقه ^(٤) ، فيمن أمّحق ، وإن هو أمّنيّ في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم ، فيلوم له خوفه ؛ قال : يا بن عبد المطلب ، أخبرني إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع الأنداد ، وتكفر باللات والعزى ، وتقرّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول ، وتصلّي الصلوات الخمس بمقائهن ، وتصوم شهراً من السنّة ، وتؤدى زكاة ماله ، يطهرك الله بها ويطيّب لك مالك ، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، وبالجنة ، والنار . قال : يا بن عبد المطلب ، فإذا فعلت ذلك فما لي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تركي » ^(٥) . قال : يا بن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فإنه يعجبني الوطاءة من العيش ! قال النبي

(١) ت ، ل : « أغاثه » .

(٢) ت ، ح : « كيف » .

(٣) ط : « القدس » ، وما أثبتته من ر .

(٤) ل : « أمّحق » .

(٥) سورة طه ٧٦

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نعم ، النَّصْرُ وَالتَّمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ . قال : فَأَجَابَ وَأَنَابَ .
 حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
 ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلَاعِيِّ ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، قال : نعم ،
 أَنَا دَعْوَةٌ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى ، وَرَأْتُ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي أَنَّهُ
 خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، وَاسْتَرْضِعَتْ
 فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيَّسْنَا أَنَا مَعَ أَخِي لِي خَلْفَ بَنِيوتِنَا نَرعى بِهِمَا لَنَا ،
 أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ بَطِشَتْ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلَجًا ، فَأَخَذَانِي ،
 فَشَقَّاهُ بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً سَوْدَاءَ ،
 فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلَجِ حَتَّى انْقَيَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا
 لِسَاحِبِهِ : زَنَّهُ بَعْشَرَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زَنَّهُ بِمِائَةِ
 مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زَنَّهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي
 بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : دَعْنِي عَنْكَ ، فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَتْهَا ^(١) .

قال ابن إسحاق : هلك عبدُ الله بن عبدِ المطلب أبو رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وأمُّ رسولِ الله آمنةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة حاملٌ به .
 وأمَّا هشام فإنه قال : توفِّيَ عبدُ الله أبو رسولِ الله ، بعدَ ما أتى على رسولِ ٩٨٠/١
 الله صَلَّى الله عليه وسلم ثمانيةٌ وعِشْرُونَ شهرًا .

حدثني الحارث ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قال : قال محمد بن عمر
 الواقدي : الثَّبَتُ عِنْدَنَا مِمَّا لَيْسَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِيهِ اخْتِلَافٌ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
 عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ ، فَتَزَلَّ بِالْمَدِينَةِ — وَهُوَ مَرِيضٌ —
 فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى تَوَفَّيَ ، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ ، فِي الدَّارِ الصَّغْرَى إِذَا دَخَلْتَ
 الدَّارَ عَلَى يَسَارِكَ فِي الْبَيْتِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنةُ ، تَوَفَّيَتْ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ سِتِّ
 سِنِينَ — بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ الْمَدِينَةَ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ

بنى عدي بن النجَّار تزيُّره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة ^(١) .

وقد حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدَّثني ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أن قبر آمنه بنت وهب في شعب أبي ذر بمكة .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب توفِّيَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمانى سنين ؛ وكان بعضهم يقول : توفِّيَ عبد المطلب ورسول الله ابن عشرين سنين ^(١) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثنا طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أبي طالب بعد جدّه عبد المطلب ، فيُصْبِحُ ولد عبد المطلب غُمَصًا رُمَصًا ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صَقِيلًا دهنيًا ^(٢) . ٩٨١/١

• • •

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباد أنوشروان

حدَّثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : حدَّثنا أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي ، قال : حدَّثني مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه - وأنت له خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت ليلة وُلِدَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ^(٣) ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى المؤبذ أن إبلاً صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها . فلمّا أصبح كسرى أفزعته ما رأى ، فصبر تشجّعاً ، ثم رأى ألاّ يكتم ذلك عن وزرائه ومرآزبيته ، فليس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

(١) الخبر في ابن هشام ١ : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والقص والرصد : البياض الذي يجتمع في زوايا الأجفان .

(٣) الفائق : « ألف عام » .

فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَدَعَاهُمْ . فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بِخُمودِ النَّارِ فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ ، فَقَالَ الْمُؤْبَذَانِ : وَأَنَا أَصْلَحُ اللَّهُ الْمَلِكُ ! قَدْ رَأَيْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ... وَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا فِي الْإِبْلِ . فَقَالَ : أَى شَيْءٍ يَكُونُ هَذَا يَا مُؤْبَذَانِ ؟ - وَكَانَ أَعْلَمُهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ بِذَلِكَ - فَقَالَ : حَادِثٌ يَكُونُ مِنْ عِنْدِ الْعَرَبِ ، فَكُتِبَ عِنْدَ ذَلِكَ :

مِنْ كَسْرِي مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، أَمَّا بَعْدُ ؛ فُوجِهْ إِلَى رَجُلًا عَالِمًا بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ .

فُوجِهْ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَبِيبَانَ بْنِ بُقَيْلَةَ الْغَسَّانِي ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : أَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيُخْبِرْنِي الْمَلِكُ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ، وَإِلَّا أَخْبِرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ لَهُ ، فَأَخْبِرَهُ ٩٨٢/١ بِمَا رَأَى ؛ فَقَالَ : عِلْمٌ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ ، يَقَالُ لَهُ سَطِيعُ ، قَالَ : فَأَتَيْهِ فَاسْأَلْهُ عَمَّا سَأَلْتُكَ ، وَأَتِنِي بِجَوَابِهِ . فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَسِيحِ رَاحِلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيعُ - وَقَدْ أَشْنَى عَلَى الْمَوْتِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ ، فَلَمْ يُجِبْ سَطِيعُ جَوَابًا ، فَأَنْشَأَ عَبْدُ الْمَسِيحِ يَقُولُ :

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَنِ ! يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَغَيْتَ مَنْ وَمَنْ
أَمْ فَازَ فَازَلَمْ بِهِ شَأْوُ الْعَيْنِ^(١) أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذُنَيْبِ بْنِ حَجَّجَنْ أَزْرَقَ مُمَهِّي النَّابِ صَرَّارُ الْأُذُنِ^(٢)
أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنِ رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنِ
يَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عِلْدَاءُ شَزَنْ^(٣) تَرْفَعُنِي وَجَنْ وَتَهْوِي بِي وَجَنْ^(٤)
لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَلَّاجِي وَالْقَطَنْ

(١) الفائق : « فاد » ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) مهي : محدد .

(٣) العندي : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزن : الشيطان .

(٤) الوجين : الغليظ من الأرض ، جمعه وجن .

تَلَفَهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاهُ الدَّمْنُ كَأَنَّمَا حُشِحَتْ مِنْ حِضْنِي ثَكْنٌ^(١)

فلما سمع سطيح شعزّه ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جملِ يسح^(٢) ، إلى سطيح ، وقد أوقى على الصّريح ، بعتك ملكُ بني ساسان ، لارتجاسِ الإيوان ، وخمودِ النيران ، ورؤيا الموبّدان . رأى إبلاً صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قَطَعَتْ دَجْلَةً وانتشرت في بلادها ؛ يا عبدُ المسيح : إذا كُثِرَتِ التلاوة ، وبُعِثَ صاحبُ الهراوة ، وفاض وادى السّماوة ، وغاضتُ بحيرةُ ساوة ، وخَمَدَتِ نارُ فارس ، فليستِ الشّامُ لِسَطِيحٍ شأما ؛ يملكُ منهم ملوكٌ ومليكات ، على عَدَدِ الشّرفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثمّ قضى سطيح مكانه ، فقام عبدُ المسيح إلى رحله وهو يقول :

شَمَّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الهمِّ شَمِيرٌ لَا يُفْزِعُكَ تَفَرِّيقٌ وَتَغْيِيرٌ
إِنَّ يَكْ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاوِيرُ
مِنْهُمْ أَخَوَالِ الصَّرِيحِ مِهْرَانٌ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ فَمَنْ عِلِمُوا أَنَّ قَدْ أَقَلَّ ، فَهَجُورٌ وَمَحْقُورٌ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورٌ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مُحْدُورٌ

٩٨٤/١

فلما قدّم عبدُ المسيح على كِسْرَى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور .

فَمَلَكَتْ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ أَرْبَعِ سَنِينَ ، وَمَلَكَ الْبَاقُونَ إِلَى مَلِكِ عُمَانَ بْنِ عُمَانَ^(٣) .

* * *

(١) البوغاء : دقاق التراب ، وحشيت : حث وأسرع . وثكن : اسم جبل .

(٢) ر : « شيح » .

(٣) الخبر في الفائق ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : بَعَثَ وَهْرُزُ بِأَمْوَالٍ وَطُرِفَ مِنْ طُرْفِ الْيَمَنِ إِلَى كَسْرَى ، فَلَمَّا صَارَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، دَعَا صَعْنَصَةَ ابْنَ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ الْمُجَاشِعِيِّ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى الْوُثْبِ عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي بِلَادِ بَنِي يَرْبُوعٍ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَهَابُوهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي يَرْبُوعَ ، كَأَنِّي بِهَذِهِ الْعِيرِ قَدْ مَرَّتْ بِلَادُ بَكْرَيْنِ وَائِلٍ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهَا فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى حَرِّ بَيْكُمُ ! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْتَهَبُوا ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيطٍ يَقَالُ لَهُ النَّطِيفُ خُرْجًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَانَ يَقَالُ : « أَصَابَ كَثْرَ النَّطِيفِ » ؛ فَصَارَ مِثْلًا ؛ وَأَخَذَ صَعْنَصَةَ خَصْفَةً ^(١) فِيهَا سِبَائِكُ فِضَّةٍ ، وَصَارَ أَصْحَابُ الْعِيرِ إِلَى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ ، فَكَسَاهُمْ ، وَزَوَّدَهُمْ وَحَمَلَهُمْ ، وَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كَسْرَى . وَكَانَ لِهَوْدَةَ جَمَالٌ وَبَيَّانٌ ، فَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى وَحَفِظَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِعَقْدٍ مِنْ دُرٍّ فَقَعَدَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَكَسَاهُ قَبَاءَ دِيبَاجٍ ، مَعَ كَسُوَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ هَوْدَةُ ذَا التَّاجِ ؛ وَقَالَ ٩٨٥/١ كَسْرَى لِهَوْدَةَ : أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنْ قَوْمِكَ هُمْ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَصْلَحُ هُمْ لَكَ ؟ قَالَ : بَيْنَنَا الْمَوْتُ ، قَالَ : قَدْ أَدْرَكْتُ بَعْضَ حَاجَتِكَ [وَنَلْتِ تَأْرُكُ] ^(٢) . وَعَزَمَ عَلَى تَوْجِيهِ الْحَيْلِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ سُوءٍ ، إِنَّمَا هِيَ مَفَاوِزُ وَصَحَارَى لَا يَهْتَدَى لِمَسَالِكِهَا ، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْآبَارِ ، وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُعَوَّرُوَهَا فِيهِلِكَ جَنْدُكَ . وَأَشِيرَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرَيْنِ وَهُوَ آزَادُ فَرُوزِ بْنِ جُشْنَسَاسٍ الَّذِي سَمَّيْتُهُ الْعَرَبِ الْمُكْعَبِيرِ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُكْعَبِيرِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ وَأَلَى الْأَلَا يَدْعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَيْنًا تَطْرِفُ - فَفَعَّلَ ؛ وَوَجَّهَ لَهُ رَسُولًا . وَدَعَا بِهِوَ فَجَدَّدَ لَهُ كَرَامَةً وَصِلَةً وَقَالَ : سِرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا فَاشْفِنِي وَاشْتَفِ ، فَأَقْبَلَ هَوْدَةُ وَالرَّسُولُ مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمُكْعَبِيرِ ، وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ أَيْتَامِ اللَّقَاطِ ^(٣) ، وَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ يَصِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى هَجَرٍ ، لِلْمِيرَةِ وَاللَّقَاطِ . فَنَادَى مُنَادِي الْمُكْعَبِيرِ : مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَلْيَسْحَضِرْ

(١) الخَصْفَةُ : وَعَاءٌ مِنْ خَوْصٍ . (٢) مِنْ ح .

(٣) اللَّقَاطُ ، بِالضَّمِّ : جَمْعُ اللَّقَاطَةِ ؛ وَهُوَ مَا التَّقَطَّ مِنْ كَرْبِ النَّخْلِ بَعْدَ الصَّرَامِ .

فإن الملك قد أمر لَهِمَّ بِمِرَّةٍ وطعام يُتَقَسَّمُ فِيهِمْ ؛ فحَضَرُوا ، فَأَدْخَلَهُمُ الْمُشَقَّرَ - وَهُوَ حَصْنٌ حَيَّيَالَهُ حَصْنٌ يُقَالُ لَهُ الصَّقَا ، وَبَيْنَهُمَا نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ مَحَلَمٌ - وَكَانَ الَّذِي بَنَى الْمُشَقَّرَ رَجُلًا مِنْ أَسَاوِرَةَ كَسْرَى يُقَالُ لَهُ : «بَسَكُ بْنُ مَاهُودٍ» ، كَانَ كَسْرَى وَجْهَهُ لَبَنَاءَهُ ، فَلَمَّا ابْتَدَأَهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفَعْلَةَ

٩٨٦/١

لَا يَقِيمُونَ هَذَا الْمَوْضِعَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ نِسَاءٌ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ تَمَّ بِنَاؤُكَ ، وَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَتَفَرَّغُوا مِنْهُ ؛ فَنَقَلَ إِلَيْهِمُ الْفَوَاجِرَ مِنْ نَاحِيَةِ السَّوَادِ وَالْأَهْوَازِ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِمْ رَوَايَا الْخَمْرِ مِنْ أَرْضِ فَارَسٍ فِي الْبَحْرِ ، فَتَنَّا كَتَحُوا وَتَوَالَدُوا ، فَكَانُوا ^(١) جُلَّ أَهْلِ مَدِينَةِ هَجَرَ ، وَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ قَالُوا لِعَبْدِ الْقَيْسِ : قَدْ عَلِمْتَ عَدَدَنَا وَعُدَّتَنَا وَعَظِيمَ غَنَائِنَا ، فَأَدْخِلُونَا فِيكُمْ وَزَوْجُونَا ، قَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ أَقِيمُوا عَلَى حَالِكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَمَوَالِينَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ : يَا مُعَاشِرَ عَبْدِ الْقَيْسِ ، أَطِيعُونِي وَالْحَقُّوهُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ مَرْغَبٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَمَا تَسْتَحْيُ ! أَتَأْمُرُنَا أَنْ نُدْخِلَ فِينَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ ! قَالَ : إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَلْحَقَهُمْ غَيْرُكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ : إِذَا لَا نَسْتَوْحِشْ لِمِ ؛ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ فِي الْعَرَبِ ، وَبَقِيَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ فَاثْتَمَرُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَدْخَلَ الْمَكْعِبِرُ بَنِي تَمِيمِ الْمُشَقَّرَ قَتَلَ رَجُلًا وَاسْتَبَقَى الْغُلَمَانَ ، وَقَتَّلَ يَوْمَئِذٍ قَعْنَسَبَ الرِّيَاحِيِّ - وَكَانَ فَارَسٌ بَنَى يَرْبُوعَ - قَتَلَ رَجُلَانِ مِنْ شَنْ ^(٢) كَانَا يَنْوَبَانِ الْمُلُوكَ ؛ وَجَعَلَ الْغُلَمَانُ فِي السُّفْنِ ، فَعَبَّرَ بِهِمْ إِلَى فَارَسَ ، فَخَصَّصُوا مِنْهُمْ بَشَرًا . قَالَ هَبِيرَةُ بْنُ حُدَيْرِ الْعَدَوِيِّ : رَجَعَ إِلَيْنَا بَعْدَ مَا فَتَحْتَ إِصْطَخَرَ عِدَّةً مِنْهُمْ ، أَحَدُهُمْ خَصِيٌّ وَالْآخَرُ خِيَّاطٌ . وَشَدَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ وَهْبٍ عَلَى سُلْسَلَةِ الْبَابِ فَقَطَّعَهَا وَخَرَّجَ ، فَقَالَ :

١٨٧/١

تَذَكَّرْتُ هُنْدًا لَا تَحِينَ تَذَكَّرُ تَذَكَّرْتُهَا وَدُونَهَا سَيْرُ أَشْهُرٍ
حِجَازِيَّةٌ غُلُوبَةٌ نَحَلَّ أَهْلِهَا مُصَابِ الْخَرِيفِ بَيْنَ زُورٍ وَمِنُورٍ ^(٣)

(١) ح : « وَكَانُوا » .

(٢) بَنُو شَنْ ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَانْظُرِ الْاِشْتِقَاقَ ٣٢٥

(٣) ر ، ل : « مُصَابِ الْخَرِيفِ » .

أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي عَلَى النَّأْيِ أَنَّنِي حَمَيْتُ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الْمُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتَاجَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرٍ
وَكَلَّمَ هُوَذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُكَعْبِيرِ يَوْمَئِذٍ فِي مَائَةِ مَنْ أُسْرَى بَنِي تَمِيمٍ ،
فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ، فَأَعْتَقَهُمْ ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى :

سَائِلُ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعًا^(١)
وَسَطَ الْمُشَقَّرِ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
فَقَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مِائَةً^(٢) رِسْلًا مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَارَفًا
فَفَكَ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ إِسَارَهُمْ^(٣) وَأَضْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلَّةِ خِلْعَا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ضَاحِيَةً^(٤) يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أَسَدَى وَمَا صَنَعَا^(٥)
فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُم رِيعَةً سَبَقَتْ إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسِعَا ٩٨٨/١
يَصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ .

قال : فلما حضرت وهزِرَ الوفاة - وذلك في آخر ملك أنوشِروان -
دعا بقومه ونشأته ، ثم قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فرى وقال : انظروا حيث
وقعت نُشَابَتِي فاجعلوا نَافُوسِي هناك ، ف وقعت نُشَابَتُهُ من وراء الدَّيْرِ ،
وهي الكنيسة التي عند نَعْم ، وهي تسمى اليومَ مَقْبَرَةَ وَهَزِرَ ؛ فلمَّا بلغ
كِسْرَى مَوْتَ وَهَزِرَ ، بَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ أَسْوَارًا يَقَالُ لَهُ وَيْنُ^(٦) ، وكان جَبَّارًا
مُسْرِفًا ، فَعَزَلَهُ هَرْمُزُ بْنُ كِسْرَى ، واستعمل مكانه المَرْوَزَان ، فأقام

(١) من قصيدة في ديوانه ٧٢ - ٨٧ ، والضرع ، بفتحين : الدليل الضعيف .

(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .

(٣) الديوان : « وثاقهم » .

(٤) الديوان : « يوم الفتح » .

(٥) الديوان : « سدى » .

(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما في التصريعات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبلغَ ولده . ثم هلك كِسْرَى أنوشِروان ،
وكان مُلْكُهُ ثَمَانِيًا وأربعين سنة .

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُز بن كِسْرَى أنوشروان ، وكانت أمُّه ابنة خاقان
الأكبر ، فحدثتُ عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُز بن كِسْرَى
هذا كثيرَ الأدب ، ذا نِيَّةٍ في الإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين ، والحمل على
الأشراف ، فعادَوه وأبغضوه ، وكان في نفسه عليهم مثلُ ذلك ، ولمَّا عُنِقِدَ
التاجُ على رأسه ، اجتمعَ إليه أشرافُ أهلِ مَمْلَكَتِهِ ، واجتهدوا في الدِّعاء
له والشكر لوالده ، فوعدهم خيرًا . وكان مُتَحَرِّيًا للسيرةِ في رعيَّتِهِ بالعدل ،
شديدًا على العُظماء لاستطالتهُم كانت على الوُضْعاء ، وبلغ من عدله أنَّه
كان يسير إلى ماه ليصيف ، فأمر فنُودِيَ في مسيره ذلك في جُنْدِهِ وسائر من
كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الحُرُوث ولا يضرّوا بأحد من الدَّهَّاقين
فيها ، ويضبطوا دوابَّهُم عن الفساد فيها ، ووكل بتعاهد ما يَكُون في عسكره
من ذلك ومعاقبه من تعدّي أمره .

٩٨٩/١

وكان ابنه كِسْرَى في عسكره ، فعار مركب^(١) من مراكبِهِ ووقع
في مَحَرَّةٍ من المحارث التي كانت على طريقه فرقع فيها وأفسد منها ،
فأخذَ ذلك المركب ، ودُفِعَ إلى الرَّجُل الذي وُكِّلَ هُرْمُز بمعاقبه من أفسد
أو دَابَّتْهُ شَيْئًا من المحارث وتغريمه . فلم يقدر الرَّجُل على إنفاذ أمر هُرْمُز
في كسرى ، ولا في أحدٍ مِمَّنْ كان معه في حَشَمِهِ ، فرقع ما رأى من إفساد
ذلك المركب إلى هُرْمُز ، فأمر أن يجِدَعَ أذنيه ، ويبتَرَّ ذَنَبَهُ ، ويغرَّم
كسرى ؛ فخرج الرَّجُل من عند هُرْمُز لينفِذ أمره في كِسْرَى ومركبه
ذلك ، فدرس له كِسْرَى رَهْطًا من العُظماء ليسألوه التَّغْيِيبَ في أمره ،
فلقوه وكَلَّمُوهُ في ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخِّر ما أمر به هُرْمُز في
المركب حتى يكلّموه فيأمر بالكف عنه ، ففعل . فلقى أولئك الرَّهْطَ هُرْمُز

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدَّابَّة .

وأعلموه أن بالمركب الذى أفسد ما أفسد زعارة^(١)، وأنه عار فوقع في محرته؛ فأخذ من ساعة وقع فيها، وسأله أن يأمر بالكف عن جدعه وتبتيه لما فيها من سوء الطيرة على كسرى. فلم يجبههم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالركب فجذع أذناه، وبشتر ذنبه، وغرم كسرى مثل ما كان يغرم غيره ٩٩٠/١ في هذا الحد، ثم ارتحل من معسكره. وكان هرمز ركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم إلى ساباط المدائن، وكان ممره على بساتين وكروم، وإن رجلاً ممن ركب معه من أساورته اطلع في كرم فرأى فيه حصرياً، فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل واطبخها بليحم واتخذ منها مرققة فإنها نافعة في هذا الإبان^(٢). فأتاه حافظ ذلك الكرم فلنزمه وصرخ، فبلغ [من]^(٣) إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب كانت عليه، عوضاً له من الحصرم الذى رزأ من كرمه، وافتدى نفسه بها، ورأى أن قبض الحافظ إياها منه وتخليته عنه، منة من بها عليه، ومعروف أسداه إليه. وقيل إن هرمز كان مظفراً منصوراً لا يمد يده إلى شيء إلا ناله، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً ردىء النية، قد نزع أخواله الأتراك، وكان مقصياً^(٤) للأشراف، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وسمائه رجل، وإنه لم يكن له رأى إلا في تألف السفلة واستصلاحهم، وإنه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأسقطهم وخط مراتبهم ودرجاتهم، وجهز الجنود وقصر بالأساورة ففسد عليه كثير ممن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم؛ ولكل شيء سبب. وإن الهرايزدة رفعوا اليه قصة يبغون فيها على النصارى، ٩٩١/١ فوقع فيها: إنه كما لا قوام لسرير ملئنا بقائمته المقدمتين دون قائمته

(١) الزعارة، بتخفيف الراء أو تشديدها: شراسة الطبع.

(٢) ل: «الأوان».

(٣) من ح.

(٤) ل: «مغضباً».

المؤخرتين ، فكَذَلِكَ لَاقِيَوَامَ لِلْمَكِينَا وَلَا ثَبَاتَ لَهُ ، مَعَ اسْتِفْسَادِنَا مَنْ فِي بِلَادِنَا
مِنَ النَّصَارَى وَأَهْلِ سَائِرِ الْمِلَلِ الْخَالِفَةِ لَنَا ؛ فَأَقْصِرُوا عَنِ الْبَغْيِ عَلَى النَّصَارَى ،
وَوَاضِعُوا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ لِيَرَى ذَلِكَ النَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ
[وَالْأَدْيَانِ] ، ^(١) فِيحْمَدُوكُمْ عَلَيْهِ ، وَتَتَوَقَّ أَنْفُسُهُمْ إِلَى مِلَّتِكُمْ .

وَحَدَّثَنِي عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَى هِرْمِزِ التُّرْكِ - وَقَالَ غَيْرُهُ :
أَقْبَلَ عَلَيْهِ ^(٢) شَابَةُ مَلِكِ التُّرْكِ الْأَعْظَمِ - فِي ثَلَاثَةِ أَلْفِ مَقَاتِلٍ ، فِي سَنَةِ إِحْدَى
عَشْرَةَ مِنْ مَمْلُوكِهِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى بَادْغِيْسٍ وَهَرَاةَ . وَإِنَّ مَلِكَ الرُّومِ صَارَ
إِلَى الضَّوْحَى فِي ثَمَانِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ قَاصِداً لَهُ ، وَإِنَّ مَلِكَ الْخَزَرِ صَارَ فِي
جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ ، فَعَاثَ وَأَخْرَبَ ، وَإِنَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ
يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا : عَبَّاسُ الْأَحْوَالِ ، وَالْآخَرُ : عَمْرُو الْأَزْرَقِ ، نَزَلَا فِي جَمْعٍ
عَظِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ السَّوَادِ ، وَاجْتَرَأَ
أَعْدَاؤُهُ عَلَيْهِ وَغَزَوْا بِلَادَهُ ، وَبَلَغَ مِنْ اكْتِسَافِهِمْ إِيَّاهَا أَنَّهَا سُمِّيَتْ مَنْخَلًا
كَثِيرَ السَّمَامِ . وَقِيلَ : قَدْ اكْتَنَفَ بِلَادَ الْفَرَسِ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَاكْتِنَافِ
الْوَرَسِيَّتِيِّ الْقَوْسِ . وَأُرْسِلَ شَابَةُ مَلِكِ التُّرْكِ إِلَى هِرْمِزٍ وَعِظَامَةِ الْفَرَسِ بِؤْذَنِهِمْ
بِاقْبَالِهِ فِي جُنُودِهِ ، وَيَقُولُ : رُمُّوا قَنَاظِرَ أَنْهَارٍ وَأَوْدِيَةَ أَجْتَازُ عَلَيْهَا إِلَى بِلَادِكُمْ ،
وَاعْقِدُوا الْقَنَاظِرَ عَلَى كُلِّ نَهْرٍ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ لَاقَنْطَرَةَ لَهُ ، وَافْعَلُوا ذَلِكَ فِي
الْأَنْهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ الَّتِي عَلَيْهَا مَسَلِكِي مِنْ بِلَادِكُمْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، لِاجْتِمَاعِي
بِالسَّيْرِ إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِكُمْ . فَاسْتَفْظَعَ هِرْمِزٌ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَاوَرَ
فِيهِ ، فَأَجْمَعَ لَهُ عَلَى الْقَصْدِ لِمَلِكِ التُّرْكِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ
يَقَالُ لَهُ بُهْرَامُ بْنُ بَهْرَامٍ جُسْنَسَ - وَيَعْرِفُ بِعَجُوبَيْنِ - فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
رَجُلٍ ، اخْتَارَهُ بِهْرَامٌ عَلَى عَيْنِيهِ مِنَ الْكُهُولِ دُونَ الشَّبَابِ . وَيَقَالُ : إِنَّ
هِرْمِزَ عَرَضَ ذَلِكَ الْوَقْتَ مَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الدِّيَوَانِيَّةِ ، فَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ
سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَضَى بِهْرَامُ بَيْنَ ضَمٍّ إِلَيْهِ مُغْدًا حَتَّى جَازَ هَرَاةَ
وَبَادْغِيْسَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ شَابَةُ بِبَهْرَامٍ حَتَّى نَزَلَ بِالْقَرْبِ مِنْهُ مُعَسِّكِرًا ، فَجَرَتْ

٩٩٢/١

(١) مِنْ ح .

(٢) ر : « إِلَيْهِ » .

بَيْنَهُمَا رَسَائِلٌ وَحُرُوبٌ، وَقَتَلَ بِهَرَامٌ شَابَةَ بَرَمِيَّةَ رَمَاهُ لِيَأْهَا. وَقِيلَ : إِنْ الرَّجَى فِي مَلِكِ الْعَجَمِ كَانَ لثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، مِنْهَا رَمِيَّةُ أُرَشْشِيَاطِينَ بَيْنَ مَنُوشَهْرٍ ، وَأَفْرَاسِيَابَ^(١) ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ سُوخْرَا فِي التَّرَكِّ ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ بِهَرَامٍ هَذِهِ . وَاسْتَبَاحَ ٩٩٣/١ عَسْكَرَهُ وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ ، فَوَافَاهُ بِرَمُودَةَ بِنِ شَابَةَ ، وَكَانَ يَعْدِلُ بِأَبِيهِ ، فَحَارَبَهُ فَهَزَمَهُ ، وَحَصَرَهُ فِي بَعْضِ الْحَصُونِ ، ثُمَّ أَلْحَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَسْلَمَ لَهُ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى هَرْمَزٍ أَسِيرًا ، وَغَنِمَ مِمَّا^(٢) كَانَ فِي الْحَصَنِ [وَكَانَتْ]^(٣) كَنْزًا عَظِيمَةً^(٤) .

وَيَقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ إِلَى هَرْمَزٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوْهَرِ وَالْأَنْيَةِ وَالسَّلَاحِ وَسَائِرِ الْأُمْتَعَةِ مِمَّا غَنِمَهُ وَقَرَّ مَائَتِي أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَشَكَرَ هَرْمَزٌ لِبَهْرَامٍ مَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبِ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ بِهَرَامٍ سَطْوَةَ هَرْمَزٍ ، وَخَافَ مِثْلَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ ، فَخَلَعُوا هَرْمَزًا وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَأَظْهَرُوا الْأُمْتِعَاضَ مِمَّا كَانَ مِنْ هَرْمَزٍ ، وَأَنَّ ابْنَهُ أَبَرْوِيزَ أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ مِنْهُ . وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِحَضْرَةِ هَرْمَزٍ ، فَهَرَبَ أَبَرْوِيزُ بِهَذَا السَّبَبِ إِلَى آذَرْبِيجَانِ خَوْفًا^(٥) مِنْ هَرْمَزٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْمَرَازِبَةِ وَالْإِصْبَهَنِيِّينَ ، فَأَعْطَوْهُ بَيْعَتَهُمْ ، وَوَثَبَ الْعِظْمَاءُ وَالْأَشْرَافُ بِالْمَدَائِنِ ، وَفِيهِمْ بِنْدِيُّ وَبِسْطَامُ خَالَا أَبَرْوِيزَ ، فَخَلَعُوا هَرْمَزَ وَسَمَلُوا^(٦) عَيْنَيْهِ وَتَرَكَوهُ تَحَرُّجًا مِنْ قَتْلِهِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبَرْوِيزَ ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ شَايَعَهُ^(٧) مِنْ آذَرْبِيجَانٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ مُسَابِقًا لِبَهْرَامٍ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا اسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ وَتَحَرَّزَ مِنْ بِهَرَامٍ ، وَالتَقَى هُوَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَأَنْ ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاظَرَةٌ وَمُوَاقِفَةٌ ، وَدَعَا أَبَرْوِيزُ بِهَرَامَ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَهُ وَيَرْفَعَ رَتَبَتَهُ وَيُسَنِّيَ وِلَايَتَهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَجَرَتْ ٩٩٤/١ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ اضْطَرَّتْ أَبَرْوِيزَ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى الرُّومِ مُسْتَعِثًا بِمُلْكِهَا بَعْدَ حَرْبٍ

(١) ط : فراسيات ، وأثبت مافي الشاهنامه .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سل عينيه : فقأهما بحديدة محمأة . (٧) ر : « بايعة » .

شديدة وبيات كان من بعضهم لبعض . وقيل إنَّه كان مع بهرام جماعة من الأشداء ، وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسياتهم^(١) وشدتهم من الأتراك أحد ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلما كان الغد من ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتناقلوا عليه ، قصده نفر الثلاثة من الأتراك ، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحداً واحداً ، ثم انصرف من المعركة وقد أحسن من أصحابه بالفتور والتغير ، فصار إلى أبيه بطيسبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه وشاوره ، فأشار عليه بالمصير إلى موزيق ملك الروم ليستنجد ، فأحرز حرمة في موضع أمين عليهم بهرام ، ومضى في عدة يسيرة ؛ منهم يندى ويسطام وكردى أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنطاكية ، وكاتب موزيق فقبيله ، وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه^(٢) ، يقال لها : مريم . وكان جميع مدة ملك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأمّا هشام بن محمد فإنه قال : كان ملكه اثنتي عشرة سنة .

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ؛ وكان من أشد ماوكلهم بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ - فيما ذكر - من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعدة^(٣) الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه ، ولذلك سمي أبرويز ، وتفسيره بالعربية : « المظفر » . وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز - لِمَا كان من احتيال بهرام جوبين في ذلك ، حتى أوهم هرمز أنه على أن يقوم بالملك لنفسه دونه - سار إلى آذربيجان مكتتماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من الإصبهانيين وغيرهم ، فأعطوه بيعتهم على نصرته ؛ فلم يحدث في الأمر شيئاً . وقيل إنَّه لما قتل آذينة شمس الموجه لمحاربة بهرام جوبين ، انقض

٩٩٥/١

(١) ط : « فروسياتهم » وما أثبتته من ت ، ل . (٢) ح : « عنده » . (٣) كذا في ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبَعَهُمْ جَوِيين ، فاضطرب أمر هرمز ، وَكَتَبَتْ أُخْتُ أَذِيْنَجُشْنَسَ إِلَى أَبَرْوِيز - وَكَانَتْ تَرْبُهُ - نَخْبِرُهُ بِضَعْفِ هَرْمَزَ لِلْحَادِثِ فِي أَذِيْنَجُشْنَسَ ، وَأَنَّ الْعِظَمَاءَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى خَلْعِهِ ، وَأَعْلَمْتَهُ أَنَّ جَوِيينَ إِن سَبَقَتْهُ إِلَى الْمَدَائِنِ قَبْلَ مُوَفَاتِهِ اِحْتَوَى عَلَيْهَا .

فلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى أَبَرْوِيزَ ، جَمَعَ مِنْ أَمْسِكَ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذَرَبَيْجَانٍ ، وَصَارَ^(١) بِهِمْ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ وَالْأَشْرَافُ مَسْرُورِينَ بِمُوَفَاتِهِ ، فَتَتَوَّجَ بِتَاجِ الْمَلِكِ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ مِنْ مَلَّتِنَا لِإِثَارِ الْبِرِّ ، وَمِنْ رَأَيْنَا الْعَمَلَ بِالْخَيْرِ ، وَإِنْ جَدْنَا كِسْرَى بْنَ قُبَادَ كَانَ لَكُمْ بِمِثْلَةِ الْوَالِدِ ، وَإِنَّ هَرْمَزَ أَبَانَا كَانَ لَكُمْ قَاضِيًا عَادِلًا ، فَعَلَيْكُمْ بِلُزُومِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . ٩٩٦/١
فلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، أَتَى أَبَاهُ فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ : عَمَّرَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا أَتَى إِلَيْكَ الْمُنَافِقُونَ ، وَأَنِّي إِنَّمَا تَوَارَيْتُ وَلَحِقْتُ بِأَذَرَبَيْجَانٍ خَوْفًا مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَى الْقَتْلِ . فَصَدَّقَهُ هَرْمَزٌ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي لِي إِلَيْكَ يَا بُنَيَّ حَاجَتَيْنِ ، فَاسْعِفْنِي بِهِمَا ؛ إِحْدَاهُمَا : أَنْ تَنْتَقِمَ لِي مِمَّنْ عَاوَنَ عَلَى خَلْعِي وَالسَّمَلِ لِعَيْتِي ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِيهِمْ^(٢) رَافَةً ؛ وَالْأُخْرَى : أَنْ تُؤَنِّسَنِي كُلَّ يَوْمٍ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ لَمْ أَصَالَهُ رَأَى ، وَتَأْذَنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ عَلَيَّ . فَتَوَاضَعَ لَهُ أَبَرْوِيزُ وَقَالَ : عَمَّرَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الْمَارِقَ بِهَرَامٍ قَدْ أَظَلَّنَا وَمَعَهُ الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ ، وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نَمُدَّ يَدًا إِلَى مَنْ أَتَى إِلَيْكَ مَا أَتَى ، فَإِنْ أَدَالِنِي اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِ ؛ فَأَنَا خَلِيفَتُكَ وَطَوْعُ يَدِكَ .

وَبَلَغَ بِهَرَامٍ قَدُومُ كِسْرَى وَتَمْلِكِ النَّاسِ إِيَّاهُ ، فَأَقْبَلَ بِجَنْدِهِ حَاشِيًا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَأَذَكَّى أَبَرْوِيزُ الْعِيُونَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهُ رَأَى أَبَرْوِيزَ أَنَّ التَّرَفُّقَ بِهِ أَصْلَحَ ، فَتَسَلَّحَ وَأَمَرَ بِسِنْدُوِيهِ وَبِسِطَامٍ وَنَاسًا كَانَ يَشِقُّ بِهِمْ مِنَ الْعِظَمَاءِ وَالْفَرَجُلِ مِنْ جَنْدِهِ ، فَتَرَيَّنُوا وَتَسَلَّحُوا ، وَخَرَجَ بِهِمْ أَبَرْوِيزُ مِنْ قَصْرِهِ نَحْوَ بِهَرَامٍ ، وَالنَّاسُ يَدْعُونَ لَهُ ، وَقَدْ احْتَوَشَهُ بِسِنْدُوِيهِ وَبِسِطَامٍ

(١) ت ، ح : « فصار » .

(٢) ت ، ح : « بهم » .

وغيرُهما من الوجوه حتَّى وقف على شاطئ النهرَوان ، فلمّا عرف بهرام مكانه ، ركب برزَدوناً له أبلق كان معجباً به ، وأقبل حاسراً ومعه ٩٩٧/١
 ليزدَجُشنس وثلاثة نفر من قرابة ملك الترك كانوا جعلوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبرويز أسيراً ، وأعطاهم بهرامُ على ذلك أموالاً عظيمة . ولمّا رأى بهرامُ بيزةَ كسرى وزينته والتاج ، يسأيره معه «درفش كابيان» علمهم الأعظم منشوراً ، وأبصر بيندويه ويسظام وسائر العظماء وحسن تسليحهم وفراهة دوابهم ، اكتاب لذلك ، وقال لمن معه : ألا ترون ابن الفاعلة قد ألحم وأشحم ، وتحول من الحداثة إلى الحنكة ، واستوت لحيته وكمل شبابه ، وعظم بدته ! فبينا هويتكلم بهذا وقد وقف على شاطئ النهرَوان .
 إذ قال كسرى لبعض من كان واقفاً : أى هؤلاء بهرام ؟ فقال أخ لبهرام يسمى كُردى لم يزل مطيعاً لأبرويز مؤثراً له : عمرك الله ! صاحب البرذون الأبلق . فبدأ كسرى فقال : إنك يا بهرام ركن لمملكنا وسناد لرعيّتنا ، وقد حسن بلاؤك عندنا ، وقد رأينا أن نختار لك يوماً صالحاً لنوليّك فيه إصْبَهْبَهْدَة بلاد الفرس جميعاً ؛ فقال له بهرام — وازداد من كسرى قريباً — : لكننى اختار لك يوماً أصلبك فيه . فامتلا كسرى حزناً من غير أن يبدو في وجهه من ذلك شيء ، وامتدّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبرويز : يا بن الزانية المربى في خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئاً ممّا عرضه عليه ، وجرى ذكر إبرش جد بهرام ، فقرّعه أبرويز بطاعة إبرش كانت لِمِنُوشِهَرُ جدّه . وتفرّقا وكلّ واحد منهما على غاية الوحشة لصاحبه .

وكانت لبهرام أخت يُقال لها كُردية ، من أتم النساء وأكملهن ، وكان ٩٩٨/١
 تزوّجها ، فعابت بهرام على سوء مُلافظته كانت لكسرى ، وأرادتّه على الدخول في طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كسرى وبهرام مُباينة ، فيُقَال إنّه لما كان من غدِ الليلة التى كان البيات فيها ، أبرز كسرى نفسه ، فلما رآه الأتراك الثلاثة قصدوه ، فقتلهم بيده أبرويز ، وحرّض الناس

على القتال فتيبن فشلاً ، فأجمع ^(١) أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستعجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاورة ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأجرز نساءه وشخص في عدة يسيرة ، فيهم بندوقيه وبساطم وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردّهم فبشّلفوا ، فأعلموا أبرويز ذلك ، واستأذّنوه في إتلاف هرمز فلم يحجر جواباً ، فانصرف بندوقيه وبساطم وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى كيسرى وقالوا : سِرْ على خير طائر ، فحثوا دوابهم وصاروا إلى القُرّات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان ، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيتهم خيل بهرام ، يرأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش ، فلما نذروا بهم أنه بندوقيه أبرويز من نومه وقال له : احتلّ لنفسك ، فإنّ القوم قد أطلّوك ؛ قال كيسرى : ما عندي حيلة ، فأعلمه بندوقيه أنّه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بزيّته ويخرج ٩٩٩/١ ومن معه من الدّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القوم حتى تواروا بالجبل ، فلما وافى بهرام بن سياوش ، اطّلع عليه من فوق الدّير بندوقيه وعليه بزة أبرويز ، فوهّمه بذلك أنه أبرويز ، وسأله أن ينظره إلى غده ليصير في يده مسلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه في يدى بهرام بن سياوش .

ويقال إنّ بهرام دخل دور الملك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز ، وذمّه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] ^(٢) كان كلّهم منصرفاً عنه ، إلّا أن بهرام جلس على سرير الملك وتوّج وانتقاد له الناس خوفاً — ويقال إنّ بهرام بن سياوش واطاً بندوقيه على الفتك بجوبين ، وإنّ جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بندوقيه فلاحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية ، وكاتب مؤريق ملك الروم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »

(٢) مزح .

منها ، وأُرسل إليه بجماعة ممَّن كان معه وسأله نُصْرَتَه ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زوَّجه مريم ابنتَه وحملها إليه ، وبعث إليه بثيادوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرَجِس ، يتوَّلى تدبير أمرهم ، ورجلٌ آخر كانت قوَّته تعدل بقوَّة ألف رجل ، واشترط عليه حياطته ، وألَّا يسأله إلاَّ تاوَة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم . فلمَّا ورد القوم على أبرويز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمَّ عرضهم وعرَّفَ عليهم العراء ، وفي القوم ثيادوس وسَرَجِس والكهني الذي يعدل بألف رجل ؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوفاه هناك يَيندُويَه ورجل من أَصْبَهَبَدِي الناحية يقال له مُوسِيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضَّ الناس من فارس وأصْبَهان وخراسان إلى أبرويز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حربٌ شديدة قُتِلَ فيها الكميُّ الرومي . ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً - منهم كُرْدِي أخو بهرام ، ويَيندُويَه ويسْطام ، وسابور^(١) بن أفریان بن فرخزاد^(٢) ، وفرخْهَرْمُز - حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض . والمجوس تزعم أن أبرويز صار إلى مضيقٍ واتبعه بهرام ، فلمَّا ظنَّ أنه قد تمكَّن منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

وذكر أن المنجمين أجمعت أن أبرويز يملك ثمانياً وأربعين سنة . وقد كان أبرويز بارزاً بهرام فاخطف رُمُحَه من يده وضرب به رأسه حتى تقصَّف ، فاضطرب على بهرام أمرُه ووجيل ، وعلم أنَّه لا حيلة له في أبرويز فانهاز نحوَ خراسان ، ثم صار إلى التَّرك ، وصار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرَّق في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق . ويقال إنَّ أبرويز كتب للنَّصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيَيعِهِم وأنَّ يدخل في ملَّتِهِم من أحبَّ الدخولَ فيها من غير المجوس ، واحتجَّ في ذلك أنَّ أنوشِروان كان

هَادَنَ قَيْصَرَ فِي الْإِثَاوَةِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ عَلَى اسْتِصْلَاحٍ مِنْ فِي بَلَدِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَاتَّخَذَ بَيْوتَ النِّيرَانِ هُنَاكَ . وَإِنَّ قَيْصَرَ اشْتَرَطَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّصَارَى ؛ وَلَبِثَ بِهَرَامٍ فِي التَّرْكِ مَكْرَمًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، حَتَّى احْتَالَ لَهُ أَبَرْوِيزُ بِتَوَجِيهِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ هُرْمَزُ ، وَجَهَّهُ إِلَى التَّرْكِ بِجَوْهَرٍ نَفِيسٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى احْتَالَ لِحَاثُونَ أُمْرَأَةِ الْمَلِكِ وَلَا تَطْفَحَهَا بِذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى دَسَّتْ لِبَهْرَامٍ مَنْ قَتَلَهُ . فَيُقَالُ إِنَّ خَاقَانَ اغْتَمَّ لِقَتْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى كَرْدِيَةِ أَخْتِهِ وَأُمْرَأَتِهِ ^(١) يُعَلِّمُهَا بِلُغَةِ الْحَادِثِ بِبَهْرَامٍ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا نَظَرًا أَخَاهُ ، وَطَلَّقَ خَاتُونَ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَيُقَالُ إِنَّ كَرْدِيَةَ أَجَابَتْ خَاقَانَ جَوَابًا لَيْسَ بِمُصْرِفٍ نَظَرًا ، وَإِنَّهَا ضُمَّتْ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ مَعَ أَخِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَخَرَجَتْ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ التَّرْكِ إِلَى حُدُودِ مَمْلَكَةِ فَارَسَ ، وَإِنَّ نَظَرًا التَّرْكِي اتَّبَعَهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَإِنَّ كَرْدِيَةَ قَتَلَتْ نَظَرًا بِيَدِهَا وَمَضَتْ لَوَجْهِهَا ، وَكَتَبَتْ إِلَى أَخِيهَا كَرْدِي فَأَخَذَ لَهَا أَمَانًا مِنْ أَبَرْوِيزَ . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ تَزَوَّجَهَا أَبَرْوِيزُ وَاعْتَبَطَ بِهَا وَشَكَرَ لَهَا مَا كَانَ مِنْ عِتَابِهَا لِبَهْرَامَ ، وَأَقْبَلَ أَبَرْوِيزُ عَلَى بِيْرْمُورِيْقَ وَإِلَظَافِهِ . وَإِنَّ الرُّومَ خَلَعُوا — بَعْدَ أَنْ مَلَكَ كِسْرَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً — مُورِيْقَ وَقَتْلُوهُ وَأَبَادُوا وَرَثَتَهُ — خَلَا ابْنُ لَهُ هَرَبَ إِلَى كِسْرَى — وَمَلَكَوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ قُوفَا .

فَلَمَّا بَلَغَ كِسْرَى نِكَاحَ الرُّومِ عَهْدَ مُورِيْقَ وَقَتْلَهُمْ إِيَّاهُ ، امْتَعَضَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنِفَ مِنْهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْحَفِظَةُ ، فَأَوَى ابْنَ مُورِيْقَ اللَّاجِئَ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ وَمَلَكَهُ عَلَى الرُّومِ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ قُوَادِهِ فِي جُنُودٍ كَثِيفَةٍ . أَمَّا أَحَدُهُمْ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُمِيُوزَانُ ^(٢) ، وَجَهَّهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَوَّخَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينِ ، وَوَرَدَ مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَخَذَ أَسْقُفَهَا وَمَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقِسِّيِّينَ وَسَائِرِ النَّصَارَى بِخَشْبَةِ الصَّلِيبِ ، وَكَانَتْ وَضَعَتْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَطُمِرَ فِي بُسْتَانٍ وَزُرِعَ فَوْقَهُ مَبْقَلَةٌ ، وَأُلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، فَاحْتَفَرُ عَنْهَا بِيَدِهِ وَاسْتَخْرَجَهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كِسْرَى فِي أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

(١) ط : « مَرُوقَةُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دَمِيرَان » .

وأما القائدُ الآخر— وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب— فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نوبة ، وبعث إلى كِسْرَى بمفاتيح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له فَرَّهَان ، وتدعى مرتبته شهرَ بَرَّاز . ولأنه قصد القُسْطَنْطِينِيَّةَ حتى أتاها على ضِفَّةِ الخليج القريب منها ، وخيَّم هنالك ، فأمره كِسْرَى فخرَّب بلاد الروم غضباً ممَّا انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم ، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة ، غير أنَّهم قتلوا قوماً الملكَ الذي كانوا ملكوه عليهم لِمَا ظَهَرَ لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجالاً يقال له هِرَقْل ١٠٠٣/١ .

فلَمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخريب جنود فارس إياها وقتلها مُفَاتِلَتِهِمْ وسبيهم ذراريَتِهِمْ واستباحَتِهِمْ أموالهم وانتهابَتِهِمْ ما بحضرتهم ، بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنْقِذَهُ وأهلَ مملكته من جنود فارس ، فرأى في منامه رجالاً ضلختم الجُثَّةَ رفيعَ المجلس ، عليه بِيْزَةٌ ، قائماً في ناحية عنه ، فدخل عليهما داخل ، فألقى ذلك الرَّجُل عن مجلسه ، وقال لهرقل ^(١) : إني قد أسلمته ^(٢) في يدك . فلم يقصُصْ رؤياه تلكَ في يقظته على أحد ، ورأى الليلة الثانية في منامه أن الرَّجُلَ الذي رآه في حلمه جالس في مجلس رفيع ، وأنَّ الرَّجُلَ الدَّاخِلَ عليهما أتاهُ وبِيْدِهِ سُلْسِلَةٌ طويلة ، فألقاها في عُنُقِ صاحب المجلس وأمكنه منه ، وقال له : هأنذا قد دفعتُ إليك كِسْرَى بِرْمَتَهُ ، فاغزُهُ فإنَّ الظفر لك ، وإنَّكَ مدالٌ عليه وناقلٌ أمنيَّتِكَ في غَرَاتِكَ . فلَمَّا تابعت عليه هذه الأحلام ، قصَّها على عظماء الروم وذوى الرأى منهم .

فأخبروه أنَّه مدالٌ عليه ، وأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعدَّ هِرَقْل واستخلف ابنًا له على مدينة قسطنطينية ، وأخذ غير الطريق الذي فيه شهرَ بَرَّاز ، وسار حتَّى أوغل في بلاد أرمينية ، ونزل نصيبين بعد سنة ، وكان

(١) ح : « لم » .

(٢) ت ، ح : « سلمته » .

شاهين - فاذا سبأن المغرب - بباب كسرى حين ورد هيرقل نصيبين
 لموجدة كانت من كسرى عليه ، وعزله إلباه عن ذلك الثغر ، وكان شهر براز ١٠٠٤/١
 مُرابطاً للموضع الذى كان فيه لتقدم كسرى كان إليه فى الجثوم فيه ، وترك
 البراح منه ، فبلغ كسرى خبر تساقط هيرقل فى جنوده إلى نصيبين ، فوجّه
 لمحاربة هيرقل رجلاً من قوّاده يقال له : راهزار ، فى اثني عشر ألف مقاتل ،
 وأمره أن يقيم بنينوتى من مدينة الموصل على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن
 يجزوها - وكان كسرى حين بلغه خبر هيرقل مقيماً بدسكرة الملك -
 فنفذ راهزار لأمر كسرى ، وعسكر حيث أمره ، فقطع هيرقل دجلة فى
 موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جند فارس ، فأذكى راهزار العيون
 عليه ، فانصرفوا إليه وأخبروه ^(١) أنه فى سبعين ألف مقاتل ، وأيقن راهزار
 أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل ، فكتب
 إلى كسرى غير مرة دهم هيرقل إلباه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثرتهم
 وحسن عدتهم ، كل ذلك يجيبه كسرى فى كتابه ، أنه إن عجز عن أولئك الروم
 فلن يعجز عن استيقتالهم وبذل دماهم فى طاعته . فلما تابعت على راهزار
 جوابات كتبه إلى كسرى بذلك ، عي جنده وناهض الروم ، فقتلت
 الروم راهزار وستة آلاف رجل ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم ،
 وبلغ كسرى قتل الروم راهزار وما نال هيرقل من الظفر ، فهذه ذلك وانحاز
 من دسكرة الملك إلى المدائن ، وتحصن فيها لعجزه كان عن محاربة هيرقل .

١٠٠٥/١ وسار هيرقل حتى كان قريباً من المدائن ، فلما تساقط إلى كسرى
 خبره واستعد لقتاله ، انصرف إلى أرض الروم وكتب كسرى إلى قوّاد
 الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدلوهم على كل رجل منهم ومن أصحابهم ، ممن
 فشل فى تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استوجب ،
 فأخرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الخيل لنجاة أنفسهم
 منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصف
 ما كان من أمر الروم فى عمله .

وقد قيل: إن قول الله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)، إِنَّمَا نَزَلُ فِي أَمْرِ أَبَرْوَيْزَ مَلِكِ فَارَسَ وَمَلِكِ الرُّومِ هِرَقْلَ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِمَّا قَدْ ذَكَرْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

ذكر من قال ذلك :

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض . قال : وأدنى الأرض يومئذ^(٢) أذرعَات ، بها التقوا فهُزِمَت الروم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ؛ فشق ذلك عليهم - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأمسيون من المجوس ١٠٠٦/١ على أهل الكتاب من الروم - وفرح الكفار بمكة وشميتوا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أمسيون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ؛ فأنزل الله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ! فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبيُّنا . فقام إليه أبي بن خلف الجهمي ، فقال : كذبت يا أبا فصَّيل ! فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله ! فقال : أناحبك^(٤) ! عشر قلائص^(٥) مني ، وعشر قلائص منك ،

(١) سورة الروم ١ - ٨ .

(٢) ط : « يوم » ، والصواب ما أثبتته من التفسير .

(٣) المناجاة : المخاطرة والمراعاة .

(٤) القلائص : جمع قلوص ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدته في الخطر^(١) وماده في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبياً فقال : لعلك ندمت ، قال : لا ، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل ، فاجتمع لها مائة قلووس إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إنني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري على أيهم أستعمل ، قالت : ١٠٠٧/١ هذا فلان وهو أروغ من ثعلبه ، وأحذر من صقر ، وهذا قرخان وهو أنفذ من سنان ، وهذا شهبراز وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ، قال : فإني قد استعملت الحلیم ، فاستعمل شهبراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم . قال أبو بكر : فحدثت هذا الحديث عطاء الحراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو أتيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيتها^(٣) .

قال عطاء الحراساني : حدثني يحيى بن يعمر ، أن قيسر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كسرى بشهبراز ، فالتقيا بأذرعات وبُصرى - وهى أدنى الشام إليكم - فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ، وفرح بذلك كفتار قریش وكرهه المسلمون ، فأنزل الله : ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ...﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يبرح شهبراز يبطوهم ويخرّب مدائنهم حتى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى فبلغهم موته ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .

(٢) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْرَبَرَز وأصحابه ، وأدبَ يَهُم الرُّومَ عند ذلك فاتبعوهم يُقَتِّلُونَهُمْ .

قال : وقال عِكْرَمَةُ في حديثه : لَمَّا ظَهَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ ، جَلَسَ فَرُّخَانُ يَشْرِبُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى ؛ فَلَبِغْتُ كِسْرَى ، فَكُتِبَ إِلَى شَهْرَبَرَز : إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَبْعَثْ إِلَى بَرَأْسِ فَرُّخَانَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرُّخَانَ ؛ إِنَّ لَهُ نَكَايَةً وَصَوْتًا فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَفْعَلْ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ فِي رِجَالِ فَارِسِ خَلْفًا

١٠٠٨/١

مِنْهُ ، فَعَجَّلَ عَلَى بَرَأْسِهِ . فَرَاغَهُ ، فَغَضِبَ كِسْرَى فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَبَعَثَ بِرِيدًا إِلَى أَهْلِ فَارِسَ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرَبَرَزَ ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرُّخَانَ . ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً صَغِيرَةً ، وَقَالَ : إِذَا وَلَّى فَرُّخَانَ الْمُلُوكَ وَانْقَادَ لَهُ أَخُوهُ ، فَأَعْطِهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ . فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرَبَرَزُ الْكِتَابَ ، قَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً ، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ فَرُّخَانُ ، وَدَفَعَ إِلَى الصَّحِيفَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ : ائْتُونِي بِشَهْرَبَرَزَ ، فَقَدْ مَهَ لِيضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي ، قَالَ : نَعَمْ ، فَدَعَا بِالسَّفَظِ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ، وَقَالَ : كُلُّ هَذَا رَاجِعٌ

فِيكَ كِسْرَى ، وَأَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِكِتَابٍ وَاحِدٍ ! فَرَدَّ الْمُلُوكَ إِلَى أَخِيهِ ، وَكُتِبَ شَهْرَبَرَزُ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لَا تَحْمِلُهَا الْبُرْدُ وَلَا تَبْلُغُهَا الصُّحُفُ ، فَالْقِنِي ، وَلَا تَقْنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًّا ، فَإِنِّي أَلْقَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًّا ، فَأَقْبَلْ قَيْصَرٌ فِي خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ رُومِيٍّ ، وَجَعَلَ يَضَعُ الْعِيُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِهِ ، حَتَّى أَتَاهُ عِيُونُهُ ؛ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُونَ رَجُلًا ، ثُمَّ بَسَطَ لَهَا وَالتَّقِيَا فِي قُبَّةٍ دِيْبَاجَ ضَرَبَتْ لَهَا ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَكِّينَ ، فَدَعَا تَرْجَمَانًا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ شَهْرَبَرَزُ : إِنَّ الَّذِينَ خَرَّبُوا مَدَائِنَكَ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشَجَاعَتِنَا ، وَإِنَّ كِسْرَى حَسَدَنَا فَأَرَادَ أَنْ أَقْتَلَ أَخِي ، فَأَبَيْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَخِي أَنْ يَقْتُلَنِي ؛ فَقَدْ خَلَعْنَاهُ جَمِيعًا فَنَحْنُ نَقَاتِلُهُ مَعَكَ . قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمَا ، ثُمَّ أَرَّارَ أَحَدُهُمَا

١٠٠٩/١

إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ السَّرَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَإِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشَا ، قَالَ : أَجَلٌ ، فَقَتَلَا التَّرْجَمَانِ جَمِيعًا بِسِكِّينِهِمَا ؛ فَأَهْلَكَ اللَّهُ كِسْرَى ، وَجَاءَ الْخَبَرُ

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحديبية ، ففرح ومن معه ^(١) .
 وحُدِّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : في سنة عشرين من مُلك
 كِسْرَى أبرويز ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ثلاث
 عشرة سنة ، وهاجر في سنة ثلاث وثلاثين من مُلكه إلى المدينة .

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ - ١٤ (بلاق) .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس

ووطأتها العرب بما أكرمهم به نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم
من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كِسْرَى أبرويز.

فمن ذلك ما روى عن وهب بن منبه ، وهو ما حدثنا به ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كِسْرَى
كما حدثني بعض أصحابي ، عن وهب بن منبه ، أنه كان سَكْرَ دجلة
العوراء^(١) ، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، وكان طاقُ مجلسه
قد بُنى بنياناً لم ير مثله ، وكان يعلّق تاجه ؛ فيجلس فيه إذا جلس للناس ،
وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الخزاة — والخزاة العلماء — من بين كاهين
وساحر ومنجم ؛ قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف
اعتفاف العرب قلماً بخطي — بعث به إليه باذان من اليمن — فكان
كِسْرَى إذا حزبه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجميه ، فقال : انظروا في
هذا الأمر ما هو !

فلما أن بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كِسْرَى ذات
غدّة وقد انقصمت طاقُ ملكه من وسطها من غير ثقل ، وانخرقت عليه
دجلة العوراء ، فلما رأى ذلك حزنه ، وقال : انقصمت طاقُ ملكي من
وسطها من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ، « شاه يشكست » :
يقول : الملك انكسر. ثم دعا كهّانه وسحّاره ومنجميه ، ودعا السائب معهم ،
فقال لهم : انقصمت طاقُ ملكي من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ،
« شاه يشكست » انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره ،
فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا في علمهم ، فلا

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ؛ ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضي لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجّم علم نجومه .
وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل
الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت
قدميه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن^١
من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت
عن ملك^(١) كان قبله .

فلما خلتص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض ، ورأوا ما قد أصابهم ،
ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حيل بينكم وبين
علمكم إلا لأمر^(٢) جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث - أوهو مبعوث - يسلب
هذا الملك ويكسره . ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم
أمراً تقولونه له تؤخّرونه عنكم إلى أمرٍ ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إنّا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسّابك
الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت دجلة العوراء وضعوه
على النحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ،
فزال كل ما وضع عليهما ؛ وإنّا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك
فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى . فعمل في دجلة
ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها]^(٣)
قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبسط والفرش والرياحين
فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمعوا^(٤) له ، واجتمع إليه اللعابون ، ثم خرج حتى
جلس عليها ، فيينا هو هنالك^(٥) انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج^(٦)
إلا بآخر رمق .

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكلّة من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

فلما أخرجوه ، جَمَعَ كُهَّانَهُ وَسُحَّارَهُ وَمَنْجَمِيهِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ ، وَقَالَ سَمِعْتُمْكُمْ ^(١) وَأَدْنَيْتُمْكُمْ دُونَ النَّاسِ ، وَأَجْرَيْتُمْ عَلَيْكُمْ أَرْزَاقًا ، ثُمَّ تَلْعَبُونَ بِي ! فَقَالُوا ^(٢) : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَخْطَأْنَا كَمَا أَخْطَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَلَكِنَّا سَنَحْسِبُ لَكَ حِسَابًا فَتَبَّتْ حَتَّى تَضَعَهَا عَلَى الْوُثَاقِ مِنَ السَّعُودِ . قَالَ : انظُرُوا مَا تَقُولُونَ ! قَالُوا : فَإِنَّا نَفْعَلُ ؛ قَالَ : فَاحْسِبُوا ، فَحَسِبُوا لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : ابْنِهِ ، فَبَنَى وَأَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنْ ذِي قَبْلِ . ثُمَّ قَالُوا : قَدْ فَرَعْنَا ، قَالَ : أَفَأُخْرِجُ فَأَقْعُدَ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَهَابَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا ، وَرَكِبَ بَرْدُونًا لَهُ ، وَخَرَجَ يَسِيرُ عَلَيْهَا ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فَوْقَهَا إِذْ انْتَسَفَتْ دِجْلَةُ بِالْبَنِيَانِ ، فَلَمْ يَدْرِكْ إِلَّا بِأَخْرِ رَمَقٍ ، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَمْرُنَ عَلَى آخِرِكُمْ وَلَا نَزْعُنَ أَكْتَا فِكُمْ ، وَلَا طَرَحْنَكُمْ تَحْتَ أَيْدِي الْقَبِيلَةِ أَوْ لَتَصْدُقُنِي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَلْفَتُونَ عَلَيَّ ! قَالُوا : لَا نَكْذِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَمَرْتَنَا حِينَ انْخَرَقَتْ عَلَيْكَ دِجْلَةُ ، وَانْقَصَمَتْ ^(٣) عَلَيْكَ طَاقُ مَجْلِسِكَ ^(٤) مِنْ غَيْرِ ثَقُلَ أَنْ نَنْظُرَ فِي عِلْمِنَا لِمَ ذَلِكَ ! فَنَنْظُرْنَا ، فَأَظْلَمْتَ عَلَيْنَا الْأَرْضَ وَأَخَذَ عَلَيْنَا بِأَقْطَارِ السَّمَاءِ ، فَتَرَدَّدَ عَلَيْنَا عِلْمُنَا فِي أَيْدِينَا ، فَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَاحِرٍ سَحَرَهُ ، وَلَا لِكَاهِنٍ كِهَانَتَهُ ، وَلَا لِمَنْجَمٍ عِلْمُ ^(٥) نَجُومِهِ ؛ فَعَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَدَثَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ مَبْعُوثٌ ؛ فَلِذَلِكَ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِلْمِنَا ، فَخَشِينَا إِنْ تَعَيَّنَا لَكَ مَلِكُكَ أَنْ تَقْتُلَنَا ، وَكَرِهْنَا مِنَ الْمَوْتِ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ ، فَعَلَلْنَاكَ عَنْ أَنْفُسِنَا بِمَا رَأَيْتَ . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! فَهَلَّا تَكُونُونَ بَيْنَكُمْ لِي هَذَا فَأَرَى فِيهِ رَأْيِي ! قَالُوا : مَنْعَنَا مِنْ ذَلِكَ مَا تَخَوَّفْنَا مِنْكَ . فَفَرَكَهُمْ وَلَهَا عَنْ دِجْلَةٍ حِينَ غَلَبَتْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْفَضْلِ ابْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِيِّ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ؛ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى كِسْرَى فَيْكُ ! قَالَ : بَعَثَ

(١) ت : « أَمْتَكُمْ » ، ح : « قَرِيبَكُمْ » ، ر ، ل : « سَمِعْتُمْكُمْ » .

(٢) كَذَا فِي ح وَابْنِ الْأَثِيرِ ؛ وَفِي ط : « قَالُوا » .

(٣) ل : « وَانْقَصَمَ » .

(٤) ت ، ح : « نَجْمٌ » .

(٥) ت ، ح : « مَلِكُكَ » .

إليه ملكاً فأخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه يتلألاً نوراً ، فلما رآها فرح ، فقال : لَمْ تُرْعَ يا كسرى ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك ، قال : سأنظر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بعث الله إلى كسرى ملكاً وهو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه ، فلم يرعه إلا به قائماً على رأسه في يده عصا ، بالهاجرة في ساعته التي كان يثقيل فيها ، فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ! فقال : بهيل بهيل ، فانصرف عنه ثم دعا (١) أحراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل علي ؟ فقالوا : ما دخل عليك (٢) أحد ولا رأيناه ؛ حتى إذا كان العام القابل (٣) أتاه في الساعة التي أتاه فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهيل بهيل بهيل ؛ ثلاثاً ؛ فخرج عنه ١٠١٤/١ فدعا كسرى حجابه وحرّاسه وبوابيه فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك . حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، فقال له كما قال : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهيل بهيل ، قال : فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوّر ملكه ؛ وانبعث ابنه والفرس حتى قتلوه .

قال عبد الله بن أبي بكر : فقال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذكّر لي أن الملك إنما دخل عليه (٤) بقرارورين في يديه ، ثم قال له : أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى فرضضهما ، ثم خرج فكان من [أمر] (٥) هلاكه ما كان .

(٢) ت ، ح : « علينا » .

(٤) ت ، ح : « إليه » .

(١) ت ، ح : « فدعا » .

(٣) ت ، ح : « المقبل » .

(٥) نكلة من ت ، ح .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر ، يقول : بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محدقون بقصره ؛ إذ أقبل رجل يمشي معه عصا ؛ حتى قام ^(١) على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إنني رسول الله إليك أن تسلم ، قالها ثلاث مرات - وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه - قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرّسه ، فقال : أنت أدخلت عليّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قبلكنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحِدقْ بقصرى ، ولا يدخل ^(٢) عليّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إنني رسولُ الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك - قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه - فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم آمرك ألاّ يدخل عليّ أحد ! قال : أيتها الملك ، إنّه والله ما دخل عليك من قبلكنا أحد ، فانظر من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس : أن أحدقوا بي الليلة ، ولا تدخل ^(٣) امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إنني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيت عليّ ، والله ليكسرّتك الله كما أكسّرُ عصا هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم آمركم ألاّ يدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قبلكنا أحد !

(١) ت ، ح : « وقف » .

(٢) ت ، ح : « لا يدخلن » .

(٣) ت ، ح : « تدخلن » .

قال : فلم يلبث أن وُتِبَ عليه ابنُه فقتله .

• • •

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والجيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بذي قار .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبنى نُصروا » . وهو يوم قُرَاقِرَ ويوم الحَنُو حِنُوذَى قار ، ويوم حِنُو قُرَاقِرَ ، ويوم الجُبَابَات ، ويوم ذى العَجْرُم ، ويوم الغَدَّانِ ، ويوم البطحاء ، بَطْحاءِ ذى قار ، وكلّهن حول ذى قار .

فحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنى أبو المختار فِرَاس بن خَنْدَقٍ - أو خَنْدَقٌ - وعدة من علماء العرب قد سماهم ؛ أن الذى جرى يوم ذى قار ، قتلُ النعمان بن المنذر اللخميّ عدىّ بن زيد العباديّ ؛ وكان عدىّ من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدىّ بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الحصّاص - وأخذته من كتاب حمّاد وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عَصِيّة بن امرئ القيس بن زيد مَنَاة بن تميم ثلاثة : عديّ الشاعر ، وكان جميلًا شاعرًا خطيبًا ، وقد قرأ كتب العرب والفُرس ، وعمّارًا - وهو أبى - وعمراً - وهو سميّ - ولم أخ من أمّهم ، يقال له عدىّ بن حنظلة من طيىء . وكان عمّار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدىّ بن زيد ، وكان الآخر يتدين في نصرانيّته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل^(١) وناحية^(٢) ، يقطعونهم القطائع ، [ويجزلون صلاتهم]^(٣)

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا

(٢) تكلّة من الأغاني فيها رواء عن هشام الكلبي .

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدى ، فهم الذين أَرْضَعُوهُ [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود » ، أمه مارية بنت الحارث بن جُلْثُم من تيم الرِّبَاب ، فأَرْضَعَهُ (١) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرِينَا ، ينسَوْنَ إلى لَحْم ، وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلُّهم الأشاهب (٢) ، من جمالهم ؛ فذلك قول الأعشى :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحُسْبَى يَمْشُونَ غَدَوَةً بِالسُّيُوفِ (٣)

وكان النعمان أحمر أبرش (٤) قصيراً ، وكانت أمه يقال لها سَلَمَى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وكانت أمة للحارث ابن حصن بن ضَمَضَم بن عدى بن جَنَاب من كَلْب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدى بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي [ولمَّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيَه] (١) فكان عليه أشهراً (٥) ، (٦) وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدى بن زيد ، فقال له : من بقى من بنى المنذر (٦) ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتْهم في ولد هذا الميت

(١) تكلمة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

(٢) قال في القاموس : « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وقال شارحه : « سموا بذلك لبياض وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغاني : « فكث ملكاً عليها أشهراً » .

(٦-٦) كذا في أصول الفبرى وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ، وفي الأغاني بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، ففجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس ، ولأمرتهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقدِموا عليه ، فأَنزَلهم على عدى بن زيد . فكان عدى يفضل إخوة النعمان عليه في النُّزُل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سَأَلكم الملك : أتَكفوني العرب ؟ فقولوا : نَكفِيكهم إلا النُّعْمان ، وقال للنُّعْمان : ١٠١٨/١ إن سَأَلك الملك : عن إخوانك فقل له : إن عجزتُ عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . وكان من بني مَرِينَا رجل يقال له عدى بن أوس بن مَرِينَا ، وكان مازداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر] ^(١) : إنك قد عرفت أُنَى لك راج ، وأن طَلَبَتِي ورغبتِي إليك أن تخالف عدى بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يُدْخِلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلّمه ، فكان يرى رجلاً قَلَمًا رأى مثلهم ؛ فإذا سألهم : هل تكفوني ما كنتم تلّون ؟ قالوا : نَكفِيك العرب إلا النُّعْمان . فلما دخل عليه النُّعْمان رأى رجلاً دَمِيمًا فكلّمه ، وقال له : أَسْتَطِيع أن تكفيتي العرب ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوانك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فلكه وكساه ، وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج — وقد ملّك — قال عدى بن أوس بن مَرِينَا للأسود : دونك فإنك قد خالفت الرأي .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعامًا في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مَرِينَا أن اثنى بمن ^(٢) أحببت ، فإن لي حاجة ، فأتاه في ناس فتغلّوا في البيعة ، وشربوا ، فقال : عدى [بن زيد] ^(٣) لعدى بن مَرِينَا : يا عدى ، إن أحق من عرف الحق ثم لم يَلِكْ عليه ، مَنْ كان مثلك ؛ إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئًا لو قدرت

(١) تكلّة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأمم ١ : ٢٣٨ .

(٢) ت ، ح : « فين » .

(٣) من الأغاني وتجارب الأمم .

عليه ركبته ، وأنا أحبُّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوَه ولا يبيغِه غائلة أبداً ، ولا يزوي عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدى بن زيد قام عدى بن مَرينا ، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوَه أبداً ، ويبغِه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدى بن مَرينا لعدى بن زيد :

أَلَا أُبْلِغُ عَدِيًّا عَنْ عَدِيٍّ فَلَا تَجَزَعُ وَإِنْ رَأَتْ قُواكَا^(١)
هَيَّاكِلَنَا تَبَزُّ لَعِيرٍ فَقَرَّ لَتُحَمَّدَ أَوْ يَتِمَّ بِهِ غِنَاكَ
فَإِنْ تَظْفَرُ فَلَمْ تَظْفَرُ حَمِيداً وَإِنْ تَعْطَبُ فَلَا يَبْعُدُ سِوَاكَ
نَدِمْتَ نَدَامَةَ الْكُصِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ يَدَاكَ^(٢)

وقال عدى بن مَرينا للأسود : [أمّا]^(٣) إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بثأرك من هذا المعدى ، الذى عمل بك ما عمل^(٤) فقد كنت أخبرك أن معدداً لا ينال مكرها^(٥) . أمرتك أن تعصيه فخالفتني . قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألا يأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على . ففعل .

وكان ابن مَرينا كثير المال والضيعة ، فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مَرينا^(٦) ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضى في ملكه شيئاً إلا بأمر عدى بن مَرينا ، وكان إذا ذُكر عدى بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدى إلا أن

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسبي : نسبة إلى كسع ، حى من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم حى من اليمن رماة ؛ والكسبي رجل يضرب به المثل في الندامة ، وهو رجل رام رعى بعد ما أظلم الليل غيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل زادم على فعل يفعله . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كيدها ومكرها » .

(٦) في ط : « فلم يك في الأرض يوم » ، وفي تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفي ابن الأثير : « وكان لا يحل النعمان يوماً من هدية » . وما أثبتته عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَنْ يُطِيف بالنعمان منزلة ابن مَرِينَا عنده
لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدى
ابن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنّه لا يسلم عليه أحد ؛
وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا
بذلك حتى أضغنوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدى إلى قَهْرْمَان^(١) لعدى
ثم دسّوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل
إلى عدى بن زيد : عزمْتُ عليك إلّا زرتني ، فإنني قد اشتقت إلى رؤيتك !
وهو عند كسرى^(٢) فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى
حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى بن زيد يقول الشعر
وهو في السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْهُمَامِ وَيَأْتِي لَكَ بِخُبَرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّوَالِ^(٣)
فقال أشعاراً ، وكان كلما قال عدى من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم
على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويعيده ويمنيه ويفرق أن يرسله فيبغيه الغوائل ،
فقال عدى :

أَرِقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ^(٤)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمور
الرجل ، كالحازن والوكيل .

(٢) كذا في الطبري وتجارب الأمم ، وفي الأغاني : « وعدى يومئذ عند كسرى » .

(٣) في رواية الأغاني بعد هذا البيت :

أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالِ وَالْأَذَى فُسْ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمَحَالِ
وَنِضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسَ يَرْمُوْنَ وَأَرْمِي ، وَكُنَّا غَيْرُ آلِ
فَأَصِيبُ الَّذِي تَرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأَرِي عَلَيْهِمْ وَأَوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَقِّي بِكَفَى وَلَمْ أَلْقِ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ
مَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتْنَا الْعَا م ، فَقَدْ أَوْقَعُوا الرِّحَا بِالنِّفَالِ

(٤) انظر بقية القصيدة في الأغاني ٢ : ١١١ ، ١١٢

وقال أيضاً :

• طَالَ ذَا اللَّيْلِ عَلَيْنَا وَأَعْتَكُرُ^(١) •

وقال أيضاً :

• أَلَا طَالَ اللَّيَالِي وَالْهَسَارُ^(٢) •

١٠٢١/١

وقال حين أعياه ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً، يذكره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

• أَرَوَّاحٌ مُودَعٌ أَمْ بُكُورُ^(٣) •

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . ويقال : الذى أغار على الحيرة فحرق فيها ، جفنة بن النعمان الجفنى ، فقال عدى :

سَمَا صَقَرْتُ فَأَشْعَلَ جَانِبَيْهَا وَأَلْهَكَ الْمَرْوَحُ وَالْعَزِيبُ^(٤)

فلما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبى ، وهو مع كسرى بشعر فقال :
أُبْلِغْ أَبِيَّ عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ !
بَأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَادِ ، كُنْتَ بِهِ وَالِهَا مَا سَلِمَ^(٥)

(١) بقيته :

• وَكَأَنِّي نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمَرٌ •

وانظر بقية القصيدة في الأغاني .

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني .

(٣) بقيته :

• لَكَ فَاْعْمَدُ لَأَيَّ حَالٍ تَصِيرُ •

وهو مطلع قصيدة في شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر في خبر الأغاني .

(٤) المروّح : الإبل المروحة إلى أعطافها . والعزيب : ما ترك في مراعيه . وانظر بقية الأبيات في رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « واثقاً » .

لَدَى مَلِكٍ مُوثِقٍ بِالْحَدِيدِ دِ إِمَّا بِحَقِّ وَإِمَّا ظُلْمٍ
فَلَا أَعْرِفُكَ كَدَّابِ الْفَلَا مِ مَا لَمْ يَجِدْ عَارِمًا يَمْتَرِمُ^(١)
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتِنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ

فكتب إليه أخوه :

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جِزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفُ ضَعِيفٍ^(٢)
وَيَمِينِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَاوَا طَحُونًا تَضِي فِيهَا السُّيُوفُ^(٣)
ذَاتَ رِزٍّ مُجْتَابَةٍ غَمَرَةَ الْمَوُ تِ صَحِيحٍ سِرِّبَالَهَا مَكْنُوفٍ^(٤)
كُنْتَ فِي حَمِيهَا ، لَجِنْتُكَ أَسْعَى فاعْلَمَنَّ لَوْ سَمِعْتَ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(٥)
أَوْ بِمَاكِ سُمِلْتُ دُونَكَ لَمْ يُمْ نَعِ تِلَادُ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفٍ^(٦)
أَوْ بَارِضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلِنِي بَعِيدَهَا أَوْ مَخُوفٍ^(٧)
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَنِي بَعِيدُ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْرِيفُ
إِنْ تَقُتْنِي وَاللَّهِ إِلْفًا فُجُوعًا لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فَلَمَعَمِرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
وَلَعَمَرِي لَنْ مَلَكَتُ عِزَانِي لَقَلِيلُ شُرُوكَ فِيمَا أُطُوفُ^(٨)

فرغموا أن أبيعاً لما قرأ كتاب عدى قام إلى كسرى فكلّمه ، فكتب وبعث

(١) كذا في الطبري والأغاني . وفي اللسان ١٥ : ٢٨٩ : « ولا تلقين كأم الغلام » ، وروى عن الأزهري : « كذاذات الغلام ما لم تجد » ، وقال في شرحه : أراد بذات الغلام الأم المرضع .
(٢) الألف : الثقل البطيء .

(٣) الجأواء ، من وصف الكتيبة ؛ يقال : كتيبة جأواء ، أى بيئة اجأى ، وهى التى يملو -
لونها السواد لكثرة الدروع .

(٤) الرز : الصوت يسمع من بعيد ، والسربال : القميص . والمكفوف ، من كفت التوب إذا خطت حاشيته .

(٥) تستضيف : تستجير .

(٦) الأغاني : « سألت » ، بالبناء للمعلوم . (٧) الأغاني : « والتعنيف » .

(٨) شرواك : مثلك .

١٠٢٣/١ معرجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك [في أمره] ^(١) . فأتاه أعداء عدى من بني بَقِيلَةَ ^(٢) من غَسَّان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم وجاء الرجل ^(٣) ، وقد تقدّم أخو عدى إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى ، فدخل عليه وهو محبوس بالصنّين ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمر بك به ، فدخل الرسول على عدى ، فقال : لآتى قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندى الذى تحب ، ووعدته عِدَّةً ، وقال : لا تخرجن من عندى ، وأعطى الكتاب حتى أرسل به ، فإتتك والله إن خرجت من عندى لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان ، فقال : إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبقي منّا أحداً ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغمّوه ^(٤) حتى مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه بأربعة آلاف مشقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ، فأخرجه أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السجن ، فقال له الحرس : إنه قد مات منذ أيام ، فلم نجترى على أن نخبر الملك للفرق منه ، وقد علمنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان فقال : لآتى قد دخلت عليه وهو حى ، [وجئت اليوم فوجدتني السجنان وبهتتى . وذكر له أنه قد مات منذ أيام] ^(٥) فقال له النعمان : يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبلى ! كاذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث . فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى ؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدم عليه . ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ،

(١) تكلّة من الأغاني .

(٢) بَقِيلَة : بطن من الحيرة .

(٣) الأغاني : « الرسول » .

(٤) غمّوه ، أى غطّوا وجهه بشيء حتى مات .

(٥) من رواية الأغاني .

وندم التَّعْمان على موت عدى، واجترأ أعداء عدى على التَّعْمان؛ وهاهم التَّعْمان هيبة شديدة، فخرج التَّعْمان في بعض صبيده ذات يوم، فلقى أبنا لعدى، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً، وقرّبه وأعطاه، واعتنر إليه من أمر أبيه، وجهّزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى^(٢) إنَّ عبداً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبّته، فأصابه ما لا بدّ منه، وانقضت مدته، وانقطع أكله، ولم يُصَبَّ به أحد أشدّ من مصيبي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلفاً، لما عظم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرّحتُه إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليُفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذي يلي ما كتّبت به إلى أرض العرب، وخاصّة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة: مُهران أشقران والكمّأة الرطبة في حينها واليابسة، والأقيط والأُدُم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدى بن زيد يلي ذلك، وكان هذا عمل عدى.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن التَّعْمان، فأحسن عليه الثناء، ففكّت سنوات بمنزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يُكثر الدخول عليه، وكانت للملك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، [فإذا وجدت حملت إلى الملك]^(٣) غير^(٤) أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يريدونه. فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة^(٤). ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهّزه: أعد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأغاني: «وانقطعت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلة من رواية الأغاني.

(٤ - ٤) رواية الأغاني: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم».

ثم إنه بدأ الملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي.

ثم قال : إني رأيت الملك كذب في نسوة يُطلَبْنَ له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شر شيء في العرب وفي النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبهن [عمن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهن] ^(٢) ؛ وإن قدمت أنا عليه لم يقدر أن يغيبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً من حرسك ^(٣) يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبه] ^(٤) . فبعث معه رجلاً جليداً ^(٥) ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطِّفه حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جثنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصحابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمير ، فكتب إلى أنوشروان يصفها ^(٧) له ، [وقال : إني قد وجهت إلى الملك جارية] ^(٨) معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء ، قمراء ، وطفاء ^(٩) ، [كحلاء] ^(١٠) دعجاء ^(١١) ، حوراء ^(١٢) ، عيناء ^(١٣) ، قنواء ^(١٤) ، شماء ^(١٥) ، زجاء ^(١٦) ، برجاء ^(١٧) ، أسيلة الخلد ^(١٨) ، شهية القد ^(١٩) ،

-
- (١) تكلمة من رواية الأغاني .
 (٢) الأغاني : « جلداً فهما » .
 (٣) الأغاني : « بصفتها » .
 (٤) الطفاء : غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .
 (٥) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .
 (٦) الحور : أسود العين كلها مثل الطباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستمارة .
 (٧) العين : سعة العين .
 (٨) القنواء ، من القنأ ، وهو ارتقاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .
 (٩) الشم في الأنف : ارتقاع القصبة وحسبها .
 (١٠) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول .
 (١١) البرجاء : الجميلة الحسنة .
 (١٢) الخلد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .
 (١٣) الأغاني : « شهية المقبل » .

جَثَلَةُ الشَّعْرِ^(١) ، عَظِيمَةُ الهَامَةِ ، بَعِيدَةُ مَهْوَى القَرَطِ ، عِطَاءُ^(٢) ،
عَرِيضَةُ الصَّدْرِ ، كَاعِبُ التَّدْيِ ، ضَخْمَةُ مُشَاشَةِ المُنْكَبِ^(٣) والعَضْدُ ،
حَسَنَةُ المِعْصَمِ ، لَطِيفَةُ الكَفِّ ، سَبْطَةُ البَنَانِ ، لَطِيفَةُ طَيِّ البَطْنِ ،^(٤)
خَمِيصَةُ الحَصْرِ ، غَرَقِيُّ الوِشَاحِ^(٥) ، رَدَاحُ^(٦) القَبْلِ ، رَابِيَةُ الكَفَلِ ، لَفَاءُ
الْفَخْزَيْنِ^(٧) ، رِيَا الروادِفِ ، ضَخْمَةُ المَأْكَمَتَيْنِ^(٨) ، عَظِيمَةُ الرُّكْبَةِ
مُفْعَمَةُ السَّاقِ^(٩) ، مُشْبَعَةُ الخَلْخَالِ^(١٠) ، لَطِيفَةُ الكَعْبِ والقَدَمِ ،
قَطُوفُ المَشْيِ^(١١) ، مِكَسَالُ الضُّحَى^(١٢) ، بَضَّةُ المتَجَرِّدِ^(١٣) ، سَمُوعًا
لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْصَاءٍ^(١٤) ، وَلَا سَعْفَاءٍ^(١٥) ، ذَلِيلَةُ الأنْفِ^(١٦) ، عَزِيزَةُ النَّفَرِ ،
لَمْ تُغْدَ فِي بَؤْسٍ ، حَيِيَّةٌ رَزِينَةٌ ، حَلِيمَةٌ رَكِيمَةٌ ، كَرِيمَةٌ الخَالِ ، تَقْتَصِرُ
بِنَسَبِ أَيْبَاهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاعِ قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتَهَا
الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَاهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ،

-
- (١) الجَثَلَةُ : كثيفة الشعر سوداؤه .
(٢) العِطَاءُ : الطويلة العنق .
(٣) المشاشَةُ : رأس العظم .
(٤) الأغافِي : « ضامرة البطن » .
(٥) غَرَقِيُّ الوِشَاحِ : دقيقة الحصر .
(٦) الرَدَاحُ : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقِبْلُ : ما استقبلك من مشرف .
(٧) اللَفَاءُ : الضخمة الفخزين المكتنزتهما .
(٨) المَأْكَمَتَانِ : اللحمتان اللتان على رموس الوركين .
(٩) مفعمَةُ السَّاقِ : ممتلئتها .
(١٠) مشبَعَةُ الخَلْخَالِ : كناية عن سمن الساقين .
(١١) القَطُوفُ ، من القَطَافِ ؟ وهو تقارب الخطو .
(١٢) المِكَسَالُ : المرأة لا تكاد تبرح مجلها ؟ وهو ملح لها عندهم ؟ كقولهم : « نثوم الضحى » .
(١٣) البَضَّةُ : الناعمة .
(١٤) الخُنْصَاءُ ، من الخنثى وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتقاعه عن الشفة ، ليس بطويل ولا مشرف .
(١٥) السَعْفَاءُ ، من السفع وهو السواد .
(١٦) الأغافِي : « رقيقة الأنف » .

صناع الكفّين ، قطيعة اللسان^(١) ، رهوة الصوت^(٢) ، تزين البيت^(٣) ،
وتشين العدو ، إن أردتها اشتتهت ، وإن تركتها انتهت ، تحمق
عينها ، وتحمر وجنتها ، وتذبذب شفتها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا
بأمرك إذا جلست]^(٤) .

فقبلها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ؛ فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشق^(٥)
عليه ، فقال لزيد - والرسول يسمع : أما^(٥) في عين السواد وفارس ما تبلغون
حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين ؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد
كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به^(٥) . ١٠٢٧/١

فأنزلها يومئذ ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي ،
وقال لزيد : اعذرني عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذي جاء
معه : اصدق الملك الذي سمعت^(٦) منه ، فإني سأحدثه بحديثك ولا أخالفك
فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له
كسرى : فأين الذي كنت خبرتني [به]^(٧) ؟ قال : قد كنت أخبرتك بضئهم
بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشيع
والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم
ليستمنوها السجن ؛ فسل هذا الرسول [الذي كان]^(٧) معي عن الذي قال ،^(٨) فإني أكرم
الملك عن الذي قال ورد عليه أن أقوله^(٨) ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال :
أيها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس]^(٧) ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

(١) قطيعة اللسان ، أي ليست سليطة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهلة .

(٣) الأغاني : الولي

(٤) من رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « فشقت عليه » .

(٥ - ٥) رواية الأغاني : « أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال :
الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أي البقر ، فأسلك الرسول
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغاني : « عما سمعت » .

(٧) من الأغاني

(٨ - ٨) الأغاني : « فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به » .

فعرِف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال ^(١) : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا ، فيصير أمره إلى التّباب .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ^(٢) ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النعمان يستعدّ ويتوقع ؛ حتى أتاه كتابه : أن أقبل فإنّ للمليك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه ، وما قيوى عليه ، ثم لحق بجبلى طيئ . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً ١٠٢٨/١ وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيئاً على أن يَدْخلوه [بين الجبلين] ^(٣) ويمنعوه . فأبوا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ؛ فإنّه لا حاجة لنا في معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به] ^(٤) . فأقبل [يطوف على قبائل العرب] ^(٥) ليس أحد من الناس يقبله ، غير أن بني رواحة بن سعد ^(٦) من بني عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك — لمنّة كانت له عندهم في أمر مروان القَرْظ ^(٧) — فقال : لا أحبّ أن أهْلِكْكُمْ ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرّاً ، فلقى هانيئ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان سيّداً منيعاً ، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذى الجُدّين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجُدّين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلّة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانيئاً مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجّه النعمان إلى كسرى ، فلقى زيد بن عدى على قنطرة سَاباط ، فقال : انجُ نعيم ، [إن استطعت النجاء] ^(٨) ، فقال : أنت يا زيد فعلت هذا ^(٩) ! أما

(١) رواية الأغاني : « ولكنه لم يزد على أن قال » .

(٢) الأغاني : « حتى بلغ النعمان » . (٣) تكلّة من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « رواحة بن قطيعة بن عبس » .

(٥) هو مروان بن زُبَاع العبسى ، أضيف إلى القَرْظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته .

(٦) رواية الأغاني : « أفلها يا زيد ! »

والله لئن انقلتُ لأفعلن بك ما فعلتُ بأبيك ! فقال له زيد : امض نعيم ، فقد والله وضعتُ لك عنده أخية^(١) لا يقطعها المنهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموتِ ربَّه بساباط حتى مات ، وهو محرزق^(٣)

١٠٢٩/١

ولما هلك بخانقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبيته صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان^(٤) .

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خندق ، وعدة من علماء العرب قد سمعناهم ، أن النعمان لما قتل عدياً كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى ، وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غَضِبَ منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الحصب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة ، حلقتة ونعمته وسلاحاً غير ذلك ، وذلك أن النعمان كان بنتاه ابنتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر ، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود . وهو الثَّبَّتَ عندي — فلما قتل كسرى النعمان ، استعمل إلياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان . قال أبو عبيدة : كان كسرى لما هرب من بهرام مرّ بإلياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً ، فشكر ذلك له كسرى ،

(١) الأخية في الأصل : أن يدفن طرفا الجبل في الأرض وفيهما عصية أو حجر ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة . (٢) الأرن : النشيط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحرزق الرجل ، أي حبسه ؛ وهذه رواية الطبري والديوان ، وفي الأغاني : « محرزق » ، وما بمعنى . قال التوزي : قلت لأبي زيد الأنصاري : أنتم تنشون قول الأعشى : « حتى مات وهو محرزق » ، وأبو عمر الشيباني ينشده « محرزق » ، بتقديم الراء على الزاي ؟ فقال : إنها نبطية ، وأم أبي عمرو نبطية ، فهو أعلم بها منا . (٤) الخبر في الأغاني ٢ : ١٠٥ - ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ويبعث [به] ^(١) إليه ، فبعث إياس إلى هاني : أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها — والمقلل يقول : كانت أربعمائة درع ، والمكثّر يقول : كانت ثمانمائة درع — فأبى هاني أن يسلم خفارته . قال : فلما منعها هاني ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل — وعنده يومئذ النعمان بن زُرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل — فقال لكسرى : يا خير الملوك ، أدلك على غيرة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقط الفَرَّاش في النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكمهم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط الفَرَّاش في النار » ، فأقرهم حتى إذا قاطوا ، جاءت بكر بن وائل فترلت الحنو ، حنوذى قار ، وهى من ذى قار [على مسيرة] ^(١) ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فتزل النعمان على هاني ثم قال له : أنا رسولُ الملك إليكم أخيركم ثلاث خصال : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تُعرّوا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

فتوامروا فولتوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يتيمنون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ؛ لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قُتِلْتُمْ وسُبِيَتْ ذراريكم ، وإن هربتم قتلتم العطش ، وتلقاكم تميم فتهلككم . فأذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامر زالتستري — وكان مسلحاً بالقطقطانة — وإلى جلابزين ^(٢) — وكان مسلحاً ببارق — وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين — وكان كسرى استعمله على طف ^{١٠٣١/١} سفوان — أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والقبول عليها الأساورة ، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ورقاً أمر فارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصفت العرب من العجم » ،

(١) تكله من ح .

(٢) في النقايس : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الوقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم انسل قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً ، فقال له : أعطِ قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالجزم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوى^(١) القوى والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانئ : يا معشر بكر ، إنّه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا فلم تزد على أن ألقيننا في الهلكة ، فردّ الناس وقطع ووضنّ الهواجر لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي «مقطع الوضن» ، وهى حزم الرّحال . ويقال : مقطع البطن ، والبطن حزم الأقتاب - وضرب حنظلة على نفسه قبة يبسطحاء ذى قار ، وآلى ألا يفِرّ حتى تفرّ القبة . ففضى من مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماء لنصف شهر ، فأنتهم العجم ، فقاتلتهم بالخنو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرهم ، فهربت إلى الجبابات ، فقتبتهم بكر ، وعجل أوائل بكر ، فتقدمت عجل ، وأبلت يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلك عجل ، ثم حملت بكر فوجدوا عجلًا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول :

١٠٣٢/١

إِنْ يَظْفَرُوا يَمْرُزُوا فِينَا الْفُرْلُ إِيهًا فِدَا لَكُمْ بَنِي عِجْلٍ
وَتَقُولُ أَيْضًا تَحْضَضُ النَّاسُ :

إِنْ تَهَزُّمُوا نَعَانِقُ وَنَقْرِشِ النَّعَارِقِ
أَوْ تَهْرُبُوا نُفَارِقُ فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم فقالوا إلى بطحاء ذى قار ، فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أى الأمرين أعجب إليكم ؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفتر حين تلاقوا

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم . قال : فصبتحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يذمرن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لبني شيبان - : يا بني شيبان ، أطيعوني وأكثفوني لهم كميناً . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذى قار ، يسمى إلى اليوم الحب ، واجتلدوا ، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامريز ، وعلى ميسرته الجلابزين ، وعلى ميمنة هاني بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة :

١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاعُكُمْ فَجِدُّوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا مُؤَدِّ جَلْدٍ^(١)
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَعَلْتَ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ
هَذَا عَمِيرٌ تَحْتَهُ أَلْدُ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ
حَتَّى يَعُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلَوْا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا
نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ^(٢) .

وقال حنظلة أيضاً :

يَا قَوْمَ طَيِّبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسًا أَجْدَرُ يَوْمَ أَنْ تَفْلُوا الْفُرْسَا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ إِنَّ الشَّرَّكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ^(٣)
وَكُلُّهُمْ يَجْرَى عَلَى قَدِيمِهِ مِنْ قَارِحِ الْهُجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهِ

(١) المؤدى : ذو الأداة التامة من السلاح .

(٢) ح : « فدنكم » .

(٣) الشراك : سير النمل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صَيَّرُوا الأمر بعد هائي إلى حنظلة ، فقال إلى مارية ابنته - وهي أم عشرة نفر ؛ أحدهم جابر بن أبيجر - فقطع وضيئها فوقعت إلى الأرض وقطع وُضُن النساء ، فوقعن إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيَهَا بَنِي شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ إِنْ تَهَزَّمُوا يُصَبِّغُوا فِينَا الْقَلْفَ
فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبسيتهم مِنْ قَبْلِ مَنَّا كَبِهِمْ ؛ لِأَنَّ
تَخِفَ أَيْدِيهِمْ بِضَرْبِ السُّيُوفِ ، فَجَالَدُوهُمْ .

قال : ونادى الهامرز : مَرْدٌ وَمَرْدٌ ، فقال بُرْدُ بْنُ حَارِثَةَ الشُّكْرِيُّ :
مَا يَقُولُ ؟ قالوا : يدعوا إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف .
فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبي كاهل :

وَمِنَّا بُرَيْدٌ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فَلَمْ تُقْرِبُوهُ الْعَرَزُ بَانَ الْمُسَوْرَا
أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقتلوا لهم فيستغفركم
النشأ ، فحملت ميسرة بكراً وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل
بُرد منهم رئيسهم الهامرز ، وحملت ميمنة بكراً وعليها يزيد بن مسهر على
ميسرة الجيش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جُبِّ ذِي قَارِ مِنْ
وَرَاءِهِمْ ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدوا على قَلْبِ الجيش ، وفيهم إياس
ابن قبيصة ، ولت إِيَادُ مُنْهَزِمَةٌ كَمَا وَعَدْتَهُمْ ، وَانْهَزَمَتِ الْفُرْسُ .

قال سَلَيْطُ : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى
الناس ، ولت بكراً منهزمة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادى فصاروا
من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هى الهزيمة ، وذاك فى حَرِّ الظَّهْرِ وفى يوم
قَائِظٍ ، فَأَقْبَلَتِ كَتِيبَةٌ عِجْجَلٌ كَأَنَّهُمْ طُنٌّ قَصَبٌ ، لَا يَفُوتُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
لَا يَمْنَعُونَ هَرَبًا ، وَلَا يَخَالِطُونَ الْقَوْمَ . ثُمَّ تَدَامَرُوا فَزَحَفُوا فَرَمَوْهُمْ بِجَبَاهِهِمْ ،
فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا إِيَاهَا ، فَأَمَالُوا بِأَيْدِيهِمْ ، فَوَلَّوْا ، فَفَتَلُوا الْفَرَسَ وَمَنْ مَعَهُمْ ؛ مَا بَيْنَ
بَطْحَاءِ ذِي قَارِ ، حَتَّى بَلَغُوا الرَّاحِضَةَ .

قال فراس : فخبرت أنه تبعه تسعون فارساً^(١) ، لم ينظروا إلى سلب ولا

(١) كذا فى التفاضل ، والعبارة فى ط مصحفة .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدَم (موضع قريب من ذى قار) ، فوجد ثلاثون فارساً من بني عجل ، ومن سائر بكر ستون فارساً ، وقتلوا جلابزين ، قتله حفظة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس يمدح بني شيبان خاصة في قوله :

فَدَى لِبْنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ ، وَقَلَّتِ^(١)
هُمُ ضَرَبُوا بِالْجَنُودِ ، حِنُوقُ قَرَارِي مُقَدَّمَةُ الْهَامِرِ حَتَّى تَوَلَّتِ
وَأَفْلَتَنَا قَيْسٌ وَقَلْتُ لَعَلَّهُ هُنَالِكَ لَوْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ^(٢)

فهذا يدل على أن قيساً قد شهد ذا قار .

وقال بكير ، أصم بن الحارث بن عباد ، يمدح بني شيبان :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمَدَامَةِ أَهْلَهَا فَاسْقِي عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَيْبَعَةَ كُلَّهَا وَمُحَلَّمًا سَبَقًا بِغَايَةِ أُمَجْدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١
ضَرَبُوا بَنِي الْأَخْرَارِ يَوْمَ لَقَوْهُمْ بِالْمَشْرِفِي عَلَى مَقِيلِ الْهَامِ
عَرَبًا ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَكَتِيبَةً أَلْفَيْنِ أَعْجَمَ مِنْ بَنِي الْقَدَامِ
شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَهَا ذِكْرَى لَهُ فِي مُعْرِقٍ وَشَامِ
عَمَرُوا وَمَا عَمَرُوا بِقَحْمٍ ذَالِهِ فِيهَا ، وَلَا غَمْرٍ وَلَا بُقْلَامِ^(٣)

فلما مدح الأعشى والأصم بني شيبان خاصة غضبت الهازم ، فقال أبو كلبة ، أحد بني قيس يؤنبها بذلك :

جُدُّعْتُمَا شَاعِرِي قَوْمِ أُولَى حَسَبٍ حَزَّتْ أَنْوْفُهُمَا حَزًّا بِمَنْشَارِ
أَغْنَى الْأَصَمِّ وَأُعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا فَلَا اسْتَعَانَا عَلَى سَمْعٍ بِإِبْصَارِ

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفي ط : « قلت » ، والصواب ما أثبتته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقَلْتُ لَعَلَّهُ يَبْلُ لُثْنٌ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ

(٣) القحمة في الأصل : المهزول من الإبل ، والداله : الضعيف . وفي التفاض : « دالف » .

لَوْ لَا فَوَارِسُ لَا مِيلٌ وَلَا عَزْلٌ^(١) مِّنَ اللَّهَازِمِ مَا قَاطَلُوا بِذِي قَارٍ
نَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسُ وَرَّادٌ بِصُدَّارٍ؟

١٠٣٧/١

قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة ، قال : صدق .
وقال معتذراً مما قال :

مَتَى يُقَرَّنُ أَصَمٌ بِمَجْلٍ أَغْشَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْخَسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ مَا قَدْ بَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حِوَارِي

وقال الأعشى في ذلك اليوم :

أَتَانَا عَنْ بَنِي الْأَخْرَا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَّا^(٢)
أَرَادُوا نَحْتَ أَنْتَلْتِنَا وَكُنَّا نَمْنَعُ الْخُطْمَا^(٣)

وقال أيضاً لقيس بن مسعود :

أَقَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
أَتَجَمُّعُ فِي عَامٍ غَزَاةً وَرِحْلَةً أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَابِلُ!

وقال أعشى بنى ربيعة :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ ذِي قَارٍ أَقْمْنَا وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءَاءٌ فَلَقَّا
لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَبَجَلَتْ فَوَلَّوْنَا الدَّوَابِرَ وَاتَّقَوْنَا
ظِلَالُ دُجَاهُ عَنَّا مُصْلِتِينَا وَذَدْنَا عَارِضَ الْأَحْرَارِ وَرَدَّا
كَمَا وَرَدَ الْقَطَا الشَّمَدَ الْمَعِينَا

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .

(٢) ديوانه ٢٠٤ .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوان الأعشى ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبَل ملوك الفرس

بالحيرة بعد عمرو بن هند

قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبَل ملوك الفرس من آل نصر ١٠٣٨/١ ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدّة ولاية كلِّ مَنْ ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لهم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولى ذلك لهم النعمان بن المنذر ، والذي ولى لهم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمّه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولى ذلك أربع سنين ؛ من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر ، وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إياس بن قبيصة الطائي ومعه النّخِيجَان ، تسع سنين في زمن كسرى ابن هرمز . ولِسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آزاديه بن ماهان^(١) بن مِهْرَبَنْدَاذ الهمداني سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دُخْتُ بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر — وهو الذي تسمّيه العرب الغرور ، الذي قتل بالبحرين يوم جُوَاثِي ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة — ثمانية شهر .

فكان آخر مَنْ بَقِيَ من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر - فيما زعم هشام - ومن استخلف من العبيد والفرس عشرون ملكًا . قال : وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر

* * *

رجع الحديث إلى ذكر المَرْزَان وولايته اليمن ، من قِبَل هُرْمَز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وبن^(١) عن اليمن ، واستعمل مكانه المَرْوَزَان ، فأقام باليمن ، حتى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع^(٢) خالفوه ، وامتنعوا من حمل الخراج إليه - والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه - فسار المَرْوَزَان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد ، يَمْنَع ذلك الباب رجل واحد ؛ فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذي يجاذى حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحتته هواء ذاهب ، فلم ير شيئاً أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه^(٣) أن يصطفوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب^(٤) فرسه فاستجمع حضراً^(٥) ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حمير وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم - والأيم بالحميرية شيطان - فانتهرهم وزبرهم بالفارسية ، وأمرهم أن يكتف بعضهم بعضاً ، فاستزلم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم^(٦) ، وكتب بالذي كان من أمره إلى كسرى

(١) ط : « زين » وأثبت ما في التصويبات . (٢) وقال ياقوت : « حصن يقال له المصانع » .

(٣) ت ، ح : « فأق أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « فضرب » ، وما أثبتت من ت ، ح .

(٥) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلى .

قال : وكان للمروزيان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ؛ يقال له خسر خُسرة ، والآخر أسوار يتكلم بالفارسية ، ويتدهقن ، فاستخلف المروزيان ابنه خسر خُسرة - وكان أحب ولده إليه - على اليمن ، وسار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك ، فوضع في تابوت ، وحمل حتى قدم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته ، وكتب عليه في هذا التابوت : فلان الذي صنع كذا وكذا ، قصته في الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرب خسر خُسرة وروايته الشعر ، وتأدبه بأدب العرب ، فعزله ، وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولاية العجم .

وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة ١٠٤١/١ والكراع وافتتح من بلاد العدو ، وساعده من الأمور ، ورزق من مؤتاته ، وبطير^(١) ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال ، فولى جباية البقايا عجمياً من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سير ؛ يقال له : فرخزاد بن سمي ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغصبهم أموالهم في غير حلة ، بسبب بقايا الخراج ، واستفسدهم بذلك ، وضيّق عليهم المعاش ، وبغض إليهم كسرى ومملكه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك ، وبلغت خيل القسطنطينية وإفريقية ، وكان يشرب بالمداخن ، ويتصيف ما بينها وبين همذان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا واحداً ، وخمسون ألف دابة بين فرس وبرذون وبغل ، وكان أرغب الناس في الجواهر والأواني وغير ذلك .

وأما غير هشام فإنه قال : كان [له]^(٢) في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوحن ،

(١) ت ، ح : « وبطير وأشر » .

(٢) من ر ، ل .

وألوف جوارٍ اتخذهنّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه ، وسبعمائة وستون فيلاً ، واثنان عشر ألف بغل لشقّليه ، وأمر فبنيت بيوت النيران ، وأقام فيها اثني عشر ألف هيربند للزّمة . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبي من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرفع إليه أن الذى اجتبى في تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ؛ يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحوّل إلى بيت مال بنى بمدينة طيسّون^(١) ، ومناه بهار حفرد خسرو ، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يزّد جرد وقباز بن فيروز ، اثنا عشر ألف بدرة ، في كلّ بدرة منها من الورق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعة ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف وأحد وسبعون ألفاً وأربعمائة وعشرون درهماً ونصف وثلاث ثمن درهم ، في أنواع لا يحصى مبلغها إلا الله ، من الجواهر والكسّى وغير ذلك .

وإن كسرى احتقر الناس ، واستخفّ بما لا يستخفّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوه وجبرّاته على الله^(٢) أنه أمر رجلاً كان على حرّس بابهِ الخاصّ - يقال له : زاذان فروخ - أن يقتل كلّ مقيّد في سجن من سجونهِ ، فأحصوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ، فلم يقدم زاذان فروخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعل أعدّها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ؛ أحد ذلك احتقاره لإيّاهم ، وتصغيره عظماءهم . والثاني تسليطُ العليّج فرخان زاد بن سمى عليهم ، والثالث أمره بقتل مَنْ كان في السجن ، والرابع إجماعه على قتل الفلّ الذين انصرفوا إليه من قبل هيرقل والروم ؛ فضى ناس من العظماء إلى عقّر بابل ، وفيه شبّري بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكلّ بهم مؤدّبون يؤدّبونهم ، وأساوره يحولون

(١) ل ، ح : « طيستون » ر : « طيسور » .

(٢) ت ، ح : « عتوه على الله عز وجل وجبرّاته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بهرُسير ليلا ، فخلت عمن كان في سجونها ، وخرج من كان فيها ، واجتمع إليه الفلّ الذين كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا إلى رجة كسرى ، فهرب من كان في قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره ، ويدعى باغ الهندوان فأرأى مرعوباً ، وطلب فأخذ ماه آذر وروز آذر^(١) ، وحبس في دار المملكة ، ودخل شيرويه دار ١٠٤٤/١ الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فلكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً ، أكبرهم شهريار ، وكانت شيرين تبتته ، فقال المنجمون لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ؛ ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فحُصِر ولده لذلك عن النساء ، فكثوا حينئذ لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكوا ذلك شهريار إلى شيرين ، وبعث إليها يشكو الشبّ ، ويسألها أن تدخل عليه امرأة وإلا قتل نفسه ؛ فأرسلت إليه : إنّي لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون امرأة لا يؤوبه لها ، ولا يحمل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست^(٢) أبالي ما كانت ، بعد أن تكون امرأة . فأرسلت إليه بجمارية كانت تحجمها ، وكانت — فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ؛ إلا أن شيرين كانت غضبت عليها في بعض الأمور ، فأسلمتها في الحجامين ؛ فلما أدخلتها على شهريار وثب عليها ، فحملت بيزدجيرد ، فأمرت بها شيرين فقُصِرَت^(٣) حتى ولدت ، وكنمت أمر الولد خمس سنين . ثم إنّها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبير ، فقالت له : هل يسرك أيّها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالي . فأمرت بيزدجيرد فطُيِبَ وحلّي ، وأدخلته عليه ، وقالت : هذا يزدجيرد بن شهريار ، فدعا به فأجلسه في

(١) اللغى فيما يظهر أنه أخذ في شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح ، «إني لست» . (٣) قصرت : حبست .

حِجْرُهُ ، وَقَبْلَهُ وَعُطِفَ عَلَيْهِ ، وَأُحِبَّهُ ^(١) حُبًّا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَبِيتَهُ مَعَهُ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ إِذْ ذَكَرَ مَا قَبِلَ [فِيهِ] ^(٢) ، فَدَعَا بِهِ فَعَرَّاهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَهُ ، فَاسْتَبَانَ النِّقْصَ فِي أَحَدِ وَرِكَيْهِ ، فَاسْتَشَاظَ غَضَبًا وَأُسْفًا ، وَاحْتَمَلَهُ ^(٣) لِيَجْلِدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شِيرِينَ ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَقْتُلَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ إِنْ يَكُنْ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ فِي هَذَا الْمَلِكِ فَلَيْسَ لَهُ مَرَدٌ . قَالَ : إِنْ هَذَا الْمَشْتُومُ ؛ الَّذِي ^(٤) أَخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَأُخْرِجِيهِ فَلَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَأَمَرَتْ بِهِ فَحُمِلَ إِلَى سِجِسْتَانَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ بِالسَّوَادِ عِنْدَ ظُؤُورَتِهِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا خُصْمَانِيَّةٌ . وَوُثِّبَتْ فَارِسٌ عَلَى كِسْرَى فَقَتَلَتْهُ ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ شِيْرُوِيهِ بْنُ مَرْيَمَ الرُّومِيَّةَ .

وَكَانَ مَلِكُهُ ثَمَانِيًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَمْضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مَلِكِهِ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

[ذَكَرَ مَلِكَ شِيْرُوِيهِ بْنِ أَبِرُوِيَز]

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ شِيْرُوِيهِ ، وَاسْمُهُ قَبَاذُ بْنُ أَبَرِيَزَ بْنِ هُرْمَزَ بْنِ كَسْرَى أَنْوَشِيرْوَانَ . فَذُكِرَ أَنَّ شِيْرُوِيهِ لَمَّا مَلَكَ دَخَلَ عِظَمَاءُ الْفَرَسِ عَلَيْهِ بَعْدَ حَبْسِهِ ^(٥) أَبَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَلِكًا اثْنَانِ ، فِيمَا أَنْ تَقْتُلَ كَسْرَى وَنَحْنُ خَوَلُوكَ الْبَاخِعُونَ لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَإِمَّا أَنْ نَخْلَعَكَ وَنُعْطِيَهُ الطَّاعَةَ عَلَى مَا لَمْ نَزَلْ نَعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ . فَهَدَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ شِيْرُوِيهِ وَكَسَرَتْهُ ، وَأَمَرَتْ بِتَحْوِيلِ كَسْرَى مِنْ دَارِ الْمَمْلَكَةِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَارَسَفْنَنْدُ . فَحُمِلَ كَسْرَى عَلَى

(٢) تَكَلَّمَ مِنْ ر ، وَفَتْ ح ، « لَه » .

(١) ت ، ح : « فَأُحِبَّهُ » .

(٤) ت ، ح : « وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ » .

(٣) ت ، ح : « فَاحْتَمَلَهُ » .

(٥) ت ، ح : « خَلَعَهُ » .

برذون ، وقُنِعَ رأسه ، وسِير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فرَوَّا به في مسيرهم^(١) على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق ، فلما بَصُرَ بفرسان من الجند معهم فارس مقنَّع ، عَرَفَ أن المقنَّع كسرى ، فحذَفَه بقالِبٍ ، فعطف إليه^(٢) رجلٌ ممَّن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عنق الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى في دار مَارَسَفَنَد جمع شيوخه ممَّن كان بالبَاب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إِنَّا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تديره ونوقحه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خُرَّة يقال له أسفاذ جُشْنَس ، ولمرتبه رئيس الكتيبة ، كان يلي تدير المملكة ، فقال له : انطلق إلى الملك أبينا ، فقل له عن رسالتنا : إِنَّا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحدٌ من رعيَّتينا سبيًّا ، ولكنَّ الله قضاهَا عليك جزاء منه لك بسبيِّ أعمالك ؛ منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفتشكك به ، وإزالَتك الملك عنه ، وسملك عينيه ، وقتلُك إياه شرَّ قِتلة ، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في حطرك علينا منافذة^(٣) الأخيار ومجالستهم ، وكلَّ أمر يكون لنا فيه دعة وسرور وغبطة .

ومنها إساءتك كانت بممَّن خلدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة ١٠٤٧/١ الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهنَّ بمودة منك والصرف لهنَّ إلى معاشره ممَّن كُنَّ يُرزقنَّ منه الولد والنسل ، وجبسك إياهنَّ قبلك مكرهات . ومنها ما أتيت إلى رعيَّتكَ عامَّة في اجتبايك إياهنَّ الخراج ، وما انتهكت منهم في غلظتك وفضاظتك عليهم . ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من الناس في عنف شديد ، واستفساد منك إياهنَّ ، وإدخالك البلاء والمضارَّ عليهم فيه . ومنها تجميرك من جمَّرت^(٤) في ثغور الروم وغيرهم

(١) ل : « في مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال في اللسان : « ثافت الرجل منافذة » ، أي صاحبتُه لا يخفى على شيء من أمره .

(٤) . التجمير : حبس الأمير جنوده في أرض العدو ؛ ولا يأذن لهم في العودة والقفل .

من الجنود ، وتفريقك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرك بموريق ، ملك الروم ، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك ، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويهه باسمك في تزويجه إياك أكرم النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقه ، وتركك إطلابه^(١) ما طلب إليك من ردّ خشبة الصليب ، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته^(٢) . فإن كانت لك حجج تُدلي بها عندنا وعند الرعية فأدل بها ، وإن لم تكن لك حجة ، فتب إلى الله من قريب ، وأنّب إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جُشنس رسالة كسرى شيرويه هذه ، وتوجّه من عنده إلى كسرى ليلبّغه إياها ، فلما توجّه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألنقى رجلاً يقال له جيلنوس كان قائد الجنود قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جُشنس جيلنوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاه برسالة من شيرويه ، فرجع جيلنوس فرفع السر الذي كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمرك الله ! إن أسفاذ جُشنس بالباب ، وذكر أن الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة^(٣) ، وهو يستأذن عليك ، فأريك في الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحاً : يا جيلنوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهل العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك ، فليس لنا مع ملكه إذن ، وإن كان لنا إذن وحجيب فليس شيرويه بملك ؛ ولكن المثل في ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فأذن لأسفاذ جُشنس يلبّغ الرسالة التي حملها . فلما سمع جيلنوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد أسفاذ جُشنس ، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جُشنس ، ودعا بعض من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أى علمت ذلك الأمر من طلب رد خشبة الصليب .

(٣) ت ، ح : « برسالة » .

كساء كان لابسه ، وأخرج من كه ششتقة بيضاء نقيّة ، ففسح بها وجهه ، ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأوره كسرى بالانبعاث ، فانبعث وكفّر بين يديه - وكان كسرى جالساً على ثلاثة أعماط [من] ^(١) ديباج خُسْرَوَانِيّ منسوج بلذهب ، قد فرشت على بساط من إبريسم ، متكئاً على ثلاث وسائد منسوجة بلذهب ، وكان بيده سَفَرَجَلَة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس ، تربّع جالساً ووضع السَفَرَجَلَة التي كانت بيده على تَكَيّأته ، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها واملّس السادة التي كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ، ومن التّمط إلى البساط ، ولم تلبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمّته ، وذهب ليضعها بين يدي كسرى ، فأشار إليه أن ينحنيها عنه ، وقال له : أعزّبها عني ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكفّر بيده ، فنكس كسرى ، ثم قال متمثلاً : الأمر إذا أدبر فأت الحيلة في الإقبال به ، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به ، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السَفَرَجَلَة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حملت من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السَفَرَجَلَة التي تأويلها الخير ، سقطت من علّو إلى سفلى ، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ؛ وذلك منها دليل في حال الطيرة : أن مجد الملوك قد صار عند السّوق ^(٢) ؛ وأنا قد سلينا الملك ، وأنّه لا يلبث في أيدي عقبتنا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة ، فدونك فتكلّم بما حملت من رسالة ، وزوّدت من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس في تبليغ الرسالة التي حملته إياها شيرويه ، ولم يغادر ١٠٥٠/١ منها كلمة ، ولم يزلها عن نسقها . فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة : بلّغ

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جميع السوق ، وهي من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

عَنى شيرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغي لذى عقل أن يبت من أحد الصغير من الذنب ، ولا اليسر من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقنه إياه منه ، فضلا عن عظيم ما بثت ونشرت ^(١) وادّعت منا ، ونسبتا إليه من الذنوب والجرائم ؛ مع أن أولى الناس بالرد عن ذى ذنب ، وتوبيخ ذى جرمة ^(٢) ، من قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كنا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغي أن تنشره وتؤنينا [به] ^(٣) أيها القصير العمر القليل العلم ؛ فإن كنت جاهلا بما يلزمك من العيوب ببشك منا ما بثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ؛ فاستثبت عيوبك واقتصر في الزرى علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقاتلك فيه إلا اشتهاً بالجهل ، ونقص الرأى . أيها العازب العقل ، العديم العلم ؛ فإنه إن كان لإجهادك نفسك في شهرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ؛ فقضاة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحونه عن مضامة الأخيار ومجالستهم ، ومخالطتهم إلا في أقلّ المواطن فضلا عن أن يملك ؛ مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونيتنا فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا في شيء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حجة ولا توبيخ ؛ ونحن نشرح الحال فيما ألزمتنا من الذنوب ، وألحقت بنا من الجرائم ؛ عن غير التماس منا لذلك نقصاً فيما أدلينا به من حجة ، أو أثبتنا عليه من برهان ؛ لترداد علمنا بجهالتك وعزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرت من أمر أبينا هُرمز ؛ فن جوابنا فيه أن الأشرار والبلغاة كانوا أغرّوا هُرمزينا حتى اتهمنا واحتمل غمراً ^(٤) ووغرّاً ورأينا من ازوراره عنا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوفنا ناحيته ، فاعتزلنا بابه لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذربيجان ، وقد استفاض ، فانتهك من الملك ما انتهك . فلما انتهى إلينا خبر ما بلغ منه شخصنا من أذربيجان إلى بابه ، فهجم علينا المناقق بهرام في جنود عظيمة من العصاة

(١) ت ، ر : « فرت » .

(٢) ت ، ح : « جرمة » .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الغمر ، بالكسر : الغل والحقد .

المستوحبة القتل ، مارقًا من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الروم ، فأقبلنا منها بالجنود والعُدَّة ، وحاربناه فهرب منا ، وصار من أمره في بلاد الترك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر في الناس ؛ حتى إذا صفا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات التي كانوا أشفقوا عليها ، قلنا : إن من خير ما نحن بادئون به في سياستنا ، ومفتتحون به مُلكنا الانتقام لأبينا ، والثأر به والقتل لكل من شريك في دمه ؛ فإذا أحكمنا ما نوبنا من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كل من شريك في دمه ، وسعى فيه ومالاً عليه .

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا ، فن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلاّ صحيحة أعضاء جسده ؛ غير أننا وكَلنا بالحراسة لكم ، وكفّكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كفّ ما نتخوف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثم كنا أقمنا من النفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأما أنت خاصّة ، فن قصّتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مثرّب علينا ، أو يكون ذلك بسببك ؛ فلم نأمر بقتلك ؛ ولكن ختمنا على كتاب قضية مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القضية وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من مُلكنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب في أمور شتى ، وأهدى لنا ولكم — معشر^(١) أبنائنا — هدايا ، وكتب إلى كل واحد منكم كتابًا ، وكانت هديته لك — فاذكرها — فيلا ، وسيفًا ، وبازيًا أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتب إليكم وجدته قد وقّع على كتابه إليك بالهندية : اكتم ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كل واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتبسنا كتابه^(٢) إليك لحال التوقيع الذي ١٠٥٣/١ كان عليه ، ودعونا بكتاب هندي ، وأمرنا بفضّ خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عينًا ، وأنعم بالآ ، فإنك متوجّ ماه آخر روز ديبا درسنة

(١) ت ، ل : « معشر » . (٢) ت ، ح : « كتابك » .

ثمان وثلاثين^(١) من مُلك كسرى ، ومملك على ملكه وبلاده ؛ فوثقنا أنك لم تكن لتملك إلاّ بهلكنا وبوارنا ، فلم نتفصك — بما استقرّ عندنا من ذلك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصّلات وغير ذلك — شيئاً ؛ فضلاً عن أمرنا بقتلك .

وأما كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمنا ، واستودعناه شيرين صاحبنا ؛ وهى فى الأحياء صحيحة العقل والبدن ؛ فإن أحببت أن تأخذَ منها قضية مولدك ، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتكسبك قراءة لك إياهما ندامة وشوراً فافعل .

وأما ما ذكرت من حال من خلّد السّجن فن جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جيّومرّت إلى أن ملك بيشتناسب ، كانوا يدبّرون ملكهم بالمعدّة ؛ ولم يزلوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكنا يدبّرونه بمعدلة ، معها ورع الدين ؛ فسلّ إن كنتَ عديم عقل وعلم وأدب حملة الدين — وهم^(٢) أوتاد هذه الملة — عن حال من عصى الملوك وخالفهم ، ونكث عهدهم ، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنّهم لا يستحقّون أن يُرحّموا ويعفّى عنهم . واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس فى سجوننا ، ولا من قد وجب عليه فى القضاء العدل أن يقتل أو تُسَمَل^(٣)

١٠٥٤/١ عينه ، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه . وكثيراً ما كان الموكلون بهم وغيرهم من وزرائنا يدكرون استيجاب من استوجب منهم القتل ، ويقولون : عاجلهم بالقتل قبل أن يحتالوا لأنفسهم حيلةً يقتلونك بها ، فكنّا لحبنا استبقاء النفوس وكرهنا سفك الدماء نتأّتى بهم ، ونكيلهم إلى الله ، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذى اقتصرنا عليه ؛ إلاّ على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب ، وشمّ الرياحين ، ولم نَعُدْ فى ذلك ما فى سنن الملة من الحول بين المستوجبين للقتل ، وبين التلذّذ والتنعّم بشيء مما منعناهم إياه ؛ وكنا أمرنا لهم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذى يُصلحهم فى اقتصاد ، ولم نأمر بالحول بينهم وبين نساءهم والتوالد والتناسل فى حال حبسهم . وقد بلغنا أنك أجمعت على التخلية

(١) نص فارسى ، ومعناه أنك متوج فى شهر آذر ، فى يوم سعيد ، فى ستة ثمان وثلاثين

من ملك كسرى . (٢) ر : « فهم » . (٣) ت ، ح : « وتسل » .

عن أولئك الدّعار المنافقين المستوجبين للقتل^(١) ، والأمر بهدم محبسهم ، ومتى تُخلّ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسيء إلى نفسك ، وتُخلّ بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التي فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل ، مع أن أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ الحكماء وقالوا : لا تؤخّر عن معاقبة المستوجب العقوبة ؛ فإن تأخيرها مدفعة للعدل ، ومضرة على المملكة في حال التدبير ؛ ولئن نالك بعض السرور إن أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافقين العصاة المستوجبين^(١) للقتل لتجلدن غيب ذلك في تدبيرك ، ودخول أعظم المضرة والبلية على أهل الملة .

١٠٥٥/١

وأما قولك : إننا إنما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور^(٢) وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لامن بلاد العدو بالمجاهدة لهم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما في أيديهم ؛ فن جوابنا فيه أن من إصابة الجواب في كل كلام يتكلّم به عنجهيّة ترك الجواب فيه ، ولكن لم ندع - إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وكانت حجّتنا فيما غشينّا أن نحتج به ، قويّة ، وعذرنا واضحاً - شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنما يقيم مُلك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصّة ملك فارس ، الذي قد اكتنفت بلاده أعداء فاغرة أفواههم للانتقام ما في يديه ، وليس يُقدّر على كفتهم عنها ، وردّهم^(٣) عما يريدون من اختلاس ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال وفورها ، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلا بالجدّ والتشمير في اجتباء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل اقتدينا في ذلك بآبائنا ولماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

(١) ر : « المستوجب للقتل » . ل : « المستوجبين للقتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقدعهم » .

وكثروها ووفروها لتكون ظهراً لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ؛ وغير ذلك مما لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان في خزائنا ، المنافع بهرام في عصابة مثله وفتاك مستوجبين للقتل ، فشدّ بوها وبذروها وذهبوا بما ذهبوا به منها ، ولم يتركوا في بيوت أموالنا وخزائنا إلاّ أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها ، ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله مُلْكُنَا ، واستحكمت أمورنا وأدعن لنا الرعيّة بالطاعة ، ودفعنا عنهم البوائق التي كانت حلت بهم ، ووجهنا إلى نواحي بلادنا أصبّهبذين ، وولينا دونهم على تلك النواحي فاذاوسبائين^(١) ، واستعملنا على ثغورنا مرازبة وولاة ذوى صرامة ومضاء وجلد ، وقوينا مَنْ ولينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أثخن هؤلاء الولاة مَنْ^(٢) كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدوّ . وبلغ من غاراتهم عليهم ، وقتلهم مَنْ قتلوا ، وأسروهم مَنْ أسروا منهم ، من سنة ثلاث عشرة مِنْ مُلْكُنَا ، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه في حرم بلاده إلاّ بخفير ، أو خائف ، أو بأمان مينا ، فضلاً عن الإغارة على شيء من بلادنا ، والتعاطى^(٣) لشيء مما كرهنا ، ووصل في مدّة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزائنا ميمّا غنمنا من بلاد العدو من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ، ومن النحاس والفرند والحريير والإستبرق والديباج والكُراع والأسلحة والسبّى والأسراء ما لم يتخفَ عظمُ خطر ذلك وقدره على العامة ، فلما أمرنا في آخر سنة ثلاث عشرة من مُلْكُنَا بنقش سكك حديثة ، لنامر فيستأنف ضرب الورق بها ، وُجد في بيوت أموالنا - على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورق - مائتا ألف بدرة ، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال . فلما رأينا أننا قد حصّنا ثغورنا ، وردعنا العدو عنها وعن رعيّتنا ، [وجمعنا مشتت أمرنا]^(٤) ، وكعّمنا أفواههم الفاغرة كانت لالتقام ما في أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن ، وأمنّا على نواحي

(١) ح : « قاوساين » ، ر : « فاروساين » ، ل : « قاوساين » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « ما » .

(٣) ل : « أو التعاطى » .

(٤) تكلّة من ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغار ، أمرنا باجتماع بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائننا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ؛ حتى إذا كان في آخر سنة ثلاثين من ملكنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الوريق ، فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جندنا ، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الوريق أربعمائة ألف بدرة ، يكون ما فيها ألف ألف مثقال وستمئة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ مما أفاء الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم ، في سفن أقبلت بها إلينا الريح ؛ فسميناها فتيء الرياح ؛ ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمان وثلاثين من ملكنا ، التي هي هذه السنة تزداد كثرة ووفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمنًا وطمأنينة ، وثغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛ وقد بلغنا أنك هممت — لرذولة^(١) مروءتك — أن تبذر هذه الأموال وتضييها^(٢) ، عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كد وعناء شديد ، لندفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١٠٥٨/١ المتقلبين إلى غلبتهم على ما في أيديهم . وإنما يُقدَّر على كف أولئك العدو في الأزمان والدهور كلها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال ، ولا يستنفع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها ؛ فلاتهمن بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسرن عليها ؛ فإنها كهف للملك وبلادك ، وقوة لك على عدوك .

ثم انصرف إِمفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يسقط منه حرفاً ؛ وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فإما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن نخوِّلك ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة . فهدت شيرويه هذه المقالة وكسرت ، وأمر بقتل كسرى ، فاندب لقتله رجال كان وترهم كسرى ، فكلما أتاه

(١) الرذل : الدون في المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذالة ورذولة .

(٢) تضييها : تذهبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزبره . فلم يُقدِّم على قتله أحد؛ حتى أتاه شابٌ يقال له مِهْرَهْرُمُز بن مَرْدَانِشَاه ليقتله ، وكان مردا نشاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروز ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجميه وعافته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيته آتية^(١) من قِبَل نيمروز . فاتهم مردانشاه ، وتخوف ناحيته لعظم قدره ، وأنه لم يكن في تلك الناحية مَنْ يعدِّله في القوة والقدرة . ١٠٥٩/١

فكتب إليه أن يعجل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأى في طلب عِلَّة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتذتم من قتله لما علم من طاعته إِيَّاه ، ونصيحته له ، وتحرَّيه مرضاته . فرأى أن يستبقيه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوّضه منها أموالاً عظيمة يوجد له بها ، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رجة الملك .

وإن كسرى أرسل يومَ أمر بقطع يده عينا لِيَأْتِيَهُ بخبر ما يسمع من مردانشاه ومَنْ بحضرته^(٢) من النظارة ، وإن مردانشاه لما تمطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبَّلها ووضعها في حجره ، وجعل يندبها بدمع له دارٌ ويقول : واسمحتاه ! واراميتاه ! واكاتبتاه ! واضاربناه ! والاعتباه ! واكريمناه ! فانصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عينا عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرق له كسرى ؛ وندم على إتيانه في أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعَلِّمه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئا يجد السبيل إلى بدله إلا أجابه إليه ، وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إننى لم أزل أعرف تفضلك على أيها الملك ، وأشكره لك ، وقد تيقنت أن الذى أنيت إلى مع كراحتك إِيَّاه ؛ إنما كان سببه القضاء ؛ ولكنى سائلك أمراً فأعطني من الأيمان على إسعافك إِيَّاي به ما أطمئن إليه ، وليأتيني بيقين حليفك على ذلك رجل من النساء ، فأفرشك إِيَّاه وأبشّه لك .

(١) ح ، ل : « تأتية » .

(٢) ل : « يحضره » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه، وحلف بالأيمان المغلظة ليجيبته إلى ما هو سائله؛ ما لم تكن مسألته أمراً يُوهِين ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحي بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحثث ، زعم .

وإن كسرى سأل مِهْرُ هرمز بن مردانشاه، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومرتبته . فأخبره أنه مِهْرُ هرمز بن مردانشاه؛ فاذوسبان نيمروز، فقال كسرى : أنت ابن رجل شريف كثير الغناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيانا ، ونصيحته لنا ، وغنائه عنا بغير ما كان يستحقه ، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهر هرمز على حَبْل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يُحِكْ فيه ، ففتش كسرى فوجد قد شدق عضده خَرَزَة لا يُحِكُ السيف فى كل من تعلقها . فترعت من عضده ، ثم ضربه بعد ذلك مهر هرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً ، وأمر بحمل جثته إلى الناووس فحمِلت ، وشيّعها العظماء وأفناء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذر ورمزه . وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا - إياه على قتلهم ، فابتلى بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا ، وكان هلاكه بدسكرة الملك ، وكان مشموماً على آل ساسان؛ فلما قتل لإخوته جنزِع جزعاً شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وآزر ميدخت أخته فأسمعتاه وأغلظتا له ، وقالتا : حَمَلَك الحرصُ على مُلْك لا يَمُ ، على قتل أبيك وجميع إخوانك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورمى بالتَّاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلها مهموماً مُدْنَقاً . ويقال : إنه أباد مَنْ قدر عليه من أهل بيته ؛ وإن الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلاً منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر .

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان طفلاً صغيراً قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتكراً. فلكنه عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهآذر جُشنس؛ وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملوك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسن معه بخدائته سن أردشير. وكان شهر براز بثغر الروم في جُند ضمهم إليه كسرى، وتمام السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر بهما، فيستشيرانه فيه؛ فلما لم يشاورة عظماء فارس في تملك أردشير، اتخذ ذلك ذريعة إلى التعتب والتبغى عليهم، وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبودية^(١) إلى رفعة الملك، واحترق أردشير لخدائته سنّه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمد مهآذر جُشنس؛ فحصن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحول أردشير، ومن بقي من نسل الملك ونسأهم، وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكُراعاه إلى مدينة طيسبون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر من فيها وقتلهم عنها، ونصب المجانيق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خسروا، وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جُشنس بن آذر جُشنس؛ أصهبذ نيمروز؛ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء قتلهم، واستصنى أموالهم، وفضح نسأهم. وقتل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه؛ سنة اثنتين مائة بهمن، ليلة روزآبان في إيوان خسرو شاه قباد.

وكان ملكه سنة وستة أشهر.

* * *

(١) كذا في ح، ل، وفي ط: «العبودية».

[ذكر مُلك شهر براز]

ثم ملك شهر براز ؛ وهو قَرّ خان ماه إسفنديار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه ملكاً . وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الحلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فبرز فيه . وإن رجلاً من أهل إصطخر ، يقال له فسفروخ بن ماخرشيدان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهر براز أردشير وغلّبته على الملك ، وأنفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاهدوا على قتله ، وكانوا جميعاً في حرس الملوك ، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سباطين ، عليهم الدروع والبيض والترس والسيوف ، وبأيديهم الرماح ؛ فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم ترسه على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإن شهر براز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفروخ وأخواه ؛ قريباً بعضهم من بعض ؛ فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفروخ ، ثم طعنه أخواه ، وكان ذلك إسفندارمذماه ، وروزدي بدین^(١) ، فسقط عن دابته ميتاً ، فشدوا في رجله حبلاً وجروه إقبالا وإدباراً ، وساعدهم على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فروخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهيای ، كان مؤدب الأساورة ، وكثير من العظماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكؤا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظماء . ولأنهم ملكوا بوران بنت كسرى . وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

* * *

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذكر أنها ١٠٦٤/١ قالت يوم ملكت : البر أنوي وبالعدل أمر ؛ وصيرت مرتبة شهر براز لفسفروخ ، وقلدته وزارتها ، وأحسنّت السيرة في رعيّتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورق ورمّ القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بقيت من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامة كتباً أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان

(١) نص فارسي قديم ، ومعناه أن ذلك كان في شهر إسفندارمذ ، وكان في يوم شتاء .

إليهم ، وذكرت حَال مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يرثهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوِّخ البلاد ، ولا ببأسهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر ؛ ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل ، وأمرتهم بالطاعة وحضتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جمّاعة لكل ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .
وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

* * *

[ذكر ملك جشندسه]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشْنَسَدِه ، من بني عم أبرويز الأبعدين .
وكان ملكه أقل من شهر .

* * *

[ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ؛ ويقال إنها كانت من أجمل نساها ؛ وإنها قالت حين ملكت :
منهاجسنا منهاج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز لأصبهذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرک فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك مني ، فصر إلى ليلة كذا وكذا . ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة ، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يرتصده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحب حرسها لأمرها ، وأمرت به فجرت برجله ، وطرح في رجة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلاً ، فأمرت بجثته فغيبت ، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزْدَجِرْد الذي وجهه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسمل

عيني آزر ميدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُمّت .
وكان ملكها ستة أشهر .

* * *

[كسرى بن مهراجشنس]

ثم أتى برجل من عقِب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له :
كسرى بن مِهْرَجُشْنَس ، فَلَكَه العِظْمَاء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير
الملك ، وقتل بعد أن ملك بأيام .

* * *

[ذكر ملك خرّزا خسروا]

وقيل إن الذي ملك بعد آزر ميدخت خرّزاذ خُسُروا من ولد أبرويز .
وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نصيبين ، فلما صار إلى ١٠٦٦/١
المداخن مكث أياماً يسيرة ، ثم استعصوا عليه ونخالفوه .

* * *

[ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزر ميدخت كسرى بن مهراجشنس : لمّا قُتِل
كسرى بن مهراجشنس ، طلب عِظْمَاء فارس من يملّكونه من أهل بيت المملكة ،
فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبَل النساء ، فأَتوا برجل كان
يسكن ميسان ، يقال له فيروز بن مِهْرَانْجُشْنَس ، ويسمى أيضاً جُشْنَسِيْدَه
قد ولدته صِهَارْبُخت بنت يزداندار بن كسرى أنوشروان ، فَلَكَوه كرهًا .
وكان رجلاً ضَخْم الرأس ، فلما تَوَجَّع قال : ما أضيق هذا التاج !
فتطير العِظْمَاء من افتتاحه كلامه بالضيق ؛ وقتلوه بعد أن ملك أيامًا .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلم بما تكلم به .

* * *

[ذكر ملك فرخزاد خسروا]

وقال قائل هذا القول : ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبته رئيس الخوكل إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين ، يقال له : حصن الحجارة ، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتل شيرويه بنى كسرى يقال له : فرخزاد خسروا إلى مدينة طيسبون ، فانقاد له الناس زمناً يسيراً ، ثم استعصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن شهریار]

وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهریار بن كسرى بإصطخر ، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته ، فلما بلغ عظماء أهل إصطخر أن من بالمداثن خالفوا فرخزاد خسروا ، أتوا بيزدجرد بيت نار يدعى بيت نار أردشير ، فتوجه هنالك ، وملكوه— وكان حدثاً— ثم أقبلوا به إلى المداثن ، وقتلوا فرخزاد خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك ستة .

وساغ الملك ليزدجرد ؛ غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كاخيل والحليم ، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحدائث سنه ، وكان أشدّهم نباهة في وزرائه وأذكاهم رئيس الخوكل . وضعف أمر مملكة فارس ، واجترأ عليه أعداؤه من كل وجه ، وتطرقوا بلاده وأخربوا منها ، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه . وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه . وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانياً وعشرين سنة .

* * *

وقد بقي من أخبار يزدجرد هذا وولده أخبار ساذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم ، وما آل إليه أمره وأمر ولده .

فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم— على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود ، وتزعم أنه في التوراة الصورة^(١) مثبت من أعمار الأنبياء والملوك— أربعة آلاف سنة وستائة

١/١٠٨٦

(١) الصورة ، بدل من التوراة ؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة .

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما نقوله النصارى مما تزعم أنه في توراة اليونانية ؛ فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس ؛ فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً ؛ على أنه داخل في ذلك مدة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرْد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً ؛ وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جَيَّوْمَرْت ، وجَيَّوْمَرْت هو آدم أبو البشر؛ الذى إليه نسبة كل منسوب من الإنس، على ما قد بينت في كتابي هذا .

• • •

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض من لم يمحض ذكره منهم الآن ؛ فإنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة . وروى عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمد وعيسى عليهما السلام ستماية سنة .

وروى عن فضيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّةَ ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن كعباً قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾^(١) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أم المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر^(٢) ؛ وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى^(٤) بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾^(٥) ، والذي عزَّز به شمعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعاً وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين^(٦) رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حي الآن .

١٠٧٠/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : حدثنا عبد الله بن بُسر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتدركن قرناً » ، فعاش مائة سنة .

• • •

(١) سورة مريم ٢٨ . (٢) ط : « خير » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاق) . (٤) ح : « وبين عيسى » .

(٥) سورة يس ١٤ . (٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام في ذلك ، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ، وذلك أن الواقدي ، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله ، ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى مولد نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وستمئة سنة ، وعلى قول ابن عباس الذي رواه هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عنه ؛ ينبغي أن يكون ١٠٧١/١ إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمئة سنة .

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأن ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة ، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ، فكأن الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مائتا سنة وخمس عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح ، عن ابن عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أن عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، أثنى سنة ومائتي سنة وستاً وخمسين سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر خمسمئة سنة وخمسة وستين سنة ، ومن خروج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ستمئة سنة وستاً وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمئة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام ثلثمائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه ١٠٧٢/١ وسلم خمسمئة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبي؛ عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستّمائة سنة .

وحدث الهيثم بن عديّ عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بني إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وستّ وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وستّ وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ستّ ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

القرعة على المائة من الإبل — فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مروان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمرو ولا ابن عباس أصابا الفتيا؛ إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوئى إلى الله، وتصدق وأعمل ما استطعت من الخير؛ فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسر الناس بذلك، وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم^(١) يزالوا يفتنون بالألّا نذّر في معصية الله.

° ° °

وأما ابن إسحاق، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصة؛ هي أشيع^(٢) مما في هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب؛ وذلك ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبد المطلب بن هاشم — فيما يذكرون^(٣) — والله أعلم — قد نذّر حين لقى من قريش في حفر زمزم ما لقي: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه؛ لينحرن أحدّهم لله عند الكعبة، فلما توافى له^(٤) بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قِدْحًا، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم اثبتوني به. ففعلوا، ثم أتوه، فدخل على هُبَل في جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على برّ في جوف الكعبة، وكانت تلك البرّ هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعة أقْدَح^(٥)، كل قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل^(٦)، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقِدْح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله]^(٧)، وقِدْح فيه: «نعم» للأمر إذا أرادوه

(١) م: «فزالوا». (٢) كذا في م، وفي ح: «أبلغ».

(٣) ابن هشام: «يزعمون». (٤) ساقطة من ابن هشام.

(٥) ابن هشام: «قِدْح سبعة»، والقِدْح، بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، وجمعه قِدَاح وأقْدَح.

(٦) العقل هنا: الدية.

(٧) تكلمة من سيرة ابن هشام.

[illegible]

۱۰. حضرت عیسیٰ بن مریم علیہ السلام

[illegible]

• جراح ابن اسحاق، ابن الفضل، سلامة بن قيس.

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه : قال : يا أيها الناس ، اتقوا الله ، فإنه لا دين الا به .

[illegible]

المسلم وعلیه السلام ﷺ رسول الله ﷺ کی نسبت کی ؟

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْحُ : «نعم» عملوا به ، وقدح فيه «لا» ، فإذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه «منكم» ، وقِدْح فيه «مُلصَق» ، وقِدْح فيه «من غيركم» ، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحينما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو يُنكِحوا مَنكحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكّوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها^(١) ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحقّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطاً^(٢) وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً ، وإن خرج عليه «ملصَق» كان على منزله منهم ، لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به ، وإن ١٠٧٦/١ خرج «لا» أخبروه عامتهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح — فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِي هُؤْلَاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نَذَرَ ، فأعطى كلَّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه — وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحبَّ ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى^(٣) ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلماً أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل في جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ^(٤) عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة — وهما وثنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبائحها — لينبجه، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبجه

(١) سيرة ابن هشام : «يضرب بها» .

(٢) الوسيط : خالص النسب .

(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : «فأخذه» .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعَذِّرَ فِيهِ ؛ لِئَن فَعَلْتَ هَذَا ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ ^(١) يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذْبِجَهُ ، فَمَا بَقَاءُ النَّاسِ عَلَى هَذَا ! فَقَالَ لَهُ الْمُغَبِرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ - : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعَذِّرَ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا فِدَيْنَاهُ . وَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ وَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ ، فَإِنَّ بِهِ عَرَّافَةً لَهَا تَابِعٌ ، فَسَلِّمْنَا ، ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ؛ إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ تَذْبِجَهُ ذَبَحْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي بِأَمْرٍ لَكَ وَلَهُ فِيهِ فَرْجٌ قَبِلْتَهُ .

١٠٧٧/١

فَانْطَلَقُوا حَتَّى قَدَمُوا الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدُوهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - بِخَيْرٍ ، فَرَكَبُوا إِلَيْهَا حَتَّى جَاءُوهَا ، فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ خَبْرَهُ وَخَبَرَ ابْنِهِ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ ، وَنَلَرَهُ فِيهِ . فَقَالَتْ لَهُمْ : ارْجِعُوا عَنِّي الْيَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَأَسْأَلَهُ . فَارْجَعُوا عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو اللَّهَ . ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَدْ جَاءَنِي الْخَبَرُ ، كَمْ الدِّينَةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ - وَكَانَتْ كَذَلِكَ - قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَرِيدُوا فِي الْإِبِلِ ^(٢) حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنِجَا صَاحِبِكُمْ .

فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لَذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ - وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ هُبَيْلٍ يَدْعُو اللَّهَ - فَخَرَجَ الْقِدْحُ ^(٣) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا ، فَكَانَتْ الْإِبِلُ عَشْرِينَ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَ بِالْقِدَاحِ وَيَخْرُجُ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ زَادُوا مِنَ الْإِبِلِ عَشْرًا ؛ حَتَّى ضَرَبُوا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ

(١) ح : « لَا يَزَالُ رَجُلٌ مَنَا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « مِنَ الْإِبِلِ » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فَخَرَجَتْ الْقِدَاحُ » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القيدح على الإبل ، فقالت قريش ومَن حضر :
 قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى
 أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله . وقام عبد المطلب
 يدعو فخرج القيدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
 عادوا الثالثة فضربوا^(١) ، فخرج القيدح على الإبل فنُحِرَتْ ، ثم تَرِكَتْ
 لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا سَبْعُ^(٢) .

ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فرّ - فيما يزعمون - على
 امرأة من بني أسد [بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
 بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) ؛ يقال لها : أم قتال^(٤) بنت نوفل بن أسد بن
 عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت
 له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي ، قالت :
 لك عندي مثل الإبل التي نُحِرَتْ عنك ، وقَعَ على الآن ، قال : إن معي أبي
 ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن
 عبد مناف بن زهرة - وهب يومئذ سيّد بني زهرة سنّاً وشرفاً - فزوجه آمنه
 بنت وهب ، وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وهي لبرة
 بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبرّة لأم حبيب بنت أسد
 ابن عبد العزى بن قصي ، وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن
 عويج بن عدى بن كعب بن لؤي . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه
 فوقّع عليها ، فحملت بمحمّد صلبى الله عليه وسلّم . ثم خرج من عندها ، حتى
 أتى المرأة التي عرضت عليه ما عَرَضَتْ ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ
 اليومَ ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان
 معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتّى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بني إسماعيل ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدّث أنّ عبد الله إنّما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لمّا رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها ^(٢) ، فتوضّأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمّد صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررت بي وبين عينيك غرّة ، فدعوتني فأبيت ، ودخلت على آمنة فذهبت بها . فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث أنّه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ؛ فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

حدثني علي بن حرب الموصليّ ، قال : حدثنا محمد بن عُمارة القرشيّ ، قال : حدّثنا الزنجي بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوّجه ، مرّ به على كاهنة من خثعم ، يقال لها فاطمة بنت مرّ ، متهودّة ^(٤) من أهل تَبَالَة ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلَّ لَا حِلَّ فَأُسْتَبَيْنَهُ
« فكيف بالأمر الذي تبغيه » ^(٤) .

١٠٨٠/١

(١) الخبير في سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) كذا في ح وسيرة ابن هشام ، وفي ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهودّة » . . .

(٤) الرجز في السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ .

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، ففضى به ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف . ففر بالحنعمية فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون في ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً ، فأنشأت فاطمة بنت مِرَّة تقول (١) :

إِنِّي رَأَيْتُ مَخِيلَةً لَمَعَتْ فتلألأتُ بحَنَاتِمِ القَطْرِ (٢)
فَلَمَّا نَهَا نَوْراً يُضِيءُ لَهُ ما حَوْلَهُ كإِضَاءَةِ البَدْرِ (٣)
فَرَجَوْتُهَا فَخَرَّ أَبُوهَا بِهِ ما كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُوْرِي (٤)
لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتَ وَمَا تَدْرِي (٥)

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أُخْيَكُمُ أَمِينَةٌ إِذْ لِلْبَنَاءِ تَعْتَرِكُنِ ١٠٨١/١
كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ عِنْدَ حُمُودِهِ (٦) فَتَنَائِلٌ قَدْ مِيتَ لَهُ بِدِهَانِ (٧)
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ لِعَزِيمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لَتَوَانِ
فَأَجْعِلْ إِذَا طَالَبْتَ أُمراً فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَعْتَلِجَانِ

(١) الروض الألف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الحَنَاتِم : جمع حَنَم ؛ وهو السحاب .

(٣) لَمَاتُهَا : أبصرتها ؛ والبيت في اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفي السهيل : « يضيء به » .

(٤) السهيل :

« ورأيتُه شرفاً أبوء به » .

(٥) رواية السهيل :

لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذي استلبت وما تَدْرِي !

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .

(٧) كذا في أنساب الأشراف ، وفي ط : « مِيت » .

سَيَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مُّقْفَعِلَةٌ وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بَيْنَانٍ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخَرًّا مَا لِذَلِكَ ثَانٍ^(١)

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر قال : حدثنا معمر وغيره ، عن الزهري ، أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أن تزوجيه ! فتزوجته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة في ميرة يحمل لهم تمراً ، فأتت بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات . قال الواقدي : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري ، عن أم بكر بنت المسور ، أن عبد المطلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوجا في مجلس واحد ، فتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : والثبَّت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفى ، ودفن في دار النابغة — وقيل التابعة — في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف . ١٠٨٢/١

ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبة ، سُمِّي بذلك ؛ لأنه فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان في رأسه شيبة .
وقيل له عبد المطلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَصَ في تجارة له

إلى الشام ، فسلكت طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وفيما حدثت عن هشام ابن محمد عن أبيه . وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمرو ، ودخل حديث بعضهم في بعض ، وبعضهم يزيد على بعض - على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو - وأمّا ابن حميد فقال في حديثه عن سلمة ، عن ابن إسحاق : سلمى بنت زيد بن عمرو - ابن لبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدى بن النجار فأعجبه ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشرط عليه ألاّ تلد ولدًا إلاّ في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبنى بها ، ثم انصرف راجعًا من الشام ، فبنى بها في أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة ١٠٨٣/١ وحملها معه ، فلما أثقلت ردّها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فمات بها بغزة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فكث بيثرب سبع سنين أو ثمان سنين . ثم إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَقَ^(١) قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثي : مَنْ أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة ، قال للمطلب وهو جالس في الحجر : يا أبا الحارث ، تعلم أنّي وجدت غلمانًا ينتضلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَقَ قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطلب : والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به ، فقال له الحارثي : هذه ناقتي بالفناء فاركبها ، فجلس المطلب عليها ، فورد يثرب عشاء ، حتى أتى بني عدى بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس ، فعرف ابن أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعه ، وحلنا بينك وبينه . فدعاه ، فقال : يا بن أخي ، أنا عمّك ، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك - وأناخ

راحلته — فما كذب أن جلس على عَجَزِ الناقة، فانطلق به، ولم تعلم به أمه حتى كان الليل، فقامت تدعو بحربها على ابنها، فأخبرت أن عمه ذهب به، وقدم به المطلب ضحوة، والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟ فيقول: عبد لي، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فقالت: من هذا؟ قال: عبد لي، ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة، فاشتري حلة فألبسها شيبه، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف، فجعل بعد ذلك يطوف في سبائك مكة في تلك الحلة، فيقال: هذا عبد المطلب، لقوله: «هذا عبدي» حين سأله قومه، فقال المطلب: عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالنَّجَّارُ قَدْ جَمَلَتْ أَبْنَاؤُهَا حَوَلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَصِلُ

وقد حدثني هذا الحديث علي بن حرب الموصلي، قال: حدثني أبو معن عيسى — من ولد كعب بن مالك — عن محمد بن أبي بكر الأنصاري، عن مشايخ الأنصار، قالوا: تزوج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدى بن النجَّار، ذات شرف، تشرط على من خطبها المقام بدار قومها، فتزوجت بهاشم، فولدت له شيبه الحمد، فرُبِّيَ في أخواله مكرماً، فبينما هو يناضل فتیان الأنصار إذ أصاب خصله^(١)، فقال: أنا ابن هاشم. وسمعه رجل مجتاز، فلما قدم مكة، قال لعمه المطلب بن عبد مناف: قد مررت بدار بني قيلة، فرأيت فتى من صفته ومن صفته... يناضل فتیانهم، فاعتزى إلى أخيك، وما ينبغي ترك مثله في الغربة. فرحل المطلب حتى ورد المدينة، فأراد على الرحلة، فقال: ذاك إلى الوالدة، فلم يزل بها حتى أذنت له، وأقبل به قد أردفه، فإذا لقيته اللاقي وقال: من هذا يا مطلب؟ قال: عبد لي، فسمى عبد المطلب. فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه، وسلمه إليه، فعرض له نوفل بن عبد مناف في رُكُوح^(٢) له، فاغتمصبه إياه، فثنى عبد المطلب إلى رجالات قومه، فسألهم النصرة على عمه، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمك، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل، وكتب في كتابه: أَبْلَغُ بَنِي النَّجَّارِ إِنْ جِئْتَهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ وَأُبْنُهُمُ وَالْخَمِيسُ

(١) أصاب خصله، أي غلب، من قومه: أحرز خصله وأصاب خصله؛ إذا غلب.

(٢) الركح: ناحية البيت.

رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ هَوُوا لِقَائِي وَأَحْبَبُوا حَسِيْسَ
فَإِنَّ عَمِي نَوْفَلًا قَدْ أَبَى إِلَّا الَّتِي يُغْضِي عَلَيْهَا الْخَسِيْسَ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس^(١) النَّجَارِي فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا ، حَتَّى
أَتَى الْأَبْطَحَ ، وَبَلَغَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَخَرَجَ يَتَلَقَّاهُ ، فَقَالَ : الْمَنْزِلُ يَا خَالَ !
فَقَالَ : أَمَا حَتَّى أَتَى نَوْفَلًا فَلَا . قَالَ : تَرَكْتَهُ جَالِسًا فِي الْحَجَرِ فِي مَشَايِخِ
قَرِيْشَ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ اسْتَلَّ سَيْفَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَرَبَّ هَذِهِ
الْبَنِيَّةِ ؛ لَتَرِدَنَّ عَلَى ابْنِ أَخْتِنَا رُكُوحَهُ أَوْ لِأَمْلَأَنَّ مِنْكَ السَّيْفَ ، قَالَ : فَإِنِّي
وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ أَرَدْتُ رُكُوحَهُ . فَأَشْهَدُ عَلَيْهِ مَنْ خَضَرَ ، ثُمَّ قَالَ : الْمَنْزِلُ يَا بَنَ
أَخْتِي ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ ، وَأَنْشَأَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ يَقُولُ :

تَأْتِي مَازِنٌ وَبَنُو عَمَلِيٍّ وَدِينَارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْمِي
وَسَادَةُ مَالِكٍ حَتَّى تَنْهَى وَنَكَبَ بَعْدُ نَوْفَلٌ عَنْ حَرَمِي
بِهِمْ رَدَّ إِلَهُهُ عَلَى رُكُوحِي وَكَانُوا فِي التَّنَسُّبِ دُونَ قَوْمِي^(٢)

وَقَالَ فِي ذَلِكَ سَمُرَةُ بْنُ عُمَيْرٍ ، أَبُو عَمْرِو الْكِنَانِي^(٣) :

لَعَمْرِي لِأُخْوَالِ لَيْشِيَّةٍ قَصْرَةٌ مِنْ أَعْمَامِهِ دِنْيَا أَبْرُ وَأَوْصَلُ
أَجَابُوا عَلَى بُعْدِ دُعَاءِ ابْنِ أَخْتِهِمْ وَلَمْ يَنْتَهِمْ إِذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عُصْبَةً خَزَرَجِيَّةً تَوَاصَوْا عَلَى يَرٍّ ، وَذُو الْبَرِّ أَفْضَلُ

١٠٨٦/١

قال : فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَوْفَلُ ، حَالَفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ كُلَّهُمَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مُوسَى بْنَ عِيسَى ، فَقَالَ :
يَا بَنُ أَبِي بَكْرٍ ، هَذَا شَيْءٌ تَرْوِيهِ الْأَنْصَارُ تَقَرُّبًا إِلَيْنَا ؛ إِذْ صَيَّرَ اللَّهُ الدَّوْلَةَ
فِينَا ! عَبْدَ الْمَطْلَبِ كَانَ أَعَزَّ فِي قَوْمِهِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ تَرْكَبَ بَنُو النَّجَارِ مِنْ

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا في التناصر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الرائي ، مع اختلاف في الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطلب . قال : وكان متكئاً فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبد المطلب ! قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حدثت هذا الحديث في أمر عبد المطلب ونعمته نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدثنا زياد بن علاقة التغلبيّ - وكان قد أدرك الجاهليّة - قال : كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة ، وقال : لتنصب^(١) هذه السحابة بنصر بني كعب ؛ أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أمّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتنصف عبد المطلب نعمته ، فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١ يا طُولَ لَيْلِي لأَحْزَانِي وَأَشْغَالِي هَلْ مِنْ رَسُولٍ إِلَى النَّجَّارِ أَخَوَالِي !
يُنْبِي عَدِيًّا وَدِينَارًا وَمَا زَنَاهَا وَمَالِكًا عِصْمَةً الْجِيرَانِ عَنْ حَالِي
قَدْ كُنْتُ فِيكُمْ وَلَا أَخْشَى ظَلَامَةَ ذِي ظَلَمٍ عَزِيزًا مَنِيْعًا نَاعِمَ الْبَالِ
حَتَّى ارْتَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي وَأَرْعَجَنِي عَنْ ذَاكَ مُطْلَبٌ عَمِي بَتَرَحَالِ
وَكُنْتُ مَا كَانَ حَيًّا نَاعِمًا جَدَلًا أُمِّشِي الْعِرْضَنَةَ سَحَابًا لِأَذْيَالِي
فَقَابَ مُطْلَبٌ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ وَقَامَ نَوْفَلٌ كَيْ يَعْدُو عَلَى مَالِي
أَنْ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُمُومَتُهُ وَغَابَ أَخُوَالُهُ عَنْهُ بِلَا وَالِ
أَنْحَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَحِمًا مَا مَنَعَ الْمَرْءَ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ^(٢) !
فَاسْتَنْفَرُوا وَآمَنُوا ضَيْمَ ابْنِ أَخْتِكُمْ لَا تَخْذُلُوهُ وَمَا أَنتُمْ بِجُدَّالِ
مَا مِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً حَىٰ لِحَارٍ وَإِنَامَ وَإِفْضَالِ

(١) ح : « لقد تنصبت » .

(٢) ح : « ما أنعم » .

أَنْتُمْ لِيَانُ لِمَنْ لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ سَلِّمْ لَكُمْ وَسِمَامُ الْأَبْلَخِ الْغَالِي^(١)

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكباً ، فأناخوا بغيره الكعبة ، فلما رأهم ١٠٨٨/١
نوفل بن عبيد مناف ، قال لهم : أنعموا صباحاً ! فقالوا له : لا نَنعِمُ صباحك
أيها الرجل ! أنصف ابنَ أختنا من ظلامته . قال : أفعلُ بالحبِّ لكم والكرامة ؛
فردَّ عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فأنصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطلب إلى
الحلف ، فدعا عبد المطلب بسر^(٢) بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من
رجال الخزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً .

وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى
مَنْ قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرِّقادة ، وشُرْف في قومه ، وعَظُم
فيهم خطره ، فلم يكن يُعدَّل به منهم أحد ، وهو الذي كشف عن زمزم ،
بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفوناً ؛ وذلك غزالان
من ذهب ، كانت جُثُرُهُم دفنتهما - فيما ذكر - حين أُخْرِجَت من مكة ،
وأسيافٌ قلعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب
الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِّيَتْه - فيما قيل - الكعبة .
وكانت كُنيَّة عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِّيَ بذلك لأنَّ الأكبر من ولده
الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبه .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أولُ مَنْ هشم الثريد لقومه
بمكة وأطعمهم ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي - وقال ابن الكلبي : إنما
قاله ابن الزُّبَيْرِ^(٣) :

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافٌ^(١)

ذُكِرَ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ، كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَزْبَةٌ وَقَحْطٌ، فَبَرِحَ إِلَى فِلَسْطِينَ، فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَأَمَرَ بِهِ فَخَبِرَ لَهُ وَنَحَرَ جِزْوَراً، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مِرْقَةً ثَرِيدَ بِذَلِكَ الْخَبِرِ.

وَذُكِرَ أَنَّ هَاشِمًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقَرِيشٍ: رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ هَاشِمٌ، وَعَبْدُ شَمْسٍ — وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَالْمَطْلَبِ — وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ — أُمَّتُهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مَرْثَةَ السَّلَامِيَّةِ؛ وَنُوفَلٌ — وَأُمُّهُ وَاقِدَةُ — بَنَى عَبْدِ مَنَاةَ، فَسَادُوا بَعْدَ أَبِيهِمْ جَمِيعًا، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْمَجْبُرُونَ، قَالَ: وَلَهُمْ يُقَالُ:

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمَحْوُلُ رَحْلَهُ أَلَّا نَزَلْتَ بِأَلِ عَبْدِ مَنَاةَ!^(٢)

فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِقَرِيشٍ الْعِصَمَ^(٣)، فَانْتَشَرُوا مِنَ الْحَرَمِ، أَخَذَ لَهُمْ هَاشِمٌ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ الرُّومِ وَغَسَّانَ، وَأَخَذَ لَهُمْ عَبْدُ شَمْسٍ حَبْلًا مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَكْبَرِ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَخَذَ لَهُمْ نُوفَلٌ حَبْلًا مِنَ الْأَكَاسِرَةِ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْضِ فَارَسَ، وَأَخَذَ لَهُمُ الْمَطْلَبُ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْيَمَنِ، فَجَبَّرَ اللَّهُ بِهِمْ قَرِيشًا، فَسَمُّوا الْمَجْبُرِينَ.

وَقِيلَ: إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمًا تَوَآمَانِ، وَإِنْ أَحَدُهُمَا وَلَدَ قَبْلَ صَاحِبِهِ، وَاصْبَحَ لَهُ مِلْتَصِقَةٌ بِجَبْهَةِ صَاحِبِهِ، فَتَحَيَّتْ عَنْهَا فَسَالَ مِنْ ذَلِكَ دَمٌ، فَتَطْيِيرٌ مِنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: تَكُونُ بَيْنَهُمَا دِمَاءٌ. وَوُلَّى هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدَ مَنَاةَ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ.

١٠٩٠/١ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ

(١) الْمُسْتَنْتُونَ: الَّذِينَ أَصَابَتْهُمُ السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٢) مِنْ أَيْبَاتِ فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى ٢: ٢٦٨.

(٣) الْعِصَمُ (بِكسر ففتح). الْحَبَالُ، وَيُرَادُ بِهَا الْعُهُودُ.

محمد، قال : حدثني معروف بن الحَرْبُوذ المَكِّي ، قال : حدثني رجل من آل عدى بن الحِيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيٍّ في ذلك - يعني في إطعام هاشم قومه الشريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ وَأُعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بَيْضِ
أَتَاهُمْ بِالْفَرَاثِرِ مُتَأَفَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيسِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ وَشَابَ الْخُبْزَ بِاللَّحْمِ الْغَرِيبِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ الشَّيْزَى وَحَاثُرُهَا يَفِيفُ
قال : فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان ذا مال - فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسَنِّهِ وَقَدْرِهِ ، ولم تدعه قريش وأحفظوه ، قال : فلاني أنا فرك على خمسين ناقة سود الحدق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضي بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ، فنفسر هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

حدثني الحارث قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ١٠٩١/١ ابن محمد ، قال : أخبرني رجل من بني كنانة ، يقال له ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد ، وكان عالمًا ، قال : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي ، فأبى أن ينفسر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نقيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقل منك لامة ، وأكثر منك ولدًا ، وأجزل منك صفدًا ، وأطول منك مذودًا^(٢) . فنفسره عليه . فقال حرب : إن

(١) ينفر بينهما ؛ أي أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .

(٢) ر : « مذوداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكماً ! فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزّة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجباد ، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ، ثم مات المطلّب بردّمان من أرض اليمن ، وكانت الرقادة والسّاقية بعد هاشم إلى أخيه المطلّب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصي يقول — فيما زعموا — : ولد لي أربعة ، فسميت اثنين بصنمي ، وواحدًا بداري ، وواحدًا بنفسي ؛ وهم عبد مناف وعبد العزّي ابنا قصي — وعبد العزّي والد أسد — وعبد الدار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي — دَرَج ولده — وبرّة بنت قصي ؛ أمهم جميعاً حبّى بنت حلّيل بن حبّشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة .
وحدّث عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف النّمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمّه حبّى دفعته إلى مناف — وكان أعظم أصنام مكة — تديّناً بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كَانَتْ قُرَيْشٌ يَبِضُّةً فَتَفَلَّتْ فَاَلْمَحُّ خَالِصَةٌ لِعَبْدٍ مَنَافٍ^(١)

ابن قصي

وقصي اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمّ قصي فاطمة بنت سعد بن سَيْل — واسم سَيْل خير — بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعشمه بن يشكر ، من أزد شنوءة حلفاء في بني الدّيل ، فولدت لـ كلاب زهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربّيعه بن حرام بن ضنّة بن عبد بن كبير ابن عُدرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوَّج — فيما حدّثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعي ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو في اللسان (مح) والسبيل ١ : ٩٤ ، وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعيّن ٤ : ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبيري .
والمح : صفرة البيض .

قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه — فاطمة أم زهرة وقصى — وزهرة رجل قد بلغ ، وقصى فطيم أو قريب من ذلك — فاحتلمها إلى بلاده من أرض بني عذرة ، من أشراف الشام ، فاحتلمت معها قصياً لصغره ، وتخلّف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سبيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ، فكان أخاه لأمه ، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى ؛ وهم حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، ١٠٩٣/١ وجلهم بن ربيعة . وشبّ زيد بن حجر ربيعة ، فسمي زيد قصياً لبعده دارة عن دار قومه ، ولم يبرح زهرة مكة ، فبينما قصي بن كلاب بأرض قضاة لا ينتمي — فيما يزعمون — إلا إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاة شيء — وقد بلغ قصي ، وكان رجلاً شاباً — فأنبّه القضاة بالغربة وقال له : ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا ! فرجع قصي إلى أمه ، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة ، فسألها عما قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت والله يا بني أكرم منه نفساً ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصي الخروج إلى قومه والحق بهم ، وكره الغربة بأرض قضاة ، فقالت له أمه : يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإني أخشى عليك أن يُصيبك بعض البأس ، فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاج قضاة ، فخرج فيهم حتى قدم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان رجلاً جليداً نسيباً ، فخطب إلى حنبل بن حبشية الخزاعي ابنته حبشي بنت حنبل ، فعرف حنبل النسب ورغب فيه ، فزوجه — وحنبل يومئذ فيما يزعمون — يلي الكعبة وأمر مكة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال في خبره : فأقام قصي معه — يعني مع حنبل — وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بني قصي . فلما انتشر ولدّه ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حنبل بن حبشية ، ١٠٩٤/١ فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قریشاً

قُرْعَة^(١) إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ، فكلّم رجلاً من قريش وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه ، كتب إلى أخيه من أمّة رزاح بن ربيعة بن حرام - وهو ببلاد قومه - يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فقام رزاح بن ربيعة في قُضاعة ، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه ، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك^(٢) .

وقال هشام في خبره : قدّم قصيّ على أخيه زهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر ، فاستنجد قصيّ أخاه رزاحاً ، وله ثلاثة إخوة من أبيه ، من امرأة أخرى ، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قُضاعة ، ومع قصيّ قومه بنو النضر ، فنفوا خزاعة ، فتزوج قصيّ حُبَيّ بنت حُلَيْل بن حبشيّة من خزاعة ، فولدت له أولاده الأربعة ، وكان حُلَيْل آخرَ مَنْ وَلِيَ البيت ، فلما ثَقُلَ جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبَيّ ، فقالت : قد علمت أنّي لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فإنّي أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به ، فجعله إلى أبي غُبُشان - وهو سليم بن عمرو بن بويّ بن مِلْكَان بن أفضى - فاشترى قصيّ ولايةَ البيت منه بزيّ خمر وبعود^(٣) . فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصيّ ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خزاعة ، فبلغنا - والله أعلم - أن خزاعة أخلتها العدسة ، حتى كادت تُفْسِنهم ، فلما رأت ذلك جلت عن مكة ، فنهض من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن ، فولّى قصيّ البيت وأمر مكة والحكم بها ، وجمع قبائل قريش ، فأنزلهم أبطح مكة . وكان بعضهم في الشّعاب ورءوس جبال مكة ، فقسّم منازلهم بينهم ، فسمى مُجمَعاً ، وله يقول مطرود - وقيل : إنّ قائله حُدَافَة ابن غانم :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعاً بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

(١) فرعة الجبل : أعلاه ؛ يريد أن قريشاً في الذروة من ولد إسماعيل ، وفي ابن هشام : « قرعة » ، والقرعة : نخبة الشيء وخياره . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ ، مع اختلاف في الرواية . (٣) العود : المسن من الإبل ، وفي اليعقوبي : « وعود » .

وملكه قومه عليهم .

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحاً أجاب قصياً إلى ما دعاه إليه من نصرته، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة، ومن تبعه لذلك من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصر قصي، والقيام معه، قال : وخزاعة تزعم أن حنبل بن حنبلية أوصى بذلك قصياً، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال : أنت أولي بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي ما طلب^(١).

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا منى، وقصى مجتمع لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قريش وبني كنانة ومن معه من قضاة، ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجزئهم إذا نفروا من منى؛ إذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار - ورجل من صوفة يرمى للناس؛ لا يرمون حتى يرمى - فكان ذوو الحاجات المعجّلون يأتونه، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك، فيقول : لا والله حتى تسميل الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك؛ ويقولون : ويلك قم فارم ! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه . حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد^(٢).

فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بناحية العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا : أجزى صوفة، فلم يُجز أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نفرت صوفة ومضت خلّى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلما كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم، أتاهم قصي بن

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف في الرواية .

كلاب بن معن من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقالوا: نحن أولى بهذا منكم، فناكروهم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك، وحال بينهم وبينه. قال: وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم^(١) وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بن معن من قومه من قضاعة، وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وهيثوا لحربهم، والتفوا فاقتتلوا قتالا شديداً؛ حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعاً، وفشت فيهم الجراحة. ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، إلى أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقضى بينهم، فحكموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قضياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر موضوع يشدحه^(٢) تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنو كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة، وأن يخلص بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة؛ فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ؛ لما شدخ من الدماء ووضع منها. فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتلك على قومه وأهل مكة فلكوه، فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة أرباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها^(٣).

١٠٩٧/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده، وأعانوه، فسمته العرب مجمعةً لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب، وما يتشاؤون

(١) ر: «ناداهم». (٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ٨٧.

في أمر ينزل بهم إلّا في داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلّا في داره، يعقدها لهم بعضٌ ولده، وما تدّرع^(١) جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلّا في داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرع، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدّين المتّبع، لا يعمل ١٠٩٨/١ بغيره تيمناً بأمره ومعرفةً بفضلِهِ وشرفِهِ، واتخذ قصي لنفسه دار النّدوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خِزاعة وبني بكر من مكّة، وللايته البيت وأمر مكّة؛ فلم يردّد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكّة على شرفه ومنزلته في قومه لا ينازع في شيء من أمر مكّة؛ إلّا أنه قد أقرّ للعرب في شأن حجّتهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شِجْنَة وراثته، وكانت عدوّان على ما كانت عليه، وكانت النّساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدّم الله به ذلك كلّهُ. وابنتي قصي داراً بمكّة، وهي دار النّدوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورها، فلما كبر قصي ورقّ [عظمه]^(٣) - وكان عبد الدار يكرهه، كان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفاً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل ١٠٩٩/١ رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلّا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكّة ماء إلّا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدّرت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٧ ، ٨٨ . (٣) من سيرة ابن هشام .

أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك . فأعطاه داره ، دار الندوة التي لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرئاسة — وكانت الرئاسة خراجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصياً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يصندروا عنكم . ففعلوا فكانوا يبخرون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية ، حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ؛ فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينقضى الحج ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني من أمر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له نبيته بن وهب بن عامر بن عكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله ، وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه . ١١٠٠/١ ثم إن قصياً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذكر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما تميم وبقظة ، أمّهما — فيما قال هشام بن الكلبي — أسماء بنت عدي بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمّهما هند بنت حارثة البارقية . قال : ويقال : بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

ابن مرة

وأم مرة وحشية بنت شيان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأخواه لأبيه وأمه عدى وهصيص . وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة مخشية . وقيل : إن أم مرة وهصيص مخشية بنت شيان بن محارب بن فهر ، وأم عدى رقاش بنت ركبثة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

ابن كعب

وأم كعب ماوية - فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي - وماوية بنت كعب ابن القيس بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمه : أحدهما يقال له ١١٠١/١ عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انتمى ولده إلى غطفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان .

ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فبتت عوفاً ، وفيه يقول - فيما ذكر - فزاره بن ذبيان :

عَرَجَ عَلَى ابْنِ لُؤْيٍ جَمَلُكَ يَتْرُكُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَنَزِلَ لَكَ

ولكعب أخوان آخران أيضاً من أبيه من غير أمه ، أحدهما خزيمة ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمه ، وهي عائذة بنت الحِمْص بن قحافة ، من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بُنانة ، وبنانة أمهم ، فأهل البادية منهم اليوم - فيما ذكر - في بني أسعد^(١) بن همام ، في بني شيان بن ثعلبة ، وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

ابن لؤى

وأم لؤى - فيما قال هشام - عاتكة بنت يَحْزَلْد بن النضر بن كنانة ، وهي أولى (١) العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وله أخوان من أبيه وأمه ، يقال لأحدهما : تيسم ، وهو الذى كان يقال له تيسم الأدرم - والد رَم نقصان فى الذَّقن ؛ قيل إنه كان ناقص اللحي - وقيس ، قيل : لم يبق من قيس أخى لؤى أحد ، وإن آخر مَنْ كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسرى ، فبقى ميراثه ، لا يدري مَنْ يستحقه . وقد قيل : إن أم لؤى وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة ، وهو الحى بن حارثة ابن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء ، من خزاعة . ١١٠٢/١

ابن غالب

وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإخوته من أبيه وأمه : الحارث ، ومُحارب ، وأسَد ، وعوف ، وجوْن ، وذئب ؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فهر

وفهر - فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال : هو جماع قريش ، قال : وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهمي . وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهمي . وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول - فيما ذكر عنه - أمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وقيل : إن أمه جميلة بنت عدوان من بارق ، من الأزد . وكان فهر فى زمانه رئيس الناس بمكة - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فى حربهم نخسان بن عبد كلال بن مثوب

ذِي حَرْثِ الْحَمِيرَى . وَكَانَ حَسَّانُ - فِيمَا قَبِيلَ - أَقْبَلَ مِنَ الْيَمَنِ مَعَ حَمِيرٍ وَقِبَائِلَ مِنَ الْيَمَنِ عَظِيمَةٍ ، يَرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ أَحْجَارَ الْكَعْبَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَنِ ، لِيَجْعَلَ حَجَّ النَّاسِ عِنْدَهُ بِبِلَادِهِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بَنَخْلَةَ ، فَأَغَارَ عَلَى سَرْحِ النَّاسِ ، وَمَنَعَ الطَّرِيقَ ، وَهَابَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ قَرِيشُ وَقِبَائِلُ كِنَانَةَ وَخَزِيمَةَ وَأَسَدَ وَجُدَامَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَفْنَاءِ مُضَرَ ، خَرَجُوا إِلَيْهِ ، وَرَئِيسُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ فَهْرُ بْنُ مَالِكٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزِمَتْ حَمِيرٌ ، ١١٠٣/١ وَأَسِيرَ حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ مَلِكُ حَمِيرٍ ، أَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ فِهْرٍ ، وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ - فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ النَّاسِ - ابْنُ ابْنَةِ قَيْسِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ ، وَكَانَ حَسَّانُ عِنْدَهُمْ بِمَكَّةَ أَسِيرًا ثَلَاثَ سِنِينَ ، حَتَّى افْتَدَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ ، فَخُرِجَ بِهِ ، فَهَاتَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ .

ابن مالك

وَأُمُّهُ عَيْكُرِشَةُ بِنْتُ عَدَّوَانَ ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ، فِي قَوْلِ هِشَامٍ .

وَأُمُّ ابْنِ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ : أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَدَّوَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ ابْنِ عَيْلَانَ .

وَقِيلَ : إِنَّ عَيْكُرِشَةَ لَقَبُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَدَّوَانَ ، وَاسْمُهَا عَاتِكَةُ .

وَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ هِنْدُ بِنْتُ قَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَكَانَ لِمَالِكٍ أَخَوَانُ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : يَخْلُدُ ، فَدَخَلَتْ يَخْلُدُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ ، فَخَرَجُوا مِنْ جَمَاعِ قَرِيشَ . وَالْآخَرُ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ : الصَّلْتُ ، لَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَحَدٌ .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ قَرِيشُ قَرِيشًا بِقَرِيشِ بْنِ بَدْرِ بْنِ يَخْلُدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ يَخْلُدِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ؛ وَبِهِ سُمِّيَتْ قَرِيشُ قَرِيشًا ، لِأَنَّ عَيْرَ بْنَ النَّضْرِ كَانَتْ إِذَا قَدِمَتْ قَالَتْ الْعَرَبُ : قَدْ جَاءَتْ عَيْرُ قَرِيشَ ، قَالُوا : وَكَانَ قَرِيشُ

هذا دليل بني النضر في أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرًا ،
احتفر بدرًا ، قالوا : فيه سميت البر التي تدعى بدرًا ، بدرًا .
وقال ابن الكلبي : إنما قريش جماع نسب . ليس بأب ولا أم ولا حاضن
ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمي بنو النضر بن كنانة قريشًا ؛ لأن النضر بن
كنانة خرج يومًا على نادي قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النضر ،
كأنه جمل قريش^(١) .

وقيل : إنما سميت قريش قريشًا بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر ،
تدعى القرش ، فشبهه بنو النضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دواب
البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ،
والتقرّيش - فيما زعموا - التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة
فيسدّها بما يبلغهم - واستشهدوا لقولهم : إن التقرّيش هو التفتيش ، بقول
الشاعر^(٢) :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُقَرِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهْنَ انْتِهَاء !

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشًا . وقيل : بل لم تزل بنو النضر
ابن كنانة يدعون بني النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب ، فقليل لهم : قريش ؛
من أجل أن التجمع هو التقرّش ، فقالت العرب : تقرش بنو النضر ، أي
قد تجمّعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن سعيد بن محمد
ابن جبّير بن مطعم ، أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبّير : مني

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، المعلقة ٢٦٤ - بشرح التبريزي ، وروايته :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُبْلَغُ عَنَّا .

سميت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقها ، فذلك التجمع التقرش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قضيماً كان يقال له القرشي ، ولم تسم قريش قبله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن ١١٠٥/١ عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالاً جميلة^(١) ، ف قيل له : القرشي ، فهو أول من سمي به .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جههم ، قال : النضر بن كنانة كان يسمى القرشي .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصّي أحدث وقود النار بالمزدلفة ، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة ، فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النضر

واسم النضر قيس ، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة . وإخوته لأبيه وأمه نضير ومالك وملكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجروول وغزوان وحذال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمه فكيهة - وقيل ١١٠٦/١

فَكَهْهَ— وهى الذَّفراء بنت هَنِيَّ بن بَلَيَّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة .
وأخو عبد مناة لأمته على بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن عمرو بن
مازن الغساني ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوج هنداً بنت بكر بن وائل ،
فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأمته على بن مسعود، فولدت له ،
فحُضِنَ على بنى أخيه، فَنُسِبُوا إليه ، فقليل لبني عبد مناة: بنو على ، وإياهم
عنَى الشاعر بقوله :

لِلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ أَيْمٌ مِنْهُمْ وَنَاكِحٌ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرِ صَدَمَةٍ دَانَتْ عَلَى بَعْدَهَا لِنَزَارِ^(١)

ثم وثب مالك بن كنانة على على بن مسعود، فقتله، فودّاه أسد بن خزيمه.

ابن كنانة

وأمّ كنانة عَوَانَة بنت سعد بن قيس بن عَيْلَان. وقد قيل: إن أمه هند
بنت عمرو بن قيس ، وإخوته من أبيه أسد وأسدّة ، يقال إنه أبو جذام
والهُون، وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة ، وهى أم النَّضْر بن كنانة؛
خلف عليها بعد أبيه .

ابن خزيمة

وأمه سلمى بنت سليم بن الحاف بن قضاة ، وأخوه لأبيه وأمّه هذيل،
وأخوهما لأمّهم تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة .
وقد قيل : إن أمّ خزيمه وهذيل سلمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأمّه خندف ، وهى ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف
ابن قضاة ، وأمّها ضريبة بنت ربيعة بن نزار . قيل: بها سُمِّيَ حِمَى ضريبة ،

ولإخوة مدركة لأبيه وأمه عامر - وهو طابخة - وعمير - وهو قمعة - ويقال : إنه أبو خزاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق أنه قال : أم بني إلياس خندف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلبت على نسب بنيتها ، فقليل : بنو خندف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً . قال : وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس في نُبجة له ^(١) ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمي مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخة ، وانقمع عمير في الحياء فلم يخرج فسمي قمعة ، وخرجت أمهم تمشي فقال لها : إلياس أين تخندفين ؟ فسميت خندف - والخندفة ضرب من المشي - قال : وقال قصي بن كلاب :

« أمهتي خندف وإلياس أبي »

١١٠٨/١

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه :

« إنك قد أدركت ما طلبت »

ولعامر :

« وأنت قد أنضجت ما طبخت »

ولعمير :

« وأنت قد أسأت وانقمعت »

ابن إلياس

وأُمّه الرّباب بنت حَيْدَة بن معدّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه النّاس^(١) ، وهو عَيْلَان ، وسَمِي عَيْلَان — فيما ذكر — لأنّه كان يعاقب على جوده ، فيقال له : لتغلبنّ عليك العَيْلَة يا عيلان ، فلزمه هذا الاسم .
 وقيل : بل سَمِي عَيْلَان بفِرْس كانت له تدعى عَيْلَان .
 وقيل : سَمِي بذلك ؛ لأنّه ولد في جبل يسمّى عَيْلَان .
 وقيل : سَمِي بذلك لأنّه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلَان .

ابن مضر

وأُمّه سَوْدَة بنت عكّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه إِيَاد ، ولهما أخوان من أبيهما من غير أُمّتهما ، وهما ربيعة وأنصار ؛ أُمّهما جدالة بنت وعْلان بن جوشم ابن جُلْهُمَة بن عمرو ، من جرّهم .

وذكر بعضهم أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه ، وقسّم ماله بينهم ، فقال : يا بنيّ ، هذه القبّة — وهى قبّة من أدَم حمراء — وما أشبهها من مالى لمضر ، فسمّى مضر الحمراء . وهذا الحياء الأسود وما أشبهه من مالى لربيعة ، فخلّف خيلاً دُهمًا ، فسمّى الفُرْس . وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإِيَاد — وكانت شمطاء — فأخذ البُلُق والنَّقْد من غنمه . وهذه البدره والمجلس لأنمار يجلس فيه^(٢) ، فأخذ أنمار ما أصابه . فإن أشكل عليكم فى ذلك شيء واختلّفت فى القِسْمَة فعليكم بالأفْعَى الجرهميّ . فاختلفوا فى القِسْمَة ، فتوجّهوا إلى الأفْعَى ، فبينما هم يسرون فى مسيرهم إذ رأى مُضَرّ كلاً قد رُعِيَ ، فقال : إنّ البعير الذى رعى هذا الكلاً لأعور ، وقال ربيعة : هو أزور ، قال إِيَاد : هو أتر ، وقال أنمار : هو شرود ؛ فلم يسروا إلّا قليلاً حتّى لقيهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَرّ : هو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : هو أزور؟ قال : نعم ، قال إِيَاد : هو أتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، قال : هذه صفة بَعِيرى ،

(١) الأصول : « إلياس » . (٢) ح : « عليه » .

دَلَوْنِي عَلَيْهِ ، فحلفوا له : ما رأوه ، فلزمهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ! فساروا جميعاً حتى قدِموا نجران ، فترلوا بالأفعى الجرهمي ، فنَادَى صاحبُ البعير : هؤلاء أصحابُ بعيري ، وَصَفُوا لِي صفته ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمي : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضَر : رأيته يترعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور . وقال ربعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره . وقال إياد : عرفت أنه أبترباجتماع بعره ، ولو كان ذيباً لاصع ^(١) به . وقال : أنمار : عرفت أنه شرود ؛ لأنه يرعى المكان الملتف نبتة ، ثم يجوزهُ إلى مكان ١١١٠/١ آخر أرق منه نبتاً وأخبث ^(٢) . فقال الجرهمي : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألم : مَنْ هم ؟ فأخبروه ، فرحب بهم فقال : أحتاجون إليّ وأنتم كما أرى ! فدعاهم بطعام فأكلوا وأكل ، وشربوا وشرب ، فقال مضَر : لم أر كالיום خمراً أجود ، لولا أنها نبتت على قَبْر ، وقال ربعة : لم أر كالיום لحمًا أطيب لولا أنه رُبِّي بلبن كلب ، وقال إياد : لم أر كالיום رجلاً أَسْرَى لولا أنه لغير أبيه الذي يدعى له . وقال أنمار : لم أر كالיום قطّ كلاماً أنفع في حاجتنا [من كلامنا] ^(٣) .

وسمع الجرهمي الكلام فتنعجب لقولهم ، وأتى أمته فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له ، فكرهت أن يذهب الملك فأمكنّت رجلاً من نفسها كان نزل بها ، فوطئها فحملت به ، وسأل القهرمان عن الحمر ، فقال : من حَبَلَة ^(٤) غرسْتُها على قبر أبيك ، وسأل الراعي عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتها لبن كابة ، ولم يكن ولد في الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر : من أين عرفت الحمر ونباتها على قبر ؟ قال : لأنه أصابني عليها عطش شديد . وقيل لربعة : بم عرفت ؟ فذكر كلاماً .

فأتاهم الجرهمي ، فقال : صفوا لي صفتكم ^(٥) ، فقصّوا عليه ما أوصاهم

(١) يقال : مصعت الناقة بذنبا ؛ أي حوكة وضربت به .

(٢) م : « وأخف » . (٣) تكلمة من مجمع الأمثال ١ : ١٦ .

(٤) الحبل : شجرة الكرم .

(٥) ر : « قصتكم » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبَّة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمْر - لمضر ، وقضى بالخِباء الأسود وبالحِليل الدُّهْم لربيعة ، وقضى بالخادم - وكانت شمْطاء - وبالحِليل البُلُق^(١) لإياد ، وقضى بالأرض والدرهم لأثمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنى أبا ربيعة ، أمه معانة بنت جوشم بن جلنهم بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمه . قنص ، وقناصة ، وسنام^(٢) ، وحيدان ، وحيدة ، وحيدة^(٣) ، وجند ، وجنادة ، والقحم ، وعبيد الرِّمَّاح ، والعُرف ، وعوف ، وشك^(٤) ، وقضاة ؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدة درجوا^(٥) .

ابن معدّ

وأمّ معدّ - فيما زعم هشام - مَهْدَد بنت اللّهم - ويقال : اللّهم - ابن جلحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسَم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان^(٥) بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني : وإخوته من أبيه وأمه الديث - وقيل : إن الديث هو عك^(١) . وقيل : إن عكا هو ابن الديث ابن عدنان - وعدنان بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عدنان ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا^(٢) ، وأبيّن - وزعم بعضهم أنه صاحب أبيّين وأتتها إليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا - وأدّ بن عدنان درج ، والضحاك ، والعي ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ . ١١١٢/١

(١) ح ، ر : « والماشية البلق » ، م : « والحليل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « جيادة » .

(٤) درجوا : انقرضوا .

(٥) ح : « يقشان » .

وقال بعض النسابة : كان عكّ انطلق إلى سمران من أرض اليمن ، وترك أخاه معداً ، وذلك أن أهل حضور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَمَ الحضوري ، بعث الله عليهم بختنصر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معداً ، فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم ، وتعطفت عليهم اليمن بولادة جرّهم إليّاهم ، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر :

تَرَ كُنَّا أَلَدِيثَ إِخْوَتَنَا وَعَكَّا إِلَى سَمْرَانَ فَانْطَلَقُوا سِرَاعًا
وَكَانُوا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ حَتَّى أَضَاعُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ ، فَضَاعَا

ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه ؛ يدعى أحدهما نَبْتًا والآخر منهما عَمْرًا . فنسبُ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان ، وأنه على ما بيّنت من نسبه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود وغيره . عن نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد^(١) . ١١١٣/١ ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكار : حدثني يحيى بن المقداء الرَّمَعِي ، عن عمّه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة ، عن عمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يَرْى بن أعراق الثرى» . ، قالت أم سلمة : فزند هو الحميسع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني : محمد بن عبد الرحمن العجلاني ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن عمته ، عن جدتها ابنة المقداد بن الأسود البهراني ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معد بن عدنان بن أدد بن يري بن أعراق الثري .

وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان - فيما يزعم بعض النسابة - بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح ^(١) ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتمى قصي بن كلاب إلى قيذر في شعر .

قال : ويقول بعض النسابة : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه - فيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام - قال : أخبرني مخبر عن أبي ولم أسمع منه ؛ أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بكلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخي بن عبي بن عبق بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سببر ١١١٥/١ ابن يثرب بن يحن بن يلحن بن أرعوى بن عيني بن ديشان بن عيصر بن أفتاد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمس بن مزى بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن

محمد ، قال : وكان رجل من أهل تدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بني إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علماً ، فذكر أن بروخ بن ناريّا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أبحار أهل الكتاب ، مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدني هشام ، عن أبيه شعر قصي :
فلست لحاضن إن لم تأتل^(١) بها أولاد قيدر والنبيت
قال : أراد نبت بن قيدر بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهبيشع بن أسحب^(٢) بن نبت بن قيدر بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن أمين بن شاجب^(٣) بن ثعلبة بن عتر^(٤) بن بريح بن محلم^(٥) بن العوام بن المحتمل^(٦) بن رائمة^(٧) بن العيقان بن علة^(٨) بن الشحدود^(٩) بن الطريب^(١٠) بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل^(١١) ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود^(١٢) بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أئامة^(١٣) بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معدمر بن صيفي بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

(١) ح ، ر : لحاضر ، م : « لحاضن » .

(٢) ح ، م : « شاجب » .

(٣) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .

(٤) م : « ملجم » .

(٥) ح المجمل : م : « المحتمل » .

(٦) ح : « زائدة » م : « دائمة » .

(٧) ح : « عكة » .

(٨) ح : « الشحدود » .

(٩) ح : « الطريب » ، ر : « الضريب » .

(١٠) كذا في ر ، وفي ح : « عبور » ، وفي م : « عبوث » .

(١١) كذا في م .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع بن نبت بن سلمان - وهو سلامان - ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مِشراح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع بن أسحب^(١) ابن سعد بن بريح بن نضير بن حميل بن منعم بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت^(٢) بن قيذر بن إسماعيل .

وأخبرني بعض النساب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب ، فوجد العدد متفقاً ، واللفظ مختلفاً ، وأملى ذلك على فكتبته عنه ، فقال : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع - وهميسع هو سلمان وهو أمين - ابن هميتع - وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان - وهو منجر ، وهو نبيت ؛ سمي بذلك - فيما زعم - لأنه كان منجيراً العرب ؛ لأن الناس عاشوا في زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَسَب بن عَتَّاب الرياحي :

تُنَاشِدُنِي طَىٌّ وَطَىٌّ بَعِيدَةٌ وَتَذْكُرُنِي بِالْوَدِّ أَرْمَازَ نَبْتٍ^(٣) ١١١٩/١

قال : نبيت بن عوص - وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبية - ابن بورا - وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأول من سنّ العتيرة للعرب - ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سنّ الرجبية للعرب - ابن يعمانا - وهو قموال ، وهو بريح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم - ابن كسدانا - وهو محلم ذو العين - ابن حرانا - وهو العوام - ابن

(١) ر : « أشعب » . (٢) ح : « نبيت » .

(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بالود أزمان نبت » .

بلداسا - زاح المحتمل - ابن بدلاتا - وهو يدلاف ، وهو رائمة - ابن طهبا - وهو طالب ، وهو العيقان - ابن جهمي - وهو جاحم ، وهو علة - ابن محشي - وهو تاحش ، وهو الشحلود - ابن معجالي - وهو ماخي ، وهو الظريب خاظم النار - ١١٢٠/١ ابن عقارا - وهو عاقى ، وهو عبقر أبو الجحش ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر - ابن عاقارى - وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمي جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف ، ورد كل طريد ، واستصلح الناس - ابن سداعى - وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن انداعى - وهو عبيد وهو وزن الطعان ، وهو أول من قاتل بالرمح ، فنسبت إليه - ابن همدى وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرساً له ، وإليه تنسب الأعوجية من الخليل - ابن بشمانى - وهو بشين وهو المطعم في الخمل - ابن بثرانى - وهو بثرم ، وهو الطمخ - ابن بحراني^(١) - وهو يحزن ، وهو القصور - ابن بلحاني ، وهو يلحس ، وهو العنود^(٢) - ابن رعوانى - وهو رعوى ، وهو الدعدع - ابن ١١٢١/١ عاقارى - وهو عاقر - ابن داسان ، وهو الزائد - ابن عاضار - وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبي بن القادور إلى بنى جاوان - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادى - وهو قنار ، وهو رائمة^(٣) بن ثامار ، وهو بهامى ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم في زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دوس لأمرين : أما أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفي ملكه أهليكت جرهم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوا في الحرم ، فقتلهم كوس ، وأتبع الذر آثار من بقى منهم ، فولج في أسماهم فأفناهم - ابن مقصر - وهو مقاصرى ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير - ابن سمي - وهو سما ، وهو المحشر ، وكان - فيما زعم - أعدل ملك ولي وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أمية بن أبى الصلت لهرقل ملك الروم :

(٢) كذا في ح .

(١) كذا في ح .

(٣) كذا في ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالْمَجْشَرِ إِذْ قَالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانَ الْمَجْشَرُ أَوْفَانًا بِمَا حَمَلًا

ابن مزرا - ويقال مرهر - ابن صنف^(١) ، وهو السمر ، وهو الصنف ،
هو أجود ملك رثى على وجه الأرض ، وله يقول أمية بن أبي الصلت :

إِنَّ الصَّفِيَّ بْنَ النَّبِيِّ مُمَلَّكَاً أَعْلَى وَأَجُودُ مِنْ هِرْقَلٍ وَقَيْصَرَ

ابن جعثم - وهو عرام ، وهو النبيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل « قيذر »
صاحب ملك ، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد ،
ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا
ابن بالغ - وتفسير « بالغ » القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرضين بين ولد
آدم ، وبالع ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح
ابن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم - ابن
يرد - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش
ابن شيث - وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصى أبيه بعد مقتله
هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتق اسمه من اسمه . ١١٢٣/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما
بينه وبين آدم ، وما^(٢) كان من الأخبار والأحداث في كل زمان من ذلك بعض
ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختصر ، في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش
الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ، وإنما حرم الخنث ، منذ ولد أبونا شث ،
وهو بالسريانية « شيث » .

• • •

ونعود الآن إلى :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفى عبد المطلب بعد القيل بثمانى سنين ؛ كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : وكان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ، وذلك أن أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأم ، فكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج فى ركب من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما نهياً للرحيل وأجمع السير ضب^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يزعمون — فرق له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه ١١٢٤/١ أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحِيرَى فى صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة مذ قطّ راهب^(٢) ، إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته ، عليه غمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتبهصرت^(٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدّها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فى حاله ؛ فى يقطّعه وفى نومه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره فيجدّها ببَحِيرَى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال ببَحِيرَى لعمّه أبا طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، فقال له ببَحِيرَى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام

(١) كذا فى ح ، وضب به : تعلق ، وفى ط والسيرة : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن الحليانى فى مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا فى السيرة ، وتبهصرت : مالت وتدلّت . وفى ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذرْ عليه يَهُود ؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، لبيغُنَّهُ شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمه سريعا حتى أقدمه مكة^(١) . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمد : خرج أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَصْرَى من أرض الشام ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدثني العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو نوح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قُرَيْش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب - وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل^(٢) يتخلَّلُهُمْ حتى جاء فأخذَ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُرَيْش : ما علمك^(٣) ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم تبق شجرة ولا حَجَر إلا خَرَّ ساجدا ؛ ولا يسجدون إلا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم^(٤) النبوة ، أسفلَ من غُضُوفِ كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنَّع لهم طعاما ، فلما أتاهاهم به كان هو في رعية الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تظله ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئء الشجرة ، فلما جلس مالَ فئء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فئء الشجرة مال^(٥) عليه ؛ قال : فبينما هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ؛ فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم ؛

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ح : « وهو » .

(٣) ط : « ما علمك ؟ » .

(٤) ح : « خاتم النبوة » .

(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعثَ إليها ناس ، ولما اخترنا خيرةً ، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خَلَقْتُمْ خَلْفَكُمْ أحداً هو خَيْرٌ منكم ؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتُم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ! قالوا : لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه ، قال : فأتانهم ، فقال : أنشدكم الله ، أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رَدَّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه محمد بن علي ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غيرَ مرتين ، كلٌّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ برسالته ؛ فلنيتُ قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرتُ لى غنمى حتى أدخلَ مكة ، فأسمَرَ بها كما يسمُرُ الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أولَ دارٍ من دورِ مكة ، سمعتُ عزفاً بالدُفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوجَ بفُلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظرَ إليهم ، فضرب الله على أذني فنمتُ فما أيقظني إلاَّ مسَّ الشمس ؛ قال : فجئتُ صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئتُ مكة مثلَ ما سمعتُ حين دخلتُ مكة تلك الليلة ؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذني ؛ فوالله ما أيقظني إلاَّ مسَّ^(١) الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوءٍ حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ برسالته .

ذكر تزويج النبي

صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستتجر^(١) الرجال في مالها، وتضاربهم إيتاء بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً؛ فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه؛ بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار؛ مع غلام لها يقال له ميسرة. فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج في مالها ذلك؛ وخرج معه غلامها ميسرة؛ حتى قدما الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظيل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان^(٢)، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٣)، ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة؛ ومعه ميسرة. فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلّانه من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك. وحدثها ميسرة عن

(١) ر، و ابن هشام: «تستاجر».

(٢) هو نسطورا؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره، كذا قاله السهيلي.

(٣) قال السهيلي: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي؛ لبعد العهد بالأنبياء

قول الراهب ، ونمّا كان يرّى من إظلال الملكين إياه - وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرامته - فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له - فيما يزعمون - : يا بن عمّ ، إننى قد رغبتُ فيك لقرايتك وسيطتك^(١) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرّضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمن^(٢) شرفاً ، وأكثرهن مالاً ؛ كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليها^(٣) .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمّه ؛ حتى دخل على خويلد بن أسد^(٤) ، فخطبها إليه فترّجها ، فولدت له ولده كلثم إلا إبراهيم : زينب ، ورقية ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم - وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم - والطاهر والطيب . فأما القاسم والطاهر والطيب ؛ فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم^(٥) .

١١٢٩/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا معمر وغيره ، عن ابن شهاب الزهري - وقد قال ذلك غيره من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرت رسول الله صلى الله

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) في الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أثبت من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد

ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مغيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن متقذ بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

(٤) قال السهيلي : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ - ١٢٣ .

عليه وسلم ورجلاً آخر من قريش إلى سوق حُبَّاشَة بتهامة ؛ وكان الذي زَوَّجها إياه خُوَيْلِد ، وكان التي مشَتْ^(١) في ذلك مولاةٌ مولدةٌ من مولدات مكة . قال الحارث : قال محمد بن سعد : قال الواقدي : فكل هذا غلط .

قال الواقدي : ويقولون أيضاً إن خديجة أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى نفسها - تنعني الترويع - وكانت امرأة ذات شرف ، وكان كل قريش حريصاً على نكاحها - قد بذلوا الأموال^(٢) لو طمعوا بذلك ، فدعت أباه فسقته خمرأ حتى ثَمِل ، ونحرت بقره وخلقته بخلق ، وأليسته حلة حبرة ، ثم أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوجه^(٣) ، فلما صحا قال : ما هذا العقيق ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتي محمد بن عبد الله ، قال : ما فعلت أنتي أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدي : وهذا غلط ، والثبوت عندنا المحفوظ^(٤) من حديث محمد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جبيرة بن مطعم . ومن حديث ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن عمتهما عمرو بن أسد زوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباهما مات قبل الفجار^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية فيما ذكر - فجعله مسجداً يصلى فيه الناس ، وبناءه على الذي هو عليه اليوم لم يغير . وأما الحجر الذي على باب البيت عن يسار من يدخل البيت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحته يستتر به من الرمي إذا جاءه من دار أبي لهب ، ودار عدي ابن حمراء الثقفي خلف دار ابن علقمة ، والحجر ذراع وشبر في ذراع .

(١) م : « الذي مشى » . (٢) ح : « لها المال » .

(٣) ر : « فزوجه » . (٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .

(٥) الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل سبب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلى الله عليه وسلم إياها . وبعدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هَدَمَتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتْها - وذلك فى قول ابن إسحاق - فى سنة خمسٍ وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سبب هَدَمِهِمْ إياها فيما حَدَّثَنَا ابنُ حُميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَة ، عن ابنِ إسحاق ، أن الكعبة كانت رَضْمَةً ^(١) فوق القامة ، فأرادوا رَفَعُها وتسقيفها ؛ وذلك أن نفراً من قريش وغيرهم سَرَقُوا كَنْزَ الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

• • •

وكان أمرُ غَزَاةِ الكعبة - فيما حَدَّثَتْ عن هشام بن محمد ، عن أبيه - أن الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليله عليه السلام وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأولى ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، فلم يكن له ولايةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن يتزل ابنه إسماعيل البيت ، لما أراد الله من كرامة مَنْ أكرمته بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح ، ومكة يومئذ بلاقع ؛ ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرُهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) فى ابن هشام : « رضا » ؛ والرضم : أن تنفذ الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهُم ؛ فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :
وصَاهِرْنَا مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ وَالِدَا فَاثْنَاوَهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ

فولّى البيت بعد إبراهيم لإسماعيل ، وبعد لإسماعيل نَبَتْ ؛ وأمه الجهرميّة ؛
ثم مات نَبَتْ ، ولم يكثر ولد لإسماعيل ، فغلبت جُرْهُم على ولاية البيت ؛
فقال عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وَكُنَّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ

فكان أول مَنْ وَلَى مِنْ جُرْهُم البيت مُضَاض ، ثم وليته بعده بنوه
كابراً بعد كابر^(١) ؛ حتى بغت جُرْهُم بمكة ، واستحلوا حرمتها ، وأكلوا مال
الكعبة الذى يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دَخَلَ مكة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل
الرجلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنّى فيه يدخل الكعبة فزنّى . فزعموا أن
أُسَافاً بَغَى بنائلاً فى جَوْفِ الكعبة ، فُسَخَا حَجَرَيْنِ ، وكانت مكة
فى الجاهلية لا ظلم ولا بَغَى فيها ، ولا يستحلُّ حرمتها مَلِكٌ إلا هلك مكانه ١١٣٢/١
فكانت تسمى النَّاسَة ، وتُسَمَّى بِمَكَّة ، تَبُّكُ أعناق البغايا إذا بَغَوْا فيها ؛
والجبابرة .

قال : ولما لم تتناهَ جُرْهُم عن بَغْيِها ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من
اليمن ، فانخزع^(٢) بنو حارثة بن عمرو ، فأوطنوا^(٣) تهامة — فسميت^(٤) خَزَاعَة ،
وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملكان بنو أفصى بن حارثة ،
فبعث الله على جُرْهُم الرِّعَافَ والنَّمْلَ ، فأقناهم . فاجتمعت خَزَاعَة ليجلّوا مَنْ
بَقِيَ ، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمه فُهَيْرَة بنت عامر بن الحارث
ابن مُضَاض ، فاقتتلوا . فلمّا أحسَّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي
الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) انخزعا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمْ إِنْ جُرُّهُمْ عِبَادُكَ النَّاسَ طُرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ
• بِهِمْ قَدِيمًا عَمِرَتْ بِلَادُكَ •

فلم تُقْبَلْ توبته، فالتقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم، ثم دفنها
وخرج مَنْ بَقِيَ مِنْ جُرُّهُمْ إِلَى أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ جَهَنَّمَ، فجاءهم سيلٌ أَنَّى فَذَهَبَ
بِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

وَجُرُّهُمْ دَمَنُوا تَهَامَةً فِي السَّدْهِرِ فَسَالَتْ يَجْمَعُهُمْ إِضْمٌ^(١)

وَوَلَّى الْبَيْتَ عَمْرُو بْنُ رَيْبَعَةَ . وَقَالَ بَنُو قُصَيٍّ : بَلْ وَلِيَّهُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ١١٣٣/١
الغُبَشَانِيُّ^(٢) ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَنَحْنُ وَلَيْنَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرُّهُمْ لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُلْحِدٍ
وَقَالَ :

وَادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وَلَاتُهُ فَلَا تَقْشُهُ

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الْحَارِثِ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَبِجُونَ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وَقَالَ :

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصَرَ كُمْ أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا^(٣)
كُنَّا أَنَاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيَّرْنَا دَهْرٌ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا
حُثُوا الْمَطْيَ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا قَبْلَ أَلْمَاتٍ وَقَضُوا مَا تُقَضُّونَا

يَقُولُ : اْعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ ، وَافْرَغُوا مِنْ حَوَائِجِكُمْ فِي الدُّنْيَا ؛ فَوَلَيْتَ خُرَاعَةَ
الْبَيْتِ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي قِبَالِ مُضَرٍ ثَلَاثَ خِيَالٍ : الْإِجَازَةُ بِالْحَجِّ لِلنَّاسِ مِنْ

(١) معجم ما استعجم ١٦٦ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « النَّسَائِي » ؛ وَانْظُرْ كِتَابَ الْإِشْتِقَاقِ ٤٧٩ .

(٣) قَصَرَ كُمْ : نَهَيْتَكُمْ وَغَايَتَكُمْ .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغوث بن مرّ - وهو صوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجزى صوفة . والثانية الإفاضة من جمّع غداة التّحر إلى منى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان ؛ فكان آخر من وليّ ذلك منهم أبو سيّارة عُميّلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابلش^(١) ابن زيد ، والثالثة النّسيء للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القلّمس ، وهو حذيفة بن قيس بن عديّ من بنى مالك بن كنانة ، ثمّ بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبى ثمامة ، وهو جنادة بن عوف بن أميّة بن قلع بن حذيفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النّسيء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنَيْتُ دَارُنَا رَهَامَةً فِي أَلَدِهِ ر وَفِيهَا بَنُو مَعَدٍّ حُلُولًا .

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكة ، فلما حضر عبدُ المطلب زمزم ، وجَدَ الغزاليّين ، غزاليّ الكعبة اللّذين كانت جرّهم دفنتهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرهما ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذى وجد عنده الكثر دُوبِكًا مولىّ لبنى مُليح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان من اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب^(٢) ابن عزيّر بن قيس بن سُوَيْد التميميّ - وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه - وأبو لهب بن عبد المطلب ؛ وهم اللّذين تزعم قريش أنّهم وضعوا كثر الكعبة حين أخذوه عند دُوبِك مولىّ بنى مُليح ، فلمّا اتهمتهم قريش ، دلّوا على دُوبِك ، فقطّيع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : « وأشر » ، ر : « وأسر » ، والمثبت يوافق ما في الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند احارث بن هاشم ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهاتان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بالألا يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة، فكان فيما حوّلها عشر سنين؛ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جذّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها؛ وكان بمكة رجل قبضي نجاراً، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهاونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزالت وكشت^(١) وفتحت فاهاً؛ فبينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لمرجوان يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا. عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله [أمر]^(٢) الحية. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذ ابن خمس وثلاثين سنة.

١١٣٦/١

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهتر بغى، ولا بيع ربنا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال: والناس يستحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة^(٣)؛ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي نجيح المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

(١) احزالت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكللة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف^(١) ، أنه رأى ابنًا لجعدة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنُ لجعدة ابن هُبَيْرَة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جدّه هذا - يعنى أبا وهب الذى أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدْخِلُوا فى بنائنا من كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لا تُدْخِلُوا فيها مَهْرَ بَنِي ، ولا بيع رباً ولا مظلمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً^(٢) .

١١٢٧/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن قُرَيْشًا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيسم وقبائل من قريش ، ضُمُّوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وبني سَهْم^(٣) ، وكان شقُّ الحجر - وهو الحطيم - لبني عبد الدار بن قصي ولبنى أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدى بن كعب .

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(١) بعده فى ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيص بن كعب

بن لؤى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها : وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنْخْتُ مَطِئِي غَدَتُ مِنْ نَدَاهُ رَحْلَهَا غَيْرَ خَائِبِ
بَأْبَيْضٍ مِنْ فَرَعَى لَوْىَ بْنِ غَالِبِ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ
أَبِي لَا أَخَذِ الصَّيْمُ يِرْتَاحَ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَاهُ فُرُوعُ الْأَطَايِبِ
عَظِيمُ رَمَادِ الْقَدْرِ يَمَلَا جِفَانَهُ مِنَ الْخُبْرِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ

(٣) فى ابن هشام : « لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هيص بن كعب بن لؤى » .

أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ (١) ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هَدَمَ من ناحية الرُّكْنَيْنِ ، فترَبَّصَ النَّاسُ به تلك اللَّيْلَةَ ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيبَ لم نهدم منها شيئاً ؛ ورددناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضيَ الله ما صنعنا هَدَمْنَا (٢) .

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم والنَّاسُ معه ؛ حتى انتهى الهدمُ إلى الأساس ، فأفضوا إلى حجارة خُضِرَ كأنها أَسِنَّةٌ (٣) آخذٌ بعضها ببعض (٤) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، قال : حدَّثنا محمد بن ١١٣٨/١ إسحاق ، عن بعض مَنْ يروى الحديث ، أن رجلاً من قريش ممَّنْ كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتقضت (٥) مكة بأسرها ، فانتهوا عند ذلك إلى الأساس (٦) .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، جعلت كل قبيلة تجمع على حِدَّتِها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِعَ الرُّكْنِ اختصموا فيه ؛ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوزوا (٧) وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرَّبَت بنو عبد الدار جَفَنَةً مملوءة دماً ؛ ثم تعاهدوا هم

(١) قال السهيلي : « قولم : اللهم لم ترع ؛ هي كلمة تقال عند تمكين الروع والتأسيس وإظهار اللين والبر في القول ؛ ولا روع في هذا الموطن فينق ؛ ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذي هو محال في حق الباري تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزع ، وهو جل لا يشكل » .

(٢) في ابن هشام : « فقد رضي الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : « أسنمة » . قال السهيلي : « وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا في الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمتها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) في ابن هشام : « تنقضت » ، أي اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أي انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ،

أي تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدى بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة ؛ فسموا لعقة الدم بذلك ؛ فكثت قريش أربع ليال - أو خمس ليال - على ذلك . ثم لأنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعض الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عامئذ أسن^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ؛ فكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضىنا به ؛ هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هلُم لي ثوباً^(٢) ، فأتى به . فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين^(٣) .

قال أبو جعفر : وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجّار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفجّار عشرون سنة .

• • •

واختلف السلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نُبئ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضَّبْعِي ، عن ابن عباس ، قال : بُسِث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة .

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلى ثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدثنا عمرو بن علي وابن المنثي ، قالا : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني ابنُ عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن الأوزاعي ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني ١١٤٠/١ أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني أبو شُرَحْبِيل الحمصي ، قال : حدثني أبو اليان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمَّاد ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزُّبَيْر ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج ، عن حمَّاد ، قال : أخبرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدَةَ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : إنه كان يُعرض على القرآن كلَّ عام مرَّةً ؛ وإنه قد عُرض على العامَ مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ إلى أن أجلكي قد حضر ؛ وأنَّ أولَ أهلي لحاقاً^(١) بي أنت ؛ وإنه لم يُبعث نبيٌّ إلَّا بُعثَ الذي بعده بنصفٍ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعث لعشرين^(٢) .

(١) ح : « لحوقاً » . (٢) في ط ، وفي المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « ما بعث الله نبياً إلَّا عاش نصف ما عاش النبي قبله » ، ونقله برواية أخرى في ص ٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا روح بن عباد ، قال :
حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث عشرة سنة .

١١٤١/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني ،
عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث
عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : بل نُبِئَ حين نُبِئَ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن
سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وهو
ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً — يعني ابن المسيب — يقول : أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الشهر الذى نُبِئ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدَّثنا به ابن المثنى ، قال : حدَّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن غَيْلَان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ الأنصاريِّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين ، فقال : ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه ، ويوم بعثتُ - أو أنزل على فيه .

حدَّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدَّثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا غَيْلَان بن جرير المَعُولِيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ ، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١ للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم أنزلت على فيه النبوة .

حدَّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهَيْعَةَ ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنْشَل الصَّنْعَانِيّ ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبيى يوم الاثنين ^(١) . قال أبو جعفر : وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

• • •

واختلفوا فى أىِّ الاثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانِي عشرة خَلَّتْ من رمضان .
ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن أبي قُلَابَةَ عبد الله بن زيد

البحرئى ، أنه كان يقول - فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني من لا يثبت^(١) ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ابن دعامه السدوسي ، عن أبي الجلود ، قال : نزل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ؛ واستشهدوا^(٢) لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَلْجَمَانِ ﴾^(٣) ؛ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيد ر ؛ وأن التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيد ر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

• • •

قال أبو جعفر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يظهر له^(٤) جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه - فيما ذكر عنه - يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكيين اللذين أتياه فشققا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغيل والدنس ؛ وهو عند أمه من

(١) ح : « أنهم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حكيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرَّ في طريق لا يمرّ - فيما ذكر - عنه بشجرٍ ولا حمجرٍ فيه إلّا سلّم عليه .

حدَّثني الحارث بن محمد ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثنا علي بن محمد بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن برة بنت أبي تجرة ، قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كرامته وابتدأه^(١) بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشُعَاب وبطون الأودية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلّا قالت : السّلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكانت الأُمّ تتحدّث بمبعثه وتخبّر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني علي بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، ١١٤٤/١ عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ولا أراي أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طال بك مدّة فرأيتَه ، فأقرته مِنّي السّلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلّم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُه ومبعثه ، ثم يخرجُه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهرَ أمرُه ؛ فلْيَاك أن تُخدعَ عنه ، فلمّا طُفّت البلادَ كلّها أطلب^(٣) دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ؛ ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره^(٤) .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا في ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفي ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦٢ ، ١٦١ .

قال عامر: فلما أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السلام، فردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ وترحم^(١) عليه، وقال: قد رأيتُهُ في الجنة يسحبُ ذيولاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أنه حدث أن عمر بن الخطاب بينا هو جالسٌ في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل^(٢) المسجد، يريد عمر - يعني ابن الخطاب - فلما نظر إليه عمر قال: إن الرجلَ لعلّى شِرْكِهِ بعد، ما فارقه - أو لقد كان كاهناً في الجاهلية - فسلم عليه الرجل، ثم جلس فقال له عمر: هل أسلمت؟ فقال: نعم، فقال: هل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل^(٣): سبحان الله! لقد استقبلتني^(٤) بأمرٍ ما أراك قلته لأحد من رعيّتك منذ وليت! فقال عمر: اللهم غفراً؛ قد كنّا في الجاهلية على شرٍّ من ذلك، نعبُدُ الأصنام، ونعتنق الأوثان حتى أكرمنا الله بالإسلام. فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ لقد كنت كاهناً في الجاهلية. قال: فأخبرنا ما أعجب ما جاءك به صاحبك. قال: جاعني قبل الإسلام بشهر - أو سنة - فقال لي: «ألم تر إلى الجنِّ وإِبلاسهما، وإِباسها من دينها، ولحوقها بالقيلاص وأحلاسها^(٥)؟!». قال: فقال عمر عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعندَ وثنيٍّ من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلًا فنحن ننظرُ قَسَمَهُ ليقسِمَ لنا منه، إذ سمعُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قطّ أنفَذَ منه؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شِيعه^(٥)، يقول: يا آل ذريح؛

(١) كذا في ر، م، وفي ط: «رحم عليه». (٢) ابن هشام: «داخلًا».

(٣-٢) ابن هشام: «سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت في»، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد.

(٤) قال ابن هشام: هذا الكلام سجع وليس بشعر. والإِبلاس: الذلة. والإِباس: اليأس. والقيلاص من الإبل: الفتية. والأحلاس: جمع حلس، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير.

(٥) كذا في ابن هشام، قال السهيلي: «أو شيعه، أي دَوَّهه بقليل، وشيع كل شيء ما هو تبع له». وفي ط: «أو سنة»، والأجود ما أثبتته عن ابن هشام.

أَمْرٌ نَجِيجٌ ، وَرَجُلٌ يَصِيحُ ؛ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ، مَوْلَى عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو
قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ،
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَتَمِ بْنِوَانَةَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهْرٍ ؛ نَحْرُنَا جَزُورًا ؛ فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفٍ وَاحِدَةٍ :
اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ ! ذَهَبَ اسْتِرَاقُ الْوَحْيِ ، وَنَرَى بِالشَّهْبِ لَنَبِيٍّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ ،
مُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ . قَالَ : فَأَمْسَكْنَا ، وَعَجِبْنَا ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْقَطَّانُ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ :
حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ
أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَرْنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ ؛ فَإِنْ يَكُ
بِكَ ^(٣) طِيبٌ دَاوَيْتُكَ ؛ فَإِنِّي أَطِبُّ الْعَرَبَ ، قَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ أَرِيكَ آيَةَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ؛ ادْعُ ذَاكَ الْعِدْقَ ، قَالَ : فَنَظَرُ إِلَى عِدْقٍ فِي نَخْلَةٍ ، فَدَعَاهُ
فَفَجَعَلَ يَنْقُرُ ^(٤) ؛ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ ، فَرَجَعَ ،
فَقَالَ الْعَامِرِيُّ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أُسْحَرُ !

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْأَخْبَارُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَلِذَلِكَ كِتَابُ يَفْرُدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .

(٣) الطبِّ ها هنا : السحر .

(٤) النقر : الوثب .

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم
عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال

جبريل عليه السلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت
مجيء جبريل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله ، وكم كان سنّ
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير ١١٤٧/١
إليه ، وظهوره له بتزليل ربه .

فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء ، قال : حدثنا وهب
ابن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت النعمان بن راشد ، يحدث عن
الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان أول ما ابتدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلق
الصبح ، ثم حُببَ إليه الخلاء ، فكان بغارٍ بجرا يتحنث فيه الليالي ذوات
العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزوّد لثلثها ؛ حتى فجأه
الحق ، فأتاه ، فقال : يا محمد ، أنت رسول الله ! قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : فجنوت لركبتى وأنا قائم ، ثم زحفت^(١) ترجف بوادري^(٢) ، ثم
دخلت على خديجة ، فقلت : زملوني ، زملوني ! حتى ذهب عني الرّوع ،
ثم أتاني فقال : يا محمد ، أنت رسول الله . قال : فلقد هممت أن أطرح
نفسى من حالي من جبل ، فتبدّى لى حين هممت بذلك ، فقال : يا محمد ،
أنا جبريل ، وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخذنى
فغتنى ثلاث مرات ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى
الذى خلق ﴾^(٣) ، فقرأت . فأتيت خديجة . فقلت : لقد أشفقت على نفسى ، فأخبرتها
خبرى ، فقالت : أبشیر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، ووالله إنك لتصل

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فزادى » .

(٣) سورة العلق ١ .

الرَّحِيمَ ، وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْشِرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ ، قَالَتْ : اسْمَعِ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرِي ، فَقَالَ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، لِيَتَنِيَ فِيهَا جَدَّعٌ ! لِيَتَنِيَ أَكُونَ حَيًّا حِينَ يَخْرُجُكَ قَوْمُكَ ! قُلْتُ : أَمْخَرَجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ لَمْ يَجِيْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي ، وَلَنْ أَدْرِكَنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(١) .

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ « اقْرَأْ » : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ : « ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ » . إِلَى آخِرِهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ؟ فَقَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمَّتْهُ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمَّتْهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ ، قَالَ : وَمَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قَالَ : فَجَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ عُرِضَ^(٣) لِي ، قَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ ؛ مَا أَتَيْتَ فَاحْشَةً قَطُّ . قَالَ : فَأَنْتَ

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاقي) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) عرض ل ، أي أصابني مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/١ خديجةُ ورقةَ بنِ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، إن زوجك لنبي ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنين به .

قال : ثم أبطأ عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا قد قتلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال : سمعتُ عبد الله بن الزبير ، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد — وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث^(٢) به قريش في الجاهلية — والتحنث : التبرر — وقال أبو طالب :

• وَرَاقٍ لِيَرْتَقِيَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ • (٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ، وذلك في شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء — كما كان يخرج لجواره — معه أهله ؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١١٥٠/١

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاقي) .

(٢) ح : « تحنث » .

(٣) صدره في ابن هشام :

• وَثَوْرٍ وَمِنْ أَرْضَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ •

عليه وسلم ، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال :
 اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ ففتنى ^(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال :
 اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلى بئله
 ما صنع بي . قال : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرف عني
 وهيب من نومي ؛ وكان ما كتب في قلبي كتاباً .

قال : ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ؛
 كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إن الأبعد - يعني نفسه -
 لشاعر أو مجنون ، لا تحدث بها عني قريش أبداً ! لأعمدن إلى حالي من
 الجبل فلا طرحن نفسي منه فلا قتلنها فلا ستريجن .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت في وسط من الجبل ؛ سمعت
 صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال :
 فرفعت رأسي إلى السماء ؛ فإذا جبرئيل في صورة رجل صاف قدميه في أفق
 السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظر
 إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ؛ فما أتقدم وما أتأخر ؛ وجعلت أصرف وجهي
 عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلت واقفاً
 ما أتقدم أمأى ، ولا أرجع ورأى ؛ حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ؛ حتى
 بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني . ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً
 إلى أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفاً ^(٢) فقالت :
 يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك ، حتى بلغوا
 مكة ورجعوا إلي . قال : قلت لها : إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت :

١١٥١/١

(١) قال ابن الأثير : « الت والفت سواء ؛ كأنه أراد : عصفري عصرأ شديداً حتى وجدت

منه المشقة ، كما يجيد من يغمس في الماء قهراً » .

(٢) مضيفاً ، أي ملتصقاً بها ما تلا إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيزك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عم ! لعلك رأيت شيئاً ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدثتها بالذي رأيت ؛ فقالت : أبشّر يا بن عمّ واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إلى لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس ، قدّوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس^(١) الأكبر - يعنى بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبيّ هذه الأمة ، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيّه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت ، فقال : يا بن أخي ، أخبرتني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، ولتُكذّبته وتؤذّنه ، ولتُخرّجنّه ، ولتقاتلنه ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرن الله نصرأ يعلمه . ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله^(٢) .

١١٥٢/١

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ؛ فمهر عن الملك الذي جاء بالوحي

بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ - ١٥٦ .

خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبتته فيما أكرمه الله به من نبوته : يا بن عم ، أنتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني ، فقالت : نعم ، فقم يا بن عم ، فاجلس على فخذي اليسرى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّل فاجلس في حجري ، فتحوّل فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحصّرت ، فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يا بن عم ، اثبت وأبشر ؛ فوالله إنه لملك وما هو بشيطان^(١) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنني قد سمعتها تقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان^(١) .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا علي بن المبارك ، عن يحيى - يعني ابن أبي كثير - قال : سألت أبا سلمة : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى ، هبطت فاستبطنت الوادي ،

فَنُودِيتُ ، فَنَظَرْتُ ، بَيْنِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَخَلَقَنِي وَقُدَّامِي ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ،
فَنَظَرْتُ فَوْقَ رَأْسِي ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَيَّ عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
فَخَشِيتُ مِنْهُ - قَالَ ابْنُ الْمُنْتَنَى : هَكَذَا قَالَ عُمَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَإِنَّمَا هُوَ «فَجُثَّتْ مِنْهُ» (١)
- فَلَقِيتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ،
قَالَ : نَزَلَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أَوَّلَ ، قَالَ : قُلْتُ : لِمَ نَزَلَتْ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا أَحَدٌ ثَلَاثَ
إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : جَاوَرْتُ بِحَرَاءَ
فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي ، هَبَطْتُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ١١٥٤/١
وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ
شَيْئًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ،
وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، قَالَ : فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، فَتَزَلَّتْ :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ ، وَعَلَّمَهُ الصَّلَاةَ ، وَعَلَّمَهُ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، يَوْمَ
أَوْحِيَ إِلَيْهِ ، أَرْبَعُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَبِيبِ الطُّوسِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ

(١) جُثَّتْ مِنْهُ ، أَيْ خَفَتْ وَفَزَعَتْ ، وَانْظُرِ اللِّسَانَ .

(٢) الْخَبَرُ فِي التَّفْسِيرِ ٢٩ : ٩٠ (بُيُوتِ) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذرٍّ الغِفَارِيِّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبيٌّ أوَّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوق أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنته برجل ، فوزنت برجل فرجته ، ثم قال : زنته بعشرة ، فوزنتي بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنتي بمائة فرجحتهم ^(١) ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنتي بألف فرجحتهم ، فجعلوا ينثرون ^(٢) عليَّ من كِفَّة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمرته رجَّحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شقَّ بطنه ، فشقَّ بطني ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبه - أو قال : شقَّ قلبه - فشقَّ قلبي ، فأخرج منه مغمَز الشيطان وعلقَ الدَّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسل بطنه غَسْلَ الإناء ، واغسل قلبه غَسْلَ الإناء - أو اغسل قلبه غسل الملاءة - ثم دعا بالسَّكِينَةِ ، كأنها وجه هِرَّة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خطَّ بطنه ، فخاطا بطني ، وجعلا الخاتم بين كَتِفَيْ ، فإِذَا هُوَ إِلَّا أَن وَلِيَا عَنِّي فَكَأَنَّمَا أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتَرَّ الوحيُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزناً شديداً ، جعل يغدو إلى رؤوس شواقي الجبال ليردِّي منها ، فكلما أوقف بذروة جبل تبدَّى له جبرئيل ، فيقول : إنك نبيُّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشه ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتيني بحِراء ، على كرسيٍّ بين السماء والأرض ، فجئشتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زملوني ، فزملناه - أي دثرناه - فأنزل الله عز وجل :

(١) د ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، قال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليه : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجئته منه فرقاً ، وجئت فقلت : زملوني ، زملوني ! فذكرني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال : ثم تابع الوحي^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومه عقاب الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ، وأن يحدث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، وذلك - فيما زعم ابن إسحاق - النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، اذكرها وادع إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بلاق) .

أهله ؛ فكان أول مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلق الله - فيما ذكر - زوجته خديجة رحمها الله ^(١) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقدي : أصحابنا معجمعون على أن أولَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر : ثم كان أول شيء فرضَ الله عزَّ وجلَّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد الصلاة - فيما ذكر .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني بعضُ أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبرئيل وهو بأعلى ^(٢) مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضأ ، ثم قام جبرئيل عليه السلام ، فصلّى به وصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاته . ثم انصرف جبرئيل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها برُبها كيف الطهور للصلاة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام ، فصلّت بصلاته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة وحكّام بن سلم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبي هاشم الواسطي ، عن ميمون بن سيّاه ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نبِيّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وكان ينام حول الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأناه ملكان: جبرئيل وميكائيل ، فقالا :

بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمرنا بسيّدهم ، ثمّ ذهبّا ثمّ جاءا من القبيلة ، وهم ثلاثة ، فألقوه وهو نائم ، فقلّبوهُ لظهره ، وشقّقوا بطنه ، ثمّ جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شكّ أو شرك أو جاهليّة أو ضلالة ، ثمّ جاءوا بطست من ذهب ، مملّئ إيمانًا وحِكْمَةً ، فلىء بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثمّ عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا :

مَنْ هذا ؟ فقال : جبرئيل ، فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : عمّد ، قالوا :

١١٥٨/١

وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا ، فدعّوا له في دعائهم ، فلمّا دخل ،

فلما هو برجل جسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك

آدم ، ثمّ أتوا به إلى السّماء الثّانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقلّ له مثل ذلك ،

وقالوا في السّموات كلّها كما قال وقيل له في السّماء الدّنيا ، فلمّا دخل ،

إذا برجلين ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا

الخالّة ، ثمّ أتى به السّماء الثّالثة ، فلمّا دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا

يا جبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فضّل بالحسن على النّاس ، كما

فضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثمّ أتى به السّماء الرّابعة ، فلما هو

برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثمّ قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ

مَكَانًا عَلِيًّا ۝ ﴾^(١) ، ثمّ أتى به السّماء الخامسة ، فلما هو برجل ، فقال : من

هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثمّ أتى به السّماء السّادسة ، فلما هو برجل

فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثمّ أتى به السّماء السّابعة ،

فلما هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثمّ

انطلق إلى الجنة ، فلما هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ،

يجنبته قباب الدرّ ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا الكوثر الذي

أعطاك ربك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وهي سِدْرَةُ نَبْتِ أَعْظَمُهَا أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربك عزَّ وجلَّ : ﴿ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(١) ، فجعل يتغشى السدرة من دُنُو ^(٢) ربها تبارك ١١٥٩/١

وتعالى ، أمثال الدرِّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهمه وعلمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فرَّ على موسى ، فقال : ما فرَّضَ على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسلكه التخفيف لأمتك ، فإنَّ أمتك أضعفُ الأمم قوَّةً ، وأقلُّها عمراً ؛ وذكر ما لقي من بني إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرَّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربك فسلكه التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسلكه التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصبك ؛ وقذف في قلبه ألا يرجع ، فقال الله عزَّ وجلَّ : « لا يبدلُ كلامي ، ولا يردُّ قضائي وفرضي » ، ونخفَّ عن أمِّي الصلاة لعشر . قال أنس : وما وجدت ريحاً قطَّ ولا ريحَ عَروس قطَّ ، أطيب ريحاً من جِلْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ألزقت جلدي بجلده وشِمِنتُهُ .

• • •

قال أبو جعفر : ثم اختلف السَّلَفُ فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدَّقه على ما جاء به ^(٣) من عند الله من الحقِّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلى معه .

فقال بعضهم : كان أوَّلَ ذَكَرٍ آمَنَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدَّقه بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب عليه السلام .

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

هـ ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرن ذكره :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة^(١) ،
عن أبي بَلَج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أول مَنْ
صلى على^٢ . ١١٦٠/١

حدثنا زكرياء بن يحيى الضَّرِير ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ،
قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ، عن جابر ، قال :
بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَصَلَّى عَلَى يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أَرْقَم ، قال : أول مَنْ
أَسْلَمَ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِب . قال : فذكرته
لِلنَّخَعِيِّ ، فَأَنكَرَهُ ، وَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن
مُرَّة ، عن أبي حَمْزَةَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، عن زيد بن أَرْقَم ، قال : أول مَنْ
أَسْلَمَ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِب عَلَيْهِ السَّلَام .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت
زيد بن أَرْقَم ، يقول : أولُ رَجُلٍ صَلَّى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَام .

حدثنا أحمد بن الحسن التَّرمِذِيُّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ،
قال : أخبرنا العَلَاء^(٢) ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، قال :
سمعتُ عَلِيًّا يَقُولُ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ ، وَأَنَا الصَّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، لَا يَقُولُهَا
بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ^(٣) مُفْتَرٍ ، صَلَّيْتُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ سِنِينَ .

(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(١) ر : « سعيد » .

(٣) ر : « كذاب » .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي^(١) ، قال : حدثنا سعيد بن خثيم ، عن أسد بن عبد الله البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئت في الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب . قال : فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب ، فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، فرجع الشاب ، فرجع الغلام والمرأة ، فرجع الشاب فرجع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدري من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن ربك رب السماء ، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وإسم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ، من أهل الكوفة ، قال : حدثني إسماعيل بن إلياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأة تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العباس ، فبينا نحن عنده إذ خرج رجل يصلي ، فقام تجمه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، قال سلمة : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبي الأشعث — قال أبو جعفر : وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأمه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العباس ابن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن ، يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم ؛ فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى ، فأتاه رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلي ، فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : ويحك يا عباس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابن أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولا ، وهذا ابن أخى علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتّه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام في قلبه : يا ليتني كنتُ رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا عيسى بن سودة بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن المنكدر ^(١) وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأبو حازم المدني ^(٢) ، والكلبي ، قالوا : علي أول من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلي معه وصدقّه بما جاءه من عند الله ، علي بن أبي طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب عليه السلام ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المري » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأراد به من الخير ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أبستر بني هاشم : يا عباس ؛ إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ؛ آخذ من بني رجلا ، وتأخذ من بني رجلا ، فنكفهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عتيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي فآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ؛ فإذا أمسيا رجعا ، فبكنا كذلك ما شاء الله أن يمكنا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين آيينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعاني عليه - أو كما قال . فقال أبو طالب : يا بن أخي ؛ إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك ^(٢) بشيء تكرهه ما حييت ^(٣) .

(١) ر : « لا يخلص إليك شيء » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب : أي بُني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبة ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدّفته بما جاء به ، وصليت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوك^(١) إلّا إلى خيّر ، فالزمه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نَجِيج ، عن مجاهد ، قال : أسلمَ عليٌّ وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : واجتمع أصحابنا على أن عليّاً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن مجاليد ، عن الشعبي ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ أوّل الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسّان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوْنَا مِنْ أَخِي ثِقَةً
فَإِذَا كَرُّ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا^(١)
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَنْقَاها وَأَعَدَّلَهَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاها بِمَا حَمَلَا
الثَّانِي الثَّانِي الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ
وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، ر : « يدعو » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية .

حدثني سعيد بن عنبسة الرازي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن
مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه^(١) .

١١٦٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الهيثم
ابن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا بحر^(٢) بن نصر الخولاني ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ،
قال : أخبرني معاوية بن صالح ، قال : حدثني أبو يحيى وضمرة بن حبيب
وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو بن عتبة^(٣) قال :
أُتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بُعَكاظَ ، قلت : يا رسولَ الله ،
مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ؟ قال : اتَّبَعْنِي عَلَيْهِ رَجُلَانِ ؛ حُرٌّ وَعَبْدٌ :
أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، قال : فَأَسْلَمْتُ عِنْدَ ذَلِكَ ، قال : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي إِذْ ذَاكَ
رُبِعَ الْإِسْلَامُ .

حدثني ابنُ عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،
قال : حدثنا صدقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن
جبير بن نفير ، قال : كَانَ أَبُو ذَرٍّ وَابْنُ عَبَّاسٍ كِلَاهُمَا يَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي
رُبِعَ الْإِسْلَامَ ، وَلَمْ يُسْلَمِ قَبْلِي^(٤) إِلَّا النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، كِلَاهُمَا
لَا يَدْرِي^(٥) مَتَى أَسْلَمَ الْآخَرُ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ،
قال : أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : أَبُو بَكْرٍ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ .

• • •

(١) ح : « بنحوه » .

(٢) م : « يحيى » .

(٣) في الأصول : « عنبسة » .

(٤) م : « قبل » .

(٥) م : « لا ندري » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة .
 • ذكر من قال ذلك :

١١٦٧/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحجاج بن الحجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكن كان أفضلنا إسلامًا .

• • •

وقال آخرون : كان أولُ مَنْ آمن واتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال زيد بن حارثة مولاة .
 • ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، قال : سألت الزهري : مَنْ أولُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد — يعني ابن عمر — قال : حدثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس مثله .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان

أَوَّلَ ذَكَرٍ^(١) أسلم، وصلى بعد علي بن أبي طالب، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة الصديق، فلما أسلم أظهر إسلامه^(٢)، ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله. قال: وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه، محببًا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعرفة، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه - فيما بلغني - عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له، فأسلموا وصلّوا، فكان هؤلاء الثمانية، النفر^(٣) الذين سبقوا إلى الإسلام، فصلّوا وصدّقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء به من عند الله، ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام؛ الرجال منهم والنساء؛ حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس^(٤).

وقال الواقدي في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عنه: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر: في أبي بكر وعلي، وزيد بن حارثة، أيهم أسلم أول.

قال: وقال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامساً، وأسلم أبو ذر، قالوا: رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي، فيقال: رابعاً أو خامساً. قال: فلما اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيهم أسلم أول؛ وفي ذلك روايات كثيرة. قال: فيختلف في الثلاثة المتقدمين، وفي هؤلاء الذين كتبنا بعدهم.

(١) ر: «من»

(٢) ح: «م»؛ «الإسلام».

(٣) كذا في ح وفي ط: «نفر»، وفي ابن هشام: «النفر الثمانية».

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام: ١: ١٦٤، ١٦٥.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل ، قال : كان إسلام الزبير بعد أبي بكر ، كان رابعاً أو خامساً .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن يياضة ، من خزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السابقين إلى الإسلام^(١) .

* * *

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يادي الناس بأمره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وكان قبل ذلك - في البنتين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله - مستسراً خفياً أمره صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ * وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ذهبوا إلى الشعاب ، فاستخفّوا من قومهم ؛ فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شِعْب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحى جمل فشقّه ، فكان أول دم أمهريق^(٤) في الإسلام^(٥) .

فحدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦ .

(٤) ح : « هريق » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفاً ، فقال : يا صبا حاه ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إن أخبرتكم أن العدو^(١) مصبتحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقونني ! قالوا : بلى ؛ قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا دعوتنا - أو جمعتنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صبا حاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فقال : يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن ١١٧١/١ إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ،

(١) ح : « العذاب » .

(٢) سورة المسد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فصنعتُ بذلك ذرعاً ، وعرفتُ أنتى متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه حتى جاءنى جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك لآلَ تَفْعَلُ ما تؤمر به يُعَذِّبُكَ ربُّكَ ، فاصنعْ لنا صاعاً من طعام ، واجعلْ عليه رَحْلَ شاة ، واملأْ لنا عَسّاً من لبن ؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أَكَلْتَهُمْ ^(١) ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتُهُمْ له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحمة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حَذِيَّةً ^(٢) مِنْ اللحم ، فشقتها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصحفة . ثم قال : خذُوا بِسْمِ اللَّهِ ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى لآلَ موضع ^(٣) أيديهم ، وإيمُ الله الذى نَفَسُ عَلَى يديه ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم لياكلُ ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى رَوُوا منه جميعاً ، وإيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمَهُمْ بَدَرَهُ أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدَ مَا ^(٤) سحركم صاحبُكم ! فتفرق القوم ولم يكلمَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغدا على ؛ إن هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أَكَلْتَهُمْ ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلى .

١١٧٢/١

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقرَّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتَّى ما لهم بشيء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إني والله ما أعلمُ شاباً فى العرب جاء قومه

(١) م : « أعلمهم » .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طولاً .

(٣) أين الأثير : « مواضع » .

(٤) لهْد : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبتته من التفسير والنهاية

بأفضل مما قد جئتم به ؛ إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأبكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيتى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدثهم سنّاً ، وأرمصهم ^(١) عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً ^(٢) ؛ أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخى ووصي وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع ^(٣) .

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أن رجلاً قال لعليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بم ورثت ابن عمك دون عمك ؟ فقال عليّ : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرب الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جمّع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله - بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلهم يأكل الخندعة ويشرب الفرق ^(٤) ، قال : فصنع لهم مِدّاً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطّعام كما هو ؛ كأنه لم يمس . قال : ثم دعا بغمّر ^(٥) فشرّبوا حتى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إني بُعِثْتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأبكم يبايعني عليّ أن يكون أخى وصاحبي ووارثي ؟ فلم يقم إليه أحدٌ ، فقمْتُ إليه - وكنت أصغَرَ القوم - قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

(١) الرمص في العين كالغمص ، وهو قذى تملّظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حمش الساقين : دقيقتها .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاقي)

(٤) الفرق ، بكسر الفاء ، وبعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القدح الصغير ، وفي ر : « بمس » .

في الثالثة، فضرب بيده على يدي، قال: فبذلك ورثتُ ابنَ عمِّي دون عمِّي .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية ١١٧٤/١ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني قصي — قال : ثم فخذ^(١) قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مر^(٢) على آخرهم — إني أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه^(٣) .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا جارية بن أبي عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعوهم إلى^(٤) الله ، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين ، مستخفياً ، إلى أن أمر بالظهور للدعاء^(٥) .

قال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبأدأى قومه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه بعض الرد — فيما بلغني — حتى^(٦) ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم^(٧) بالإسلام ؛ وهم قليل مستخفون ، وحديث عليه أبو طالب نعمه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم : دعاهم فخذاً فخذاً ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفي ر : « عد » .

(٢) ح : « أتى » .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .

(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .

(٦) م : « عن » .

(٧) زاد في ح : « عن ذلك » .

على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم ^(١) من شيء [يكرهونه مما] ^(٢) أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج — أو من مشى إليه منهم — فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أعلامنا ، وضلل آباءنا ؛ فلما أن تكفّه عنا ، وإما أن تُخلى بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيك . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ؛ يظهر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرى ^(٣) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثر قريش ذكراً رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه . ثم إنهم مشّوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومترلة فينا ، وإنّا قد استنهيّاك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ؛ وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإياك في ذلك ؛ حتى يهلك أحد الفريقين — أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدواتهم له ؛ ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه ^(٤) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : أن ناساً من قريش اجتمعوا ^(٥) ، فيهم أبو جهل ١١٧٦/١

(١) م : « يفنيهم » ، ولا يعتبهم ، أي لا يرضيهم .

(٢) من ح .

(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبد يغوث؛ في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه^(١) فيه؛ فليُنصِفنا منه، فيأمره فليكيفّ عن شتم آلهتنا، وندّعه وإلهه الذي يعبد؛ فإنّا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب؛ يقولون: تركوه؛ حتى إذا مات عمّه تناولوه.

قال: فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطّلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك^(٢) وسرّواتهم، يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه، قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصِفنا من ابن أخيك، فرره فليكيفّ عن شتم آلهتنا، وندّعه وإلهه.

قال: فبعث إليه أبو طالب، فلمّا دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا بن أخى؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم، وقد سألوكم^(٣) النّصف، أن تكفّ عن شتم آلهتهم ويدّعوك وإلهك. قال: أى عمّ، أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ قال: وإلامّ تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمة تدِين لهم بها العرب، ويعليكون بها العجم. قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هى وأبيك؟ لنعطينكها^(٤) وعشرًا^(٥) أمثالها. قال: تقول: لا إله إلا الله، قال: فننقروا [وتنقروا]^(٦) وقالوا: سلّنا غير هذه، فقال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها! قال: فغضبوا وقاموا من عنده غَضَابِي، وقالوا: والله لنشمتك وإلهك الذى يأمرك بهذا، ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرْ وَأَعْلَى الْإِلَهِيكُمْ إِنْ هَذَا شَيْءٌ يُرَادُ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾^(٧).

١١٧٧/١

(١) ر والتفسير: «فلكلمه».

(٢) ر: «قريش»، وسرّوات القوم: ساداتهم.

(٣) م: «سألوا».

(٤) ر: «لنعطيكها»، م: «نعطيكها».

(٥) ح: «وعشرًا معها».

(٦) من ح وابن الأثير.

(٧) سورة ص: ٦، ٧.

وأقبل على عمِّه فقال له عمِّه : يابن أخى ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمِّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيِّكم بها العرب ، يقولون^(١) : جِزَع من الموت لأعطينكمها ؛ ولكن على ملَّةِ الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ ﴾^(٢).

حدثنا أبو كُرَيْب وابن وَكِيع ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسامة ، قال : حَدَّثَنَا الْأَعْمَش ، قال : حَدَّثَنَا عَمَّاد ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : لما مَرَضَ أَبُو طَالِب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلَهُنَا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدخل البيت وبينهم وبين أبي طَالِب قَدْرٌ مَجْلِس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إنْ جلس إلى جنب أبي طَالِب أن يكون أَرْق^(٣) له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلساً قُرْبَ عمِّه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طَالِب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكُّونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلَهُنَّ وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلَّم رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : يا عمِّ ، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدِّي إليهم بها العجم الجِزْيَة . ففرعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدة : نعم وأبليك عشرًا . فما هى ؟ فقال أبو طَالِب : وأى كلمة هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .

(٣) ح : « أراف » .

إلى قوله : ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَاب﴾ ^(١) . لفظ الحديث لأبي كريب ^(٢) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا بن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقِ عليّ وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ! فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء ^(٣) ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّاه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ^(٤) ثم استعير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ، فلمّا ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

١١٧٩/١

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشواً إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عمارة

(١) سورة ص ٥ - ٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاق) .

(٣) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سعى الرأى بداء لأنه شيء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيل : « خصّ الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخصّ القمر بالشمال لأنها الآية الممسوحة » وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممسوحة ؛ اذهب فلا تعمل لي عملاً . وكان عاملاً له فعزله ؛ فقتل الرجل في صفين مع معاوية .

ابن الوليد أنهد^(١) فتي في قریش وأشعره وأجمله ، فخذ فلك عقله ونصرتة ، واتخذ له ولداً ؛ فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك - هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم - فنقتله ؛ فإنما رجل كرجل ؛ فقال : والله لبئس ما تسوموني ! أتعطوني ابتئكم أغذوه لكم ، وأعطيككم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً^(٢) . فقال المطعيم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص^(٣) مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعيم : والله ما أنصفوني ؛ ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقب^(٤) الأمر عند ذلك ، وحميت الحرب ، وتنابد القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قریشاً تذا مروا على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ١١٨٠/١ منهم بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قریشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا^(٥) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهدي للذي يتقدم الخيل . قال السهيلي : وعمارة بن الوليد هذا هو الذي أرسلته قریش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة .

(٢) وفي رواية أخرى عن السهيلي أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأه ! لا أعطيكم ابني تقتلونه أبداً وأخذ ابنيكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلي : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل في الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أَبَى لَحَبْ ؛ فلما رأى أبو طالب مِنْ قَوْمِهِ ما سَرَّهُ مِنْ جِدَّتِهِمْ مَعَهُ ؛ وَحَدَّثَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ؛ وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ^(١) .

• • •

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ — قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ : حَدَّثَنِي أَبِي — قَالَ : حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ — يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لَمَّا بَعَثَهُ ^(٢) اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُدُوا مِنْهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ ؛ حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيَتَهُمْ . وَقَدِمَ نَاسٌ مِنَ الطَّائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَمْوَالٌ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِ ، وَكَرَهُوا مَا قَالَ [لَهُمْ] ^(٣) ، وَأَغْرَوْا بِهِ مَنْ أَطَاعَهُمْ ، فَانْصَفَقَ ^(٤) عَنْهُ عَامَةُ النَّاسِ ، فَتَرَكُوهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ؛ وَهُمْ قَلِيلٌ ؛ فَكَثَّ بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكْثَ . ثُمَّ اتَّخَذَتْ رَعُوسُهُمْ بَأْنَ يَفْتِنُوا مَنْ تَبِعَهُ عَنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، فَكَانَتْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ فَافْتَنَ مَنْ افْتَنَ ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ — وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النُّجَاشِيُّ ، لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ بِأَرْضِهِ ، وَكَانَ يَنْبِئُ ^(٥) عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ صَلاَحَ ، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَسْتَجِرًّا لِقُرَيْشٍ يَتَجَرَّونَ فِيهَا ، يَجِدُونَ فِيهَا رَفَاغًا ^(٦) مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَمْنًا وَمَتَجَرًّا حَسَنًا —

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) م : « بما بعثه الله » .

(٣) من ح .

(٤) انصفقوا عنه : اتصرفوا .

(٥) ينبئ عليه ، أى يشيع عنه .

(٦) كذا في الطبري ، وفي اللسان : « ترفع الرجل : توسع ، وإنه لى رفاغة ورفاغة من

فأمرهم بها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم ييسر ، فكث بذلك سنوات ؛ يشتدون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

• • •

قال أبو جعفر : فاختلف في عدد مَنْ خَرَجَ إلى أرض الحبشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهى الهجرة الأولى .

فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا يونس بن محمد الظَّفَرِيُّ ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عُبَيْدُ الله بن العباس الهُدَلِيُّ ، عن الحارث بن القُضَيْلِ ؛ قالوا : خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرّاً ، وكانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة ، حتى انتهوا إلى الشعْبَةِ ؛ منهم الراكب والماشي ، ووفق الله ١١٨٢/١ للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجارة حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مَخْرَجُهُمْ في رجب^(١) في السنة الخامسة ، من حين نَبِئَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر ؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .

قالوا : وقدما أرضَ الحبشة ، فجاورنا بها خير جاري ؛ أميناً على ديننا ، وصِدْقاً لله ، لا نُؤَذَى ولا نسمعُ شيئاً نكرهه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدثني

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

عبد الحميد^(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالوا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيْيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُبَيْدَةَ بن ربيعة معه امرأته سَهْلَة بنت سُهَيْل ابن عمرو ، والزَّيْبِر بن العوام بن خُوَيْلِد بن أسد ، ومُصْعَب بن عُجَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ، وعبد الرَّحْمَن بن عَوْف بن عبد عَوْف ابن الحارث بن زُهْرَة ، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سَلَمَة بنت أبي أُمَيَّة بن المُغَيَّرَة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزَرِيّ ؛ من عَنْزَر بن وائل - ليس من عَنْزَرَة - حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبي حَثْمَة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَيّ العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بنى الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة^(٢) .

١١٨٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - اثنين وثمانين رجلاً ؛ إن كان عَمَّار بن ياسر فيهم ؛ وهويشك فيهم !

» ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو^(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمه^(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإن بها ملكاً

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

(٣) م : « وما هم » .

(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلم أحدٌ عنده ، وهى أرض صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ؛ وفرادى إلى الله عز وجل بدینهم ؛ فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أول من خرج من المسلمين من ١١٨٤/١
 بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤى ؛ ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام .

فعدّ النفر الذين ذكرهم الواقدي ؛ غير أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى . قال : ويقال : هو أول من قدمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومن كان منهم معه أهله وولده ؛ ومن ولد له بأرض الحبشة ، ومن كان منهم لا أهل معه (١) .

• • •

قال أبو جعفر : ولما خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

مقيم بمكة ، يدعو إلى الله سرّاً وجهراً ، قد منّعه الله بعمته أبي طالب وبمن استجاب لنصرتيه من عشيرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه ، رموه بالسحر والكهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه ؛ فكان أشدّ ما بلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ^(١) ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تُظهر من عداوته ! قال : قد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ! سقّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ^(٢) ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها ؛ فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح ^(٣) ! قال : فأخذت القوم كلمته ؛ حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إن أشدّهم فيه وصاة ^(٤) قبل ذلك ليرفؤه ^(٥) بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً ^(٦) !

١١٨٦/١

(١) م : « ما أكبر » .

(٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .

(٤) الوصاة : الوصية .

(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفقه به ، وفي ر : « ليلقاه » .

(٦) ر : « ما كنت جهولاً قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبيناهم كذلك إذ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذاً بجُمُع رداءه . قال : وقام أبو بكر الصديق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك أشد ما رأيتُ قریشاً بلغت منه قطاً^(١) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو : حدثني بأشد شيء رأيتُ المشركين صنعوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عصابة بن أبي معيط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر من خلفه ، فوضع يده على منكبيه ، فدفعه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢)

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم كان واعيةً ، أن أبا جهل ابن هشام مر برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكأتمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاه لعبد الله بن جُدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادى^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : « إلى ناد من قریش » ، والنادى : مجلس القوم .

قُرَيْشٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةً بَيْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ أَقْبَلَ
مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ ^(١) لَهُ - وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَوْمَهُ
وَيُخْرِجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ،
وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْرَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ،
وَكَانَ أَعَزَّ قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهَا شَكِيمَةً - فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، قَالَتْ : يَا أَبَا عُمَامَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أُخَيْكِ
مُحَمَّدٌ آنَفًا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ! وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا
فَسَبَّهُ وَأَذَاهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ .

قَالَ : فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبِ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَخَرَجَ سَرِيعًا -
لَا يَقِفُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ - يَرِيدُ الطَّوْفَ بِالْكَعْبَةِ ، مُعِدًّا لِأَبْنَى جَهْلٍ
إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يَقَعَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ ، فَأَقْبَلَ
نَحْوَهُ ؛ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ الْقَوْسَ فَضْرِبَهُ بِهَا ضَرْبَةً فَشَجَّهُ بِهَا شَجَّةً
مَنْكَرَةً ، وَقَالَ : أَتَشْتِمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ! فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَى إِنْ
اسْتَطَعْتَ ! وَقَامَتْ رِجَالُ بَنِي مُخْزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ مِنْهُ ، فَقَالَ
أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَامَةَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا . وَتَمَّ
حَمْزَةَ عَلَى إِسْلَامِهِ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةَ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّ ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ ، فَكَفَّشُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْضَ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ
بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ
قُرَيْشٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ يَجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَسَنُ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمْ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) القَنْصُ : الصَيْدُ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إننا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ - رافعاً بها صوته - ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبد ! ثم قالوا : إنه ليتدوب بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خَشِينَا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَنَ عليّ منهم الآن ^(١) ! لئن شئت لأغادينهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتهم ما يكرهون ^(٢) .

١١٨٩/١

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي واطمأنّوا ، تأمرت قريشٌ فيما بينها في الكَيْدِ بمن ضوّى إليهما من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهدوها إليه وإلى بطارقتة ، وأمرهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبّله وبأرضه من المسلمين إليهم . فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنقدا لما أرسلهما إليه قومهما ، فلم يصلأ إلى ما أمّل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم - وكان رجلاً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة ابن عبد المطلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم قوة ، وجعل الإسلام يفشو ^(٣) في القبائل ، وحمّى النجاشي من ضوّى ^(٤) إلى بلده منهم - اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً

(١) ح : « اليوم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١

(٣) ح : « يقوى ويفشو » .

(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألا يَنْكَحُوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، ولا يَنْكَحُوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ، فلما فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعْبِهِ^(١) ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرهم عليه^(٢) ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ؛ حتى جهدوا ألا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سراً ، مستخفياً به من^(٣) أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعه في الشعب ، فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك^(٤) بمكة ! فجاء أبو البخري بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البخري : طعام لعمة عنده بعثت إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخري لحي بعير^(٥) ، فضربه فشجته ، ووطئه وطحاً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، يدعو قومه سراً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحي عليه من الله متتابع بأمره ونهيه ، ووعيد^(٦) من ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله صلى الله عليه وسلم على من خالفه^(٧) .

١١٩١/١

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ممن » ، وما أثبت من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخري إلى لحي جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أن أشرف قومه اجتمعوا له يوماً - فيما حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ؛ اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَمُرُّونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، مولى أبى البخترى ، قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك فى أمرنا كله ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شررناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شررنا فى أمرنا ، وأخذت بحظك منه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ؛ حتى انقضت السورة (٢) . ١١٩٢/١

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على صلاح قومه ، محباً مقاربتهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذكّر أنه تمنى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ - ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

صنعت ! لقد تلوت على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديدًا ، وخاف من الله خوفًا كثيرًا^(١) ، فأُنزل الله عز وجل - وكان به رحيمًا - يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبي ولا رسول تمنى كما تمنى ، ولا أحب كما أحب إلا والشيطان قد ألقى في أمْنِيَّتِهِ ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ^(٢) الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أى فإنما أنت كـبعض الأنبياء والرسل ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾^(٣) ، فأذهب الله عز وجل عن نيّته الحزن ، وآمنه من الذى كان يحاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آهنتهم : « أنها الغرائقُ العلاءُ وأنَّ شفاعتهن ترضى » ، بقول الله عز وجل حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ۚ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۝ أَى عِوَجَاءَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ۝ ﴾ - إلى قوله - ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ۝ ﴾^(٤) ، أى فكيف تنفع شفاعة آهنتكم عنده !

فلمّا جاء من الله ما نسخ^(٥) ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه^(٥) ، قالت قریش : ندیم محمد على ما ذكر من منزلة آهنتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانِك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كلِّ مشرك ، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه^(٦) ، وشدة على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .

(٢) م : « فينسخ » .

(٣) سورة الحج ٥٢ .

(٤) سورة النجم ٢١ - ٢٦ .

(٥ - ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .

(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ (يولاق) .

وأقبل أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا^(١) من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن الذي كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيا ، فكان ممن قدِم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة آخر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، قالا : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش ، كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فيغير وعنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرانيق^(٢) العلا » وإن شفاعتهن لترجي^(٣) » ، فتكلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم معه جميعا ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه - وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود - فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ؛ وهو الذي يخلق ويرزق ؛ ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيبا فنحن معك . قالا : فلما أمسى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرائقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السّورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افترتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾^(١) ؛ فما زال مغموماً مهموماً ، حتى نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ - إلى قوله : ١١٩٦/١ ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا كلّهم ، فرجعوا إلى عشايرهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام - فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نقض الصحيفة التي كانت قريش كتبت بينها على بني هاشم وبني المطلب - نفرٌ من قريش . وكان أحسنهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، من عامر بن لؤي - وكان ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتتكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يتناح منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ! أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغيناً ثالثاً ، فذهب إلى المُطِيع بن عدي ١١٩٧/١ ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطيع ، أقد رَضيت أن يهلك بطنان

(١) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر في التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً^(١) . قال : ويحك ! فإذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثاً^(٢) ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البخترى بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابته وحققهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سئى له القوم . فاتعدوا له خَطْمَ الحِجُونِ الذى^(٣) بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أولكم يتكلم ، فلما أصبحوا غدواً إلى أنديةهم ، وغدا زهير بن أبي أمية ، عليه حلة له ؛ فطاف بالبيت سبعة ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ؛ أنا كل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يبايعون ولا يتنازع منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، ١١٩٨/١ قال أبو جهل - وكان فى ناحية المسجد : كذبت ، والله لا تشق ! قال زمعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البخترى : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرُّ به ! قال المطعم بن عدى : صدقتم وكذب مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قضى بليلٍ ، وتُشَوَّرُ فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد - وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرضة قد أكلتها ؛

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : « ابغنى كذا » ، بهمة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمة القطع ، أى أعنى على الطلب .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلا ما كان من «باسمك اللهم» ، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش - فيما بلغني - التي كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بني هاشم وبني المطلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فشلت يده (١) . وأقام بقيتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية . وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلاً .

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزأهم به ؛ حتى إن كان بعضهم - فيما ذكر - يطرح عليه رجم الشاة وهو يصلي ، ١١٩٩/١ ويطرحها في برمة إذا نصبت له (٢) ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم - فيما بلغني - حجراً يستتر به منهم إذا صلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمي به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يلقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد - وذلك فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : « به » .

وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ؛
حتى نثر بعضهم على رأسه التراب^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السفه التراب على
رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته
والتراب على رأسه ، فقامت^(٢) إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ؛ وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّةُ لا تبكي ؛ فإن الله مانع
أباك ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالت مني قریش
شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٣)

• • •

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف
يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة^(٤) له من قومه ؛ وذُكر أنه خرج إليهم
وحده ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ١٢٠٠/١
قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمده إلى نفر من ثقيف — هم يومئذ
سادة ثقيف وأشرفهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود
ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قریش
من بني جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاء لهم^(٥)
من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم :
هو يمرط^(٥) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : « قامت » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أي ينزعها ويرى بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنّ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ؛ ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد ينس من خيرٍ ثقيف ؛ وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكمثوا على . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغَ قومه عنه ، فيُذثروهم ^(١) ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجنوه إلى حائط ^(٢) لعُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيفٍ مَنْ كان يتبعه ، فعمد إلى ظِلِّ حَبْكَلة ^(٣) من عنب ، فجلس فيه ، وأبنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقيَ من سفهاء ثقيف . وقد لقيَ ١٢٠١/١ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - تلك المرأة من بني جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا ^(٤) من أحمايك ! فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيما ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلةَ حيلتي ، وهواني على الناس ؛ يا أرحمَ الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربّي ؛ إلى مَنْ تكلمني ! إلى بعيد يتجهنني ، أو إلى علوّ ملكته أمرى ؛ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العُتْبى ^(٥) حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلاّ بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبَة وشَيْبَة ما لقي ، تحرّكت له رجليهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذثروهم » ؛ يعني يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلّة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العُتْبَى : الرضا .

فدعوا له غلاماً لهما نصرانياً؛ يقال له عدّاس، فقالا له: خذ قطفاً^(١) من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقتل له يأكل منه؛ ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، قال: «بسم الله»، ثم أكل، فنظر عدّاس إلى وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أهل أى البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى^(٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمين قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخى، كان نبياً وأنا نبي، فأكب^(٣) عدّاس على^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه^(٥): أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه! قال: ياسيدي ما في [هذه]^(٦) الأرض خير من هذا الرجل! لقد خبرني بأمر لا يعلمه^(٧) إلا نبي، فقالا: ويحك يا عدّاس! لا يصرفتك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يش من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فمرّ به نفر من الجن الذين ذكر الله عز وجل.

قال محمد بن إسحاق: وهم — فيما ذكر لي — سبعة نفر من جن أهل

(١) القطف: اسم للعتود، وأصله اسم لكل ما يقطف.

(٢) نينوى: قال أبو ذر الحثني: «ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحتها».

(٣) ر: «فانكب».

(٤) م: «على رأس».

(٥) ح: «لآخر».

(٦) من م.

(٧) م: «بما لا يعلمه».

ذَصِيْبِيْنَ الْيَمْنِ ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُتَذَرِّينَ ،
 قَدْ آمَنُوا وَآجَبُوا إِلَى مَا سَمِعُوا ، فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبْرَهُمْ عَلَيْهِ :
 ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ وَيُجِرُّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ
 اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنَّ ... ﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ^(٢) .

قال محمد: وتسمية النفر من الجن الذين استمعوا ^(٣) الوحي - فيما بلغني -
 حساً ، ومساً ، وشاصراً ، وناصر ، وإينا الأرد ، وأينين ، والأحقم . ١٢٠٣/١

• • •

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
 عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به .
 وذكر بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف
 مريداً مكة مرّ به بعض أهل مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : انت الأحنس
 ابن شريق ، فقل له : يقول لك محمد : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالة
 ربّي ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأحنس : إن الحليف لا يجبر
 على الصريح . قال : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعوذ ؟ قال :
 نعم ، قال : انت سهيل بن عمرو ، فقل له : إن محمداً يقول لك : هل
 أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال
 إن بني عامر بن لؤي لا تجبر على بني كعب . قال : فرجع إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعوذ ؟ قال : نعم ، قال : انت المطيم بن عدى ،
 فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ^(٤) ؟
 قال : نعم ، فليدخل ، قال : فرجع الرجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطيم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمجير أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكير أن يكون منا نبي أو ملك ! فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم - أو سمعه - فأثامهم ، فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت الله ولا لرسوله ؛ ولكن حميت لأنفك ، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتي عليك غير كبير^(١) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً . وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش ؛ فوالله لا يأتي عليكم غير كبير^(٢) من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

• • •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته]^(٣) ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي ، قال : إني لغلām شاب مع أبي بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ؛ يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون^(٤) من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي

(١) ر : « كثير » .

(٢) ح : « كثير » .

(٣) من ر .

(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدقوني وتمنعوني ؛ حتى أبين عن الله ما بعثني به .

قال : وخلفه رجلٌ أحولٌ وضىء ، له غدیرتان^(١) ، عليه حلّة عَدَنِيّة ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بني فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلّخُوا اللات والعزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزّى أبو لهب بن عبد المطلب^(٢) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : وحدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصيّن ، أنّه أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ؛ حتى إنّهم ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إنّ الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمد بن إسحاق : حدّثني بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيْفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض

(١) النديرة : النؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم ^(١)

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْحَرَة بن فراس ^(٢) : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أُرَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ ^(٣) عَلَى أَمْرِكَ ^(٤) ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ؛ أَيْكُون لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قال : الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ . قال : فَقَالَ لَهُ : أَفْتَهْدَفُ ^(٥) نَحْرُنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ كَانَ الْأَمْرُ لَغَيْرِنَا ! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ . فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَدَّرَ النَّاسَ ، رَجَعْتَ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ ؛ قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ ؛ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوْسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ ، حَدَّثُوهُ ^(٦) بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ ؛ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ ، سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتًى مِنْ قَرِيشَ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؛ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَيَدْعُو ^(٧) إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ ^(٨) ، وَنَقُومَ مَعَهُ ؛ وَنَخْرُجَ بِهِ مَعَنَا إِلَى بِلَادِنَا . قَالَ : فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرَ ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ! هَلْ لَدُنَابَاهَا ^(٩) مِنْ مُطْلَبٍ ! وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوَّلَهَا إِسْمَاعِيلُ ^(١٠) قَطًّا ! وَإِنَّمَا لَحَقَّ ، فَأَيْنَ كَانَ رَأْيُكُمْ عَنْهُ !

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) في ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « بايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابيعناك وآمنا بك » .

(٥) كذا في ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفي ط : « أفهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعوننا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابي الطائر ؛ إذ أفلت من الحباله .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ؛ ١٢٠٧/١ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الظفري ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُويد بن صامت - أخو (٢) بني عمرو بن عوف - مكة حاجاً أو معتمراً ، قال : وكان سُويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، بلحده وشعره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذي يقول :

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى (٣)
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى ثَغْرَةِ النَّجْرِ (٤)
يَسْرُكُ بِأَدِيمِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ نَمِيمَةٌ غَشِيَتْ تَبْرَى عَقَبَ الظَّهِرِ (٥)
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِبُهُمْ وَلَا جِنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَلَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي (٦)

١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة يقوفاً (٧) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفري : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راسه : قواه ، وبراه : أضعفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لَا تَحْسَبْنِي يَا بَنَ زُعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَمَنْ كُنْتُ تُرْدِي بِالْعُيُوبِ وَتُخْتَلِ
تَحَوَّلْتُ قَرْنًا إِذْ صُرِغَتْ بِعِزَّةٍ كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلَ

قال : فتصدَّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلَّ الذى معك مثلُ الذى معي ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلَّةٌ (١) لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنَّ هذا لكلامٌ (٢) حَسَنٌ ، معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنُ أنزله الله علىّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعدُ منه ، وقال : إنَّ هذا لقولٌ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدِم المدينة ، فلم يلبثْ أن قَتَلَتْهُ الخزرج ؛ فإنَّ كان قومه لَيَقُولُونَ : قد قَتِلَ وهو مُسْلِمٌ ، وكان قَتْلُهُ قبل بُعَاث (٣) .

• • •

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمةٌ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ؛ أخو بنى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَسَبِيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مَكَّةَ ، ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعَاذ ؛ يلتمسون الخلف من قُرَيْشٍ على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثني إلى العِبَاد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . ثم ذكر لهم (٤) الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعَاذ - وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السهيلي : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عتقاء بن سرور - فيما ذكروا - وابنه الذى ذكر في القرآن هو ثارن - فيما ذكر الزجاج وغيره . وقيل في اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميري . »

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلاماً حَدَّثَنَا : أَيْ قَوْم ؛ هَذَا وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ^(١) لَهُ . قَالَ : فَيَأْخُذْ أَبُو الْخَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَقْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ ، فَضَرْبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسَ ابْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لَغَيْرِ هَذَا . قَالَ : فَصَمْتُ إِيَّاسَ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ .

قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لَسِيدٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللَّهَ وَيَكْبِّرُهُ ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُسَبِّحُهُ ؛ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونُ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ^(٢) .

• • •

قَالَ : فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيْظَاهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَوْسَمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ؛ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسَمٍ ؛ فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ إِذْ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا .

قَالَ ابْنُ حُمَيْدٍ : قَالَ سَلَمَةُ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ ابْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ : أَمِينَ مَوَالِي يَهُودَ : قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أَكَلِمَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ .

قَالَ : وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ ١٢١٠/١

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

بيلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْمٍ ، وكانوا أهلَ شركٍ ، أصحابَ أوثانٍ ،
 وكانوا قد عزّوهم بيلادهم^(١) ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم : إن نبيّاً
 الآن مبعوثٌ قد أظلمَ زمانه ، نتبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإِرمَ . فلما كلّم
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك الثّغرَ ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
 لبعض : تعلّمُنْ والله إنّه للنبيّ الذي تُوعِدُكم^(٢) به يهودُ ، فلا يَسْبِقُنْكُمْ^(٣) إليه .
 فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من
 الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قِوَمنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ
 ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمّعهم بك ، وسنقدّم عليهم فندعوهم إلى أمرِك ،
 ونعرضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإنّ يجمعهم الله عليه ،
 فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى
 بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم — فيما ذُكِرَ لي — ستّة نفَرٍ من الخزرج : منهم من بنى النّجار
 — وهم تيّمُ الله — ثم من بنى مالك بن النّجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج
 ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعدُ بن زُرارة بن عدّس بن عبّيد
 ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجار ؛ وهو أبو أمانة ؛ وعوفُ بن الحارث
 ابن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النّجار ؛ وهو ابن عفراء^(٤)
 ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غنم بن جُشم
 ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان
 ابن عمرو بن عامر بن زُرَيْق^(٥) .

١٢١١/١

ومن بنى سلّمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن يزيد بن
 جُشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

(١) عزوهم : غلبوهم ، وفي ابن هشام : « غزوهم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : « وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن مالك بن النجار » .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَوَادٍ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ .
وَمِنْ بَنِي حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ ، عُقَيْبَةُ
ابْنِ عَامِرٍ بْنِ نَابِي بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَرَامٍ .

وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ عَدَى بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ ، جَابِرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِثَابٍ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَنَانٍ بْنِ عُيَيْدٍ^(١) .

• • •

قَالَ : فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِمْ ، ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ
الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ
الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، وَافَى الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقُوهُ بِالْعَقْبَةِ ،
وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ؛
وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبَ ؛ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ١٢١٢/١
ابْنُ عُدَّاسٍ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ ؛
وَعَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ .

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرٍ ، رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجَّلَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ
ابْنِ زُرَيْقٍ ، وَذَكَوَانُ^(٢) بَنُ عَبْدِ قَيْسٍ بْنِ خُلْدَةَ بْنِ مَخْلَدٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ زُرَيْقٍ .

وَمِنْ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنْثَمٍ بْنِ عَوْفٍ - وَهُمْ الْقَوَاقِلُ -^(٣)
عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ فِهْرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ عَوْفٍ
ابْنِ الْخَزْرَجِ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَزْمَةَ بْنِ أَصْرَمَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ تَحْمَارَةَ ، مِنْ بَنِي غُضَيْيْنَةَ^(٤) مِنْ بَلَيْيَ ، حَلِيفُ لَهُمْ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصاري » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجارهم الرجل دفعوا له
مهماً ، وقالوا له : قوّل بيثرب حيث شئت » .

(٤) في ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عَبَّاس بن عَبَّادَة
ابن نَضْلَة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنَم بن سالم بن عَوْف .
ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حَرَام ، عَقْبَة بن عامر بن نَابِي بن
زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة . ١٢١٣/١
ومن بنى سَوَاد ، قُطْبَة بن عامر بن حديدَة بن عمرو بن سواد بن غَنَم بن
كعب بن سَلِمة .

وشهداها من الأَوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى
الأَشْهَل : أَبُو الهيثم بن التَّيْهَان (١) ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .
ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيْم بن ساعدة بن صَلْعَجَة (٢) ، حليف لهم (٣)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزَني ،
عن أبي عبد الرحمن بن عُسَيْلَة الصُّنَابِجِي ، عن عَبَّادَة بن الصَّامِت ، قال :
كنت فيمَن حَضَرَ الْعَقْبَة الْأَوَّلَى ؛ وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فبايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعَة النِّسَاء ؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ ؛
على أَلَّا نَشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِيَهْتَانِ
نَفَرِهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ ؛ فَإِنْ وَفِيتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ،
وإِنْ غَشِيتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ (٤) لَهُ ، وَإِنْ
سَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ
غَفَرَ لَكُمْ (٥) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابنِ إسحاق ؛ أَنَّ ابْنَ
شَهَابٍ ذَكَرَ عَنْ عَائِذِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي إِدْرِيسِ الْخَوْلَانِيِّ ، عَنْ عَبَّادَة بْنِ

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .

(٢) ح : « صلجة » .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الكفارة » .

(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن
١٢١٤/١ عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ،
ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ؛ فكان يسمى مُصعب بالمدينة : المقرئ ،
وكان منزله ^(١) على أسعد بن زرارة بن عُدس أبي أمانة ^(٢) .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معبقيب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بمُصعب بن عمير ؛ يريد
به دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ؛ وكان سعد بن معاذ بن النعمان
ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط
بني ظفر ^(٣) ، على بئر يقال لها بئر مرق ؛ فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما
رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيّد بن حُضير يومئذ سيّدا قومهما من
بني عبد الأشهل ؛ وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد
ابن معاذ لأسيّد بن حُضير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين
قد أتيا دارنا ^(٤) ، ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا ^(٤) ، فإنه
لولا أن أسعد بن زرارة منّي حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ؛ هو ابن خالتي ،
ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيّد بن حُضير حرّيته . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السهيلي : « منزل ، يفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان
على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، يفتح
الزاي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : « واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس »

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصعب : هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مُصعب : إن يجلس أكلّمه ، قال : فوقف عليهما متشتمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا ، تسفهان ضعفاءنا ! اعتزلانا^(١) إن كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم رَكَر حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشرافه وتسهله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلاً ؛ إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته ، وانصرف إلى سعد وقومه ؛ وهم جلوس في ناديبهم ؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسيدٌ بن حُضَيْرٍ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النّادى ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرّجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالَتِكَ ليُخْفِرُوك^(٢) ، قال : فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ؛ ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتمًا ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رميت هذا

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

مِنِّي . تغشانا^(١) في دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب ! جاءك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أوّ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم رَكَزَ الحربة ، فجلس فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالوا : فعرّنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ في إشرافه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : نغتسل فنتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّى ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، وركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ؛ فلما رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سَعْدُ إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمّنا نقيّةً ، قال : فإن كلامَ رجاليكم ونسائيكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أُمسى في دار عبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو الناس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١ إلا ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخطمة وائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ؛ وهو صيّق ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك^(٢) حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بدّر وأحد والحندق .

(١) ح : « تغشانا » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنَّ مُصعب بن عُمر ، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسِم مع حُجَّاج قومهم من أهلِ الشُّرك ؛ حتى قدموا مكّة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والتصرّ لنبه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله^(١) ، وإذلال الشُّرك وأهله^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلمة ، أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعب ابن مالك حدثه - وكان كعب ممن شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا . فلما وُجِّهنا^(٣) لسفَرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : والله يا هؤلاء ، إنّي قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البنية مني بظَهْر - يعنى الكعبة - وأنْ أصِلِّي^(٤) إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبينا أنه يصلى إلّا إلى الشّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنّي لمُصلٌّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشّام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

قال : وقد عشنا عليه ما صنع ، وأبى إلّا الإقامة على ذلك ؛ فلما قدِمنا مكة قال لي : يا بنَ أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإننى والله لقد وقع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيساى فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنا لا نعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجّهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم - قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدّم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العباس؛ فسلمتما؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البراء بن معرور سيد قومه؛ وهذا كعب بن مالك - قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم - قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله؛ إني خرجت في سفرى هذا؛ وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر، فصليت إليها؛ وقد خالفنى أصحابى فى ذلك؛ حتى وقع فى نفسى من ذلك شيء؛ فإذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبيلة لو صبرت عليها؛ فرجع البراء إلى قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم. قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق.

قال: فلما فرغنا من الحج؛ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، أخبرنا^(١)، وكنتما نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافتنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً. ثم دعوتناه إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقبة - وكان نقيماً - فبشنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالتنا حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالتنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام: أخطاه معنا.

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلل القَطَا ؛ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم ^(١) امرأتان من نسائهم : نُسبية بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى ، إحدى نساء بني سَلِمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشعب ١٢٢٠/١
 فننظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عمّه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلا أنه أحبّ أن يحضّر أمر ابن أخيه ، ويتوثّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العربُ إنما يسمّون هذا الحى من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها - إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومه ومنّعة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللاحق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنّكم وافون له بما دعوتوه إليه ؛ وما نعوه ممّن خالفه ؛ فإنتم وما تحمّلتم ^(٢) من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنّكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فن الآن فدّعوه ، فإنّه فى عزّ ومنّعة من قومه وبلده .

قال : قلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّم يا رسول الله ؛ وخذ لنفسك وربك ما أحببت .

قال : فتكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسلام ، ثمّ قال : أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثمّ قال : والذي بعثك بالحق ، لنمنعك ممّا تمنع منه أزربنا ^(٣) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ^(٤) ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نسائنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزربنا ؛ أى نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسول الله ؛ إن بيننا وبين الناس حبالاً وإننا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيّت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك ، وتدعنا ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدّم الدّم ، الهدم الهدم (١) ! أنتم منى وأنا منكم ؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثني عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس (٢) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الخواريث لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عباد بن نَضْلَة الأنصاري ، ثم أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خزي (٣) الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : « كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دى دمك ، وهدم ، هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥

(٣) ر : « خزي في الدنيا » .

تروُن أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ، على نهكة^(١) الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه . ١٢٢٢/١

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليشدَّ العقدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبي بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلّول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أيّ ذلك كان ؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه^(٢) ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التيهان^(٣) .

قال ابن حميد ، قال : سلمة ، قال محمد : وأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني — قال أبو جعفر : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم ؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهل الجباب^(٤) هل لكم في مُدّتم والصباة^(٥) معه ، قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو الله ؟ هذا أربّ العقبة ، هذا ابن أرب^(٦) ؛ اسمع عدو الله ؛ أما والله لأفرغنّ

٢٢٣/١

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفي م : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧

(٤) قال ابن هشام : « الجباب : المنازل » .

(٥) المذم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صاب ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذا

أسلم زين النبي عليه السلام : « صاب » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أرب » ، وأرب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا^(١) إلى رجالكم. فقال له العباس ابن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق لن شئت لنميلن غدا على أهل مني بأسافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رجالكم ، قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمئنا عليها ؛ حتى أصبحنا ؛ فلما أصبحنا غدت علينا جيلة قريش حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ؛ إننا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان جديدان^(٢) .

قال : فقلت كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ؛ ثم رى بهما إلى ، وقال : والله لنتعلنهما . قال : يقول أبو جابر : مه أحفظت^(٣) والله الفتى ! فارد^(٤) ١ / ١٢٢٤ عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردهما ؛ فأل والله صالح ؛ والله لن صدق الفأل لأسلبته .

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبه وما حضر منها^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وقال غير ابن إسحاق : كان مقدم من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار في ذى الحجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة بقيّة ذى الحجة من تلك السنة ، والمحرم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلي : « الفعل مؤنث ؛ ولكن لا يقال : . جديدة في الفصح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحقة جديد ؛ لأنها في معنى جديدة ، أى مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول ؛ وقدِ مها يوم الاثنين
لاثنين عشرة ليلة خلت منه .

وحدثني عليّ بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث —
قال عليّ بن نصر : حدثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث :
حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ،
عن عروة ؛ أنّه قال : لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجراً^(١)
إليها قبل هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهل الإسلام
يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ؛
فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكة ، فلمّا رأته ذلك
قريش تذامرت على أن يفتنّوهم ، ويشدّوا عليهم^(٢) ، فأخذوهم وحرصوا
على أن يفتنّوهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت
فتنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن
لهم في الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

١٢٢٥/١

ثمّ إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيباً ، رؤوس
الذين أسلموا ، فوافوّه بالحجّ فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهدهم^(٣) ؛ على
أنّا منك وأنت منا ، وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجبتنا^(٤) فإنّا نمنعك مما نمنع
منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة ؛ وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله عزّ وجلّ فيها :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۖ ﴾^(٥) .

(١) م : « مهاجراً » .

(٢) م : « عليه » .

(٣) م : « عهدهم » .

(٤) م : « وجبتنا » .

(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول - يعني قريشاً - فقالوا مثل ما ذكر كعب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إن هذا لأمرٌ جسيم ؛ ما كان قومي ليتفوتوا^(١) على بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرق الناس من منى^(٢) ، فتنطس^(٣) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بالخاجر^(٤) ، والمندر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيباً ؛ فأما المندر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه ينسع^(٥) رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ويحبذونه بحمته^(٦) - وكان ذا شعر كثير - فقال سعد : ١٢٢٦/١ فوالله إنني لفي أيديهم ؛ إذ طلع عكسي نقر من قريش ؛ فيهم رجل أبيض وضيء شعشاع^(٧) حلوم الرجال . قال : قلت : إن يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا ، فلما دنا مني رفع يديه فلطمني^(٨) لكمة شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا^(٩) خير . قال : فوالله إنني لفي أيديهم يسحبونني ؛ إذ أوى^(١٠) إلى رجل منهم ممن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد^(١١) ! قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير^(١٢) بلخير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارته ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أي فاتته به .

(٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا البحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .

(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .

(٤) النسج : الشراك الذي يشد به الرجل .

(٥) في ابن هشام : « يجذبويه » . والجمة : مجمع الشعر .

(٦) قال ابن هشام : « الشعشاع : الطويل الحسن » .

(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمني لكمة » .

(٨) ح : « بعدها » .

(٩) ر : « أمي إلى » .

(١٠) م : « عقد » .

(١١) م : « أجيز » .

(١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ؛ وإنه ليتهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً ، قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالوا : صدقَ والله إن كان ليحجير تجارنا^(١) ، ويمنعهم أن يظلّموا ببلده . قال : فجاء فخلّصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى^(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدّموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرّك ؛ منهم عمرو بن الجهمّ ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سليمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتيان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل في القتال بشروط غير الشروط في العقبة الأولى ، وأمّا الأولى فإنما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمر والأسود على ما قد ذكرت قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء - قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة الحرب ؛ وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في

(١) كذا في ابن هشام وط ؛ وفي الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) ، وبإيحاء الأنصار على ما وصفت من بيعتهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللتحق بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ فِيهَا** فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أرض الحبشة ، فلما آذنه قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ثم عبد الله ابن جحش بن ريثاب ، وأبو أحمد بن جحش - وكان رجلا ضير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد - ثم تناب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أخذ فحبس أو فتن إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة . وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحبًا** ، فطمع أبو بكر أن يكونه (٢) ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير ^(١) بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَسْتَعَةً ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ؛ وهى دار قُصَيِّ بن كلاب ، التى كانت قريش لا تقضى أمراً ^(٢) إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه ^(٣) !

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عُمرارة ، عن الحكم بن عَتِيبة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غَدَوْا في اليوم الذى اتَّعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الرَّحْمَةَ ؛ فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بَتٌّ ^(٤) له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهل نَجْدٍ ، سمع بالذى اتَّعدتم له ، فحضر معكم ليستمع ما تقولون ، وعسى ألاَّ يعيدكم منه رأى ونصحٌ ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم ، من كل قبيلة ؛ من بنى عبد شمس شَيْبَةَ وَعُتْبَةَ ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نوفل ابن عبد مناف طُعَيْمَةَ بن عدى وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بنى عبد الدار بن قُصَيِّ النَّضْر بن الحارث بن كلدة . ومن بنى أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام وزَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بنى سهم نُبَيْه

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنِبَّهُ ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح أُمَيَّة بن خَلَف ؛ ومن كان معهم^(١) وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجل قد كان أمره ما قد كان وما قد رأيتم ؛ وإنَّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَن قد اتَّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً ؛ قال : فتشاروا . ثم قال قائلٌ منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله : زُهَيْرٌ ، والنَّابِغَةُ ومن مضى منهم ؛ من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم .

قال : فقال الشيخُ النجديّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى ؛ والله لو حبستموه — كما تقولون — لنخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتُموه دونَه إلى أصحابه ؛ فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فيسترعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا ؛ ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره .

ثم تشاوروا ، فقال قائلٌ منهم : نخرجه من بين أظهرنا فنسفيه من بلدنا ؛ فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهبَ ، ولا حيث وقع ، إذا^(٢) غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرنا ، وألفقنا كما كانت .

قال الشيخُ النجديّ : والله ما هذا لكم برأى ؛ ألم تروا حسنَ حديثه ، وحلاوةَ منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حَيٍّ من العرب ، فيغلب عليهم^(٣) بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يظأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . أديروا فيه رأياً غير هذا !

قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إنَّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ ! قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « منهم »

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « غاب عنا أذا » .

(٣) ح : « على قلوبهم » .

فَتَى شَابًا جَلْدًا ، نَسِيًّا وَسِيْطًا فِينَا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا
ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَقْتُلُونَهُ فَتَسْرِيحٌ ؛ فَإِنَّهُمْ
إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ
قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، وَرَضُوا مَنًّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ .

قال : فقال ^(١) الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي
لكم غيره .

فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسأته ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه !

قال : فلما كان العتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه فترصدوه متى
ينام ، فيشون عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن
أبي طالب : نم على فراشي ، واتشح ^(٢) بيردي الحضرمي الأخضر ؛ فم فإنه
لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام
في برده ذلك إذا نام ^(٣) .

قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع : وقال له :
إن أذاك ابن أبي قحافة ، فأخبره أنتى توجهت إلى ثور ، فمره فليحرق
بي ، وأرسل إلى بطعام ، واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة ؛ واشتر
لي راحلة . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعمى الله أبصار الذين
كانوا يرصدونه ^(٤) عنه ، وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
اجتمعوا له . وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً

(١) ط : « يقول » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتشح » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٤) ح : « يرصدونه » .

يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ فَجَعَلْتُ لَكُمْ جَنَّاتٍ كَجَنَّاتِ الْأُرْدَنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ ؛ فَجَعَلْتُ لَكُمْ نَارَ تَحْرَقُونَ فِيهَا .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَقْنَةً مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ . وَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ ^(١) ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التَّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ ؛ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ يُس : ﴿ يَسْ . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

فَأَتَاهُمْ آتٌ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَا هُنَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خَيْبِكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكَ ^(٢) مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ؛ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ ؟ قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْلَعُونَ ^(٣) ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفَرَّاشِ ^(٤) مُتَسَجِّيًا ^(٥) ، يَبْرُدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمٌ ، عَلَيْهِ بُرْدُهُ ، فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَقَامَ عَلَى ^(٦) عَنِ الْفَرَّاشِ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا ، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ ^(٧) مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا ^(٨) لَهُ :

(١) ح : « يرون له أثرًا » .

(٢) ح : « لم يترك » .

(٣) ر : « يتطلعون » .

(٤) ح : « في الفراش » .

(٥) ر : « متشحًا » .

(٦) ر : « من الفراش » .

(٧) ح : « أنزل الله » .

(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) وقول الله عز وجل:
﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۚ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ
مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾^(٢)

وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحق بالغار من ثور، وقال: إن كان لك فيه حاجة فالحقه، فخرج أبو بكر مسرعاً^(٣)، فلحق نبي الله صلى الله عليه وسلم في الطريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جرس أبي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشى، فانقطع قبالة نعله ففلق لإبهامه حَجَرًا فكثر دمها، وأسرع السعي، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع صوته، وتكلم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستن دماً؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصبح؛ فدخلاه. وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدار، وقام على عليه السلام عن فراشه، فلما دنوا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيباً كنت عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهره وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجى الله رسوله من مكبرهم وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمَحْتَبٍ مِنْ يَخْزَعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢.

(٣) ح: «يمشى مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذنَ الله عزَّ وجلَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدثنا عليُّ بن نصر الجهمي ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لَمَّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقَبِلَ (١) ١٢٣٥ / ١ أن يخرج — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقبل أن تنزل هذه الآية التي أُمِرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمره بالخروج مع مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظرني ، فإنني لا أدري ؛ لعلني يؤذن لي بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلَمَّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذي يرجو من ربه أن يأذن له بالخروج ، حبسهما وعالَفهما ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أَسْمَنهما ، فلما حبس عليه خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فمكث بذلك (٢) .

فأخبرتني عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا في بيتهم ، وليس عند أبي بكر إلا ابتناه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظهيرة — وكان لا يخطئه يومًا أن يأتي بيت أبي بكر أول النهار وآخره — فلما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبيَّ الله إلا أمرٌ حدث ؟ فلَمَّا دخلَ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبي بكر : أخرج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عَيْنٌ ، إِنَّمَا هما ابتناي ، قال : إنَّ الله قد أذن لي بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسولَ الله ، الصحابة ، الصحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر : خذ إحدى الراحتين — وهما الراحتان اللتان كان يُعلِفهما أبو بكر ، يُعدّهما للخروج ، إذا ١٢٣٦ / ١

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثنا كذلك » .

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعْطَاهُ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ :
 خُذْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١) فَارْتَحِلْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَدْ أَخَذْتُهَا
 بِالْثَمَنِ ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدًا ^(٢) مِنْ مُوَلَّدِي الْأَزْدِ ، كَانَ لِلطُّفَيْلِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ ^(٣) ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَكَانَ أَخَا
 عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِأُمْتِهِمَا ، فَأَسْلَمَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،
 وَهُوَ مَمْلُوكٌ لَهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَنِيحَةٌ ^(٤) مِنْ غَنَمٍ
 تَرُوحُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرًا فِي الْغَنَمِ إِلَى ثَوْرٍ ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ
 فُهَيْرَةَ يَرُوحُ بِتِلْكَ الْغَنَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَارِ فِي ثَوْرٍ ،
 وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ بَظَرَهُمَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ
 عَدَى ، حَلِيفًا لِقَرِيشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، ثُمَّ آلَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ؛ وَذَلِكَ
 الْعَدَوَى يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ ، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَأْجَرَاهُ ، وَهُوَ هَادٍ بِالطَّرِيقِ . وَفِي اللَّيَالِي ^(٥)
 الَّتِي مَكَّنَا ^(٦) بِالْغَارِ كَانَ ^(٧) يَأْتِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ يُمَسِّي بِكُلِّ
 خَيْرٍ ^(٨) بِمَكَّةَ ، ثُمَّ يَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَيُرِيحُ عَامِرَ الْغَنَمِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَحْلُبَانِ ،
 ثُمَّ يَسْرَحُ بُكْرَةً ^(٩) فَيَصْبِحُ ^(١٠) فِي رُعْيَانِ النَّاسِ ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ ؛ حَتَّى إِذَا
 هَدَأَتْ عَنْهُمَا الْأَصْوَاتُ ، وَأَتَاهُمَا أَنْ قَدْ سَكَّتْ عَنْهُمَا ، جَاءَهُمَا صَاحِبُهُمَا
 يَبْعِرُهُمَا ^(١١) ، فَاَنْطَلَقَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيَعِينُهُمَا ،
 يُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَيُعْقِبُهُ عَلَى رَحْلِهِ ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،

(١) ح : بَابِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(٢) ح : « مَوْلُودًا » .

(٣) ضبطه صاحب التقریب بفتح فسكون .

(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفي الفائق : « منحة » .

(٥) ح : « فِي اللَّيَالِي » .

(٦) ح : « مَكَّنَاهَا » .

(٧) م : « وَكَانَ » .

(٨) ح ، ر : « خَيْرٍ » .

(٩) ح : « فَأَصْبَحَ » .

(١٠) ح ، هـ : « يَبْعِرُهُمَا » .

وأخو بني عدى يهديهما الطريق ، فأجاز بهما في أسفل مكة^(١) ، ثم مضى ١٢٣٧/١
 بهما حتى حاذى بهما الساحل ، أسفل من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
 عارض الطريق بعد ما جاوز قُدَيْدًا ، ثم سلك الحرَّار^(٢) ، ثم أجاز على
 ثَنِيَّةِ الْمَرْة^(٣) ، ثم أخذ على طريق يقال لها^(٤) المدبلة بين طريق تَمْعَى
 وطريق الرِّوْحَاءِ ، حتى توافَرَ^(٥) طريق العَرَج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
 يمين رَكُوبَةٍ ؛ حتى يَطْلُع على بطن رِيْمٍ ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بني
 عمرو بن عوف قبل القائلة . فحدَّثت أنه لم يبقَ فيهم إلاَّ يومين — وتزعم
 بنو عمرو بن عوف أنْ قد أقام فيهم أفضلَ من ذلك — فاقتاد راحلته
 فاتبعته حتى دخل في دُور بني النجَّار ، فأراههم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 مِرْبَدًا كان بين ظهريَّ دورهم .

وقد حدَّثنا ابن حميد، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن
 إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ،
 قال : حدَّثني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطه أحدٌ طرفي النهار
 أن يأتي بيت أبي بكر إمَّا بُكْرَةً ، وإمَّا عَشِيَّةً ؛ حتى إذا كان اليوم
 الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالحروج من مكَّة من بين ظهرائي
 قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها .
 قالت : فلمَّا رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
 هذه السَّاعة إلاَّ لأمرٍ حدث . قالت : فلمَّا دخل تأخَّر أبو بكر عن سريره
 فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلاَّ أنا وأختي

(١) م : « إلى أسفل مكة » .

(٢) م : « الحرار » .

(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفي ح : « المرأة » .

(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .

(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبت من ح .

أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ^(١) ، قال : يا نبي الله ، إنما هما ابتائى ، وما ذاك فذاك أبى وأمتى ! قال : إن الله عز وجل قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحْبَةُ يا رسول الله ، قال : الصُّحْبَةُ .

قالت : فوالله ما شعرتُ قَطَّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتائى^(٢) ، كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط رجلاً من بنى الدَّيْل بن بكر ، وكانت أمّه امرأة من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركاً - يدلّهما على الطريق ، ودفعاً إليه راحلتيهما ، فكانتا^(٣) عنده يرعاها^(٤) لميعادهما ، ولم يعلم - فيما بلغنى - يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلاّ على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر ، فأما على بن أبي طالب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلَمَّا أَجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمداً إلى غارِ يَثُور جبل بأسفل مكة ، فدخلا ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام^(٥) إذا أمسى بما يصلحهما ، فأقام رسول الله

١٢٣٩/١

(١) ح : « عنى » .

(٢) ح : « راحلتان » .

(٣) ح ، م : « فكانت » .

(٤) م : « يرعاها » .

(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قریش حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش ومعهم ، ويستمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى يُعفى عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا بيعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١ أسماء بنت أبي بكر بسفرتهم ، ونسيت أن تجعل لها عصاما^(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة^(٢) ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقتها^(٣) ، فجعلته لها عصاماً ، ثم علقته به — فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاقين ؛ لذلك — فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فذاك أبي وأمي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لي ، قال : فهو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ! قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه يخدمهما بالطريق^(٤)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وجدت عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قریش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ! قالت : فرفع أبو جهل يده —

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافرين .

(٣) قال ابن هشام : «وسعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقتها اثنتين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانصلقت بالآخر .»

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ - ٤

وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدّي لطمه طرح منها قرطبي . قالت : ثم انصرفوا
ومكثنا ثلاث ليال ، لا ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى
أقبل رجل من الجحّن ، من أسفل مكة يغنى بأبيات من الشعر غناء العرب
والناس يتبعونه ؛ يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو
يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلَا خِيَمَتِي أَمْ مَعْبَدِي (١)
هُمَا نَزَلَاهَا بِالْهُدَى وَأَعْتَدُوا بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ ١٢٤١/١
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ وَمَعْدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما (٢) .

قال أبو جعفر : حدثني أحمد بن المقدم العجلي ، قال : حدثنا هشام
ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عبس بن
محمد بن أبي عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعت قريش قائلين يقول في
الليل على أبي قُبَيْس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْر ، سَعْدُ ١٢٤٢/١

تميم ، سعد هذيم ! فلما كان في الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزَرَجِ الْغَطَارِفِ
أُجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَفَارِفِ

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٥

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

• • •

قال أبو جعفر : وقدم دليلهما بهما قباء ، على بني عمرو بن عوف ، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتوكلنا قدمه^(١) ، كنّا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حرتنا ، ننتظر^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال^(٣) ؛ فإذا لم نجد ظيلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١ في أيام حارة ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا^(٤) كنّا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قبيلة^(٥) هذا جددكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر في مثل سنه وأكثرنا من لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس^(٦) ، وما نعرفه من أبي بكر ؛ حتى زال

(١) توكلنا قدمه : انتظرناه .

(٢) ر : « فننظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنا » .

(٥) بنو قبيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٦) ركبته الناس ، أي ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك ، فترّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على كُلثوم بن هِدم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بنى عُبَيْد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هدم : إنّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هِدم ، جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عنده ؛ فن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبنت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب ، فالله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبي قُحافة على خُبَيْب بن أَسَاف ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ؛ حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده إلى الناس ؛ حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترّل معه على كُلثوم ابن هِدم ، فكان على يقول : وإنّما كانت إقامته بِقُبَاء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، ليلة أوليتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بِقُبَاء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيتُ إنساناً يأتيها في جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه ، قال : فاستربتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئاً ، ما أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سهّل بن حُنيف بن واهب ، قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوّثان قومه فكسّرها ، ثم ^(١) جاءني بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان على بن

أبي طالب يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيفة حين هلك عنده بالعراق^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني هذا الحديث علي بن هند بن سعد بن سهل بن حنيفة ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم ١٢٤٥/١ الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ؛ وأسس مسجدهم ؛ ثم أخرجهم الله عز وجل من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبني عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . والله أعلم .
ويقول بعضهم : إن مقامه بقباء كان بضعة عشر يوماً .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد^(٢) ما استنبى ، فقال بعضهم : كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الملقب — يقال له أبو زكثير — قال : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني الحسين بن نصر الآملي ، قال : حدثنا عبيد^(٣) الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرتني عائشة وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل^(١) عليه القرآن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فكث بمكة عشرًا .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأسِ عشرٍ من مُخْرَجِهِ .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبيء بمكة ثلاث عشرة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - ، عن أبي جَمْرَةَ ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة^(٢) ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

(١) ر : « ينزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا زكرياء
ابن إسحاق ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : مكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثني عبيد^(١) بن محمد الوراق ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا
هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث النبي صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر^(٢)
بالهجرة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد وافق قول مَنْ قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة بن
أبي أنس ، أخى بنى عدى بن التجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف
كرامة الله لنبأهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبي الله صلى الله عليه
وسلم ، عليهم :

ثَوَى فى قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يَذْكُرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيَا^(٣)
وَيَعْرِضُ فى أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي ، وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطْنِيَّةَ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيقًا وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِ النَّوَى وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُتَنَادِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا قَرِيبًا ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا^(٤)
بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَالَنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالنَّاسِيَا^(٤)

(١) ر : « عبيد الله » .

(٢) ح ، م : « أمره » .

(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .

(٤) بعده فى الاستيعاب :

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاتِيَا
(٢٥٠)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
فَأَخْبَرَ أَبُو الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْمِهِ قَرِيشٍ كَانَ بَعْدَ مَا اسْتَنْبَى وَصَدَّعَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ بَضْعَ عَشْرَةَ
حِجَّةً .

• • •

وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ مَقَامُهُ عَمَكَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً :

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَاسْتَشْهَدَ
بِهَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِ أَبِي قَيْسٍ صِرْمَةَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْشَدَ ذَلِكَ :
ثَوَى فِي قَرِيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيًا^(١) !

• • •

١٢٤٩/١ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ رَوَى عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ إِسْرَافِيلَ قَرَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو
الْوَاقِدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ -
قَالَ : وَحَدَّثَنَا إِمْلَاءُ مِنْ لَفْظِهِ مَنْصُورٌ عَنِ الْأَشْعَثِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ - قَالَ :
قَرَنَ إِسْرَافِيلُ بِنَبْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، يَسْمَعُ حِسَّهُ ،
وَلَا يَرَى شَخْصَهُ . ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ :
فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي لَقَدْ سَمِعْتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنَ حَزْمٍ ، وَعَاصِمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ يَحْدِثَانِ^(٢) فِي

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقي يقول لهذا ، فأنكره جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قُرِنَ به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم نُسِبَ إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنوته لإسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعل الذين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً وعدوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنّب فيه ؛ وكان إسرافيل المقرون به وهى السنون الثلاث ١٢٥٠/١ التى لم يكن أمير فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قتادة غير القولين اللذين ذكرت ؛ وذلك ما حدثت عن رّوح بن عباد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة وعشراً بالمدينة .

ذكر الوقت الذى عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن أبى سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة — وقد مها فى شهر ربيع الأول — أمر بالتأريخ .

• • •

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدّمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ فى الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان ابن على العنبري ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : لا بل نورخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الخزاز ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صكّ محله فى شعبان ، فقال عمر : أى شعبان؟ الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال : بعضهم : اكتبوا على تأريخ الروم ، ف قيل : إنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرس ؛ ف قيل : إن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله ؛ فاجتمع^(١) رأيتهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما «أرخوا» ؟ قال : شيء تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرخوا . فقالوا : من أي السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا^(٢) على الهجرة . ثم قالوا : فأى الشهور نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، ١٢٥٢/١ فهو منصرف الناس من حجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا^(٣) على المحرم .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني سعيد بن أبي مریم . وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهيل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدد ؛ ما عدوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدوا إلا من مقدمه المدينة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

(١) م : « فاجمع » .

(٢) م : « اجتمعوا » .

(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبي عباد ؛ قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا نوح بن قيس الطائفي ، عن عثمان بن مِحْصَن ، أن ابن عباس كان يقول في : (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ) ، قال : الفجر هو المحرم ، ف فجر السنة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله عز وجل ، وهو رأس السنة ، فيه يكسى البيت ، ويؤرخ^(١) التأريخ ، ويضرب فيه الوريق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عز وجل عليهم . ١٢٥٣/١

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد^(٢) ، قال : حدثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أن أول من أَرخ الكُتُب يعلى بن أمية ، وهو باليمن ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأن الناس أَرخوا لأول السنة ؛ وإنما أَرخ الناس لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد ابن صالح ، عن الشعبي ، قال^(٣) : أَرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أَرخ بنو إسماعيل من بنيان البيت ؛ حتى تفرقت^(٤) ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أَرخوا

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » . (٢) هو أحمد بن حنبل .

(٣) ح : « قال » .

(٤) ر : « حين » .

بمخرجهم^(١) ، وَمَنْ بَقِيَ بِتِهَامَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ يُؤَرِّخُونَ مِنْ خُرُوجِ
سَعْدٍ وَتَهْدِ وَجْهِيَّةٍ ، بَنِي زَيْدٍ ، مِنْ تِهَامَةٍ ؛ حَتَّى مَاتَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ، فَأَرَّخُوا
مِنْ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى الْفِيلِ ؛ فَكَانَ التَّأْرِيخُ مِنَ الْفِيلِ ، حَتَّى أَرَّخَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الْهَجْرَةِ ؛ وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةٍ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ
حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ ، يَقُولُ : جَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ ، فَسَأَلَهُمْ ،
فَقَالَ : مِنْ أَيِّ يَوْمٍ نَكْتُبُ ؟ فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَكَ أَرْضَ^(٢) الشَّرْكَ ، فَفَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ فِي تَأْرِيخِ
بَنِي إِسْمَاعِيلَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ ؛ وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُؤَرِّخُونَ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ
يَعْمَلُ بِهِ عَامَّتُهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُؤَرِّخُ مِنْهُمْ يُؤَرِّخُ بِزَمَانٍ قُحْمَةٍ^(٣) كَانَتْ فِي
نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِهِمْ ، وَلِزَبَّةٍ أَصَابَتْهُمْ ؛ أَوْ بِالْعَامِلِ كَانِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ ،
أَوْ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِيهِمْ يَتَشَرُّخِبُهُ عَنْدهُمْ ؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ شُعْرَاهُمْ
فِي تَأْرِيخَاتِهِمْ ؛ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ تَأْرِيخٌ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ ، وَأَصْلُهُ مَعْمُولٌ عَلَيْهِ ،
لَمْ يَخْتَلَفْ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ ضَبْعٍ الْفَرَّارِيِّ :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا أَمْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

فَأَرَّخَ عُمَرَهُ بِحَجْرٍ بَنَ عُمَرُ أَبِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ .

وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ :

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأَنِّي مِنْ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَّانِ^(١)

فجعل النَّابِغَةَ تَأْرِيخَهُ مَا أَرَخَ بَرْمَانَ عِلَّةَ كَانَتْ فِيهِمْ عَامَّةٌ .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي لِمَازٍ وَعِلْقَةٍ مَفَارِ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَشَمًا^(٢)

فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الأبيات ، أَرَخَ على قُرْبَ زمان بعضهم من بعض ، وقُرْبَ وقت ما أَرَخَ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أَرَخَ به الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدَّونه ؛ ولكن الأمر في ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت ؛ فأما قريش من بين العرب ؛ فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفجار عشرون سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين .

• • •

قال أبو جعفر : وبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرْنُ نبوته - كما قال الشعبي - ثلاث سنين : لإسرافيل ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرْنُ نبوته جبريل عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرها ، ودعا إلى الله مقيماً بمكة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبي ، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين ، وقدمه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) في اللسان : « وزمن الخنّان زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت في اللسان (علق) من غير نسبة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبي يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٥٦/١ وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

• • •

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في تأريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإن ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهرين وأيام ؛ هي اثنا عشر ؛ وذلك أن أول السنة المحرم ، وكان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، بعد مضي ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها ، وعلى من كان نزوله ، وقد رُكِّبته في الموضع الذي نزل^(١) ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه ؛ وهي السنة الأولى من الهجرة . فن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة ، في اليوم الذي ارتحل فيه من قُبَاء ؛ وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً^(٢) المدينة ، فأدركته الصلاة ، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ، ببطن واد لهم — قد اتخذ^(٣) اليوم في ذلك الموضع مسجداً — فيما بلغني — وكانت هذه الجمعة ، أولَ جمعة جمعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة ؛ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل .

١٢٥٧/١

• • •

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أول جمعة جمعها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، رأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة ، على فطرة من الرسل ، وقلة من

(١) ر : « نزل » . (٢) ح : « عامداً إلى المدينة » .

(٣) ح : « اتخذوا » .

العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل؛ من يقطع الله ورسوله فقد رُشِدَ، ومن يعصهما فقد غَوَى وفترط؛ وضلّ ضلالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم؛ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكر؛ وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل^(١) وخافة من ربه، عونٌ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً^(٢) في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز^(٣) وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ١٢٥٨/١ ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقتته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا نفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ومما كرم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثرُوا ذكرَ الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يفضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون^(٥).

(١) ح : « وجاء » . (٢) ح : « ذخراً وذكراً » .

(٣) ح ، م : « ونجز » . (٤) سورة ق ٢٩ .

(٥) ر : « ما لا يملكون » .

منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوَّةَ إلَّا بالله العظيم ! .

• • •

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ركِب ناقته ، وأرخصى لها الزَّمام ، فجعلت لا تَمُرُّ بدار من دُور الأنصار إلَّا دعاه أهلُها إلى التزول عندهم ، وقالوا له : هلمَّ يا رسولَ الله ! إلى العَدَد والعُدَّة والمنَّة ؛ فيقول لهم صلى الله عليه وسلم : خَلُّوا زِمَامَهَا فَإِنَّهَا مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده ^(١) ؛ وهو يومئذ مِرْبَدٌ ^(٢) لِعَلَامِينَ يَتِيمِينَ من بني النَجَّار في حِجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَجَّار . فلما بركت لم ينزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ لها زِمَامَهَا لا يَشْنِيهَا به ؛ ثم التفت خلفها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا أوَّل مرة ، فبركت فيه ووضعت جِرائِنَهَا ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى التزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع رحله . فترل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم بن النَجَّار ^(٣) .

١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن المِرْبَدِ لمن هو ؟ فأخبره مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاء ، وقال : هو لِيَتِيمِينَ لِي ، سأرضيهما . فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُبْنَى مسجداً ، ونزل على أبي أيوب ، حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذي يجفف فيه الثمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢ .

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي التَّيَّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبني النُّجَّار ، وكان فيه نخل وحِثْرٌ وقبورٌ من قبور الجاهليَّة ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ثامنوني^(١) به، فقالوا : لا نبغى^(٢) به ثمنًا إلا ما عند الله . فأمر ١٢٦٠/١ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّخل فقطَّع ، وبالحِثْر فأفسد، وبالقبور فنبشت ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يصلي في مرائب الغنم ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولَّى بناء مسجدِه صلى الله عليه وسلم هو بنفسه وأصحابه^(٣) من المهاجرين والأنصار .
وفي هذه السَّنة بُني مسجد قُباء .

• • •

وكان أوَّلَ من تُوْفِّيَ بعد مقدمه المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب مَنَزَلِه كُلثُوم بن الهِدْم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيرًا حتى مات .
ثم تُوْفِّيَ بعده أسعدُ بن زُرَّارة في سنة مقدَّمه ، أبو أَمَامة . وكانت وفاته قبل أن يَفْرُغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجدِه ، بالذِّبْحَةِ^(٤) والشَّهْقَةِ^(٥) . فحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لبس^(٦) المَيِّتُ أبو أَمَامة لِيَهْودَ ومنافقِي العرب ! يقولون : لو كان محمد نبيًّا لم يَمُتْ صاحِبُه ؛ ولا أَمَلِكُ لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئًا^(٧) .

(١) ثامنوني به ؛ أي اجعلوا لها ثمنًا .

(٢) و : « لا نبغى » .

(٣-٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : رجع في الخلق يخنق فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) ر : « لبس » .

(٧) سيرة ابن هشام ١٩: ٢

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشَّوْكَة (١) .

قال ابنُ حميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات (٢) أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو أمامة نقييهم - فقالوا : يا رسول الله ؛ إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعل منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم أخوايلي وأنا منكم ؛ وأنا نقييكم .

قال : وكثره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يَخْصَّ بها بعضهم دون بعض ؛ فكان من فضل (٣) بنى النجار الذي تعدّ (٤) على قومهم ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان نقييهم (٥) .

وفي هذه السنة مات أبو أحيحة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

• • •

وفيها بئى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدّمه المدينة بثمانية أشهر ؛ في ذى القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدّمه المدينة بسبعة أشهر ، في شوال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهي ابنة سبع .

(١) الشوكة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . والخبر في نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بنى النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذى يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

حدثنا عبد الحميد بن بَيَّان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك ، عن رجل من قُرَيْش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر ١٢٦٢/١ معه أُنثى عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعت حديث حَقِصَة ؟ قال لها : نعم يا أم المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت : خَلَّالٌ فيَّ تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله مَرِيَمَ بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخرأ على أحد من صواحي ، قال لها : وما هن (١) ؟ قالت : نزل الملكُ بصورتي ، وتزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديتُ إليه تسع سنين ، وتزوجني بكرأ لم يشركهُ في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنتُ من أحب الناس إليه (٢) ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيري ، وقُبِض في بَيْتِي لم يله أحدٌ غير الملك وأنا .

• • •

قال أبو جعفر : وتزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في شوال ، وبنتي بها حين بنى بها في شوال .

• ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابنُ بَشَّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبنتي بي في شوال . وكانت عائشة تستحبُّ أن يُبْنَى بالنساء (٣) في شوال .

(١) كذا في ر ، وفي ط : « هو » .

(٢) زاد بعلها ر : « وأبنة أحب الناس إليه » .

(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بنائها » .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عُرْوَةَ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشة ، قالت : تزوّجني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في شوال ، وبني بي في شوال ، فأبى نساء رسول الله كانت أحظّني عنده مني ! وكانت عائشة تستحبّ أن يُدْخَلَ بالنساء ^(١) في شوال .

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بنى بها في شوال يوم الأربعاء ، في منزل أبي بكر بالسُّنْح . وفي هذه السنة بعثَ النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلّم إلى بناته وزوجته سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ ، زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، فحملهن ^(٢) من مكّة إلى المدينة .

ولما رجع - فيما ذكر - عبد الله بن أريقط إلى مكّة أخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر ، فخرّجَ عبدُ الله بَيعَاتِلَ أبيه إليه ، وصحبَهم طلحة بن عبيد الله ، معهم ^(٣) أمّ رومان ، وهي أمّ عائشة ؛ وعبد الله بن أبي بكر حتى ^(٤) قدموا المدينة .

وفي هذه السنة زيّد في صلاة الحَضَر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحَضَر والسُفَر ركعتين ؛ وذلك بعد مقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة بشهر ، في ربيع الآخر ، لمُضَيِّ اثنتي عشرة ليلة منه ^(٥) ، زعم الواقديّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

• • •

وفيها - في قول بعضهم - وُلِدَ عبد الله بن الزُّبَيْر . وفي قول الواقديّ : وُلِدَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ من مقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة في شوال .

(١) كذا في ر وفي ط : « بنائها » .

(٢) ر : « معه » .

(٣) م : « حين » .

(٤) ر : « مضت منه » .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : وُلِدَ ابنُ الزُّبَيْرِ بعد الهجرة بعشرين شهراً بالمدينة . ١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أولَ مولودٍ ولد من المهاجرين في دار الهجرة ، فكبر - فيما ذكر - أصحابُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين وُلِدَ ؛ وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سحروهم فلا يُولَدُ لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سروراً منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماء بنت أبي بكر ، هاجرت إلى المدينة وهي حاملٌ به .
وقيل أيضاً : إنَّ النعمان بن بشير وُلِدَ في هذه السنة ؛ وإنَّه أولَ مولود وُلِدَ للأنصار بعد هجرة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم إليهم ؛ وأنكر ذلك الواقدي أيضاً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا الواقدي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنيفة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانَ أولَ مولود من الأنصار ^(١) النعمان بن بشير ؛ ولد بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً ، فتوفى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثمانين سنين ، أو ^(٢) أكثر قليلاً .

قال : وولد النعمان قبل بدر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصْعَب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، قال : ذُكِرَ النعمان بن بشير عند ابنِ الزُّبَيْرِ ^(٣) ، فقال : هو أسنُّ مني بستة أشهر .
قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبَيْرِ على رأس عشرين شهراً من مهاجرة

(١) ر : « ولد للأنصار » .

(٢) م : « وأكثر » .

(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ المُختارَ بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ وزياد ابن سُمَيْة فيها ولدا .

• • •

قال : وزعم الواقدي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض^(١) لِعَبِيرَات^(٢) قريش ، وأنَّ حمزة لقيَ أبا جهل [بن هشام]^(٣) في ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بن عمرو الجهني فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مَرْثَد .

١١٦٥/١

وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد أيضاً في هذه السنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لعُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض ، وأمره بالمسير^(٤) إلى بطن رَابِغ ، وأنَّ لواءه كان مع مِسْطَح بن أثاثَة ، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الجحفة - في ستين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصارى ؛ وأنَّهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرمي دون المسابقة^(٥) .

قال : وقد اختلفوا في أمير السرية ؛ فقال بعضهم : كان أبو سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : كان مُكْرَز بن حفص .

قال الواقدي : ورأيت الثَّبَّتَ على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين من المشركين .

(١) ر : « ليعرض » .

(٢) الميراث : جمع المير ؛ وهي الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيويه : « جمعه بالألف والتاء لمكان التأنيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسابقة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عَقَدَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لسعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّارِ لواءً أبيضَ يحمله المقداد بن عمرو في ذِي القَعْدَةِ . وقال : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر^(١) بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا — أوقال : واحد^(٢) وعشرين رجلاً — فكُنَّا نكْمُنُ النَّهَارَ ، ونسير الليلَ حتَّى صَبَحْنَا الخَرَّارَ صُبْحَ خَامِسَةٍ ؛ وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قد عهد إلى آلَا أَجَاوِزِ الخَرَّارِ ، وكانت العِيرُ قد سَبَقَتْنِي قبلَ ذلكَ يومٍ ، وكانوا ستينَ ، وكان مَنْ مع سعدَ كلَّهم من المهاجرين .

• • •

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلِّ هذه السرايا التي ذكرتُ عن الواقديَّ قوله فيها غير ما قاله الواقديَّ ، وأنَّ ذلكَ كلَّه كان في السنة الثَّانِيَةِ من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ بن الفضل ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينةَ في شهر ربيع الأولِ لاثنتي عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقيَ من شهر ربيع الأولِ وشهرَ ربيع الآخرِ وَجُمَادَيَيْنِ وَرَجَبَ وشعبانَ ورمضانَ وشَوَّالًا وذَا القَعْدَةِ وذَا الحِجَّةِ — وولى تلكَ الحِجَّةَ المشركونَ — والمحرَّم . وخرج في صَفَرٍ غازياً على رأسِ اثني عشر شهرًا من مقدَّمه المدينةَ ، لِيَسْتَتِيَ عشرةَ ليلة مضت من شهر ربيع الأولِ ؛ حتَّى بلغ ودَّانَ ؛ يريد قريشا وبني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهي غزوة الأَبْوَاءَ ، فَوَادَعَتْهُ^(٣) فيها بنو ضَمْرَةَ ؛ وكان اللَّذِي وادَّعه منهم عليهم سيِّدُهم كان في زمانه ذلكَ ، مَخَشِيَّ بن عمرو ، رجل^(٤) منهم .

(١) ح ، م : « عامر » .

(٢) ح : « في واحد وعشرين » .

(٣) وادَّعه : سألته وعاهدته ألا تحاربه .

(٤) ح : « ورجل » . . .

قال : ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيَّةَ صَفَرٍ وصدْرًا من شهر ربيع الأوَّل^(١) .

وبعث في مقامه ذلك عبْدَةُ بن الحارث بن المطَّلَب في ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بَلَغَ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيةِ المِرة) ، فلقِيَ بها جَمْعًا عظيمًا من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلاَّ أنَّ سعد بن أبي وقَّاص قد رَمَى يومئذ بسهم ؛ فكان أولُ سهم رُمِيَ به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حاميةً ، وفَرَّ مِنْ المشركين إلى المسلمين المِقْدَاد بن عمرو البَهرانيّ حليف بنى زُهرة ، وعُتْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر حليف بنى نوفل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ؛ ولكنهما خرجا يتوصَّلا^(٢) بالكُفَّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع^(٣) عِكْرِمَةُ بن أبي جهل .

قال مُحَمَّد : فكانت رايةُ عبْدَةَ - فيما بلغني - أول راية عقدتها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الإسلام لأحد من المسلمين^(٤) .

وحدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سَكْمَةُ ، قال : حدثني مُحَمَّد بن إِسْحاق ، قال : وبعض العلماء يزعمُ أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأنواء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المِطَّلَب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ؛ وهي من أرض جُهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السَّاحل في ثلاثمائة

(١) في السيرة : « قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها » ، والخبر في السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) في ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أي أنهما جعلتا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرِو الْجُهَنِّي ، وكان ١٣٦٨/١
مُوَادِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن
بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدَها رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم لأحد من المسلمين ، وذلك أَنْ بَعَثَهُ وَبَعَثَ
عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَا مَعًا ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ .

قال : وَالَّذِي سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَنَا أَنَّ رَايَةَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ
كَانَتْ أَوَّلَ رَايَةِ عُقِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ ^(١) .

قال : ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ،
يُرِيدُ قَرِيشًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بُوْاطَ مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ
كَيْدًا ، فَلَبِثَ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى ^(٢) .

ثُمَّ غَزَا يُرِيدُ قَرِيشًا ، فَسَلَكَ عَلَى نَقَبِ بْنِ دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ ، ثُمَّ
عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَّارِ ، فَتَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ بَيْطُحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ ، يُقَالُ لَهَا :
ذَاتُ السَّاقِ ، فَصَلَّى عِنْدَهَا ، فَثَمَّ مَسَجَدَهُ . وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا
طَعَامٌ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَمَوْضِعُ أَثْنَانِي الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ
هُنَاكَ . وَاسْتَقْبَى ^(٣) لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَرِبُّ ^(٤) . ثُمَّ ارْتَحَلَ
فَتَرَكَ الْخِلَاقَ ^(٥) بَيْسَارَ ، وَسَلَكَ شَعْبَةَ يُقَالُ لَهَا شَعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ — وَذَلِكَ اسْمُهَا
الْيَوْمَ — ثُمَّ صَبَّ لَيْسَارَ ، حَتَّى هَبَطَ يَلْكَيْلَ ، فَتَزَلَّ بِمَجْتَمَعِهِ وَمَجْتَمَعَ
الضَّبُّوعَةِ ؛ وَاسْتَقْبَى لَهُ مِنْ بَثَرٍ بِالضَّبُّوعَةِ . ثُمَّ سَلَكَ الْفَرَشَ ؛ فَرَشَ
مَلَلًا ، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصَخِيرَاتِ الْيَمَامِ . ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقَ حَتَّى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقى » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المسترب » .

(٥) في ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحي المدينة » .

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الأولى وليالىَ من جُمَادَى الآخرة ، ووادَعَ فيها بنى مُدَلِّج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلتقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلّى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين قدِم من غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ بالمدينة إلّا لِيَالِي قَلَاتِل لَا تَبْلُغ العَشْرَ ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرِيّ على سَرَحِ المدينة ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في طلبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَقَوَان من ناحية بدر ، وفاتته كرز فلم يدركه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْدُ بن أبى وقاص في ثمانية رهط (١) .

١٢٧٠/١

وزعم الواقديّ أنّ في هذه السنة - أعنى السّنة الأولى من الهجرة - جاء أبو قيس بن الأسَلَت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعرض عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعو إليه ! أنظُرُ في أمرى ، ثم أعود إليك . فلقبهُ عبدُ الله بن أبى ، فقال له : كرهت والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسليم (٢) سنة ؛ فأت فى ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٠٥٧ .

(٢) ابن الأثير : « إلى سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم - في قول جميع أهل السِّيَر - فيها ، في ربيع الأوّل بنفسه غَزْوَةَ الْأَبْوَاء - ويقال وَدَّان - وبينهما ستّة أميال هي بحداثتها ؛ واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على المدينة حين خرج إليها سعدُ بن عُبادة بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه في هذه الغزاة حمزة بن عبد المُطَّلِب ، وكان لوائه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي: كان مقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قدِم المدينة .

* * *

قال الواقدي: ثم غزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بُواط في شهر ربيع الأوّل ؛ يعترض لِعَيْرَات قريش ، ١٢٧٠/١ وفيها أُمَيَّة بن خلف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة بغير . ثم رَجَعَ ولم يَلْتَقَ كَيْدًا .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبي وقَّاص ، واستخلف على المدينة سعدُ ابن مُعَاذ في غَزْوَتِهِ هذه .

* * *

قال (١): ثم غزا في ربيع الأوّل في طلب كُرْزَيْن بن جابر الفِهْرِيّ في المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرْح (٢) المدينة ، وكان يرعى (٣) بِالْجَمَاءِ فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى بلغ بدرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدي » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغذى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرج رسولُ الله صَلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعَبِيرَات قريش حين أبدأت^(١) إلى الشَّام في المهاجرين - وهى غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ يَنْبُع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خُثَيْم^(٢) ؛ عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : حدثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلى رفيقين مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في غزوة العُشيرة ، فنزلنا متزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مُدَلِج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشِينَا النُّعَاسُ ، فعمدنا إلى صَوْر^(٣) من النخل ؛ فقمنا تحته في دُقْعاء^(٤) من التراب ، فما أيقظنا^(٥) إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تَتَرَّبْنَا في ذلك التراب ؛ فحرك علياً^(٦) برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألا أخبرك بأشقى النَّاسِ؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقَة ، والذي يضربك [يا علي]^(٧) على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) في ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولأ واحد له من لفظه .

(٤) الدُقْعاء : التراب اللين .

(٥) في ابن هشام : « فوالله ما أهينا إلا رسول الله » ؛ وأهينا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفي ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— يعني قرّنته — فيخضب^(١) هذه منها ؛ وأخذ بلحيته^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم^(٣) المحاربي ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن محمد بن خُثَيْم — وهو أبو يزيد — عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى رفیقین ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدثني به محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل^(٤) بن سعد : إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تسبباً علياً^(٥) عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سمّاه بذلك^(٦) إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ علي فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فتيء المسجد . قال : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فاطمة ، فقال لها : أين ابن عمك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلّص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سمّاه به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والله ما كان له اسم أحب إليه منه !

• • •

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السبيل : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد قائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار يخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقریب ، بمعجمة ومثلثة ، مصغراً .

(٤) م : « لسيل » . (٥) س : « عل » . (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة في صفر ، ليلال يقين منه ، تزوج على بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ؛ حدثت بذلك ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر .

• • •

[سرية عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبري : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كُرُز بن جابر الفهري إلى المدينة ، وذلك في جمادى الآخرة ، بعث في رجب^(١) عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين^(٢) ؛ ليس فيهم من الأنصار أحد ؛ فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الزهري ويزيد بن رومان ؛ عن عروة بن الزبير ، بذلك .

• • •

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش سرية في اثني عشر رجلاً من المهاجرين .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة ، قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتاباً - يعني ١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « مقفله من بدر الأولى » .

(٢) في ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حريثان ، أحد بني أسد بن خزيمه ؛ حليف لهم . ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب سعد ابن أبي وقاص . ومن بني عدى بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عذر بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بني تميم ، حليف لهم ، وشالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء » .

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فلما سار عبد الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرت في كتابي هذا ؛ فسير حتى تنزل بنخلة^(١) بين مكة والطائف ؛ فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله في الكتاب ، قال : سمع وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فاضل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز ؛ حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع^(٢) [يقال له ببحران]^(٣) ، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بعيراً لهما كانا يعتقبانه^(٤) ، فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمي^(٥) ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رآهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه أمِنوا ، وقالوا : عمار^(٦) لا بأس عليكم منهم^(٧) . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك في آخر يوم من رجب ؛

(١) و : « بنخلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلي : هو بضمين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أى يركبه هذا عقبه وهذا عقبه ، والعقبه : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمي عبد الله بن عباد ، أحد الصدق ، واسم الصدق عمرو

ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشروس بن كندة ، ويقال : كندى » .

(٦) عمار ، أى معتمرون ، والاعتار زيارة البيت الحرام . (٧) ح : « منه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخلنَّ الحرَمَ ؛ فليمتنعنَّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجَّعوا^(١) عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قَدَرُوا عليه منهم ، وأخذوا ما معهم ؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين ؛ حتى قدِموا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة .

قال : وقد ذكَّر بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أن عبد الله بن جَحَش ، قال لأصحابه : إنَّ لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ممَّا غنمتم الخمسَ - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خمُس الغنيمة ، وقسم سائرها بين أصحابه ؛ فلما قدِموا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين ؛ وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم سقط في أيدي القوم ، وظنُّوا أنَّهم قد هلكوا ، وعنتهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به ، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلَّ مُحمَّدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدَّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال مَنْ يردُّ ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ؛ تفاءل^(٢) بذلك على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : عمرو بن الحضرمي قتلته واقد بن عبد الله : « عمرو » عمرت الحرب ، و« الحضرمي » حضرت الحرب ، و« واقد بن عبد الله » وقدت الحرب ؛ فجعل الله عزَّ وجلَّ ذلك عليهم لاهم^(٣) . فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله صَلَّى الله عليه

١٢٧٦/١

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .

(٢) و : « تفاءلوا » ؛ وفي التفسير : « تفاءل » .

(٣) ح والتفسير : « وهم » .

وسلم : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾^(١) الآية .
فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشَّقَقِ^(٢) ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين^(٣) .

وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا نُفَدِيَكُمُوهَا ؛ حتى يُقَدَّمَ صاحباها — يعني سعد
ابن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوان — فَإِنَّا نَخْشَاكُمُ عَلَيْهِمَا ؛ فَإِن تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلُ
صَاحِبَيْكُم . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، ففاداهما^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ؛ فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ يوم بئر معونة شهيداً^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي
جميعاً السدي ؛ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
١٢٧٧/١ قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ وذلك أَنَّ رسولَ
الله صلى الله عليه وسلم بعث سريةً وكانوا سبعة نفر ؛ عليهم
عبد الله بن جحش الأسدي وفيهم عمّار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بن غزوان السلمي حليف لبني
نوفل ، وسُهَيْل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله
اليربوعي ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره
ألا يقرأه حتى يتزل بطن ملل ؛ فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب ؛
فإذا فيه : أَن سِرِّ حَتَّى تَتَزَلَ بَطْنَ نَخْلَةٍ ؛ فقال لأصحابه : مَنْ كَانَ يَرِيدُ

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشَّقَقُ : الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ٤ : ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : « ففاداهما » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليَمَضِ وَلْيُوصِ ؛ فَإِنِّي مُوصٍ وَمَا ضٍ لَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فسار وتَخَلَّفَ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، أَضْلًا رَاحِلَةً لهُمَا ، فَأَتَيَا بُحْرَانَ يَطْلُبَانِيهَا ، وَسَارَ ابْنُ جَحْشٍ إِلَى بَطْنِ نَخْلَةٍ ؛ فَإِذَا هُوَ بِالْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ عُمَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ؛ فَاقْتَتَلُوا ، فَأَسْرُوا الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَأَفْلَتَ ^(١) الْمَغِيرَةُ ، وَقُتِلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، قَتَلَهُ وَقَدْ بَنَى اللَّهُ . فَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا من الأموال ؛ أَرَادَ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ يُفَادُوا الْأَسِيرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَتَّى نَنْظُرَ مَا فَعَلَ صَاحِبَانَا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بِالْأَسِيرِينَ ، فَفَجَّرَ ^(٢) عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ ، وَقَالُوا : مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ طَاعَةَ اللَّهِ ^(٣) ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحْلَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَقَتَلَ صَاحِبَنَا فِي رَجَبٍ ! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : إِنَّمَا قَتَلْنَاهُ فِي جُمَادَى - وَقِيلَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَآخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى - وَغَمَدَ ^(٤) الْمُسْلِمُونَ سِيوفَهُمْ حِينَ دَخَلَ رَجَبٌ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ يُعَيِّرُ أَهْلَ مَكَّةَ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الْآيَةُ ^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد قيل إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

(١) ح ، و : «أفلت» .

(٢) و : «ففجر» .

(٣) م : «ربه» .

(٤) و : «أغمد» ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله في الغمد .

(٥) الخبر في التفسير ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

انتدب^(١) لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح ، ثم بدا له^(٢) فيه ، فندب له عبد الله بن جحش .

• ذكر الخبر بذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ؛ حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه حدثه رجل عن أبي السَّوَّار ؛ يحدثه عن جندب بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث رهطاً ، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ فلما أخذ لينطلق بكى صباباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش ، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تُكرِهَنَّ أحداً من أصحابك على السير^(٣) معك » . فلما قرأ الكتاب استرجع ، ثم قال : سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبَّرَهم بالخبر ؛ وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلاًن ومضى بقيتهم ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا ذلك اليوم من^(٤) رَجَبِ أو من جُمَادَى ! فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام ! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثوه الحديث ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، الفتنه هي الشُّرْكُ .

وقال بعض الذين — أظنه قال — : كانوا في السرية : والله ما قتله إلا واحداً ؛ فقال : إن يكن خيراً فقد وليت ، وإن يكن ذنباً فقد عميت^(٥) .

* * *

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من الشَّام

(١) و : « ندب » .

(٢) بدا له في الأمر بدوا وبداء ؛ أى نشأ له فيه رأى آخر ؛ ومنه قولهم : « هو ذو بدوات » .

(٣) ر : « المسير » .

(٤) التفسير : « ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى » .

(٥) كذا في م والتفسير ، وفي ط « علمت » والخبر في التفسير ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدّم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم
المدينة في شعبان .

• • •

واختلف السّلَف من العلماء في الوقت الذي صُرِفَت^(١) فيه من هذه
السّنة ؛ فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم : صُرِفَت في النّصف من شعبان
على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم المدينة .
• ذكر من قال ذلك :

حدّثنا موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدّثنا أسباط ، عن السّديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح ، عن ابن عبّاس - وعن مرّة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود -
وعن ناس من أصحاب النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم : كان النّاس يصلّون
قبيل بيت المقدس ؛ فلما قدّم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة على رأس
ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان^(٢) إذا صلّى رفع رأسه إلى السماء
ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّي قبيل بيت المقدس ؛ فنسختها الكعبة ، وكان
النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم يحب أن يصلّي قبيل الكعبة ، فأُنزل الله
عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾^(٣) ، الآية .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
صُرِفَت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدّم رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلّم المدينة .

وحُدّثت عن ابن سعد ، عن الواقديّ مثل ذلك . وقال : صُرِفَت القبلة
في الظّهْر يوم الثلاثاء للنّصف من شعبان .

• • •

(١) ح : « صُرِفَت القبلة فيه » .

(٢) ط : « وكان » ، وما أثبت من التفسير .

(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر في التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا المشي بن إبراهيم الأملي ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا همام بن يحيى ، قال : سمعت قتادة ، قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجهه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام ^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهود تقول : والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هدّيناهم ! فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ^(٢) الآية .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرض - فيما ذكر - صوم رمضان . وقيل : إنّه فرض في شعبان منها . وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، رأى يهود تصوم يوم عاشوراء ، فسألهم فأخبروه أنّه اليوم الذي غرق الله فيه آل فرعون ، ونجّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحن أحق بموسى منهم . فصام وأمر الناس بصومه ، فلمّا فرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف في الرواية .

وفيهما أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خطب الناس قبل [يوم] ^(١) الفِطْرِ يوم أو يومين ، وأمرهم بذلك . وفيها خرَج ^(٢) إلى المصلَّى فصلَّى بهم صلاة العيد ، وكان ذلك أوَّلَ خُرْجَةٍ خرجها بالنَّاس إلى المصلَّى لصلاة العيد .

وفيهما - فيما ذكر - حُمِلَت العَنَزَةُ ^(٣) له إلى المصلَّى فصلَّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام - كان النجاشيَّ وهبها له - فكانت تحمَلُ بين يديه في الأعياد ، وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذنين بالمدينة . وفيها كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والكفار من قُريش ، وذلك في شهر رمضان منها .

» » »

ثم اختلفوا في اليوم الذي فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان . ١٢٨٢/١

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة ليلة من رمضان ؛ فإنها ليلة بدر .

حدثنا محمد بن عُمارة الأسدي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حُجَّير الثعلبي ، عن الأسود

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في شرح مواهب القسطلاني للزرقاني (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والنون والزاي ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : عصا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشي أخذها للنبي صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن محمد المحاربي ، قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحِبِّي ليلة من شهر رمضان كما يحبي ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفراً من أثر السَّهَر ، فقبل له ، فقال : إن الله عز وجل فرّق في صبيحتها بين الحق والباطل .

• • •

وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدث عن حُجَّير ، عن الأسود وعلقمة ، أن^(١) عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وتلا هذه الآية : ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾^(٢) ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله . قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أن أحدًا من أهل الدنيا شكَّ^(١) في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان^(٢) ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي محمد بن صالح : يابنٌ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبينُ من ذلك^(٣) ؛ ما يجهل هذا النساء في بيوتهن .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْثِي ليلةَ سبع عشرة من شهر رمضان ؛ وإن^(٤) كان ليُصْبِحَ وعلى^(٥) وجهه أثر السَّهَرِ ، ويقول : فرّق الله في صبيحتها بين الحقِّ والباطل ، وأعزّ في صُبْحِها^(٦) الإسلام ، وأنزل فيها القرآن^(٧) ، وأذلَّ فيها أئمةَ الكفر .

١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميَّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب : كانت ليلةَ الفُرْقان يومَ التقى الجمعان ، لسبع عشرة من رمضان .

وكان الذي هاجَّ وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش — فيما قال عروة بن الزبير — ما كان من قَتَلَ واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذلك » .

(٤) ر : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .

(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث — قال علي : حدثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أمّا بعد ، فإنك كتبت إلى أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلّها ، كانوا ١٢٨٥/١ تجاراً بالشّام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلّة ، وأسرت أسارى من قريش ؛ فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدى بن كعب ، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبّان قريش^(١) مقبلين من الشام ، فسلّكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلاّ غنيمة لهم ؛ لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾^(٢) .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له^(٣) ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل في السفر . وفي م : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٣٩٩ .

(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنَّ محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجبروا^(١) تجارتكم^(٢) . فلما أتى قريشًا الخبرُ — وفي غير أبي سفيان ؛ من بطون كعب ابن لؤي كلها — نفَّر لها أهلُ مكة ؛ وهى نفرة بنى كعب بن لؤي ، ليس فيها من بنى عامر أحدٌ إلا من كان من بنى مالك بن حِسل ؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ؛ حتى قدِم النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا — وكان طريق ركبَان قريش ؛ من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام — فحفض^(٣) أبو سفيان عن بدر ، ولزِم طريق الساحل ، وخاف الرصد^(٤) على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرسَ قريشًا من بدر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا^(٥) يحسبون أن قريشًا خرجت لهم ، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا^(٦) قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه النفر الذين بعثهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو في معرسته ، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤوسهم ، ويصدقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حيثئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويسمع ما يُصنع^(٧) بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

(١) و : « فأجبروا » .

(٢) م : « فأخبروا تجارتكم » .

(٣) الحفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ^(١) وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه^(٢) - وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش - قال : نعم ، هذا^(٣) أبو سفيان ، والركب حينئذ أسفل منهم^(٤) ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلُ مِنْكُمْ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(٥) ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فرعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي نفسي بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ؛ قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير^(٦) ركبها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم^(٧) ؟ فقال : لا أدري ؛ والله هم كثير عددهم^(٨) . فرعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من أطعمهم^(٩) أول من أمس ؟ فسمي رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم^(١٠) ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمن أطعمهم أمس ؟ فسمي رجلاً ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فرعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة^(١١) قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

١٢٨٨/١

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) م : « هو » .

(٤) ر : « منكم » .

(٥) سورة الأنفال ٤٢ .

(٦) و : « تجير » .

(٧) ح : « فسأله عن القوم » .

(٨) ر : « عدد كثير » .

(٩) ر : « أطعمكم » .

(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع جزائر .

(١١) النفرة والنفر والتفير : القوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فترل الماء وملاً الحياض ، وصف عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأ قال : هذه مصارعهم ؛ فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلما طلعا^(١) عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بجلستها^(٢) وفخرها ؛ تحاد^(٣)ك وتكذب رسولك ! اللهم إني أسألك ما وعدتني .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثاً في وجوههم التراب ؛ فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا^(٤) — والركب الذين يأمرهم قريشاً بالرجعة بالجحفة — فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرأ ، فنقيم به^(٥) ثلاث ليال ، ويرانا من غشيتنا من أهل الحجاز ؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾^(٦) ؛ فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر وشق صدور المسلمين منهم^(٧) .

حدثني هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي عليه السلام ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتوينها ، وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر ؛ فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر — وبدر بئر — فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من

١٢٨٩/١

(١) و : « اطلعوا » .

(٢) ح ، و : « مجليها » .

(٣) ر ، م : « تجادل » .

(٤) في التفسير : « إنا أجزنا القوم ، وأن ارجعوا » .

(٥) و ، والتفسير : « فبه » .

(٦) سورة الأنفال ٤٧ .

(٧) الخبر ورد مفرقاً في التفسير ١٣ : ٤٤٣ ، ٥٧٨ .

قريش ، ومولّى لعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ؛ فأما القرشيّ فأنفلت^(١) ، وأمرَ بولي عُقْبَةَ فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ، فجهد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم ، فأبى . ثمّ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألّه : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشرًا كلّ يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف .

ثمّ إنه أصابنا من الليل طَشٌّ^(٢) من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف^(٣) نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربّه : اللهمّ إنّ تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض . فلما أن طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال ، ثمّ قال : إنّ جمَعَ قريش عند هذه الضِّلعة^(٤) من الجبل . فلما أن دنا القوم منا وصافقناهم^(٥) ؛ إذا رجلٌ من القوم على جمل أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عليّ ، نادِ لي حمزة - وكان أقربهم إلى المشركين - : من صاحبُ الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن في القوم من يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكون صاحبُ الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عُتْبَةُ بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنني أرى قومًا مُستَمِيتين لا تصلون^(٦) إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصيوها اليوم برأسي ، وقلوا : جبّئ عتْبَةُ ابن ربيعة ؛ ولقد علمت أنّي لست بأجبنكم .

(١) ر : « فأفلت » .

(٢) الطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ .

(٣) الحجف : ضرب من الترس ؛ واحدتها حجة ؛ وهي من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافة ، أى وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمع أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته^(١) ! لقد ملكت رثتك وجوفك رعباً ، فقال عتبة : إيتاي تعير يامصفر^(٢) استه ! ستعلم اليوم أينما أجبتن !

قال : فبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ؛ ولكن يبارزنا من بني عمنّا من بني عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسروا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال : يا رسول الله ؛ والله ما هذا أسرنى ، ولكن أسرنى رجل أجلح^(٣) من أحسن الناس وجهاً ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصارى : أنا أسرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد آزرك الله بملك كريم . قال علي : فأسير من بني عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البرزوري ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتقينا برسول الله ، فكان من أشد الناس بأساً ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه .

١٢٩١/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب^(٤) ، عن علي ، قال : سمعته

(١) ح : « لفصصته » .

(٢) مصفرسته ، قال السجلى : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة في الدم ، فخص منه بالذكر ما يسهو أن يذكر » .

(٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبي الرأس ، وفي ح : « أجلح الرأس » .

(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْدَاد بن الأسود ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائمٌ ، إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائماً إلى شجرة يصلّي ، ويدعو حتى الصبح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمعَ بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في غيرِ قريشٍ عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ؛ وفيها ثلاثون راكباً من قريش — أو أربعون — منهم مخزّمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمر بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعيّد بن سهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيما سَقَتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندبَ المسلمين إليهم ، وقال : هذه غيرُ قريشٍ فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعلَّ الله أن يُنقِلَكُمُوهَا ، فانتدبَ الناس فَخَفَّ بعضهم وثقلَ بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنُّوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلتقي حرباً ، وكان أبو سفيان حينَ دنا من الحجاز يتحسَّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبان تخوفاً على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أنَّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمَضَمَ بن عمرو الغفاريّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنَّ محمداً قد عَرَضَ لها في أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق :
وحدثني مَنْ لا أَتَهُمْ ، عن عِكْرَمَةَ مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد
ابن رومان ، عن عُرْوَةَ ، قال : وقد رَأَتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم
ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أَفْرَعَتْهَا ، فبعثتُ إلى أخيها العباس بن عبد المطلب
فقالَتْ له : يا أخى ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أَفْظَعْتَنِي^(٢) ، وتَخَوَّفْتُ
أَنْ يَدْخَلَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَمُصِيبَةٌ ، فَاسْكُتْ عَلَى^(٣) مَا أَحَدْتُكَ [بِهِ]^(٤) .
قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتَّى وَقَفَ
بِالْأَبْطَحِ . ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَنْ^(٥) انْفِرُوا يَا آلَ غُدْرٍ^(٦) الْمَصَارِعُكُمْ فِي
ثَلَاثَ ! فَأَرَى النَّاسَ^(٧) اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ ؛ فَبَيْنَاهُمْ
حَوْلَهُ مَشْكَلٌ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِمَثَلِهَا : أَنْ
انْفِرُوا يَا آلَ غُدْرٍ الْمَصَارِعُكُمْ فِي ثَلَاثَ ! ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ
أَبِي قُبَيْسٍ ، فَصَرَخَ بِمَثَلِهَا ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا ، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى
إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضَتْ^(٨) . فَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بَيُوتِ مَكَّةَ ، وَلَا دَارٌ مِنْ
دَوْرَهَا إِلَّا دَخَلَتْ مِنْهَا فِلَقَةٌ .

١٢٩٣/١

قال العباس : والله إنَّ هذه لرؤيا رأيتُ فَاسْكُتْ عَلَيْهَا وَلَا تَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .

(٢) أَفْظَعْتَنِي : اشتدت على .

(٣) ابن هشام : « اسْكُتْ عَلَى » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « أَلَا انْفِرُوا » .

(٦) كَذَا فِي ط ، بِضَمِّ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ . وَفِي اللَّسَانِ : « وَجَلَ غَادِرٌ وَغَدَارٌ وَغَدِيرٌ وَغَدُورٌ ،
وَكَذَلِكَ الْأَنْثَى بِغَيْرِ هَاءٍ ، وَغَدَرٌ (بِضَمِّ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ) ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ هَذَا النَّدَاءُ فِي
الشَّمِّ ، يُقَالُ : يَا غَدْرُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « يَا غَدْرُ ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ ! » ، وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ :
يَا لَغَدْرٍ (بِضَمِّ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ) ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَاتِكَةَ : يَا لَغَدْرٍ يَا لَفَجْرٍ ! » . وَقَالَ السَّهِيلُ :
« هُوَ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَالدَّالِ ، جَمْعُ غَدُورٍ » .

(٧) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ ؛
بَيْنَاهُمْ حَوْلُهُ ، مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ . وَمَثَلَ بِهِ : قَامَ بِهِ » .

(٨) ارْفَضَتْ : تَفَرَّقَتْ .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدثت به قريش [في أنديتها] (١) .

قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعودٌ يتحدثون برؤيا عاتكة ؛ فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ؛ متى حدثت فيكم هذه النبئة ! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ؛ فلما أمسيت لم تبقى امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ؛ ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له ؛ فإن عاد لأكفينكموه (٢) .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ؛ فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه (٣) ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ،

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكمه » .

(٣) ح : « أتعرض له » .

حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلتُ في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقاً من أن أشاعه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدَّع^(١) بعيره ، وحوَّلَ رجليه ، وشنق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تتركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهَّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ! كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبدالمطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له^(٤) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزى عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلف أبو لهب^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومخمر^(٦) ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجمر ؛ فلما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهَّز ، فخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السير ؛ ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا^(٧) .

١٢٩٦/١

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تجعل البز والطيب .

(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للفرار .

(٤) لاط له : أربى ، وفي ح والأغاني : « لاط » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧١ - ١٧٤ (طبعة الدار)

(٦) المخمر : العود يتبخر به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ،
وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قریش
المسير ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ؛ فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدى
لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن جُعْشُم المَدْلُجِيّ - وكان من أشرف كنانة -
فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتیکم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن
غير ابن إسحاق - لثلاث ليال خَلَوْنَ من شهر رمضان في ثلثمائة وبضعة
عشر رجلاً من أصحابه ؛ فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة .
فقال بعضهم ، كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر^(٢) رجلاً .

١٢٩٧/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا
أبو إسحاق^(٣) ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أن أصحاب بدر يوم
بدر^(٤) كعدّة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين
جاوَزُوا النهر ؛ فسكت^(٥) .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا أبو مالك الجني ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون
يومَ بدر سبعة وسبعين رجلاً ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ،
وكان صاحبُ راية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب عليه
السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعد بن عبادة^(٦) .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغاني ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا في ط ، و في م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما في ط ، وأبو إسحاق ممن روى عن

البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » . (٥) كذا في ط .

(٦) الأغاني ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجل وأربعة عشر ، من شهد منهم ، ومن ضُربَ بسهمه وأجره ؛ حدثنا بذلك ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

* * *

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضعة عشر رجلا .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨/١

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يَجْزُ^(١) معه إلاّ مؤمن - ثلثمائة وبضعة عشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمن .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّملّي ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : عدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا ميسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لى جالوت ، وكان أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً » .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خلتص طالوت في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ؛ عدة أصحاب بدر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة (١) قيس بن أبي صمصمة أخا بني مازن بن النجار ، في ليال مضت من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر ، يتحسسان (٢) له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعيره ؛ ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قدمهما ؛ فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبلئهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسَلِّح ؛ وقالوا للآخر : هذا مُخَرِّئ ؛ وسأل عن أهلئهما ، فقالوا : بنو النار وبنو حُرَّاق (بطنان من بني غفار) ، فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ،

١٣٠٠/١

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغاني : « يتحسسان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفأل^(١) بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفراء^(٢) ، بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمَنَعُوا عِيَرَهُمْ ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قُريش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المِقْدَاد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ، امضِ لما أمرك الله ، فنحنُ معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٣) ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد - يعنى مدينة الحبشة - لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودَعَا له بخير^(٤) .

~ ~ ~

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدت من المِقْدَاد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبَّ إلىَّ مما فى الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرت وجنتاه ؛ فأناه المِقْدَادُ على تلك الحال^(٥) ، فقال : أبشِرْ يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكوننَّ من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتَح الله لك^(٦) .

~ ~ ~

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبني الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ؛ إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرتهم ؛ إلا ممن دهمته بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم - فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ؛ فولدى بعثك بالحق ، إن استعرضت^(١) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجل واحد ؛ وما نكرك أن تلقى بنا عدونا غداً ! إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك على ثنابا يقال لها الأصافر^(٢) ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة ، وترك الحنان يمينه ؛ - وهو كتيب عظيم كالجبل - ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب^(٣) ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) في بعض النسخ : « الصفياء » .

(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمري » .

١٣٠٣/١

الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممتن أنما ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ؛ فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقتي الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدثني صدقتي فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممتن أنما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماء » ، أمين ماء العراق (١) !

١٣٠٤/١

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلمّا أَمسى بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم ؛ غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجعوا أن يكونا لأبي سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقاً والله ! إنهما لقريش ؛ أخبراني : أين (٢) قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب : العَقَنَقَل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالوا : كثير ، قال : ما عدّتهم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرةً ، قال رسول

(١) سيرة ابن هشام : ٢ : ٦٥ ، والأغاني : ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قال : عَثْبَةُ بْنُ ربيعة ، وشَيْبَةُ بْنُ ربيعة ، وأبو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَأَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنُيَيْيَةٍ ، وَمُنْبِيَةُ ابْنَةُ الْحِجَاكِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو ، ١٣٠٥/١ وعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أُلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذُ^(١) كَيْدِهَا .

قالوا : وقد كَانَ بِسَبْسِ بْنِ عَمْرِو وَعَدِيٍّ بْنِ أَبِي الزَّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى نَزَلَا بِدَرًّا ، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَا شَنًّا^(٢) يَسْتَقِيَانِ فِيهِ — وَمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ عَلَى الْمَاءِ — فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبِسُ جَارَيْتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ^(٣) ؛ وَهُمَا تَتَلَاذِمَانِ^(٤) عَلَى الْمَاءِ ؛ وَالْمَلْزُومَةُ^(٥) تَقُولُ لِمُصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلَ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضَيْكَ الَّذِي لَكَ . قَالَ : مَجْدِيٌّ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ؛ وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبِسُ ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا .

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذِرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَقَالَ لِمَجْدِيٍّ بْنِ عَمْرِو : هَلْ أَحْسَسْتِ أَحَدًا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرُهُ ؛ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبِينَ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنْ لِهَمَا ؛ ثُمَّ انْطَلَقَا . فَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ مَنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أَعْيَارِ بَعِيرَيْهِمَا فَفَشَّتَهُ ؛ فَإِذَا فِيهِ نَوَى^(٦) . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفٌ يَثْرَبُ ! فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَسَاحِلَ

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشن : الزق البالي .

(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

(٤) التلازم : تملق الغريم بغريمه .

(٥) الملزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : « النوى » .

١٣٠٧/١ بها (١) ، وترك بدرًا يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ؛ فقال : إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ؛ فعدّ رجالاً ممن قتل يومئذ من أشرف قريش ؛ ورأيت ضرباً في لبّة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خبياء من أخبية العسكر . إلا أصابه نضح (٢) من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب ؛ سيعلّم غداً من المقتول إن نحن التقينا !

١٣٠٧/١ ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نردّ بدرًا — وكان بدرٌ مؤسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوق كل عام — فنقيم عليه ثلاثاً ، ونشحر الجُزُر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الحُمور ، ونعزف علينا القيآن ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي — وكان حليفاً لبني زهرة وهم بالجحفة : يا بني زهرة ؛ قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ؛ وإتما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة ؛ لا ما يقول هذا — يعني أبا جهل — فرجعوا ؛ فلم يشهدوا زهريّ واحداً ؛ وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقى من قريش بطن إلا نقر منهم ناس ، إلا بني عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نضح ، أى لطح .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين ١٣٠٨/١ بعض قريش مجاورة^(١) ، فقالوا : والله لقد عرّفنا يا بني هاشم - وإن^(٢) خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن^(٣) رجع .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ؛ فإنه قال فيما حدثت عنه : شَخَصَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَدْرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، أَخْرَجَ كَرهًا . فَلَمْ يَوْجَدْ فِي الْأَسْرَى وَلَا فِي الْقَتْلِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَ شَاعِرًا ؛ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :
يَا رَبِّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبًا^(٤) فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ^(٥)
فَلْيَكُنِ الْمُسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٦)

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ؛ خلف العقنقل ، وبطن الوادي وهو يَكْلِيل ، بين بدر وبين العقنقل ؛ الكثيب الذي خلفه قريش ، والقلب^(٧) يبدر في العدوة الدنيا من بطن يَكْلِيل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهسًا^(٨) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبّادِروهم إلى الماء ؛ ١٣٠٩/١ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به^(٩) .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .

(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .

(٥) ابن هشام : « في عصبة مخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار ثلاثمائة أو نحوها .

(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .

(٧) القلب : جمع قلب ، وهو البئر .

(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة ؛ أنهم ذكروا أن الحَبَّاب ابن المُتَدِّر بن الجُمُوح ، قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمتزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بَلَّ هو الرأي والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمتزل ، فانهضْ بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نعور^(٢) ما سواه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فتنزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعُورَت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية^(٣) . ١٣١٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نبئني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؛ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا^(٤) كان ذلك مما^(٥) أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحققت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشدَّ حباً لك منهم ؛ ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه^(٦) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفي ابن هشام : « نعور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلتْ ، فلمّا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تصوّب^(١) من العتقنقل - وهو الكثيب الذي منه جاءوا إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحادّك وتكذّب رسوذك ؛ اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني ؛ اللهم فأحنيهم^(٢) الغداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحدٍ من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل ١٣١١/١ الأحمر ؛ إن يُطيعوه يرشدُوا . وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَةَ الغِفَارِيّ - أو أبوه إيماء بن رَحَضَةَ - بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر^(٣) أهداها لهم ، وقال : إن أحبيتم أن أمدّكم بسلاح ورجال فعلنّا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلتك الرّحم^(٤) ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فلعمري لئن كنّا إنمّا نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة .

فلمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزَام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتل يومئذ ؛ إلا ما كان من حَكِيم بن حِزَام ، فإنه لم يُقتل^(٥) ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجّاني ١٣١٢/١ يوم بدر^(٦) !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

(١) التصوب : الانحدار من علو .

(٢) أحنيهم : أهلكهم .

(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدها جزور .

(٤) ابن هشام : « رحم » .

(٥ - ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا حمير بن وهب الجُمَحِيّ ، فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون^(٢) ؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ ألقوم كمين أم مدد ؟ قال : فضرب في الوادي ؛ حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيتُ - يا معشرَ قريش - الولايا^(٣) تحمل المنايا ، نواضح^(٤) يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم^(٥) منعة ولا مَلْجَأٌ إلا سيوفُهم ؛ والله ما أرى [أن]^(٦) يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

١٣١٣/١ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس^(٧) ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألا تزال^(٨) تذكر منها^(٩) بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمي ! قال : قد فعلت ، أنتَ علىَ بذلك ؛ إنما هو حليفي فعلى عَقْلِهِ ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابن الحنظلية^(١٠) ؛ فإني لأخشى أن يشجر^(١١) أمر الناس غيره -

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية : وهي البرذعة التي تكون تحت الرجل ؛ وفي ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء . ، ثم استعمل في كل يعير ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكلمة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ؛ وهي أسماء بنت مخربة ، أحد بني نهشل

ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام^(١)

حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عثمان^(٢) بن عمرو السهمي، قال: حدثني مسور بن عبد الملك البيربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، قال: بينما نحن عند مروان بن الحكم، إذ دخل حاجبه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام، قال: لائذن له، فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد! ادن، فحال له مروان عن صدر المجلس، حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان، فقال: حدثنا حديث بدر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً. ثم خرجنا حتى نزلنا العدة التي ذكرها^(٣) ١٣١٤/١
الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديتته وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بديتته، واذهب إلى ابن الحنظلية — يعنى أبا جهل — فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجيته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة، لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة متكىء على إيماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسل أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة: بش القال^(٤) هذا! فعند ذلك قامت الحرب^(٥).

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغانى ٤: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا في و، وفي ط: «قال».

(٤) الأغانى: «المقام». (٥) الخبر في الأغانى ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلتقوا محمداً وأصحابه شيئاً ؛ والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فلإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا^(١) منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقت أومُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد تشكّل^(٢) درعاً له من جرابها ؛ فهو يهيئها^(٣) . فقلت : يا أبا الحكم ، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا - للذي قال - فقال : انتفخ والله سحره^(٤) حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعتبة ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلتة جزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال له : هذا حليفك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك^(٥) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ، وحقيب^(٦) أمر الناس ؛ واستوسقوا^(٧) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة .

١٣١٦/١

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل : « انتفخ سحره » ، قال : سيعلم المصفرُ استه من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجليش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجّر^(٨) على رأسه ببرد له .

(١) الأغاني : « ولم تعدوا » .

(٢) نزل : أخرج .

(٣) ابن هشام : « يهينها » ؛ أي يطلّ عليها بمكر الزيت .

(٤) انتفخ سحره ؛ أي رثته ؛ يقال ذلك للبيان .

(٥) انشد خفرتك ؛ أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ؛ لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .

(٦) حقب أمرهم : اشتد .

(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .

(٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئاً الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهديمه أولاً موتاً دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن^(١) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٢) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبباً إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - زعم - أن يُبْرِئَ يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

١٣١٧/١

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعاً إلى المبارزة ، فخرج إليه فتيه من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال له عبد الله بن راحة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ؛ فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفاء كرام ! فبارز عبيدة بن الحارث - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ؛ فأما حمزة فلم يمهل شية أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه^(٣) ، وكرَّ حمزة وعلي^(٤) ١٣١٨/١ بأسيا فهما على عتبة ، فذفقا^(٥) عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاء به^(٥) إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ، فحُثَّها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسْتُ شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطن : اطار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٤) ذفقا عليه : أسرعا لقتله .

(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول :
وَسَلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ ^(١) وَنَذْهَلَ عَنْ أُنْبَانِنَاوَالْحَلَالِيلِ ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار
حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تراحف الناس ؛ ودنا بعضهم
من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى
يأمرهم ؛ وقال : إن اكتفكم القوم فانضحوهم ^(٣) عنكم بالنبل ؛ ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بلر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من
شهر رمضان ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال
محمد بن إسحاق ؛ كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني ١٣١٩/١
حَبَّان بن واسع بن حَبَّان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قَدْحٌ ^(٥) يعدل
به القوم ، فرتب سَوَادٌ ^(٦) بن غَزِيَّة ، حليف بني عدى بن النجار ، وهو
مُسْتَتَل ^(٧) من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه
بالقِدْح ، وقال : اسْتَو يا سَوَاد بن غَزِيَّة ؛ قال : يا رسول الله أوجعتني
وقد بعثك الله بالحق ، فأقْدَتْنِي ^(٨) . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بطنه ثم قال : اسْتَقِدْ ، قال : فاعتنقه وقبّل بطنه ، فقال : ماحملك

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمي به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغاني ٤ : ١٩٠ .

(٥) القَدْح : السهم .

(٦) كذا في ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستتل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنصل » .

(٨) أقْدَتْنِي : أي اقتص لي من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضرَ ما ترى فلم آمنَ القتلَ . فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمَسَّ جلدِي جلدَكَ . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصَّغُوفَ ، ورجع إلى العرش ، ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول : اللهمَّ إنك إن تهلكَ هذه العصابة اليوم — يعنى المسلمين — لا تُعبدَ بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله ، بعضُ مناشدتك ربك ! ، فإن الله عزَّ وجلَّ منجزٌ لك ما وعدك^(١) . ١٣٢٠/١ .

فحدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : حدثني سماك الحنفي ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعيدهم ، ونظر إلى أصحابه نيِّفاً على ثلاثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهمَّ أنجزْ لي ما وعدتني ، اللهمَّ إن تهلكَ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبدَ في الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي وأنت وأمي ، مناشدتك ربك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبِدِّكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾^(٢) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا الثَّقَفِيُّ — يعنى عبد الوهاب — عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قال وهو في قبته يوم بدر : اللهمَّ إني أسألكَ عهدك ووعدك ؛ اللهمَّ إن شئت لم تُعبدَ بعدَ اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبير في التفسير ١٣ : ٤٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُزَمُّ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۚ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خفقت (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثيابه النقع (٣) . قال : وقد رمى ميهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ؛ فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض فقتل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم ، ونفل كل امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ؛ إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحسام ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ (٤) ، فإبني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل (٥) وهو يقول :

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمِلَ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةٌ النَّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوف بن الحارث - وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر في الأغاني ٤ : ١٩٢

(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .

(٣) النقع : التراب .

(٤) بخ ، بكسر الخاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .

(٥) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ^(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فترع درعًا كانت عليه ، فقذفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدثني محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُدْرِيّ ، حليف بنى زُهْرَةَ ، قال : لما التقى النَّاسُ ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقْطَعْ عَنَّا الْإِلْحَمَ ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ ؛ فَأَحْنِهِ^(٣) الغداة ، فكان هو المستفتح^(٤) على نفسه .

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَقْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شأهت الوجوه ! ثم نَقَحَهُمْ بِهَا ، وقال لأصحابه : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قَتَلَ مِنْ صناديد قريش ، وأسير مَنْ أسير منهم . فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن مُعَاذٍ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متوشحًا السيف ، فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - فى وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيَةَ لَمَّا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس !
قال : أجلُ والله يا رسولَ الله ! كانت أولُ وقعة أوقعها الله بالمشركين ؛ فكان الإِثْحَانُ فى القتل أعجبَ إلىَّ من استبقاء الرجال^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبَّد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أى ما يرضيه غاية الرضا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ . (٣) أحنه : أهلكه .

(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغاني ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إننى قد عرفت أن رجالات من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مستكرهاً .

قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبنائنا وإخواننا وعشيرتنا ، وترك العباس ! والله لئن لقيته لألحمته^(١) السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبى حذيفة ، يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب^(٢) عنقه بالسيف ؛ والله لقد نافق .

قال^(٣) عمر : والله إنه لأوّل يوم كنتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٢٤/١
بأبى حفص -

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمين من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة . فقتل يوم اليامة شهيداً .

قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البختري ؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شئ يكرهه ؛ وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، فلقيه المجذّر بن زياد البلوى ، حليف الأنصار من بنى عدى ، فقال المجذّر بن زياد لأبى البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك - ومع أبى البختري زميل^(٤) له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث . واسم أبى البختري العاص بن هشام

(١) لأحمته ، أى لأطعن لحمه بالسيف ولأخالطه . وقال ابن هشام : « ويقال : لأحمته بالسيف » ، أى لأضربه به فى وجهه .

(٢) و : « فلا أضرب » ، وكذلك فى ابن هشام .

(٣) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذى يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ؛ ما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك ، قال : لا والله إذاً ، لأموّتنَ أنا وهو جميعاً ؛ لا تحدث عني نساء قریش من أهل مكة أننى تركتُ زميلي حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البخريّ حين نازله المجذّر ، وأبى إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيْلَةٍ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
١٣٢٥/١ فاقبتلا ، فقتله المجذّر بن زياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن زياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : **والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ** ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسرَ فأتيك به ؛ فأبى إلاّ القتال ، فقاتلته فقتلته^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال . وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أميّة بن خلف لي صديقاً بمكة - وكان اسمي عبد عمرو ، فسميتُ حين أسلمتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة - قال : فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتُ عن اسم سَمَّاكَه أبوك ؟ فأقول . نعم ، فيقول : فإننى لا أعرف « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ؛ أما أنت فلا تجبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأحدثتُ معه ؛ حتى إذا كان يومُ بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أميّة ، آخذاً بيده ، ومعى أذراعٌ قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رآني^(٢) قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ،

١٣٢٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغاني ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، هلمّ إذا^(١) . قال : فطرحْتُ الأذراعَ من يدي وأخذت بيده ويد ابنه عليّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قطّ ! أما لكم حاجة في اللبن !^(٢) قال : ثم خرجت أمشي بهما^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخِذٌ بأيديهما : يا عبدَ الإله ، مَنْ الرجلُ منكم ، المُعَلِّمُ بريشة نعامه في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذْ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجهُ إلى رَمَضَاءَ^(٤) مكة إذا حميتْ ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نجوتُ^(٥) ، قال : قلت : أيُّ بلال ، أسيرى^(٦) ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمع^(٧) يا ابن السوداء ! قال : لانجوتُ إن نجوا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أمية ابن خلف ، لانجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسكة^(٨)

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرفي اقتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغاني ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الرضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) في ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سيري » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسميع : التشهير .

(٨) في مثل المسكة ، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحذقوا بنا .

وأنا أذُوبُ عنه^(١) ، قال : فضرب رجلُ ابنه فوقه . قال : وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط . قال : قلت : انج بنفسك ، ولا نجاء ، فوالله ما أغشى عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما^(٢) بأسيا فهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أذراعى وفجعتى بأسيرى^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن ابن عباس ، أن ابن عباس ، قال : حدثني رجلٌ من بني غفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمِّ لي حتى أضعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مشرِّكان ، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فنذهب مع من ينهب . قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حَمَحَمَةَ الخيل ، فسمعت قائلاً : ١٣٢٨/١ يقول : أقدم حيزُوم^(٤) . قال : فأما ابن عمِّي فأنكشف ، قيناعُ قلبه فأت مكانه ، وأما أنا فكدتُ أهلك ، ثم تماسكت^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني - وكان شهيداً بدر - قال : إني لأتبعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصلَ إليه سني ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حدثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، قال : حدثنا يحيى بن بكير^(٦) ، قال : حدثنا محمد بن يحيى الإسكندراني عن العلاء بن

(١) في ابن هشام بعدهما : « قال : فأخلف رجل السيف » ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سلّه من غده .

(٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الخثني . « قال ابن سراج : أقدم ، كلمة تزجر بها الخيل ، وحيزوم

اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : حيرون .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف، قال: قال لي أبي: يا بني، لقد رأيتنا يوم بدر؛ وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(١).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدثنى الحسن بن عمار، عن الحكم بن عتيبة، عن ميسم مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين عمام حمراء، ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر. وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومدًا لا يضر بون^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد: وحدثنى ثور بن زيد مولى بني الدليل، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: وحدثنى عبد الله بن أبي بكر، قال: كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى، وقال: اللهم لا يعجزنك، قال: فكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٣) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضرته ضربة أطنت^(٤) قدمه ينصف ساقه؛ فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا النواة تطيح^(٥) من تحت مرصخة^(٦) النوى حين يضرب بها.

(١) الأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف » وفي الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها .

(٤) أطنت قدمه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المرصعة : التي يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربني ابنه عِكْرَمَة على عاتقي ؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجِلْدَة من جنبي ، وأجهضني^(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامّة يومي ، وإني لأسحبها خلفي ؛ فلما آدَتْنِي جعلت عليها رجلي ، ثم تمسّطت بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش مُعَاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل - وهو عقير^(٢) - مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته^(٣) ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قُتِل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما بلغني : انظروا إن خفيَ عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته ؛ فإنّي ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشف منه ييسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فسَجَّحِشَ^(٤) في إحداها جَحْشًا لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّثَ^(٥) بي مرّة بمكة ، فأذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدوّ الله ! قال : وبما ذا أخزاني ! أعمدُ من رجل قتلتموه^(٦) ! ١٣٣١/١ أخبرني لمن الدبرة ؟ [اليوم]^(٧) قال : قلت : لله ولرسوله^(٨) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رُوَيْعِي الغنم مرتقى صعباً ! ثم احتزرت رأسه ؛ ثم جثت به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله

(١) أجهضني : غلبني واشتد على . (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) سجّحش : خدش .

(٥) ضبّث ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .

(٦) يقال : أعمد من رجل قتلته قومه ، أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتلته قومه !

أي أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغاني . (٨) سيرة ابن هشام ٧١ : ٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : آله الذى لا إله غيره^(١) ! — وكانت يمينُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم . قال : فحمد الله^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالقتل أن يُطرحوا فى القليب^(٣) طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه انتفخ فى درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزاييل^(٤) فأقروه ، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب ، وقف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ! فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقًا . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قومًا موتى ! قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حق ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»^(٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو يقول من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبى جهل بن هشام — فعدّدَ مَنْ كان معهم فى القليب : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني

(١) قال السهيلي : «الله الذى لا إله إلا هو» ، هو بالخفض عند سيويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوض عن الخافض عنده .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزاييل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ربِّي حقًّا ! قال : المسلمون : يا رسولَ الله ؛ أتنادى قومًا قد جَيَّفُوا^(١) ! فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني بعضُ أهلِ العلم ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القليب ، بشس عشرة النبيَّ كنتم لنييتكم ! كذبتموني وصدقتني الناس ، وأخرجتموني وآواني النَّاس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس . ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟ للمقالة التي قال . قال : ولا أمر بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلْقُوا في القليب ، أخذ عتبة بن ربيعة ١٣٣٢/١ فسحب إلى القليب ، فنظر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ؛ فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال : يا أبا حذيفة ؛ لعلَّكَ دخلكَ مِن شأن أهلك شيء ! - أو كما قال صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : لا والله يا نبيَّ الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ؛ ولكنِّي كنتُ أعرف من أبي رأيًا وحِلْمًا وفضلًا ؛ فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ؛ فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، حزنَّتي ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيرًا .

ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أمر بما في العسكر ممَّا جمَعَ الناس فجُمِع ؛ فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَنْ جمعه : هولنا ؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يحرسون رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ به منَّا ؛ لقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيفوا : أي صاروا جيفًا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغاني ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه مَنْ يَمْنَعُهُ ؛ ولكن خَفْنَا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كَرَّةَ العدوِّ ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقَّ به منَّا^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ١٣٣٤/١
وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ؛ حين اختلفنا في النَّفْل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسّمه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاءٍ — يقول على السَّوَاءِ — فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثمّ بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوّينا التراب على رقيّة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان .

قال : ثمّ قدم زيد بن حارثة فجثته وهو واقف بالمصلّي قد غشيه الناس وهو يقول : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البَخَرِيّ بن هشام ، وأمّية بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبة أحقُّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنَيَّ . ثمّ أقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفْل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفْلِ عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النّجار . ثمّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء ، نزل على كَثِيب بين المضيق وبين النازية — يقال له سَيْر — إلى سَرْحَةٍ به ، فقسّم هنالك النَّفْل ١٣٣٥/١

الَّذِي أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْأُرْوَاقُ .

ثم ارتحل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء ، لقيَهُ المسلمون يُهَنِّئُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رُومَانَ : وَمَا الَّذِي تُهَنِّئُونَ بِهِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صَلُعًا كَالْبُدُنِ الْمَعْقَلَةِ ، فَنَحْرِنَاهَا . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا بَنِي أَخِي ، أُولَئِكَ الْمَلَأُ^(١) . قَالَ : وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسَارَى مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلِ مِثْلُ ذَلِكَ - وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ - حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفْرَاءِ ، قَتَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعَرْقِ الظُّبَيْةِ ، قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ : فَنُ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ الْأَنْصَارِيَّ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي عُمَرَ بْنِ عَوْفٍ .

قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَرْقِ الظُّبَيْةِ حِينَ قَتَلَ عُقْبَةَ لَقِيَهُ أَبُو هِنْدٍ مَوْلَى قُرَّةَ بْنِ عَمْرِو الْبَيْضَاضِيِّ بِحَمِيَّتٍ مَمْلُوءٍ حَيْسًا^(٣) ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) المَلَأُ : الْأَشْرَافُ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، والأغاني ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَمِيَّةُ : « الزَّقْ . وَالْحَيْسُ : السَّمْنُ يَخْلَطُ بِالْخَمْرِ وَالْأَقْطُ » .

وكان حجّام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأُنكحوه وأنكحوها إليه ، ففعلوا . ثم مضى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرّارة ، قال : قدِم بالأسارى حين قدِم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عند آل عَفْرَاء في منّاحتهم على عتوّف ومعوذ ابنتي عفراء - قال : وذلك قبل أن يُضربَ عليهنّ الحجاب - قال : تقول سودة : والله إني لأعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِيَ بهم ، قالت : فَرَحْتُ إلى بيتي ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتُم بأيديكم ، ألاّ متّم كراما ! فوالله ما أنبهنّني إلّا قولُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ؛ والَّذي بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيدَ مجموعةً يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني ثُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدّار ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيرا - قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى - قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسيرني ، فقال : شدّ يديك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلها أن تفتديتهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ ؛ فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لإياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفخني بها . قال : فأستحي ، فأردّها على أحدهم فإردّها عليّ ما يمسّها^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمُصاب قريش الحَيَّسُمَان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعَةَ بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعيّ — قال أبو جعفر : وقال الواقديّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعيّ — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترى بن هشام ونُبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلمّا جعل يعدّ أشراف قريش ، قال صفوان بن أمّية وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فسلّوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكمّ إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبتّه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القيداح ، أنحتُها في حَجْرَةٍ
 زمزم ، فوالله إنني لجالس فيها أنحت القيداح ، وعندى أم الفضل جالسة ،
 وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لبب يجر رجليه بشر ،
 حتى جلس على طُنْبُ الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ؛ فبينما هو جالس
 إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال :
 فقال أبو لبب : هلم إلى يا بن أخي ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ،
 والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني ؛ كيف كان أمر الناس ؟
 ١٣٤٠/١ قال : لا شيء ؛ والله إن كان إلا أن لقيناهم ، فنحنهم أكفأنا ، يقتلوننا
 ويأسرون كيف شاءوا ؛ وإيم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ؛ لقينا
 رجلاً بيضاً على خيل بلقي بين السماء والأرض ؛ ما تليق^(١) شيئاً ولا يقوم
 لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنْبُ^(٢) الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك
 الملائكة . قال : فرفع أبو لبب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال :
 فتاورته^(٣) ، فاحتملني ، فضرب بي الأرض ثم برك على يضر بني - وكنت رجلاً
 ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود الحجرة ، فأخذته فضرته به
 ضربة فشجّت^(٤) في رأسه شجّة منكورة ، وقالت : تستضعفه أن غاب عنه سيده!
 فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله عز وجل بالعدسة^(٥)
 فقتلته ، فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنه حتى أنتن في بيته - وكانت
 قريش تتقى العدسة وعدوتها كما يتقى الناس الطاعون - حتى قال لهما
 رجل من قريش : ويحكمما ! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته
 لا تغيبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا فأنا معكما ،
 فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسون ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى
 مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه^(٦) .

(١) ما تليق : ما تبقى .

(٢) طنْب الحجرة : طرفها .

(٣) تاورته : وثبت إليه .

(٤) كذا في الأغاني ، وفي ط : « فلققت » .

(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لما أُمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبوسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أوّل ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة بن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ؛ لقد أعاني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت^(٢) بهم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم^(٣) ؛ لا يتأرب^(٤) عليكم محمد وأصحابه في الفداء^(٥) .

(١) الأغاني ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغاني : « فيشمتوا » .

(٣) حتى تستأنوا بهم : أي تؤخروا فداءهم ، وفي الأغاني : « حتى تياسلوا » .

(٤) يتأرب : يتأبى ويشدد . وفي السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يأرب » ، وأرب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغاني ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطَّلَب^(١) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعَةُ بن الأسود ؛ وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ، وكان يحب أن يبكي على بنيه ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحلَّ النَحْبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلني أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَةَ - فإنَّ جَوْفِي قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته . قال : فذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٢)
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ^(٣)
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَخَزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ^(٤)
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ^(٥)
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي^(٦) جَمِيعًا فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رَجَالٌ وَلَوْ لَا يَوْمٌ بِذْرِ لَمْ يَسُودُوا^(٧)

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ابناً تاجراً كيساً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب^(٨) عليكم محمد وأصحابه ، قال المطَّلَب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى - : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

(١) كذا في السيرة ؛ وهو الموافق لما في حسانة أبي تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفي ط : « ابن عبد يغوث » .

(٢) حسانة أبي تمام - بشرح التبريزي ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الجلود ، أى تواضعت المحظوظ .

(٤) سراة : جمع سري ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكاء بالتضعيف ، كبكاء المخفف .

(٦) لا تسمى مخفف « لا تسمى » .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرب » .

ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فقدم ميكراز بن حفص ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم^(١) من شقته السفلى^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

فحدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عيَّاش^(٣) بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انتزع ثيبتى سهيل بن عمرو السفليتين يدلع^(٤) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثلُ به فيمثل الله بي ؛ وإن كنت نبيا .

قال : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنّه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمّه ؛ فلما قاوهم فيه ميكراز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، واخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلّوا سبيل سهيل ، وجسوا ميكرازا مكانه عندهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبّاس ، اقد نفسك وابني^(٦) أخيك عقيّل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحّهم ، أخا بني الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغاني ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبتّه ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلع : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغاني : « ابن » .

فقال : يا رسول الله ؛ إننى كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنَّ القوم استكروهونى ، فقال :
 الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقًا فالله يجزيك به ، فأما ظاهرُ
 أمرِكَ فقد كان علينا ، فافد نفسك - وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب - فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها
 لى فى فدائى ، قال : لا ؛ ذاك شىء أعطانا الله عز وجل منك ، قال : فإنه
 ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعته بمكة حيث خرجت من عند
 أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلت لها : إن أصيبتُ فى
 سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، وليقُسم كذا وكذا ،
 ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : والذى بعثك بالحق ما عليم هذا أحد
 غيبرى وغيرها ؛ وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ففدى العباس نفسه وابنى^(١)
 أخيه وحليفه^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ،
 قال : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان
 عمرو بن أبى سفيان بن حرب - وكان لابنة عقبة بن أبى معيط - أسيرًا فى
 يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر ، فقيل لأبى سفيان :
 افد عَمْرًا ، قال : أيجمع على دى ومالى ! قتلوا حنظلة وأفدى
 عمراً ! دَعَوْهُ فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك محبوسٌ
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج سعد بن النعمان بن أكال ،
 أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمرًا ، ومعه مَرِيَّة^(٣) له ؛
 وكان شيخاً كبيراً مسلماً فى غنم له بالنقيع^(٤) ؛ فخرج من هنالك معتمرًا ؛
 ولا يخشى الذى صنَّع به ؛ لم يظن أنه يُحبس بمكة ؛ إنما جاء معتمرًا ؛

(١) الأغاني : « وابن أخيه » .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مريّة ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما فى ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع :
 موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهده قريشا لا تعرض لأحد حاجاً أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكة بابه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنُ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاةَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(١)
فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو لثَامٌ أَذِلَّةٌ لَنْ لَمْ يَفُكُّوا عَنْ أُسِيرِهِمُ الْكِبَلَا

قال : فشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا شيخهم ؛
ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى
سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن
عبد شمس^(٢) ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زينب ، وكان
أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد
[وكانت]^(٣) خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يزوجه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزل عليه ، فزوجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عز وجل
رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته وشهدن^(٤) أن ما جاء
به هو الحق ؛ ودنّ بدينه ؛ وثبت أبو العاص على شريكه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب
إحدى ابنتيه رقية أو أمّ كلثوم ؛ فلما بادی قريشاً بأمر الله عز وجل
وباعده^(٥) ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من حمة ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلوه
بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبك ؛ ونحن ١٣٤٧/١

(١) كذا في السيرة ، و ، وفي ط : « تفاقدم » .

(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(٣) من ابن هشام .

(٤) م : « وشهدت » .

(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزّوجك أي امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذا ؛ لأفارق صاحبتني وما أحب أن لي بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسب عليه في صهره خيراً - فيما بلغني .

قال : ثم مشوا إلى الفاسق ابن الفاسق ، عتبة بن أبي لب ، فقالوا له : طلق ابنة محمد ونحن نزّوجك أي امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتهما . فزوّجه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدوّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ؛ فخلف عليها عثمان بن عفان بعده ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحِلّ بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ؛ إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شركه ؛ حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ؛ فأصيب في الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنسب عليها .

قالت : فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه - أو وعَدَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - أن يخلّيَ سبيلَ زينبَ إليه، أو كان فيما شرطَ عليه في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فيعلم ما هو ! إلاَّ أنَّه لما خرج أبو العاصِ إلى مكَّة وخُلّيَ سبيلُه، بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بنَ حارثةَ ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطنِ يابَجْج ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباهما ، حتى تأتيا نِي بها ، فخرجا مكانهما ؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعَه^(١) . فلما قدِمَ أبو العاصِ مكَّةَ أمرها باللاحق بأبيها ؛ فخرجت تجهز^(٢) .

فحدثنا ابنُ حُميد قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بنِ إسحاق ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حَدَّثَتْ عن زينب أنَّها قالت : بينا أنا أتجهزُ بمكَّةَ للتحق بأبي ، لقيتني هند بنت عُسَبة ، فقالت : أَى ابنة محمد^(٣) ؛ ألم يَبْلُغْنِي أَنَّكَ تريدن اللّٰهوق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أَى ابنة عَمِي ، لا تفعلِي ؛ إن كانت لك حاجة بمناع مما يرفُق بك في سفرك ، أو بمال تبْلُغين^(٤) به إلى أبيك ، فإنَّ عندي حاجتك فلا تضطنني^(٥) مني ؛ فإنَّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلاَّ لتفعل . قالت : ولكنني خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهزُ .

فلما فرغت ابنةُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من جِهازها قدِمَ لها حمُوها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقودُ بها ، وهي في هودج لها . وتحدثَ بذلك رجال قريش ،

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تبْلُغين » .

(٥) لا تضطنني : لا تستحي ، وأصله الهمز ؛ يقال : اضطأنت المرأة : استحييت ؛

فحذفت الهزة تخفيفاً .

فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طَوَّى ، فكان أول مَنْ سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطَّلَب بن أسد بن عبد العزَّى ونافع بن عبد القيس ، والفهرى^(١) . فروعها هَبَّار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملا؛ فيما يزعمون - فلما رجعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حموها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجلٌ إلَّا وضعت فيه سهما ، فتكركر^(٢) النَّاس عنه ، وأتاه أبو سفيان في جَلَّة قريش ، فقال : أيها الرجل ، كف عنا نَبْلِكَ حتى نكلِّمك ، فكف . فأقبل أبو سفيان حتَّى وقف عليه ، فقال : إنَّك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظنَّ الناس إذا خرَّج بابتته علانية من بين أظهرنا أنَّ ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأنَّ ذلك منا ضعفٌ ووهنٌ ؛ لَعَمْرِي ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، ومالنا في ذلك من ثورة^(٣) ؟ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدا الصوت ، وتحدث النَّاس أنا قد رددناها ، فسَلَّها سرًّا فألحقها بأبيها^(٤) . ففعل حتى إذا هدا الصوتُ خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقد ما بها على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

١٣٥٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكَّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، قد فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج تاجرًا إلى الشام - وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلا ؛ لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربًا ، فلما قدِمَت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « الفهرى » ؟ . وما أثبتته من الروض الأنف . قال السهيلي : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .

(٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٣) الثورة : طلب الثأر .

(٤) م : « بأهلها » .

صَلَّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارتها في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبْح - فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة (١) النساء : أيها الناس ، إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الصلاة ، أقبل على النَّاس ، فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما وَالَّذِي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أذناهم . ثم انصرف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل على ابنته ، فقال : أَي بِنْتِةُ أكرمى مثواه ولا يخلصُ إليك ، فإنك لا تحلين له (٢) .

١٣٥١/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعث إلى السريَّة الذين أصابوا مالَ أبي العاص ، فقال لهم : إنَّ هذا الرَّجُلَ مِنَّا حيث قد علمتم ، وقد أصبَّتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له ؛ فإننا نحب ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فتىء الله الذي أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقَّ به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نرده عليه !

قال : فردوا عليه ماله حتى إنَّ الرجلَ ليأتى بالحبل (٣) ، ويأتي الرجلَ بالسَّنة (٤) والإداوة (٥) ؛ حتى إنَّ أحدهم ليأتى بالشُّظاظ (٦) ؛ حتى ردُّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكَّة ، فأدَّى إلى كلِّ ذى مال من قريش

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) السنة : السقاء البالي .

(٥) الإداوة : إفاء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل في عروة الجوالق ، والجمع أشظة .

ماله ممن كان أبْضَعَ معه، ثم قال : يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفيّاً كريماً ، قال : فإنني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ؛ والله ما منعني من الإسلام عنده إلاَّ تخوُّفُ أن تظنوا أنني إنما أردت أكلَ أموالكم ؛ فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ^(١) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم زينب بالنكاح الأول ، ولم يُحدِث شيئاً بعد ست سنين ^(١) .

• • •

حدثنا ابنُ حُميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحجر - وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إن في العيش خير بعدهم ، فقال عُمير : صدقت والله ! أما والله لو لا دين على ليس له عندي قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلكم علةٌ ، ابني أسيرٌ في أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتسب على شأني وشأنك : قال : أفعل .

١٣٥٣/١

قال : ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ له وسماً ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به ، وما أراهم في عدوهم ؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرش^(١) بيننا ، وحرزنا^(٢) للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله علي .

قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبّ به ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ! قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني بالذي جئت له ، قال : ما جئت إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عز وجل حائل بيني وبينك .

١٣٥٤/١

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ؛ قد كنّا يا رسول الله نكذبك بما كنت

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحرز : تقدير العدد تحميته .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتقهُوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرة .

قال : فتعلموا ، ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جَاهِدًا في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعُوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير (١) .

• • •

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسير سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ،

١٣٥٥/١

فيكونوا لنا عَضُدًا . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكِّنني من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكِّن حمزة من أخ له فيضربَ عنقه ، وتمكِّن عليًّا من عَقِيل فيضربَ عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَةٌ للكُفَّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلتُ أنا ، فأخذ منهم الفداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو قاعدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلتُ : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجدُ تبًا كيتُ لبكائكما . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : للذي عرضَ عليَّ أصحابُك من الفداء . لقد عُرِضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ؛ ثم أحلَّ لهم الغنائم .

فلمَّا كان من العام القابل في أحد عُوُقُيُومًا بما صنعوا ، قُتِلَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيته وهُشِمَتِ البَيْضَةُ على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرَّ أصحابُ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقُولُوا هَذِهِ نَفْسُي وَأَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿ إِذْ تَضِعُّونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ الْقَمِّ أَمَنَةً ﴾ ^(٢) .

(١) سورة الأنفال ٦٧

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

حدثني سلم بن جندادة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وحيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وأديباً كثير الخطب فأدّخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعته رحمتك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبهم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ^(١) ؛ وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ^(٤) ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ^(٥) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحد إلا بغياء أو ضرب عنق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل ابن بيضاء ؛ فلم يسمعه يذكر الإسلام . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة نوح ٢٦

(٥) سورة يونس ٨٨

فأرأيتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم ؛ حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلا سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُمْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن اسحاق : لما نزلت - بمعنى هذه الآية : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُمْرَى ﴾ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عذاب من السماء لم ينسج منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبي الله ، كان الإثخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

* * *

قال أبو جعفر : وكان جميع من شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانين رجلاً في قول ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : وجميع من شهد من الأوس معه ومن ضرب له بسهمه واحد وستون رجلاً . وجميع من شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلاً في قول ابن إسحاق ، وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

وكان المشركون - فيما زعم الواقدي - تسعمائة وخمسين مقاتلاً ؛ وكانت خيلهم مائة فرس .

ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ جماعة استصغروهم - فيما زعم الواقدي - فمنهم فيما زعم عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسيّد بن ظهير ، وعمير بن أبي وقاص ثم أجاز عميراً بعد أن رده فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحَةَ بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، إلى طريق الشام يتحسّسان الأخبار عن العير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فَتَقَدَّماها يوم وقعة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بتربّتان ؛ وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

* * *

قال الواقدي : كان خروج رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من المدينة في ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ، أحدهم عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بعهما يتحسّسان الخبر عن العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلفه على المدينة ، وعاصم بن عديّ بن العجلان ؛ خلفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصمة ؛ كسّر بالروحاء ، وهو من بني مالك بن النجار ، وخوات بن جبير ، كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيرا ، والخيل فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد بن أبي مرثد .

١٣٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر المشركين يوم بدر مُصَلَّتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونِ الدُّبُرَ ﴾ ^(١) .

قال : وفي غزوة بدر انتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار ،

وكان لمُنَبِّه بن الحجاج .

قال : وفيها غم جمّل أبي جهل ؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعِينُوا عليه أحدًا ؛ وأنّه إن دَهَمَهُ بها عَدُوٌّ نصره . فلمّا قَتَلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مَن قتل ببدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغى ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحسِنُ القتال ؛ ولو لقيَنا لاقى عندنا قتالًا لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظهروا نقضَ العهد .

* * *

غزوة بني قينقاع

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينقاع ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عزّ وجلّ مثل ما نزل بقريش من النّقمة ، وأسلموا ؛ فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إنك ترى أنا كقومك ! لا يغرّك أنّك لقيت قومًا لا علّم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ؛ إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنّنا نحن الناس ^(١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع كانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر :

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريلُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ^(١) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يطلعُ منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثفوا وهو يريد قتلهم ، فكلمهم فيهم عبد الله بن أبي .

• • •

١٣٦٠/١

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سكلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى — وكانوا حلفاء الخزرج — فأبطأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسن في وجهه ظللاً ^(٢) — يعني تلونا — ثم قال : ويحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى . أربعمائة حاسروا ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك ^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللاً » ، وهما جمع ظلة ، وهي السحابة ، استعارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلالهم ، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ؛ إنّما كانوا صاغّة - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ؛ وكان الذى ولى إخراجهم من المدينة بذرائعهم عبادة بن الصامت ، فضى بهم حتى بلغ بهم دباب^(١) وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر .

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خميس خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية^(٢) والخميس سهمه ، وفَضَّ^(٣) أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خميس قبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ليواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قينقاع لواء أبيض ، مع حمزة بن عبد المطلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذى الحجة ، وخرج بالناس إلى المصلّى فصلّى بهم ، فذلك أول صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلّى في عيد ، وذبح فيه بالمصلّى بيده شاتين - وقيل ذبح شاة .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مبشر ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول : لما رجعنا من بنى قينقاع ضحينا في ذى الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس وياقوت . (٢) الضى : سهم الرئيس من الغنمة .

(٣) يقال : فض الشيء على القوم ؛ أى فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا في بني سلمة فعدت في بني سلمة سبع عشرة أضحية .

• • •

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق فلم يُوقَّتْ لغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاها بني قَيْنُقَاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السيوق وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد غزوة قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبحرآن ، متعدينا بالحجاز من ناحية القرع^(١) .

١٣٦٣/١

وأما بعضهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بني قَيْنُقَاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما غزاهم لتسع ليالٍ خَلَونَ من صفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانٍ ليالٍ بقينَ من رمضان ، وأنه أقام بها بقيّة رمضان . ثم غزا قَرْقَرَةَ الكُدُر حين بلغه اجتماع بني سُلَيْمٍ وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابنُ حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يقيم بالمدينة إلا سبع ليالٍ ؛ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدُر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة ، وفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش^(٢) .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي صلى الله عليه وسلم الكُدُر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبى طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المَعِصِيَّ على المدينة .
 وقال بعضهم : لمّا رجع النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر
 إلى المدينة ، وقد ساق النّعم والرّعاء ولم يلق كيداً . وكان قدومه منها - فيما
 ١٣٦٤/١ زعم - لعشر خَلَائِفٍ من شِوَال ، بعث غالب بن عبد الله اللّيثيّ يوم الأحد
 لعشر ليال مضيين من شِوَال إلى بنى سليم وغطفان في سَرِيَّةٍ ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا
 النّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من
 شِوَال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
 أقام بالمدينة إلى ذى الحجة ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غزا يوم
 الأحد لسبع ليال بقيت من ذى الحجة غزوة السَّوِيق .

• • •

غزوة السَّوِيق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ
 حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ
 الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر إلى المدينة ، أقام بها بقيّة شِوَال
 من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة
 السَّوِيق في ذى الحجة . قال : ووَلِيَّ تلك الحجة المشركون من تلك
 السّنة ^(١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بنِ إسحاق ،
 عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومَنْ لا أتهم ، عن عبيد الله
 ابن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن
 حرب حين رجع إلى مكّة ، ورجع فلّ ^(٢) قريش إلى مكّة من بدر ، نَدَرَ
 ألاّ يمسّ رأسه ماء من جَنَابَةٍ حتى يغزوَ محمداً . فخرج في مائتي راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

(٢) الفلّ : القوم المنهزمون .

من قريش ، لِيُبِيرَ يَمِينَهُ ، فسلك النَّجْدِيَّةَ حَتَّى نَزَلَ بِصُدُورِ قَنَاةٍ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ تَيْتٌ ، مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَأَتَى حَيْثَى بْنَ أَخْطَبٍ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَخَافَهُ ، فَأَبَى فَانْصَرَفَ إِلَى سَلَامَ بْنِ مِشْكَمٍ - وَكَانَ سَيِّدَ النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ ، وَصَاحِبَ كَثَرِهِمْ ^(١) - فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرَأَهُ وَسَقَاهُ ، وَبَطَّنَ ^(٢) لَهُ خَبَرَ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَتَمَةِ لَيْلَتِهِ ؛ حَتَّى جَاءَ أَصْحَابُهُ ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَتَوْا نَاحِيَةَ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا الْعُرَيْضُ ، فَحَرَّقُوا فِي أَصْوَارِ ^(٣) مِنْ نَخْلٍ لَهَا ، وَوَجَدُوا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرِّثَ لَهَا فَمَقَتْلُوهُمَا ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ؛ وَتَدَرَّ بِهَمَّ النَّاسِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلِبِهِمْ ، حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدَّرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا ، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْ مَزَاوِدِ الْقَوْمِ مَا قَدْ طَرَحُوهُ فِي الْحَرِّثِ ؛ يَتَخَفَّقُونَ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ . فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْطَمَعَ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ^(٤) .

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعري حُرِّضَ قُرَيْشًا :

١٣٦٦/١

كُرُّوا عَلَى يَثْرَبٍ وَجَمْعِهِمْ فَإِنَّ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَفْلُ
إِنْ يَكُ يَوْمُ الْقَلِيبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دَوْلُ
آلَيْتُ لَا أَقْرَبُ النِّسَاءِ وَلَا يَمَسُّ رَأْسِي وَجِلْدِي الْفُسْلُ
حَتَّى تُبِيرُوا قِبَالَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعْلُ
فَأُجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

تَلَهَّفُ أُمُّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ الْفَسْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَمِّ الطَّيْرِ تَرْقَى لَقْنَةُ الْجَبَلِ

(١) الكثر هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهامهم ونوائهم .

(٢) بطن له ، أى أعلمه سرهم .

(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بجمع لو قيس مبركة ما كان إلا كفحص الدليل^(١)
عاري من النضر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحواً مما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه قال : فرّ - يعني أبا سفيان - بالعرينض ، برجل معه أجبر له يقال له معبد بن عمرو ، فقتلها وحرّق آياتاً هناك وتبناً ، ورأى أن^{١٣١٧/١} يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويتخفون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُميت غزوة السويق .

وقال الواقدي : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعنى سنة اثنتين من الهجرة - في ذي الحجة عثمان بن مظعون ، فدفنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيع ، وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .

وقيل : إن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وُلد في هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن ابن أبي سبيّة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى

(١) البيت في اللسان (دال) ، وروايته :

جاءوا بِجَمْعٍ لَوْ قَيْسَ مُعْرَسُهُ مَا كَانَ إِلَّا كَمُعْرَسِ الدَّلِيلِ

بفاطمة عليها السّلام في ذى الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السّنة كتب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المعاقيل^(١) فكان معلقاً بسيفه .

(١) المعائل : جمع معقلة ، بضم القاف ؛ وهي الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذي أمر]

فحدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجة والمحرم ، أو قريباً منه ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ؛ وهى غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفرّاً كلّهُ أو قريباً من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ ١٣٦٨/١ كيداً ، فلبث بها شهر ربيع الأول كلّهُ إلا قليلاً منه .

ثم غزا يريد قريشاً وبنى سُلَيْم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً^(١) .

• • •

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفى هذه السّنة سرّى النّبي صلى الله عليه وسلم سريةً إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقديّ أن النّبيّ وجهه من وجهه إليه فى شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابنِ الأشرف أنّه لمّا أُصيب أصحاب بدر ؛ وقَدِمَ زيد بن حارثة إلى أهل السّافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية^(٢) بشيرين ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه وقتل من قُتِل من المشركين ؛ كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابنِ أبى بُردة بن أسير الظّفَرِيّ ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أمامة بن سهل ، قال : كلُّ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعائرها إلى تهامة ، وما كان

دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء ،
ثم أحد بني نَبْهَان ، وكانت أمّه من بني النَّضِير ، فقال حين بلغه الخبر :
ويلكم أحقُّ هذا ! أترون أن محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمّى هذان الرجلان
- يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك
الناس . والله لأن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خيرٌ لنا
من ظهرها (١) .

١٣٦٩/١

فلما تيقن عدوُّ الله الخبر ، خرج حتّى قدم مكّة ، فزل على
المطلب بن أبي وداعة بن ضُبَيْرَة السَّهَمِي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزله وأكرمه ، وجعل يحترض
على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وينشد الأشعار ، ويكي على أصحاب
القتليب الذين أصيبوا بدر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى
المدينة ، فشَبَّ بأُمّ الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحِلُ أنتَ لم تحلِّ بمنقبةٍ وتاركُ أنتَ أمَّ الفضل بالحرَمِ !
صفراء رادةٌ لو تُعَصَّرُ أنعصرت من ذى القوارير والحناء والكُم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها إذا تانت قياماً ثم لم تقم
أشبهُ أمَّ حكيمٍ إذ تَوَاصِلنا والحبلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَدم
إحدى بني عامرٍ جُنَّ القوادُ بها ولو تشله شفتُ كعباً من السقم
فرعُ النساءِ وفرعُ القويمِ والدُّها أهلُ التَّجِلَّةِ والإيفاء بالذَّم
لم أَر شمساً بليلٍ قبلها طلعتُ حتى تجلّت لنا في ليلةِ الظلمِ (٢)

ثم شَبَّ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ؛ فقال النبي صلّى الله
عليه وسلّم كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن
إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة : من لي من ابن الأشرف !

(١) م : « ظاهرها » .

(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ؛ وذكر موضعها أبياتاً مطلعها :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَلِكٍ أَهْلِهِ وَلِئِلْ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَدْمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، ١٣٧٠/١
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة ،
فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . «إلا ما يعلقُ» [به] ^(١) نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟
قال : يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدرى أفي به أم لا ! قال : إنما عليك الجهد ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
في حلٍّ من ذلك !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسليكان بن سلامة بن وقش -
وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرضاة - وعبداد
ابن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ،
أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبيس بن جببر ، أخو بني حارثة . ثم قدّموا
إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سليكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدث
معه ساعة ، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك
يا ابن الأشرف ! إني قد جئتُك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عليّ ، قال :
أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً [علينا] ^(١) عادتنا ^(٢) العرب ورمونا
عن قوسٍ واحدة ، وقطعت عنا السبلُ حتى ضاع العيال ، وجُهِدَتِ
الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدنا وجُهِد عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
أما والله لقد كنتُ أخبرتك يا بن سلامة أن الأمرَ سيصير إلى ما كنت أقول ،
فقال سليكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونترهّنك ونوثق لك ، وتُحسن
في ذلك . قال : ترهّنوني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تفضّحنّا ! إن معي
أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ١٣٧١/١
ذلك ، وترهّنك من الحلقة ^(٣) ما فيه لك وفاء - وأراد سليكان ألا ينكر
السلاح إذا جاءوا بها - فقال : إن في الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سليكان إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) م : « عادينا » .

(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدبلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته في ليلة مقمرة ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعرض - فوثب في ملحفته^(٢) ؛ فأخذت امرأته بناحيتهما ، وقالت : إنك امرؤ محارب ؛ وإن صاحب الحرب لا يتزل في مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو وجدني نائماً لما أيقظني ، قالت : والله إنني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعيت الفتى لطعنة^(٣) أجاب ، فتزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشي إلى شعب العجوز^(٤) فتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يمشون ، فشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ثم مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودي رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ؛ فاختلقت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(٥) في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعت في ثنودته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانتته ، ووقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعض أسيافنا .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحقه : اللباس الذي فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب

ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التي تكون في السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعات حتى أَسْنَدْنَا^(١) في حرّة العُريضة ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزّفه الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتقل على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحِيصَة بن مسعود على ابن سُنينة — رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله — وكان حُوَيْصَة بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّمْ ، وكان أَسَنَ من محيصة — فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله ! قتله !^(٢) أما والله لرُبَّ شَحْم في بطنك من ماله ! قال محيصة : فقلت له : والله لو أمرني بقتلك مَنْ أمرني بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حويصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لَعَجَب ! فأسلم حُوَيْصَة^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَدْخِلَتْ عليه في جمادى

(١) أسند في الحرّة : صعدا .

(٢) ابن هشام : « أقتله ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنمار - ويقال لها : ذو أمر - وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .
قال الواقدي : وفيها ولِدَ السائب بن يزيد ابن أخت النّسّر .

• • •

غزوة القردة

قال الواقدي : وفي جمادى الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القردة وكان أميرهم - فيما ذكر - زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

١٣٧٤/١

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سرية زيد بن حارثة التي بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب غيرَ قريش ، فيها ^(١) أبو سفيان بن حرب ، على القردة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت ^(٢) طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ؛ وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان ، بدلهم على ذلك ^(٣) الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة ، فلقيتهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ^(٤)

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فزعم أن سبب هذه الغزوة كان أن قريشاً قالت : قد عور علينا محمد متّجراً ، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « في ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية: إن أقمتنا بمكة أكلنا رموس أموالنا. قال أبو زمعة^(١) بن الأسود: فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجديّة ، لو سلكها مغمّض العينين لاهتدى . قال صفوان : مَنْ هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ؛ إنّما نحن شاتون . قال : فرات بن حيّان ؛ فدعّوا به فاستأجراه ؛ فخرج بهم في الشتاء ، فسلّك بهم على ذات عِرْق ، ثم خرج بهم على غمّرة ، وانتهى إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خبر العير وفيها مال كثير ، وآتية من فضّه حملها صفّوان بن أميّة ؛ فخرج زيد بن حارثة ، فاجترّضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ؛ فكان الخمس عشرين ألفا ، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقسم الأربعة الأخماس على السريّة ، وأتى بفرات بن حيّان العجلىّ أسيرا ، فقيل : إن أسلمت لم يقتلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما دعا به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أسلم ، فأرسله .

• • •

مقتل أبي رافع اليهوديّ

قال أبو جعفر : وفي هذه السنّة كان مقتل أبي رافع اليهوديّ — فيما قيل — وكان سبب قتله ، أنّه كان — فيما ذُكر عنه — يُظاھر كعبَ بن الأشرف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوجّه إليه — فيما ذُكر — رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنّة عبد الله بن عتيك ، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمدانيّ ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثني إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبي رافع اليهوديّ — وكان بأرض الحجاز — رجالا من الأنصار ، وأمّر عليهم عبد الله بن عتبة — أو عبد الله بن عتيك — وكان أبو رافع يؤذّي رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ويغني عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دَنَوْا منه وقد غربت الشمس ، وراح النَّاسُ بسَرَحهم ، قال لهم عبد الله بن عتبة — أو عبد الله بن

عَتَيْكَ : اجلسوا مكانكم ، فإنى أنطلق وأتلفّ للبواب ، لعلّى أدخل ! قال :
 فأقبل حتّى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل
 النَّاسُ ، فهتف به البوّاب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ،
 فإنى أريدُ أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمّنتُ^(١) تحت آرى^(٢)
 حمار ؛ فلما دخل النَّاسُ أغلق الباب ثم علّق الأقاليد على ودّ^(٣) . قال :
 فقمّت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمرُ
 عنده فى علالي ؛ فلما ذهب عنه أهل سمره ، فصعدتُ إليه فجعلت كلّمًا
 فتحت بابًا أغلقته علىّ من داخل . قلت : إن القوم نذروا بى لم يخلصوا
 إلىّ حتى أقتله . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله ؛
 لا أدرى أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ قال :
 فأهويتُ نحو الصوت ، فأضربهُ ضربة بالسيف ، وأنا دهّش فما أغنى
 شيئًا وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ،
 فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأملك الويل ! إن رجلا فى البيت
 ضربنى قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ
 ضييب^(٤) السيف فى بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أنى قد قتلته ،
 فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلى ،
 وأنا أرى أنى انتهيت إلى الأرض ، فوقعت فى ليلة مقمرة ؛ فانكسرت ساقى ،
 قال : فعصبتُها بعمامتى ، ثم إنى انطلقت حتى جلست عند الباب ، فقلت :
 والله لا أبرح الليلة حتى أعلم : أقتله أم لا ؟ قال : فلما صاح الديك ،
 قام الناعى عليه على السور ، فقال : أننعى أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال :
 فانطلقت إلى أصحابى ، فقلت : النّجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

١٣٧٧/١

(١) م : « فكنت » .

(٢) الآرى : بحسب الدابة .

(٣) الود : الود ، بلفة تميم ، وفى ابن الأثير : « وت » .

(٤) ضييب السيف : حده .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطتها فسحها فكأنما لم أشتكها قط .

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق إنما وجهها إليه في ذى الحجة من سنة أربع من الهجرة ، وأن الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعي ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممن كان حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج - مل الله صلى الله عليه عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ؛ وهو بخب . (١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة

عن

محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري
قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن

والخزرج ؛ كانا يتصاولان (٢) مع

الفحلين ؛ لا تصنع الأوس ؛

غناء (٣) إلا قالت الخزرج

صلى الله عليه وسلم ؛

رسول الله صلى الله عليه وسلم
حدثنا ابن حميد عن
محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري
قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن
والخزرج ؛ كانا يتصاولان (٢) مع
الفحلين ؛ لا تصنع الأوس ؛
غناء (٣) إلا قالت الخزرج
صلى الله عليه وسلم ؛

كعب بن الأشرف في حياوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير ؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سلمة خمسة^(١) نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلم ؛ فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتى قدموا بخير ؛ فاتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ؛ فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان في عليّة^(٢) له إليها عَجَلَة^(٣) روميّة ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : نفر من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلمّا دخلنا أغلقنا عليها وعليه باب الحجرة ، وتخوفنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرياه وهو على فراشه بأسياقنا ؛ والله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ؛ كأنه قُبْطِيّة^(٤) مُلْقَاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذلك فرغنا منها بليل ، فلمّا ضربناه بأسياقنا ، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنقذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي !

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فوُثِّتَ رجله وثثاً شديداً واحتملناه حتى نأق به منتهراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا

١٣٨٠/١

يُسُوا رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ فَكَتَفُوهُ ؛ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ . قَالَ : فَقُلْنَا : كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ ، فَاَنْطَلِقُ حَتَّى ادْخُلَ فِي النَّاسِ ، قَالَ : فَوَجَدْتُهُ وَرَجَالَ يَهُودٍ عِنْدَهُ ، وَامْرَأَتُهُ فِي يَدِهَا الْمَصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَالَتْ تَحَدَّثْتُهُمْ وَتَقُولُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكَ ؛ ثُمَّ أَكْذَبْتَ ، فَقُلْتُ : أَنْتَى ابْنُ عَتِيكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ! ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ لِنَظَرٍ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ : فَاطَ (١) وَإِلَهُ يَهُودٍ ! قَالَ : يَقُولُ صَاحِبُنَا ؛ فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدًا إِلَى نَفْسِي مِنْهَا ، ثُمَّ جَاءَنَا فَأَخْبَرَنَا الْخَبْرَ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا ، فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَاخْتَلَفْنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ ؛ وَكُلُّنَا يَدْعِيهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ ، فَجَنَّتَاهَا بِهَا فَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ : هَذَا قَتْلُهُ ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ . فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ؛ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَسَلَامِ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ :

لِلَّهِ دَرٌّ عِصَابَةٌ لَا قِيَتَهُمْ يَابْنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ (٢)
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخُفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفٍ (٣)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مُحَلٍّ بِلَادَكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُقْفٍ (٤)
مُسْتَصْفِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَضْعَفِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ (٥)

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ ابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ ، أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ ، أَنَّ

(١) فَاطَ : هَلَكَ . (٢) دِيَوَانُهُ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وَالْمَصَابِي : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

(٣) يَسْرُونَ ، مِنَ السَّرَى ؛ وَهُوَ السَّيْرُ لَيْلًا . وَالْبَيْضُ الْخُفَافُ : السَّيُوفُ . وَمَرَحًا : نَشَاطًا . مُغْرَفٌ : أَيْ فِي غَرِيفٍ ؛ وَهُوَ الْأَجْمَةُ مِنَ الْبَرْدِ وَالْخُلْفَاءُ وَالْقَصَبُ .

(٤) دُقْفٌ ، أَيْ سَرِيعةُ الْقَتْلِ .

(٥) رَوَاةُ الدِّيَوَانِ : « مُسْتَصْفِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ » . وَالْخَبْرُ وَالشَّعْسِيرَةُ ابْنُ هِشَامٍ ٢٠٩ : ٢١١ .

الرهط الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قدِمُوا خيبر ليلاً . قال : فعمدنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في فقير^(١) ، ثم جئنا إلى المشربة^(٢) التي فيها ابن أبي الحقيق ، فظهرت عليها^(٣) أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبي الحقيق : إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابن أبي الحقيق : ثكلتك أمك ! عبد الله بن عتيك يثرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحي لي ؛ إن الكريم لا يرد عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ؛ فدخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان ، فأكف عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق . قال : فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدة بياضه ، فلمّا رأى ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزته بالسيف وخزاً . ثم خرج إلى عبد الله ابن أنيس ، فقال : أقتله؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فذقف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وابيَّاتاه وابيَّاتاه ! قال : فسقط عبد الله بن عتيك في الدرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبد الله بن أنيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسي أنى تركتها في الدرجة^(٤) ؛ فرجعت إلى قوسي ؛ فإذا أهل خيبر يمجُّ بعضهم في بعض ؛ ليس لهم

١٣٨٢/١

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال :
 فجعلت لا أنظر في وجه إنسان ، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت :
 مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال : ثم صعدت الدَّرَجَة ؛ والناس يظهرون
 فيها ؛ ويتزلون ؛ فأخذت قوسي من مكانها ، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابي ،
 فكُنَّا نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنَّا بالنهار أقعدنا منَّا ناطوراً^(١)
 ينظر لنا ؛ فإن رأى شيئاً أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنَّا بالبيضاء كنت -
 قال موسى : أنا ناطورهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم - فأشرت إليهم
 فذهبوا جمزاً^(٢) وخرجت في آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ،
 قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لا ، إلا أني قد عرفت أن قد
 بلغكم الإعياء والوصبُ ، فأحببت أن يحملكم الفزع .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة
 بنت عمر في شعبان ؛ وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي في
 الجاهلية ، فتوفيت عنها .
 وفيها كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا ؛ وكانت في
 شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من
 الهجرة .

* * *

غزوة أحد

قال أبو جعفر : وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله ﷺ
 عليه وسلم ومشركي قريش وقعة بدر وقتل مَنْ قُتِلَ بها .
 قريش ورؤسائهم ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 إسحاق ، قال : وحدثنى محمد بن مسعود

(١) الناطور في الأصل : حارس الكرم والـ

الزُّهْرَى ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتَادَة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا ؛ كلَّهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلَّهم فيما سَقُتُ من الحديث عن يوم أُحُد ، قالوا^(١) :

لما أُصِيبَتْ قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القُتَيْب ، فرجع فكلَّهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرَمَة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممَّن أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وإخوانهم بيذر ؛ فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إِنَّ مُحَمَّدًا قد وَتَرَكَم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربِهِ ؛ لعلَّنَا أن ندرك منه ثأراً بمن أُصِيبَ مِنَّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايِشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كِنَانَة وأهل تِهَامَة ؛ وكلَّ أولئك قد استعصوا^(٤) على حرب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم .

١٣٨٥/١

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منَّ عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم بدر . وكان فقيراً ذا بنات^(٥) ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليَّ صَلَّى الله عليك ! فنَّ عليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال صفوان

(١) أخبار غزوة أُحُد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ - ١٤٣ ، والأغاني ١٥ : ١٧٩ - ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المهزومون .

(٣) الأحايِش : الجماعة أياً كانوا ؛ أو هم أحايِش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمَة ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أى يستغيث بهم ؛ وفي الأغاني : « استغفوا » بالعين المعجمة ؛ وهما سواء .

ابن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعرٌ ، فأعنتاً بلسانك ، فأخرج معنا . فقال : إنَّ محمدًا قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال : بلى فأعنتاً بنفسك ، فلك الله^(١) إن رجعت أن أغنيكَ ، وإن أصبت أن أجعل بناتِكَ مع بناتي يصيبهنَّ ما أصابهنَّ من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمح ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له وحشي ، كان حبشياً يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلماً يُخطئُ بها ، فقال له : اخرج مع النَّاس ، فإن أنت قتلت عمَّ محمد بعمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدّها وحدّها وأحايشها ، ومن معها^(٢) من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن^(٣) التماس الحفيظة ؛ ولثلاً يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد النَّاس ، معه هند بنت عتبة ابن ربيعة - وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأمر حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة - قال أبو جعفر: وقيل ببرة - بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ؛ وهي أم عبد الله ابن صفوان - وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد - وهي أم بني طلحة مسافع والجلاس وكلاب ؛ قتلوا يومئذ وأبوهم - وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك ابن حنسل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أم مُضْعَب بن عمير ،

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبعها » .

(٣) الظن : جمع ظعينة ؛ وهي المرأة ما دامت في الهودج .

١٣٨٧/١

وخرجت عَمْرَة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة كُلِّمَا مَرَّتْ بوحشٍ أَوْ مَرَّ بِهَا قالت : إليه ^(١) أبا دَسَمَة ! اشْف واشتَفِ - وكان وحشٍ يكنى أبا دَسَمَة . فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل بيطن السَّبْحَة ؛ من قناة على شفير الوادي ممَّا يلي المدينة .

فلَمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم للمسلمين : إني قد رأيت بقرًا فأولتها خيرًا ، ورأيت في ذُبَاب سِنِي ثَلَمًا ، ورأيت أنِّي أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ؛ فإن رأيتُم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلتها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين صَلَّى الجمعة ، فأصبح بالشَّعب من أحد . فالتقوا يوم السبت للتَّصَف من شِوَال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبي ابن سلَّول مع رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، يرى رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في ذلك : ألا يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممَّن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ^(٢) ، لا يرون أنَّا جَبَنَّا عنهم وضعفنا ، فقال عبدُ الله بن أبي بن سلَّول : يا رسولَ الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدوِّ لنا قط إلا أصاب منَّا ، ولا دخلها ^(٣) علينا إلا أصبنا منه ، فدعَّهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النِّساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

١٣٨٨/١

(١) ابن هشام : « وها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغاني : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ؛ حتى دَخَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فليس لأُمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني التَّجَار ، فصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

• • •

قال أبو جعفر : وأما السدّي ؛ فإنه قال في ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّي ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بتزول المشركين من قُريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسولَ الله ، ما غلبنا عدوّ لنا قطّ أتنا في ديارنا ^(١) ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبيّ بن سكلول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأناه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمني الجنة ؛ فواللذي بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّك رسولُ الله ، وأنّي لا أفرّ من الزحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا : بشس ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحي يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأُمته فيضعها حتى يقاتل . فخرج

رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحد في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلما خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فتابعهم أبو جابر السُّلَمي يدعومهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعنا لترجعن معنا ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ۖ ﴾^(١) فهم بنو سُلَيْمَة وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم الله عز وجل ، وبقي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في سبعمائة .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما^(٢) خرج عليهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلي الله عليك ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمتَه أن يضعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه من أهل التَّفَاق وأهل الرِّيب ، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكننا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبَوْا إلا الانصراف عنه ، قال : أبعادكم الله أعداء الله ! فسيغني الله عنكم !

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدي : انخزل عبد الله بن أبي عن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخِينَ بثلاثمائة ، وبقي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخليل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

ماتى فرس ، والظُّعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان فى المشركين سبعمائة دارع ؛ كان فى المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فرسان : فرسٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبى بردة بن نيار الحارثى . فأدلىج^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ١٣٩١/١
الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان ، كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدثان فلذلك ، سُميا الشيخين ؛ وهو فى طرف المدينة - قال : وعرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردّ مَنْ رَدّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعِرابة بن أوس . قال : وهو الذى قال فيه الشَّماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَنْبِى
إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرَيْنِ^(٢)
إِذَا مَارَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ الْيَمِينِ

قال : وردّ أبَا سعيد الخُدْرى ، وأجاز سَمُرَةَ بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قد استصغر رافعاً ، فقام على خُصَيْنٍ له فيهما رقاع ، وتناول على أطراف أصابعه ؛ فلمّا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجازَه .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمُرَةَ بن جندب تحت مُرَيِّ بن سَنان بن ثعلبة ، عمّ أبى سعيد الخُدْرى ، فكان ربيبه ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرَةَ بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرَةَ بن جندب لربيبه مُرَيِّ بن سنان : يا أبتِ ،

(١) أدلىج : سار فى آخر الليل .

(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

أجاز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رافع بن خَدِيج ، وردتني وأنا أصرع ١٣٩٢/١
 رافع بن خَدِيج ، فقال : مُرِّي بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابني ،
 وأجزت رافع بن خَدِيج وابني يصصره ! فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم لرافع
 وسُمُرَة : تصارعا ، فصرع سُمُرَة رافعاً ، فأجازه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 فشهداها مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم أبو حشمة الحارثي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسولُ الله صَلَّى
 الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرس بذنبه^(١) ، فأصاب
 كلاب^(٢) سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - وكان
 يُحبُّ الفأل ولا يعتاف - لصاحب السيف : شِمّ سيفك ، فإنني أرى السيوف
 ستُسَلُّ اليوم . ثم قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : مَنْ
 رجلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ ، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟
 فقال أبو حشمة^(٣) أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدّمه فنقد به
 في حرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المِرْبَع بن قِيظي - وكان
 رجلاً منافقاً ضريراً البصر - فلمّا سمع حسّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 ومن معه من المسلمين ، قام يتحشّى في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت
 رسولُ الله ، فإنّي لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي ؛ قال : وقد ذكر لي أنه
 أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمد
 لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :
 لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بدّر إليه سعد بن
 زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عنه ،

١٣٩٣/١

(١) ذب بذنبه ، أي حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : سمار يكون في قائم السيف ؛ وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغاني : « خيشة » .

فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على وجهه ؛ حتى نزل الشعب من أُحُد في عُدوة الوادى إلى الخيل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد ، وقال : لا يقاتلن أُحُدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سَرَحَت قريش الظَّهْر^(١) والكَرَاع في زروع كانت بالصَّمْغَة^(٢) من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حينَ نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عن القتال : أُنْرَعَى زروع بنى قَيْلَة^(٣) ولمّا نُضارب ! وتعباً رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبات قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبُوهَا ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرَمَة بن أبى جهل ، وأمرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على الرّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو يومئذ معلّمٌ بشاب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح^(٤) عنا الخيل بالنَّيْل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا نُؤْتِينَ من قبلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين^(٥) .

• • •

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصْعَب بن المقدم ، قال : ١٣٩٤/١ : حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لمّا كان يومُ أُحُد ، ولقيَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم المشركين أجلسَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم رجلاً بإزاء الرّماة ، وأمرَ عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهرُوا علينا فلا تعينونا . فلمّا لقيَ القوم هزَمَ المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعْنَ عن سوقهن ، وبدت

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصمغة : موضع قرب أُحُد .

(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .

(٤) انضح الخيل ؛ أى ادفعهم .

(٥) ظاهر بين درعين ؛ أى لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوْا، فانطلقوا، فلمّا أتوهم صرّف الله وجوههم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمّي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتّى نزل أحدًا ، وخرج النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمّر الزبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكنديّ ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء^(١) رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسّر^(٢) ، وبُعِثَ حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عِكْرمة بن أبي جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزبير ، وقال : استقبلْ خالد^(٣) بن الوليد ؛ فكنْ بإزائه حتّى أؤذنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحُنْ^(٤) حتّى أؤذنكم . وأقبل أبو سفيان يحمل اللّات والعزى ، فأرسل النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومنّ معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ ﴾^(٥) ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وعد المؤمنين أن ينصرهم^(٦) ؛ وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناساً من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهه من فرّ منّا ، وكونوا حراساً لنا من قبيل ظهورنا . وأنّ رسول

١٣٩٥/١

(١) الأغاني : « الراية » .

(٢) الأغاني : « بالجيش » .

(٣) و : « خالد » .

(٤) و : « لا تبرحو » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم لمّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعِلُوا من ورأيهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعَدَات في الجبل ، ورأوا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فأدركوا الغنيمة ^(١) قبل أن يسبقونا ^(٢) إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فتنبّئ مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلّم كان يريد الدنيا وعرضها ؛ حتى كان يومئذ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لمّا برز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى المشركين بأحد أمر الرّماة ، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ؛ وقال [لهم] ^(٣) : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا] ^(٤) قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم . وأمّر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير . ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا ^(٥) بسيفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة ؛ فهل منكم أحدٌ يعجله الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ! فقام إليه عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك ^(٥) بسيفي إلى النار ، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه على فخذ رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يا بن عم ! فتركه ، فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وقال لعليّ : ما منعك أن تجهزَ عليه ؟ قال : إن ابن عمّي ناشدني حين انكشفت

(١) الأغاني : « الغنائم » .

(٢) الأغاني : « يسبقوا » .

(٣ - ٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « تعجلنا » .

(٥) الأغاني : « يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار » .

عورته فاستحييت منه . ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرماة فانقمع^(١) . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامتهم فلحقوا^(٢) بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، تنادوا فشدوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

فحدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : حدثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزبير : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً في يده يوم أحد ؛ فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقممت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقممت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال : أنا آخذه بحقه ؛ وما حقه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ؛ قال : فقلت : لأنظرن اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهن دُفوف لهن ؛ فيهن امرأة تقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ
وَنَبْسُطُ النَّمَارِقَ أَوْ تَذِيرُوا نُفَارِقُ
• فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقْ •

(١) انقمع : اختفى .

(٢) و : « فُلِحُّ » .

قال : فرفع السيف ليضربها ، ثم كف عنها . قال : قلت : كل عملك قد رأيت ، أرايت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسول الله صلى الله عليه ١٣٩٨/١ وسلم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ^(١) ؛ حتى قام إليه أبو دُجَّانة سمالك بن خَرْشَة أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني ؛ فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يخال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل — فلماً أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عصابته تلك ، فعصب ^(٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَّانة يتبختر : إنها لمشيئة يغيضها الله عز وجل إلا في هذا الوطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خللوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم . فردوه بما يكره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ١٣٩٩/١ عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد ^(٣) عمرو بن صفي بن مالك بن النعمان بن أمة ^(٤) ، أحد بني ضبيعة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مباعدًا

(١) الأغاني : « بينهم » .

(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .

(٣) ساقطة من الأغاني .

(٤) الأغاني : « أمية » .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ؛ منهم عثمان ابن حنيفة - وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر - فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية « الراهب » ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفاسق » - فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتلهم قتلاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة ^(١) ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم ولستم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ؛ إذا زالت زالوا ؛ فلما أن تكفونا لواءنا ؛ وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فسكنفكموه . فهمّوا به وتواعده ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إِنْ تُقْبَلُوا تُعَانِقُ وَنَفَرَشَ التَّمَارِقُ
أَوْ تَذْبَرُوا تُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقُ

وتقول :

وَيَهْيَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ^(٢) ! وَيَهْيَا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ ^(٣) !
• ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ ^(٤) •

(١) الأغاني : « الحجارة » . والمرادضة : المراماة .

(٢) الأغاني : « إيهي » .

(٣) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .

(٤) البتار : السيف القاطع .

واقْتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَّانَةَ حتَّى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين ، فأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ نصرَه ، وصدَّقهم وعدَه ، فحسُّوهم^(١) بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكَّ فيها .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال الزُّبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خَدَمِ هند بنت عتبة وصواحبها^(٢) ١٤٠١/١ مشمَّرات هوارب ، مادون أخذهنَّ قليل كثير ؛ إذ مالت الرُّمَّة إلى العسكر حين كَشَفْنَا القوم عنه يريدون النَّهب ، وخلَّوْا ظهورنا للخيل ؛ فَأَتَيْنَا من أَدْبَارِنَا وصرَّخَ صَارِخٌ : ألا إنَّ محمدًا قد قُتِلَ ! فانكفأنا^(٣) وانكفأ علينا القوم ؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللِّواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .

حدَّثنا ابن حميد قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنَّ اللِّواء لم يزل صريعاً حتَّى أخذتهُ عَمْرَةُ بنت علقمة الحارثية ، فرفَعتهُ لقريش ، فلاثوا به^(٤) ، وكان اللِّواء مع صَوَّاب ، غُلَّام لبني أبي طلحة ، حبشيٍّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتَّى قُطِعَت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللِّواء بصدرة وعُنُقِهِ حتَّى قُتِلَ عليه ؛ وهو يقول : اللَّهُمَّ هل أعذرت ! فقال فحَسَّان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرَّتْهُم بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لَوْ أَلَّ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَّابٍ^(٥)
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لَعَبْدٍ مِنْ أَلَامٍ مَنْ وَطِئَ عَقْرَ التَّرَابِ^(٦)

(١) حسوهم : استأصلوهم . (٢) و : « وصواحبها » .

(٣) انكفأنا : رجعنا .

(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله . وفي الأغاني : « فلاذوا بها » . (٥) ديوانه ٦٢

(٦) ابن هشام والديوان : « من يطأ عقر التراب » .

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بَأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا بِمَكَّةَ بِنِعْمِكُمْ حَمَرَ الْعِيَابِ ١٤٠٢/١
أَقْرَ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ وَمَا إِنْ تَعْصَبَانِ عَلَى خَضَابٍ^(١)

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا حَبِيبُ
ابن عليّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جده ، قال :
لما قَتَلَ عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية^(٢) ، أبصر رسولُ الله صَلَّى الله
عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليّ : احمل عليهم ، فحمل
عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ . قال : ثم أبصر
رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم جماعةً من مشركي قريش ، فقال لعليّ :
احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد
بنى عامر بن لُؤَيٍّ ، فقال جبريل : يا رسولَ الله ، إنّ هذه لَكُمُوسَاةٌ ،
فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إنه منّي وأنا منه ، فقال جبريل :
وأنا منكما ، قال : فسمعوا صَوْتَا :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَّارِ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال أبو جعفر : فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم
المشركون ، وكان المسلمون لَمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قتل ،
وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ،
وأصابت رَبَاعِيَةٌ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى ، وشُقَّتْ شفته ، ١٤٠٣/١

(١) قال ابن هشام : « آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أَقْرَ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تَعْصَبَانِ عَلَى خَضَابِ

في أبيات له يعنى امرأته في غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلي .

(٢) الأغاني : « لما قتل أصحاب الألوية » .

(٣) الرباعية : السن التي بين الثانية والثالثة .

وَكُلِّمَ فِي وَجْهِهِ وَجِبْهَتِهِ فِي أَصُولِ شَعْرِهِ ، وَعَلَاهُ ابْنُ قَمِيئَةَ بِالسَّيْفِ عَلَى شَقِّهِ الْأَيْمَنِ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُجَّ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْأَمْرِ . وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ! فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ... ﴾ (١) الْآيَةُ .

» » »

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ غَشِيَهُ الْقَوْمُ : مَنْ رَجُلٌ يَشِيرُ لَنَا نَفْسَهُ !

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ ، قَالَ : فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفَرِ خَمْسَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : إِنَّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ ، فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ، ثُمَّ رَجَلًا ، يَقْتُلُونَ دُونَهُ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ - أَوْ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ (٢) - فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، ثُمَّ فَاءَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِئَةٌ (٣) حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ (٤) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَوَسَّدَهُ قَدَمَهُ ؛ فَفَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَسَ دُونَ ١٤٠٤/١

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ١٢٨ .

(٢) الْأَغَانِي : « زِيَادُ بْنُ عُمَارَةَ بْنِ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ » .

(٣) الْفِتَّةُ : الْجَمَاعَةُ .

(٤) أَجْهَضُوهُمْ : أَزَالُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ .

(٥) الْأَغَانِي : « مِنْ دُونَ » .

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أبو دُجَانَةَ بنفسه يَقَعُ النَّبْلَ فِي ظَهْرِهِ وهو مُنْحَنٍ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبْلُ ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاولُنِي وَيَقُولُ : ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! حَتَّى لَمَّا لَبَسْنَا السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ ، فَيَقُولُ : ارْمِ بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتُهَا ^(١) ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ؛ فَكَانَتْ عِنْدَهُ ، وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ؛ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا بِيَدِهِ ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ وَأَحَدَهُمَا .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ لَوَاؤُهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَسْمِيَّةَ ^(٢) اللَّيْثِي . وهو يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ ، فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أُعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى قُتِلَ أَرْطَاةَ بْنِ عَبْدِ ^(٣) شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ؛ وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الغُبَّشَانِي - وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي نَيْيَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَلُمَّ إِلَى يَا بَنِي مَقْطُوعَةِ الْبُظُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيْقٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ - فَلَمَّا التَّقَى ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ

(١) سِيَةُ الْقَوْسِ : طَرَفُهُ .

(٢) الْأَغَانِي وَابْنُ هَشَامٍ : « ابْنُ قَسْمَةَ » . (٣) سَاقِطَةٌ مِنْ رِوَايَةِ الْأَغَانِي .

وَحَشِيٍّ غُلَامٌ جَبِيرُ بْنُ مَطْعَمٍ : والله إني لأَنْظُرُ إلى حمزة يَهْدُ^(١) الناس بسيفه ، ما يُلَيِّقُ^(٢) شيئاً يَمُرُّ به ؛ مثل الحمل الأورق ؛ إذ تقدَّمتني إليه سيّاح بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إلىَّ يا بن مقطّعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسه ، وهزّزت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعْتُها عليه فوقعت في لَبَتِهِ حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جثت فأخذتُ حربتي ؛ ثم تنحَّيت إلى العسكر ؛ ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كيلاّب بن طلحة ؛ كلاهما يُشْعِرُه^(٣) سهماً ؛ فيأتى أمته سُلَافَةً فَيَضَعُ رأسه في حجرها ، فتقول : يا بنيّ ، مَنْ أَصَابَكَ ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأفلح ! ١٤٠٦/١ فتقول : أفلحى ! فنذرَتُ لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمرَ . وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركاً أبداً ولا يمسّه .

فحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بني عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمد رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا [كراماً] ^(٤) على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني حُمَيْدُ الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن

(١) هذه بالسيف : قطعه .

(٢) ما يُلَيِّقُ : ما يترك وما يبق .

(٣) أشعره سهماً : خالطه به .

(٤) من الأغاني .

النَّصْرَ يَوْمُئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعَنَهُ فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أخته ، عرفتُهُ بِحَسَنِ بَنَانِهِ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
كان أولَ مَنْ عَرَفَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقول الناس :
« قُتِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » - كما حدثني ابن شهاب الزهري - كعب بن
مالك ، أخو بني سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهران تحت المغفر ، فناديت :
بأعلى صوتي : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا ^(١) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم !
فأشار إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ، معه علي بن
أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام ، والحارث بن الصَّمَّة ، في رهط من المسلمين ^(٢) . فلما أسند ^(٣)
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين
مُحمَّد ! لا نجوتُ إن نجوت ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه
رجل مِنّا؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
الحربة من الحارث بن الصَّمَّة - قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي :
فلما أخذها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، انتفض بها انتفاضة تطايرَ ناعته تطايرُ
الشَّعرَاء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة
تَدَادَأ ^(٥) منها عن فرسه مرَّارًا .

وكان أبي بن خلف - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
عن محمد ابن اسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
- يلتقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بمكة ، فيقول : يا محمد
إن عندى العود ، أعلفه كلَّ يومَ فَرَقًا ^(٦) من ذرة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هناك » . (٢) الخبر إل هنا في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجبل : رق فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدادأ : تدرج .

(٦) الفرق : مكيا ل لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه (١) خدشاً غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إن بك بأس (٢) . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس (٣) . ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحاً فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ؛ وصب على رأسه ؛ وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيّه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، عمن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ؛ وإن كان ما علمت لسيء الخلق ، مبغضاً في قومه ؛ ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله» .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى ابن قميصة الحارثي أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجه في وجهه ، فأثقله وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله !

(١) الأغاني : « حلقه » .

(٢) الأغاني : « ما بك بأس » .

(٣) المهراس : ماء يجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلى عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي ؛ وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تقبر ! فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ؛ فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور ؛ فاحتلموه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزئك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ؛ فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ! يا قوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل ؛ فإن رب محمد لم يقتل . فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد : اللهم أني أعوذ إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شد^(١) سيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلمّا رأوه وضع رجل سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسول الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ؛ فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون النج ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ^(١) .
 فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا
 عليه ، وأهمّهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ليس لهم
 أن يعلّونا ؛ اللهمّ ! إنْ تقتل هذه العصاة لا تُعبَد ! ثم ندّب أصحابه ،
 فرمّوهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُ هُبْل ، حنظلة
 بحنظلة ، ويومٌ بيوم ^(٢) بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنباً
 فغسلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان :
 لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لعمر : قل : الله
 مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم ^(٣) محمد ! أما إنّها ^(٤) قد كانت
 فيكم مثله ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سرّرتنى ولا ساءتني ؛ فذكر الله
 عزّ وجلّ لإشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا
 تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمّ الأول ما فاتهم من الغنime
 والفتح ، والغمّ الثانى لإشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١٤١١/١
 من الغنime ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ^(٥) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان ^(٦) .
 قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدثنا ابنُ حُميد
 قال : حدثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فى الشعب ؛
 ومعه أولئك النفر من أصحابه إذ علتْ عالية من قریش الجبل ، فقال رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلّم : اللهمّ ! إنّه لا ينبغي لهم أن يعلّونا ؛ فقاتل عمر بن
 الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدّن رسول

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .

(٣) م : « فيكم » .

(٤) م : « قال : أما إنّها » ، وفى التفسير « قالوا : نعم ، قال » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وظاهرَ بين درْعَيْنِ^(١) ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، كما حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى بعضهم إلى المنى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجالان من الأنصار) ؛ حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فزعموا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود— وكان يقال له . ابن شعوب— قد علا أبا سفيان ، فصر به شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم^(٤) — يعنى حنظلة — لتغسلهُ الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسلّتْ صاحبتَه ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة^(٥) ؛ فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لذلك غسَلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود في قتله حنظلة :

لَأُحْيِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .

(٢) الخبر في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) و : « صاحبكما » .

(٥) الهائعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شداد بن الأسود إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نجّيتُ كُمَيْتَ طِمْرَةَ^(١) ولم أحمل النعماء لابن شعوب^(٢)
 فإزال مهرى مَزَجَرَ الكلبِ منهم^(٣) لدى غُدْوَةٍ حتى دَنَتْ لِغُرُوبِ^(٤)
 أَقَاتِلُهُمْ وَأَدْعَى يَالَ غَالِبِ وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنِ صَالِبِ
 فَبِكَيْي وَلَا تَرَعَى مَقَالَةَ عَاذِلِ وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَسْبَرَةٍ وَنَجِيبِ^(٥)
 أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
 وَسَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتَى قَتَلْتَ مِنَ النَّجَارِ كُلَّ نَجِيبِ
 وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا نَجِيًّا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْمُهْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ^(٦)
 وَلَوْ أَنْتَى لَمْ أَشَفْ مِنْهُمْ قَرُوتِي لَكَانَتْ شَجِيًّا فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُدُوبِ^(٧)
 فَأَبَوْا وَقَدْ أَوْدَى الْخَلَائِبُ مِنْهُمْ لَمْ خَدَبَ مِنْ مُغْطِبٍ وَكُثِيبِ^(٨)
 أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كَفِيًّا وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ
 فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصِّيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ^(٩)
 أَتَعَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمَزَةَ مِنْهُمْ نَجِيًّا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ^(١٠)
 أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ !

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .

(٤) القرونة : النفس ، وفى ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم » .

(٥) الخلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بنى عمه ؛ ورواية البيت فى ابن هشام :

قَالُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَالِيْبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبَ مِنْ مُغْطِبٍ وَكُثِيبِ

(٦) أبيات أبي سفيان وجواب حسان ؛ فى ديوان حسان ٦٤ - ٦٦ .

(٧) أقصده : رماه .

غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِيَ عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهَ بِخَضِيبٍ

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ حَبِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرَتِي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ قَرَقَرَتْ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاهُ كَلِيبٍ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله :

• وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ •

وظنّ أنه يعرض به إذ فرّ يوم بدر :

وإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبْتَّ بِقَلْبٍ مَا بَقِيَتْ نَخِيبٌ ^(١)
لَدَى صَخْنٍ بِذُرٍّ أَوْ لَقَامَتْ نَوَائِحٌ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَحْفَلْ مُصَابَ حَبِيبٍ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَذْرِ كَمَثَلِهِ عَلَى سَابِجٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَيْبٍ ^(٢)

١٤١٠/١

• • •

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة — فيما حدثنا ابن حميد ؛
قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني
صالح بن كيسان — والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ، يسجدن عن الآذان والأنوف ^(٣) ؛ حتى اتخذت
هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً ^(٤) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها
وقرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة

(١) النخيب : الجبان القزح .

(٢) السابج : الفرس الذي كأنه يسبح في جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شبيب ،
أى شاب .

(٣) الأغاني : « الآنف » .

(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكنها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها . ثم علت على صخرة مشرفة ،
فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أنه حدث أن عمر بن الخطاب
قال لحسان : يا بن الفريضة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها ، قائمة
على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسان : والله
إنني لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارح - يعني أطمه - فقلت :
والله إن هذه لسلح ما هي سلاح العرب ؛ وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ؛
ولا أدري . أسمعني بعض قولها أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عمر بعض
ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أَشِرْتَ لَكَاعٍ وَكَانَ عَادَتُهَا لَوْمًا إِذَا أَشِرْتَ مَعَ الْكُفْرِ^(١)
لَعَنَ الْإِلَهُ زَوْجَهَا مَعَهَا هِنْدَ الْهُنُودِ عَظِيمَةَ الْبُظْرِ
أَخْرَجْتَ مَرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ فِي الْقَوْمِ مُتَقَبَّةً عَلَى بَكْرِ^(٢)
بَكْرٍ فَقَالَ لَا حَرَكَ بِهِ لَا عَنْ مُعَاتِبَةٍ وَلَا زَجْرِ^(٣)
وَعَصَاكَ إِسْتَكٍ تَتَّقِينَ بِهَا دُقَى الْعُجَايَةِ هِنْدُ بِالْفَهْرِ^(٤)
قَرَحْتَ عَجِيزَتَهَا وَمَشَرَجُهَا مِنْ دَأْبِهَا نَصًّا عَلَى الْقَتْرِ^(٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كنى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لثيمة ، ورواية الأغاني :
« من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخلب ، وفي الديوان : « معتقة على بكر » .

(٣) الثفال : البطي . من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أى ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير .

والعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١

ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتَهَا بِالماءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسَّدْرِ
أَخْرَجَتْ ثَائِرَةً مَبَادِرَةً . بِأَيْكِ وَإِنَّكِ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
وَبِعَمِّكِ الْمُسْتَوْ فِي رَدَعٍ وَأَخِيكِ مُنْعِفَرَيْنِ فِي الْجَفْرِ^(١)
وَنَسِيتِ فَاحِشَةً أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ، وَيَحْكُ سُبَّةَ الدَّهْرِ^(٢)
فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلا تِرَةٍ مِنَّا ظَهَرَتْ بِهَا وَلَا نَصْرٍ
زَعَمَ الْوَلَايْدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ

قال أبو جعفر : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم — فيما حدثنا
هارون بن إسحاق قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : ثم إن أبا سفيان أشرف علينا ، فقال :
أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ؛ مرتين ،
ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا تجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثاً ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : أمّا
هؤلاء فقد قُتِلُوا ، لو كانوا في الأحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ بنُ الخطاب
نفسه أن قال : كذبت يا عدو الله ، قد أبى الله لك ما يخزيك ! فقال :
اعْلُ هُبْل ! اعْلُ هُبْل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ،
قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلم وأجل ! قال أبو سفيان : ألا
لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ،
قالوا : ما نقول ؟ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : يوم

١٤١٨/١

(١) المستو : المضروب في استه . والردع : الدم . الديوان : « المملوك بزمته » وفي ط :
« ودع » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٢) الأغاني : « سيئة الدهر » .

يوم بدر ، والحرب سجال ؛ أمّا إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمّر بها ولم تسوّى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لمّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إيتيه فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ؛ وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدّق عندى من ابن قميثة^(١) وأبرّ ؛ لقول ابن قميثة لهم : إننى قتلت محمداً . ثمّ نادى أبو سفيان ، فقال : إنّه قد كان في قتلكم مثل^(٢) والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نيت ولا أمرت^(٣) .

وقد كان الحليّس بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ؛ وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شدق حمزة بزجّ الرمح ؛ وهو يقول : ذقْ عَفَقُ^(٤) ! فقال الحليّس : يا بنى كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون لحماً^(٥) ! فقال : اكتمها ، فإنّها كانت زلّة ؛ فلمّا انصرف أبو سفيان ومنّ معه نادى : إنّ موعدكم بدر ١٤١٩/١ للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من أصحابه : قل نعمْ هى بيننا وبينك موعد .

ثمّ بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : اخرجْ في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتنطوا الإبل ؛ فإنّهم يريدون مكّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينة ؛ فواللذى نفسى بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثمّ لأناجزنّهم . قال علىّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغاني : « قمّة » . (٢) الأغاني : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثله .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق عقق ، أى ذق جزاء فلك يا عاق ؛ وعقق : معدول عن عاق للمبالغة ، كقدر

من غادر .

(٥) لحماً ، أراد وهو قتل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتنطوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال : أىّ ذلك كان فأخفّه ^(١) حتى تأتيتى . قال على عليه السلام : فلما رأيتهم قد توجهوا ^(٢) إلى مكة أقبلت أصبح ؛ ما أستطيع أن أكرم الذى أمرنى به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما بى من الفرح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرح الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم - كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخى بنى النجار ، أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ - وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج - أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل ؛ فنظر فوجده جريحاً فى القتلى به رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله عني السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله خيراً ما جزى نبي عن أمته ؛ وأبلغ عني قومك السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صَلَّى الله عليه وسلّم وفيكم عين تطرف . ثم لم أبرح حتى مات ؛ فبجئت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأخبرته خبره . وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم - فيما بلغنى - يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقير بطنه عن كبده ، ومثله به ، فجُدع أنفه وأذناه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرت الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلما رأى

المسلمون حزنَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وغيظه على ما فعل بعمه ، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثّلنّ بهم مُثْلَةً لم يمثّلها ١٤٢١/١ أحد من العرب بأحد قطّ ! .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرني بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلّمة : وحدّثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إلى آخر السورة ، فعفا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وصبر ونهى عن المُثْلَةِ .

قال ابن إسحاق : وأقبلتُ - فيما بلغني - صفيّة بنتُ عبد المطلب لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأما - فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمة ؛ إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يأمرُك أن ترجعي ، فقالت : ولم ، وقد بلغني أنه مثيلٌ بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لاحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلت عليه ؛ واسترجعت واستغفرت له ؛ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : فحدّثني محمد بن إسحاق ، قال : فرغم بعض آل عبد الله بن جحش - وكان لأميّة بنت عبد المطلب خاله حمزة ؛ وكان قد مثّل به كما مثّل بحمزة ؛ إلا أنه

لم يُبْقَرْ عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة في قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع ^(١) حُسَيْلُ بن جابر - وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش بن زَعُوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ؛ وهما شيعان كبيران : لأبالك ! ما تنتظر؟ فوالله إن بقي لواحد منّا من عمره إلا ظِمٌّ حِمَارٌ ^(٢) ؛ إنّا نحن هامة اليوم ^(٣) أو غد ، أفلا نأخذ أسيفنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأخذنا أسيفهما ، ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يُعَلِّمَ بهما ؛ فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْلُ بن جابر ، اليمانيان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدبّه ^(٤) فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد : فأتى به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبشِرْ يا بن حاطب بالجنة ،

(١) كذا في م ، وفي الأغاني : « رجع » .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشريتين له ؛ وليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار ، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أى سموت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطبٌ شيخًا قد عسا ^(١) في الجاهلية ، فنَجَمَ يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شئ تبشرونه ، أبجته من حرمل ^(٢) ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه ، وفجعتنوني به !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتى ^(٣) لا يدري من أين هو ، يقال له قُزَمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذُكر له : إنه لَمِنْ أهل النار ؛ فلما كان يوم أحد ، قاتل قتالا شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزَمان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلما اشتدت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهشته فترفه ١٤٢٤/١ الدم فمات ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أنى رسولُ الله حقاً !

وكان ممن قُتِل يوم أحدٍ مُحَيَّرِيقُ اليهودي ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفِطَيسِون ، لما كان ذلك اليوم قال : يا معشر يهود ؛ والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقَّ . قالوا : إن اليوم يوم السبت ، فقال : لاسبت ، فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصِبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : مُحَيَّرِيقُ خير يهود .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

(١) عا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : « يريد الأرض التى دفن فيها ؛ وكانت تنبت الحرمل : أى ليس له جنة

إلا ذاك » .

(٣) الأتى : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المدينة . فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنهم حيث صرُّعُوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أُمِرَ بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلمَّا احتفر معاوية القناة أخرجا وهما يثنيان^(١) كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقبته حمسة بنت جحش — كما ذكر لي — فنعى لها^(٢) أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولوت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج^(٣) المرأة لبيكان ؛ لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظقَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فندرت عيناً رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ! فلمَّا رجع سعد بن معاذ وأسيَد بن حُضَيْر إلى دار بني عبد الأشهل أَمَرَ نساءهم أن يتحرَّمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ؛

(١) م : « يثنيان » .

(٢) م : « إليها » .

(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بأحد ؛ فلما نَعَوْا لها قالت : فما فعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظرَ إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جلّيلٌ (١) !

قال أبو جعفر : فلمّا انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الى أهله ناول ١٤٢٦/١ سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ؛ وناولها على عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبودُجّانة سمالك بن خراشة . وزعموا أن عليّ بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أَفَاطِمَ هَآكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِمِلِيمٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدٍ وَطَاعَةِ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمٍ
وَسَيِّئِي بِكُفِّي كَالشَّهَابِ أَهْرُهُ أَجْذَ بِهِ مِنْ عَاتِقِي وَصِيمٍ
فَارَزَلْتُ حَتَّى فَصَّ رَبِّي جُمُوعَهُمْ وَحَتَّى شَفَيْنَا نَفْسَ كُلِّ حَلِيمٍ

وقال أبودُجّانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالا شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف وتولّكت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة - وقال أبودُجّانة :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَتْنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ (٢)

١٤٢٧/١

(١) جلل ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف في الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الوقعة بأحد؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، قال: كان يوم أحد يوم السبت؛ للتصيف من شوال؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو؛ وأذن مؤذنه: ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخواتي لي سبع، وقال لي: يا بني؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي؛ فتخلف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج معه؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مرهباً للعدو؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. ١٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدًا، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأخي، فرجعنا جريحين؛ فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما لنا من دابة نركبها، وما منّا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جرحاً منه - فكنت إذا غلب حملته عقيبته^(١) ومشى عقيبته؛ حتى

(١) العقبه، بالضم: التوبة.

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ؛ وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به - فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ؛ عن ابنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - معبدُ الخُزَاعِيّ ، وكانت خُزَاعَةُ مسلمهم ومشرِكهم عَيْبَةَ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهامة ، صفقتُهم ^(٢) معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها - ومعبد يومئذٍ مشرك - فقال : يا مُحَمَّدُ ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولودِدْنَا أن الله كان أعفأك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لقيَ أبا سفيان بن حربٍ ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لنسكّرَن على بقيّتهم ؛ فلنفرُغَن منهم . فلمّا رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه مَنْ كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل ^(٣) بقيّتهم ، قال : فلمّا رأيت ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ ^(٤)

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأغاني .

(٣) في الأغاني : « لنستأصل شأفتهم » .

(٤) تهّد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر .

والأبَابِيل : الجماعات .

تَرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلُهُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خَرْقٍ مَعَارِيلِ
 ١٤٣٠/١ فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَّيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
 قُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمْتَ الْبَطْحَاءَ بِالْجَلِيلِ^(١)
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولِ^(٢)
 مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أُنْذَرْتُ بِالْقِيلِ^(٣)

قال : ففني ذلك أبا سفيان ومن معه . ومتر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غدًا زبييًا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعض أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبى عزة الجمحي ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابن أم مكتوم .

• • •

(١) تغطمت : اضطربت . وإجليل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) في الأغاني : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المعقول

المقول .

(٣) الوحش : رذالة الناس وصغارهم . والقنابل : جمع قنبلة ؛ وهي الطائفة من الناس . وفي

الأغاني : « تنابله » .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وفيها عَلِقَتْ فَاطِمَةُ بِالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .

وفيها حملت - فيما قيل - جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَعْدٍ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي شَوَّالٍ .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدثني به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة^(١) فقالوا له : يا رسول الله ؛ إن فينا إسلاماً وخيراً ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهُونَا^(٢) في الدين ، ويقرءونا^(٣) القرآن ، ويعلمونا^(٤) شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخا بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظقر من بلي .

١٤٣٢/١

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لذيذ بناحية من الحجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٥) عليهم هذيلًا ، فلم يَرعِ القومُ وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غشّوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا^(٦) القوم ، فقالوا لهم : إننا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكننا

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمه بن مدركة » .

(٢) في رواية الأغاني ، بحذف النون على الجزم في جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلوهم » .

نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .
فأمّا مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقالوا : والله
لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً .

وأمّا زيد بن الدثينة وخبيب بن عديّ وعبد الله بن طارق فلاتوا ورقوا
ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم^(١) ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزع عبد الله بن طارق يده
من القرآن^(٢) ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى
قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عديّ وزيد بن الدثينة ، فقدّوا بهما مكة ، فباعوهما
فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن
الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمّه - ليقته
بأبيه ، وأمّا زيد بن الدثينة ، فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بأبيه أمية بن
خلف ، وقد كانت هذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه لبيعوه
من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم
أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرّبن في قحفه الحمر ، ففنته
الدّبر^(٣) . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه ،
فأخذها ، فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصما فذهب به ، وكان عاصم قد
أعطى الله عهداً ألاّ يمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجّساً^(٤)
منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدّبر منعت : عجا ،
لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألاّ يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً
أبداً في حياته ، ففنته الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته^(٥) .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القرآن : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزناير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج
ويتحنّث ؛ إذا فعل فعلاً يخرج به عن الإثم والحرّج والحنث .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغاني ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧

(طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه ، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا جعفر بن عون العمريّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أو عمر - بن أسيد ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحي من هذيل ، يقال لهم : بنو لحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل رامياً ؛ فوجدوا ما كلّهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : هذه نوى يثرب ، ثم اتّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصم وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستزّلوهم ، وأعطوهم العهد ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهم أخبر نبيّك عنا . ونزل إليهم ابن الدثنة البياضيّ ، وخُبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فجرحوهم رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أول الغدر ؛ والله لا أتبعكم . فضرّبوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدثنة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبيب هو الذي قتَلَ الحارث بأحد ؛ فبينما خُبيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحد^(١) بها للقتل ، فما راع المرأة - ولها صبي يدُرْج - إلا بخُبيب قد أجلس الصبي على فخذه ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبيب : أتخشين أني أقتله ! إن الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً من خُبيب ؛ لقد رأيتُه وما بمكّة من ثمة ؛ وإن في يده لقيطاً من عنب يأكله ؛ إن كان إلا رزقاً رزقه الله خُبيباً .

وبعث حيّ من قريش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار^(٢) بأحد ؛ فبعث الله عليه دبراً ، فحمت لحمه ، فلم

(١) يستحد : يخلق شعر عاتته ، وفي اللسان - حدد : « وفي حديث خبيب أنه استعار موسى استعد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عاتته عند قتله » .
(٢) آثار : جمع ثار على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمّا خرجوا بخُبَيْبٍ من الحرم ليقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصِلْ رَكْعَتَيْنِ ، فتركوه فصلّى سجدتين ، فجرت سُنَّةٌ لمن قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يَصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ . ثم قال خُبَيْبٌ : لولا أن يقولوا جَزَعَ لَزِدْتُ ، ١٤٣٦/١ وما أبالي :

• عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي ^(١) •

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ ^(٢)
اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ ^(٣) عِدَدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا ^(٤) .
ثم خرج به أبو سَيْرُوْعَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛
فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ ^(٥) .

* * *

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عَيْبِنًا إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيْبٍ وأنا أتخوف العيون ، فرقيتُ فيها ، فَحَلَلْتُ خُبَيْبًا ، فوقع إلى

(١) صدره :

• فوالله ما أرجو إذا ميتٌ مسلمًا •

من أبيات ذكرها ابن هشام في البيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) في ذات الإله ، أى في طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو الضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً .

(٤) خذهم بدداً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى أقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين في القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله في الأغاني ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

١٤٣٧/١ الأرض ، فانبتت^(١) غير بعيد ، ثم التفت فلم أر لحبيب رمة^(٢) ؛ فكأنما الأرض ابتلعتة ؛ فلم تذكر لحبيب رمة حتى الساعة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وأما زيد بن الدثينة ؛ فإن صفوان بن أمية بعث به - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - مع مولى له يقال له نسطاس إلى التميم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع إليه رهط من قريش ؛ فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلك ! قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد . ثم قتله نسطاس^(٤) .

• • •

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري

إذوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولما قُتل من وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة من أهل الرجيع ، وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار ، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أبيه ، عن جده - يعني عمرو بن أمية - قال : قال عمرو بن

(١) انتبتت : تنعتت .

(٢) ط : « أرمه » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني ٤ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤) الأغاني ٤ : ٢٣٠ .

أُمَيَّةٌ : بعثني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بعد قتل خُبيّب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثنيا أبا سفيان بن حرب فاقْتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعى بعير لى ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علّة . فكنتُ أحمله على بعيرى ؛ حتّى جئنا بطن يأجج ؛ فمقلنا بعيرنا فى فناء شِعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبى سفيان ؛ فإنّى محاول قتله . فانظر ؛ فإن كانت مجاوله أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركبه ، والحق بالمدينة فأت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر ، وخلّ عني ؛ فإننى رجل عالم بالبلد ، جرىء عليه ، نجيب الساق . فلمّا دخلنا مكّة ومعى مثل خافية النّسر — يعنى خنجره^(١) — قد أعددتّه ؛ إن عانقنى^(٢) إنسان قتلتّه به ، فقال لى صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت أسبوعاً ، ونصلّى ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكّة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشوا أفتيتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

قال : فلم يزلْ بى حتّى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعاً ، وصلّينا ركعتين ، ثم خرجنا فررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفنى رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أُمَيَّة ! قال : فتبادرتنا أهل مكّة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! واللّذى يُحلف به ما جاءها قطّ إلّا لشرّ — وكان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً فى الجاهلية — قال : فقاموا فى طلبى وطلب صاحبي ، فقلت له : النّجاء ! هذا واللّذى كنت أحذر ؛ أمّا الرجل فليس إليه ١٤٣٩/١ سبيل ، فانج بنفسك ، فخرجنا نشدّ حتّى أصدعنا فى الجبل ، فدخلنا فى غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترتْ دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلنى حتّى يسكن الطلب عنا ؛ فإنهم والله ليطلبنّا ليلتهم هذه ويومهم هذا^(٣) حتّى يمسّوا . قال : فوالله إنى لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمى ، يتخيّل^(٤) بفرس له ، فلم يزل يدنو ويتخيّل بفرسه حتّى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابن مالك ؛

(١) و : « خنجرأ » . (٢) ابن الأثير : « عانق » . (٣) و : « غداً » .

(٤) يتخيّل ، أى يعجب بنفسه ، وفى ط : « يخل » . وفى ابن الأثير : « يخل » .

والله لئن رأنا ليُعلمنَ بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدي ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتبع أهل مكة الصوت يشتدون ، فوجدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من ضربك ! قال : عمرو بن أمية : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنه لم يأت الخبر ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التنعيم ؛ فإذا خشية خبيب ، فقال لي صاحبي : هل لك في خبيب تُنزله عن خشبته ؟

فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلني وتتح عني . قال : وحوله حرس يحرسونه . قال عمرو بن أمية : فقلت للأنصاري : إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جمتك فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري ؛ فوالله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي ، فطرحته ؛ فأنسى وجبته حين سقط ؛ فاشتدوا في أثري ، فأخذت طريق الصفراء فأعيتوا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أمرنا ، وأقبلت أمشي ، حتى إذا أشرفت على الغليل ، غليل^(١) ضجنان ، دخلت غاراً فيه ، ومعى قوسي وأسهمي ، فبينما أنا فيه إذ دخل علي رجل من بني الدليل بن بكر ، أعور طويل يسوق غنماً له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ، قال : وأنا من بني بكر ، ثم أحد بني الدليل . ثم اضطجع معي فيه ، فرفع عقبرته يتغنّى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

فقلت : سوف تعلم ! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط ، فقامت إليه فقتلته أسوأ قتلة قتلها أحد أحدًا ؛ فمت إليه فجعلت سيئة قومي في عينه الصحيحة ، ثم تعاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .

قال : ثم أخرج مثل السبع ؛ وأخذت الحجّة كأنى نسر ، وكان النجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على النقيع ؛ فإذا رجالان

(١) الغليل ، واحد الغلان : وهي منابت الطلح ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثتهما قريش يتحسّسان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفتهما فقلت : استأسرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرى أحدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسر ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيخةٍ من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أمية ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه ، وقد شددت إبهام أسيرى بوثر قوسي ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم سألني فأخبرته الخبر ، فقال لي خيراً ودعا لي بخير .

* * *

وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمَ المساكين من بني هلال في شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ^(١) ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع من الهجرة - كان من أمر السريّة التي وجهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُتلت بئر معونة . وكان سبب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إيتائهم لِمَا وجههم له ، ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثني محمد بن إسحاق ، ١٤٤٢/١ قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والحرم ، وولى تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفّر على رأس أربعة أشهر من أجد ، وكان من حديثهم ما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعبٌ

(١) النش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنة - وكان سيّد بنى عامر بن صعصعة - على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأهدى له هدية ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأُسْلِمَ إن أردت أن أقبل هديتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، إن أمرك هذا الذى تدعو إليه حسنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاسَ إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعَنَقِ (١) ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعُروة بن أسماء بن الصلت السُلَمي ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وفي رجال مُسَمَّينَ من خيار المسلمين (٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم ، كيلاً البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفّرَ أبا براء ؛ قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم : عصيّة ، ورِعْلا ، وذكوآن ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشَوْا القوم ، فأحاطوا

(١) الملقب : المسرع ؛ وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم ،
إلاّ كعب بن زيد أخا بني دينار بن النّجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ،
فارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الحندق .

وكان في سرّح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل^(٢) من الأنصار
أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنَبِّئْهُمَا بمُصاب أصحابهما إلا الطير
تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا إليه ،
فإذا القوم في دماثهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري
لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله
عليه وسلّم فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى
عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثم
قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنّه من
مُضَرّ ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن ربة زعم أنّها
كانت على أمّه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ،
أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه ؛ وكان مع العامريّين
عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلّم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ،
وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأملهما حتّى
إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من
بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم
عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ؛ قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً .
فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفَارُ عامر إِيَّاه ، وما أصاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمنّ أصيب عامر بن فهيرة^(٤) .

• • •

(١) ارتث ، أى وقع وبه جراح .

(٢) قال ابن هشام : « هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح » .

(٣) الثورة : الثأر . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّ عامرَ بن الطُّفَّيل ، كان يقول : إنَّ الرجلَ منهم لما قتل رأيتَه رُفِعَ بين السماءِ والأرضِ حتَّى رأيتَ السماءَ من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة^(١) .

١٤٤٥/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أحدِ بني جعفر ، رجل من بني جبَّار بن سُلَيم بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبَّار فيمن حَضَرها^(٢) يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممَّا دعاني إلى الإسلام أنِّي طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتَه يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت في نفسي : ما فاز ! أليس قد قتلْتُ الرجل ! حتَّى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعمرُ الله ! فقال حسَّان بن ثابت يُحَرِّضُ بني أبي البراءِ على عامر بن الطُّفَّيل :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُوعَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ^(٣)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءَ لِيُخَفِّرَهُ ، وَمَا خَطَا كَعْبُ
أَلَا أَبْلَغُ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي فَمَا أَخَذْتُ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي^(٤)
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءَ وَخَالُكَ مَا جِدَّ حَكْمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضًا :

لَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا كُلَّ وَجْهِ خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أي فيمن حضر يوم بئر معونة .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٤) المساعي : السعي في طلب المجد والمكارم .

فَمُسْلُ مُسَهَّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ
وَتَنْوِيهِ الصَّرِيخِ بَلَى وَلَكِنْ
فَمَا صَفَرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ
أَعَامِرَ عَامِرِ السَّوَّاتِ قَدَمًا
أَخْفَرَتْ النَّبَى وَكُنْتَ قَدَمًا
فَلَسْتَ كَجَارِ جَارِ أَبِي دُوَادٍ
وَلَكِنْ عَارُكُمْ دَاءٌ قَدِيمٌ

يَحْتَجِبُ الرَّذَّةَ مِنْ كَنْفَى سَوَاءٍ^(١)
دُعَاءُ الْمُسْتَعِيثِ مَعَ الْمَسَاءِ!
عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقُ اللَّقَاءِ
وَلَا الْقُرْطَاءُ مِنْ دَمِّ الْوَفَاءِ
فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّنَاءِ
إِلَى السَّوَّاتِ تَجْرَى بِالْعَرَاءِ!
وَلَا الْأَسَدِيَّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
وَدَاهِ الْفَذْرِ فَأَعْلَمُ شَرُّ دَاءِ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قول حسن وقول كعب ، حمل على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب الرُمح عن مقتلته ، فخر عن فرسه . فقال : هذا عمل أبي براء ! إن مت فدى لعنمى ولا يُتَبَعَنَّ به ؛ وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلى^(٢)

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال : حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدري ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين بعثوا ؛ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء فعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصارى - : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حواء منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إننى رسول رسول الله إليكم ،

إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ كَيْسَرِ الْبَيْتِ بِرَمَحٍ فَضْرَبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ
الْآخِرِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ
فِي الْغَارِ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ
قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَضَرَبْنَا عَنْنَا ، وَرَضِينَا عَنْهُ » ، ثُمَّ
نُسِخَتْ ، فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالُهُمْ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *
فَرِحِينَ ﴾ ^(١)

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ :
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ الْكَلَابِيِّ
سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَ أَمِيرُهُمْ : مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ !
فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ : اتُّمِعْتُونَنِي حَتَّى أَخْبِرَكُمْ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ؛ فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُمْ ؛ إِذْ وَخَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسِّنَانِ . قَالَ : فَقَالَ
الرَّجُلُ : فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! فَقَتَلَ ، فَقَالَ : عَامِرُ : لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنْ لَهُ
أَصْحَابًا ، فَاقْتَصَوْا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْهُمْ فَقَتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .
قَالَ أَنَسُ : فَكُنَّا نَقْرَأُ فِيْمَا نُسِخَ : « بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا
رَبَّنَا ، فَضَرَبْنَا عَنْنَا وَرَضِينَا عَنْهُ » .

١٤٤٨/١

وفي هذه السنة - أعني السنة الرابعة من الهجرة - أَجْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ .

ذكر خبر جلاء بني النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠، والخبر في التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أُمِيَّةُ الضَّمْرِيُّ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا فِي مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِ بَرْ مَعُونَةٍ، وَكَانَ لَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ. وَقِيلَ إِنَّ عَامَرَ بْنَ الطُّفَيْلِ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لَهَا مِنْكَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ؛ فَابْعَثْ بِيَدَيْتِهِمَا. فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَاءَ، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ مُسْتَعِينًا بِهِمْ فِي دِيَّتِهِمَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ^(١) مِنْ بَنِي عَامَرَ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةِ الضَّمْرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْدَهُ لَهَا؛ — كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُؤْمَانَ — وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامَرَ حِلْفٌ وَعَقْدٌ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ؛ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا نَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ^(٢) مِنْ بَيْتِهِمْ، قَاعِدٌ — فَقَالُوا: مَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَقْتُلُهُ بِهَا فَيَرْيَحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ؛ فَقَالَ: أَنَا لَذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ — كَمَا قَالَ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؛ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِنْ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودٌ قَدْ أَرَادَتْ

(١) و: «الرجلين». (٢) م: «خراب».

من الغدر به ، وأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالنَّاسَ إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصَّنوا منه في الحصون ، فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بقطع النخل والتَّحْرِيق فيها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ^(١) !

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه ذكر أن بني النَّضِير لما تأمروا بما تأمروا به من إدلاء الصَّخْرَةِ على رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سَلَامٌ بن مِشْكَم وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوه ، فصعد عمرو بن جِحَاش لِيُدْحِرَجَ الصخرة ، وجاء النبي صَلَّى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، فقام كأنَّه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورِيا ^(٢) : جاءه الخبر بما همتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم انتهوا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : همّت يهود بقتلي ، وأخبرتني الله عز وجل ، ادعوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة ^(٣) ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تسكنوني وقد هممت بما همتم به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم يأمركم أن تظعنوا من بلادهم ، فقالوا : يا محمد ، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ؛

(١) قال السبيل : « قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأتى محمد » .

فقالوا : نتحمّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معي من العرب وممن انضوى إلى من قومي ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قريظة فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حيّ ، فقال سلام بن مشكم لحبيّ بن أخطب : يا حبيّ اقبل هذا الذي قال محمد ، فإنّما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شرّ منه . قال : وما هو شرّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبى الذرية وقتل المقاتلة ، فأبى حبيّ ، فأرسل جديّ ابن أخطب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنا لا نريم^(١) دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكبّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جديّ إلى ابن أبيّ يستمده . قال : فوجدته^(٢) جالساً في نفر من أصحابه ، ومنادي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ينادى بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ، وأنا عنده ، فأخذ السلاح ، ثم خرج يعدّو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حبيّاً ، فقال : هذه مكيدة من محمد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً ؛ حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم ، وله الأموال والحلقة .

فحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم - يعني بني النضير - خمسة عشر يوماً حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسيّئاً .

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : قاتلهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة - والحلقة السِّلَاح .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سَكُول ووديعه ومالك بن أبى قوئل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ؛ فإننا لن نسلِمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرُّعبَ ، فسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهُمْ ، ويكفَّ عن دماهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلا الحلقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(١) بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ؛ فكان أشرفهم من سار منهم إلى خير سَلَام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحِيسَى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم ، وأن فيهم يومئذ لأمّ عمرو ، صاحبة عروة بن الورد العبسى ؛ التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غِفَار^(٣) بزهاء^(٤) وفخخر ، ما رؤى مثله من حى من الناس فى ١٤٥٣/١

(١) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨ .

(٣) حى سلمى ، وقال الأصمعى : اسمها ليل بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى

أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسيبها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخلقوا الأموال لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة سيمّاك بن خرسثة ، ذكرا فقرا فأعطاهما رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . ولم يسلم من بني النضير إلا رجلا ن : يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها^(١).

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إذ خرج لحرب بني النضير - فيما قيل - ابن أم مكتوم ، وكانت رايته يومئذ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

• • •

وفي هذه السنة مات عبدُ الله بن عثمان بن عفّان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلى عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ونزل في حفرته عثمان بن عفّان .
وفيها وليد الحسين بن عليّ عليه السلام ، لليال خلون من شعبان .

• • •

[غزوة ذات الرقاع]

واختلف في التي كانت بعد غزوة النبي صَلَّى الله عليه وسلم بني النضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرين ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجدًا - يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان - حتى

نزل نخلًا ، وهى غزوةُ ذات الرِّقَاع (١) ؛ فلقىَ بها جمعًا (٢) من غَطَفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهمُ حرب ؛ وقد خاف النَّاسُ بعضهم بعضًا ، حتى صَلَّى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمسلمين صلاةَ الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين (٣) .

وأما الواقدي ؛ فإنه زَعَمَ أَنَّ غزوة رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ذات الرِّقَاع ، كانت فى المحرم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُمِّيَتْ ذات الرِّقَاع ؛ لأنَّ الجبل الذى سُمِّيَتْ به ذات الرِّقَاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسميت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد - يعنى ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير ، عن أبي هريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلى نجد ، حتى إذا كنَّا بذات الرِّقَاع من نخل ، لقيَ جمعًا من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلاَّ أن الناس قد خافوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فصَدَعَ أصحابه صدعين ، فقامت طائفة مواجهة العدو ، وقامت طائفة خلف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فكَبَّرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ثم ركع بيمين خلفه ، وسجد بهم ، فلما قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلُّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلَّى بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ركعة وجلسوا ، ورجع الذين كانوا مواجهين العدو (٤) ، فصلُّوا الركعة الثانية ،

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقَاع ؛ لأنهم رقعوا بهارياتهم . ويقال : ذات الرِّقَاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرِّقَاع » .

(٢) ابن هشام : « جمعًا عظيمًا » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) س : « مواجهة العدو » .

فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالسلام ، فسَلَّمَ عليهم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هذه الصلاة بيبطن نخل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره^(١) في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمى « بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكري ، أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أي يوم أنزل ، أو في أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقى^(٢) غير قريش آتية من الشام ؛ حتى إذا كنا بنخل جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فصلّ السيف ثم تهدّده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودي بالصلاة ، فصلّى نبيّ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرّسهم ، فصلّى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخّر الذين يلونه على أعقابهم ، فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلّم ، فكانت للنبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ في إقصار الصلاة ، وأمر المؤمنين بأخذ السلاح^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ أن رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفئتِكُ به ؛ فأقبل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو جالس ، وسيفُ

(١) كذا في و ، وفي ط : « ذكرها » . (٢) ط : « تلقى » ، وما أثبتته من التفسير

(٣) الخبر في التفسير ٩ : ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزه ويهمّ به ، فيكبه الله عز وجل . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ! قال : ثم غمّد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن عتيق بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف ألا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بكم الشعب - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي - فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ؟ أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ؛ فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيّة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فترعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أثبت (٢) .

١٤٥٧/١

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال: فوثب المهاجرى، فلمّا رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذروا به؛ ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا، أهببته أول ما رماك! قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها؛ فلمّا تتابع على الرى ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها^(١).

* * *

ذكر الخبر عن غزوة السويق

وهى غزوة النبى صلى الله عليه وسلم بدراً الثانية لميعاد أبى سفيان .
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ١٤٥٨/١
لما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع ، أقام بها بقيّة جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزل ، فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة ، حتى نزل مَجَنَّة من ناحية مرّ الظَّهْران - وبعض الناس يقول : قد قطع عُسفان - ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنّه لا يصلحكم إلّا عامٌ خيصب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ؛ وإنّ عامكم هذا عام جدب ؛ وإنّى راجع فارجعوا . فرجع ورجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة جيش السّويق . يقولون : إنّما خرجتم تشربون السّويق .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأثاه مخشى بن عمرو الضممرى ، وهو الذى وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودّان ، فقال : يا محمد ، أجنث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة ؛ وإن شئت مع ذلك ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

• هى غير الغزوة التى عرفت بهذا الاسم أيضاً ؛ وقد مر ذكرها فى حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣ .

ثم جالذناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ينتظر أبا سفيان ؛ فمرّ به معبّدُ بن أبي معبّد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وناقته تهوي^(١) به فقال :

١٤٥٩/١ قد نفرت من رُفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعُجْد^(٢)
تهوي على دين أبيها الأتلد^(٣) قد جعلت ماء قديدي موعدي
وماء ضجنان لها ضحى الغد^(٤) *

* * *

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحوّل للقتال في ذى القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلّا عام ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد ، فالحق بالمدينة فتبسطهم وأعلمهم أنّا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتى الخلف منهم أحبّ إلى من أن يأتى من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في^(٥) يد سهيل بن عمرو يضمونها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن^(٦) هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأبسطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهّزون ، فندستس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوي : تسرع .

(٢) العجدة : حب الزبيب .

(٣) الدين هنا : الدأب والعادة . والأتلد : القديم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .

(٥) و : « على » .

(٦) م : « تضمن » .

ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناس ؛ حتى بلغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : واللَّذى نفسى بيده ، ١٤٦٠/١ لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدي .

ثم أنهج الله عزَّ وجلَّ للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا الدرهم درهمين ؛ ولم يلقوا عدوًّا ؛ وهى بدَّر الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية ، يجتمعون لىها فى كلِّ عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رَوَاحَة .

* * *

قال الواقدي : وفى هذه السنة تزوج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ سلمة بنت أبي أمية فى سؤال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود ؛ وقال : لئننى لا آمن أن يبدلوا كتابى .
ولمَّا الحجَّ فى هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش .
حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي
عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببنت زيد بن حارثة ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقدته
رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله
يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً^(١) ؛ فأعرض
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله ،
فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل ؛ وإنما
عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم
على الباب ، فوثبت عجيلاً ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فولت
وهو يهيمهم بشيء لا يكاد يفهم ؛ إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم !
سبحان الله مصترف القلوب ! قال : فجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل !
فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعتيه^(٣) يقول شيئاً ؟ قالت :
سمعتيه^(٤) يقول حين ولئى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصترف القلوب !
فخرج زيد حتى أتى^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛
بلغنى أنك جئت منزلي^(٦) ؛ فهلاً دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ،
لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك

(١) يقال : امرأة فضل ، أى تلبس ثوباً واحداً . (٢) س : « هذا رسول الله » .

(٣) كذا فى م ، وفى ط : « فسمعتيه » . (٤) و : « قد سمعته » .

(٥) س : « رأى » . (٦) س : « إلى منزلي » .

عليك زوجك، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلت.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشيّة، فسرى عنه وهو يتبسّم ويقول^(١): مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها، يقول: إن الله زوجَها؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(٢) القصّة كلّها.

قالت عائشة: فأخذني ما قُرب وما بُعد لما يبلغنا من جمالها؛ وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها؛ زوّجها، فقلت: تفخّر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سَلَمَتِي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرها بذلك، فأعطتها أوصاحاً عليها^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر؛ فرفعت الريح الست فانكشف وهي في حُجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كُرِهَتْ إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك! أرباك منها شيء! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رايتي منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله؛ فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) م؛ «وهو يقول».

(٢) سورة الأحزاب ٣٧.

(٣) الأوصاح: جمع وضع؛ وهو حل من فضة.

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، تَخِي فِي نَفْسِكَ إِنَّ فَارِقَهَا تَزَوَّجَهَا (١) .

• • •

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدي : وفيها غزاة دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه . فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلقَ كيداً ، وخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطَةَ الغِفَارِي . ١٤٦٣/١

• • •

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عِيْنَةَ ابن حِصْنٍ أن يرعى بتَغْلَمِيْن وما والاها .

قال محمد بن عمر - فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه - وذلك أن بلاد عِيْنَةَ أَجْدَبَتْ ، فوادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى بتَغْلَمِيْن إلى المَرَاض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدي : وفيها تُوِفِتْ أم سعد بن عبادة وسعد غائبٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل .

• • •

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق (٢) في شوال ؛ حدثنا بذلك ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، عن ابن إسحاق :

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ - ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ - ١٩٣ .

وكان الذي جرّ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق - فيما قيل - ما كان من إجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير عن ديارهم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٤/١ محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا ؛ كل قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ، أنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النصري^(١) وحبي بن أخطب النصري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النصري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمارة الوائلي ؛ في نفر من بني النصير وتفر من بني وائل ؛ هم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ؛ فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصليه ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعيراً ﴾^(٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعاهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا لذلك واتعدوا له .

(١) قال السهيلي : « ونسب طائفة من بني النصير ؛ فقليل فيهم : النصري ؛ وهكذا تنقيد في النسخة العتيقة ، وقياسه النصيري ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقفى وقرشى ؛ وهو خارج عن القياس » .

(٢) سورة النساء ٥١ - ٥٥ .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأن قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المزي في بني مرة ، ومسعود^(١) بن ربيعة بن نؤيرة ابن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ حر ، وقال : يا رسول الله ؛ إنا كنا بفارس إذا^(٢) حوصرنا خندقنا علينا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه وذأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، وجعلوا يورثون بالضعف^(٣) من العمل ، ويتسللون إلى أهاليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحق بحاجته^(٤) ؛ فيأذن له ؛

(١) كذا في ط ؛ وهو يوافق ما في الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفي السيرة : « مسر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورثون : يستترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) . فتزلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ؛ والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(٢) ، أى قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعِيل ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمراً » ، فقالوا :

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعِيلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا^(٣)

فإذا مروا بعمره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمرا » ، ١٤٦٧/١ ، وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرًا »^(٤) .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير في « سماه » للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الخثني : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتني ؛ أى إذا كان اليوم غداً .

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أَجْمُ الشَّيْخَيْنِ^(١) طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاد^(٢) ثم قطعته أربعين ذراعاً بين كل عشرة^(٣) فاحتق^(٤) المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منّا ، وقالت المهاجرون : سلمان منّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منّا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذو باب حتى بلغنا الندى^(٥) ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء^(٦) مروة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإمّا أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها^(٧) بأمره ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطه .

فَرَاقَى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبَّة تَرْكِيَّة ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنّا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق^(٧) مروة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نُحِيك^(٨) فيها قليلاً ولا كثيراً ؛ فمُرْنَا فيها بأمرك ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة أطامها وحصونها . والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم - شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق في يدي ؛ وفي حديث ابن عباس في قراءة القرآن : متى ما تغلوا في القرآن تحتقوا ، يعني المراد في القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تحتصموا فيقول كل واحد منهم : الحق في يدي » . وفي س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الترى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصربي » .

(٥) المرو : حجارة بيض براقه تكون فيها النار ، وتقذف منها ، وأحدتها مروة .

(٦) كذا في التفسير ، وفي ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما ينجى منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم مع سلمان في الخندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقّة^(١) الخندق ، فأخذ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربةً صدّعتها ، وبرقت منها بركة أضاء ما بين لابتيتها^(٢) - - يعني لابتى المدينة - - حتّى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم الثانية ، فصدّعتها وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتيتها ، حتّى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ؛ فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم الثالثة فكسرها ، وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتيتها ؛ حتّى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقي ، فقال سلمان : بأبى أنت وأُمّى يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ! فالتفت رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأُمّا قد رأيّناك تضرب فيخرج برق كال موج ، فرأيّناك تكبر فنكبر ، ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور الحمير من أرض الروم ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة ، فبرق منها الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(٣)

(١) س والتفسير : « شقة الخندق » . (٢) الآية : الحرة ، والمدينة تقع بين لا بتين .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويُمَنِّبُكم ويَعِدُّكم الباطل! يخبركم أنه يبصّر من يثرب قصورَ الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تُفْتَحُ لكم؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرفوا! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عمن لا يتّهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدلكم! فواللّذي نفس أبي هريرة بيده؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطي محمد مفاتيحها قبل ذلك.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولمّا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة بين الجُرف والغابة^(٢)، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومنّ تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومنّ تابعهم من أهل نجد؛ حتى نزلوا بذئب نَقَمَى إلى جانب أحد.

وخرج رسولُ الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سلّم، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره^(٣)، وأمر بالذراري والنساء. فرفعوا^(٤) في الآطام^(٥). وخرج عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا في ط، وفي ابن هشام: «زغابة». قال السهيلي: «زغابة: اسم موضع، بالغين المنقطعة والزاي المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فدفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ؛ وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ؛ فلما سمع كعب بحبي بن أخطب ، أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حبي : يا كعب ، افتح لي ، قال : ويحك يا حبي ! إنك امرؤ مشوم ، إني قد عاهدت محمداً فليست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقا . قال : ويحك ! افتح لي أكلّمك ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دوني إلا على جشيشتك^(١) أن أكل معك منها ؛ فأحفظ^(٢) الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ؛ حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذئب نغمسى إلى جانب أحد ؛ قد عاهدوني وعاهدوني ألا يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئتني والله بذئب الدهر ! بجتهام قد هراق ماءه يرعِد ويبرق ، ليس فيه شيء ! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه ؛ فلم أرَ من محمد إلا صدقا ووفاء ! فلم يزل حبي بكعب يقتله في الذروة والغارب ؛ حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من ١٤٧٢/١ الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيد الأوس - وسعد بن عباد بن دليم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحق ما بلغنا عن

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظاً .

(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحننا نعرفه ، ولا تفتتوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد . فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه ، وكان رجلا فيه حد^(١) ، فقال له سعد ابن معاذ : دَعْ عَنْكَ مشاتمهم ؛ فإنا بيننا وبينهم أربى^(٢) من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن^{١٤٧٣/١} معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَصَلْ والقارة [أى] ^(٣) كغدر عَصَلْ والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع ؛ خُبَيْب بن عَدِي وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن^{١٤٧٣/٢} ، ونَجَمَ النِّفَاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعْتَبُ ابن قُشَيْرٍ ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كَنُوزَ كَسْرَى وقيصر ؛ وأحدنا لا يَتَدَرُّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الغائط ! وحتى قال أوس بن قَيْظَى ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا لعورة من العدو — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأَذَنْ لَنَا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنَّها خَارجة من المدينة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حَرْبٌ إِلَّا الرَّمَى^(٤) بالنَّبْلِ والْحِصَار .

فلما اشتدَّ البلاء على النَّاسِ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وما بمعنى الغضب .

(٢) أربى : أعظم .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « الرما » بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الباء ؛ وهى الرماة .

عُيَيْنَةَ بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أَبِي حارثة المَرْتَى - وهما قائدَا غَطَفَانَ - فأعطاهما ثلث ثَمَارِ المدينة ؛ على أن يرجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المَراوضة في ذلك ، ففَعَلَا ، فلما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعَاذ وسعد بن عباد ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تحبُّه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عز وجل به ؛ لا بُدَّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنعُ ذلك إلا أنى رأيت العرب قد رَمَتكم عن قوس واحدة ، وكالْبُوكُم ^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتهم لأمرٍ ما ساعة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء القومُ على شِرْكٍ بالله عز وجل وعبادة اللأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يظلمون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قِرَى ^(٢) أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزانا بك ، نُعْطِيهِمْ أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكمُ الله بيننا وبينهم . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ : فأنت وذاك ! فتناول سعدُ الصحيفة ؛ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجتهدوا علينا .

فأقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ؛ ١٤٧٥/١ لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ ، وعِكْرمة بن أبي جهل وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب الخزوميَّان ، ونوفل بن عبد الله ، وضِرَار بن الخطَّاب ^(٣) بن مرداس ، أخو بني محارب بن فيهر ؛ قد تلبَّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كِنانة ، فقالوا : تهيَّئوا يا بني كنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالْبُوكُم : اشتدوا عليكم .

(٢) القِرَى : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الْفَرَسَانِ ! ثُمَّ ^(١) أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ؛ ثُمَّ تَيْمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ ضَيْقًا ، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ ، فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ؛ فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبَّخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَقَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خِيْلَهُمْ ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانِ تَعْنِيقُ ^(٣) نَحْوَهُمْ . وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِودٍ قَاتِلَ يَوْمِ بَدْرٍ ؛ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا ^(٤) لِيُرَى مَكَانُهُ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخِيْلُهُ ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا عَمْرُو ؛ إِنَّكَ كُنْتَ تَعَاهِدُ اللَّهَ أَلَّا يَدْعُوَكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذْتَ مِنْهُ إِحْدَاهُمَا ! قَالَ : أَجَلٌ ! قَالَ لَهُ عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ، قَالَ : وَلِمَ يَا بَنَ أَخِي .؛ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! قَالَ : عَلِيٌّ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ : فَحَمْسِي عَمَرُو عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَّرَهُ - أَوْ ضَرَبَ وَجْهَهُ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَتْ خِيْلُهُ مِنْهَزِمَةً ؛ حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً ، وَقَتِلَ مَعَ عَمْرُو رَجُلَانِ : مُنَبِّهٌ بْنُ عُمَانَ بْنِ عُيَيْدٍ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ فَاتَ مِنْهُ بِمَكَّةَ ؛ وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ نُوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ؛ وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ فِيهِ ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، قَتَلْتُمْ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ ! فَتَزَلْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَهُمْ جَسَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِجَسَدِهِ وَلَا ثَمَنَهُ ؛ فَشَأْنُكُمْ بِهِ . فَخَلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١ - ١) سيرة ابن هشام : « ثُمَّ أَقْبَلُوا تَعْنِيقَ بِهِمْ خِيْلَهُمْ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ » .

(٢) المعلم : الذي جعل له علامة يعرف بها .

(٣) تعنق : تسرع .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فرَّ سعدٌ وعليه درعٌ مقلصة^(١) ، قد خرجت منها ذراعاه كلُّها ؛ وفي يده حربته يرقد^(٢) بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ^(٣) .
قالت له أمه : الحق يا بُنَيَّ ، فقد والله أخرت .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أم سعد ؛ والله لوددتُ أن درعَ سعد كانت أسبغ^(٤) مما هي ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل^(٥) ، رمَاه - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العريقة أحد بني عامر بن لؤي ؛ فلمَّا أصابه قال : خذها وأنا ابن العريقة ؛ فقال سعد : عرَّقَ الله وجهك في النَّار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحبَّ إليَّ أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمِتَّنِي حتى تقرأ عيني من بني قُرَيْظَةَ .

حدثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي و :

« مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلي : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب

ابن عليم بن جناب الكلبي » .

(٤) أسبغ : أكل .

(٥) الأكحل : عرق في الذراع .

خرجتُ يومَ الخَنْدَقِ أَقْفُو آثارَ الناسِ ؛ فواللهِ إني لأُمشي إِذْ سمعتُ وُثيداً (١) الأرضَ خَلقِي - تعني حِسَّ الأرضِ - فالتفتُ فإذا أنا بسعدٍ ؛ فجلستُ إلى الأرضِ ، ومعه ابنُ أخيه الحارثُ بنُ أَوْسٍ - شهدَ بدرًا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حدَّثنا بذلكَ محمدُ بنُ عمرو - يحملُ مِجَنَّهُ ، وعلى سعدِ دِرْعٌ من حديدٍ قد خرجتْ أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فأنا أتخوفُ على أطرافِ سعدٍ ، فمرَّ بي يرتجز ، ويقول :

لَبَّثْ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فلمَّا جاوزني قمتُ فاقتحمتُ حديقةً فيها نَفَرَ من المسلمين ، فيهم عمرُ بنُ الخطابِ وفيهم رجلٌ عليه تَسْبِغَةٌ له - قال محمد : والتَّسْبِغَةُ الْمِغْفَرُ - لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر : إِنَّكَ لَتَجَرِيئَةٌ ؛ ما جاء بك ؟ ما يدريكَ لعلَّه يكونُ تحوُّزٌ أو بلاءٌ ! فواللهِ ما زالَ يلومني حتى وددتُ أن الأرضَ تنشقَّ لي فأدخلَ فيها ، فكشفَ الرجلُ التَّسْبِغَةَ عن وجهه ، فإذا هو طلحة ؛ فقال : إِنَّكَ قد أَكْثَرْتَ ، أينَ الفرارُ ، وأينَ التحوُّزُ إلا إلى الله عزَّ وجلَّ !

قالت : فَرَمَيْ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ ، رماه رجلٌ يقال له ابنُ العَرِيقَةِ ؛ فقال : خذها وأنا ابنُ العَرِيقَةِ ؛ فقال : سعدٌ : عَرَّقَ الله وجهك في النارِ ! فأصابَ الأكْحَلَ منه فقطعه . قال محمد بنُ عمرو : زعموا أَنَّهُ لم ينقطع من أحدٍ قطَّ إلاَّ لم يزلَ يبضُّ دماً حتى يموت . فقال سعد : اللَّهُمَّ لَا تَمِيتْنِي حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ! وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية .

١٤٧٩/١

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بنُ إسحاق ، عن عَمْرِو بْنِ لَيْثٍ ، عن عُبيدِ اللهِ بنِ كَعْبٍ بنِ مالكٍ ، أَنَّهُ كانَ

(١) قال في اللسان : « وفي حديث عائشة : خرجت أَقْفُو آثارَ الناسِ يومَ الخندقِ ؛ فسمعت وُثيداً الأرضَ خَلقِي . الوُثيدُ : شدة الوطاء على الأرضِ يسمع كالندى من بعد » .

يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجُشَمي حليف بني مخزوم ؛ فالله أعلم أى ذلك كان !

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارغ (حِصْنِ حَسَّانَ بن ثابت) . قالت : وكان حَسَّانَ مَعَنَا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفيّة : فرّ بنا رجل من يهود ، فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنا ، ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون في نحورِ عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن^(١) . أتنا آت . قالت : فقلت : يا حَسَّانَ ، إن هذا اليهودي كما ترى ، يُطِيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمّا قال ذلك لي ، ولَمْ أَرْ عنده شيئا احتجزت^(٢) ؛ ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه فضربته بالعمود حتى قتله ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحِصْنِ ، فقلت : يا حَسَّانَ ، انزلْ إليه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : وأقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجزت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الحُثَينِي : « ومن رواه : اعتجرت ، فعناه شددت

معجری » .

(٣) قال السهيلي : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لوجب به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبير وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فإعيره أحد منهم بجهن ، ولا ومنه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فخلعه كان معتلاً في ذلك اليوم بملة منعت من شهود القتال » .

فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنثيف بن ثعلبة بن قنفة بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ؛ فمُرني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إننا أنت فينا رجل واحد ؛ فخذل عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد

١٤٨١/١

جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم^(١) ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم وبغيه ؛ فليسوا كهيتكم ، إن رأوا نهضةً وغنيمةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ؛ حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وفراق محمد ؛ وقد بلغني أمرٌ رأيته حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فآكتموا عليّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتصون منكم رهناً من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال :

١٤٨٢/١

(١) ابن هشام : « كانت » .

يا معشر غطفان؛ أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهموني! قالوا: صدقت، قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم؛ فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس؛ وكان ممّا صنع الله عز وجل لرسوله [أن] ^(١) أرسل أبو سفيان ورعوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنّنا لسنا بدار مقام؛ قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ ممّا بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا؛ حتى نناجز محمدًا؛ فإنّا نخشى إن ضررستكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تشرّوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلما رجعت الرّسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنّنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرّسل إليهم بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق؛ ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها؛ وإن كان غير ذلك ١٤٨٣/١ تشرّوا ^(٢) إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنّنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا، فأبوا عليهم، ونخذل الله بينهم؛ وبعث الله عز وجل عليهم الريح في ليل شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم. فلما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: قال فتى

(١) من ابن هشام. (٢) ابن هشام: «انشرّوا إلى بلادهم».

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله وصحبتموه ! قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهّد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى هويّاً^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يرجع]^(٢) — يشرط له رسول الله أنه يرجع^(٣) — أدخله الله الجنة ؟ فقام رجل . ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فقام منّا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ؟ فقام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يقدّم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ؛ قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرّ لهم قيدراً ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ جلسته ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا^(٤) بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ؛ ولقينا من هذه الريح ما ترون ؛ والله ما تطمئنّ لنا قدير ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ؛ ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث^(٥) شيئاً حتى آتية ، ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : الهزيع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .

(٤) التفسير : « واخلفتنا » .

(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وهو قائم يصلي في مِرْطٍ لبعض نسائه مُرَحَّلٍ ؛ فلما رآني أدخلني بين رجله وطرح عليّ طرف المِرْطِ (١) ثم ركع وسجد ؛ فأذلقته . فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعتُ غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم (٢) .

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : فلما أصبح نبيّ الله صَلَّى الله عليه وسلّم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

• • •

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق (٣) ، عن ابن شهاب الزُّهريّ — معتجراً (٤) بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة (٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد (٦) وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكةُ السلاح وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرُك يا محمد بالسَّير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة .

فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم منادياً ، فأذن في النَّاسِ : إن (٧) من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلا في بني قريظة (٨) .

(١) المِرْط : كساء من صوف وخز أو كتان يؤزر به .

(٢) الخبر في التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (بولاق) .

(٣) أخبار غزوة بني قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ٢٠٣ .

(٤) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أي لا يلق شيئاً تحت لحية .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أوقد »

(٧) ساقطة من ابن هشام .

(٨) بعدها في ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على بن أبي طالب بوابته إلى بني قُرَيْظَةَ ، وابتدروا الناس ، فسار على بن أبي طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دنا من الحصون ، سمِعَ منها مقالة قَبِيحَةً لرسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لَقِيَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث^(١) ! قال : لمَ ؟ أظنّك سمعتَ لى منهم أذى ! قال : نعم يا رسولَ الله . لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلمّا دنا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من حصونهم ، قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نعمته ! قالوا : يا أبا القاسم^(٢) ، ما كنتَ جهولاً . ومَرَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصَّوْرَيْنِ قبل أن يصلَ إلى بني قُرَيْظَةَ ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مرَّ بنا دِحْيَةُ بن خليفة الكلبيّ ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالة عليها قطيفة ديباج ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعِثَ إلى بني قُرَيْظَةَ يُزَلِّزُ بهم حصونهم ، ويقذف الرّعب في قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بني قُرَيْظَةَ ، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم ، يقال لها بئر أنا^(٣) ؛ فلاحق به النَّاسُ ، فأناه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلِّوا العصرَ ، لقول رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا يصلّين أحدٌ العصرَ إلّا في بني قُرَيْظَةَ ، لشيء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوا أن يُصلِّوا ، لقول النّبيّ صلى الله عليه وسلّم : حتّى تأتوا بني قُرَيْظَةَ ، فصلُّوا العصرَ بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك في كتابه ؛ ولا عَنَّفَهم به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمّد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصاريّ .

• • •

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة بدل النون : من آبار بني قُرَيْظَةَ — ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بيشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على سعد قُبَّةً في المسجد ، ووضع السلاح - يعني عند منصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الخندق - ووضع المسلمون السلاح ، فجاءه جبريل عليه السَّلام ، فقال : أَوْضَعِ السَّلاح ! ١٤٨٧/١ فوالله ما وضعت الملائكة بعدد السلاح ، اخرجُ إليهم ^(١) فقاتلهم ، فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بلامتِه فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ، ففرَّ بنِي غَنَمٍ ، فقال : من مرَّ بكم ؟ قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكلبي - وكان يشبهُ سُنَّتهُ ^(٢) ولحيته وجهه بجبريل عليه السَّلام - حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّتِهِ التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصروهم شهرًا - أو خمسًا وعشرين ليلة - فلما اشتدَّ عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبَّابة بن عبد المنذر إنَّه الذبيح ، فقالوا : ننزل على حكم سعد بن مُعَاذٍ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بحمار بأكاف من ليف ، فحمِّل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرًّا كَلَمَهُ ^(٣) حتى ما يرى منه إلا مثل الخُرْص ^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصروهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خمسًا وعشرين ليلة ؛ حتى جهَّدهم الحصار ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب - وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخلَ على بني قُرَيْظَةَ في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهد عليه - فلما أيقنوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرُ منصرف عنهم حتَّى يَناجزَهم ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١ يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ^(٥) ، وإني عارض ^(٥)

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .

(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .

(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خيلاً ثلاثاً فخذوا أيّتها شئتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : فتابع ^(١) هذا الرجل ونُصِدَّ قه ؛ فوالله لقد كان تبيّن لكم أنّه لنبى ^(٢) مرسل ، وأنّه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمّنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا تفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه علىّ فلهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصَلِّتين السيوف ؛ ولم نترك وراءنا ثَقَلًا يهمتنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلكممرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذا أبيتم هذه علىّ فإنّ الليلة ليلة السبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرةً . قالوا : نُفْسِد سبتنا ، ونُحَدِّث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلّا مَنْ قد علمت . فأصابه ^(٣) من المسخ ما لم يخفَ عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ أخابنى عمرو بن عوف - وكانوا ^(٤) حلفاء الأوس - نستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش ^(٥) إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ؛ فرّق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلّقه : إنه الذبيح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنّى خُنْتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام والتفسير : « تابع » .

(٢) و : « نبى » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفى ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىَّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاَّ يَطأَ بنى قريظة أبداً .
وقال : لا يرانى الله فى بلد خُنتَ الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وأبطأ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له ؛ فأماً إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه^(١) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيْط ، أن توبة أبى لُبابة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو فى بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَرِ يضحك فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سنك ! قال : تيبَ على أبى لُبابة، فقلت : ألاَّ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئت ؛ قال : فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يُضرب عليهن^{١٤٩٠/١} الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة، أبشّر فقد تاب الله عليك . قال : فنارَ الناس إليه ليُطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقنى بيده ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى الصَّبح أطلقه^(٢) .
قال ابن إسحاق : ثمَّ إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأسيْد بن سَعْيَةَ ، وأسد ابن عُبَيْد - وهم نفر من بنى هَمدَل ؛ ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير ، نسَبَهُمْ فوق ذلك - هم بنو عمِّ القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وخرج فى تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كله فى التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بلاق) .

(٢) بعدها فى السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتبه امرأته

فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم . والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

سُعْدَى الْقُرْظَى ، فَرَّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ - وَكَانَ عُمَرُ قَدْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدَرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : لَا أَغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا - فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي عَشْرَاتِ الْكَرَامِ . ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ؛ فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يُدْرَى ^(١) أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ! فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ .

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاسِ يزعمُ أنه كان أوثقَ برُمةٍ ^(٢) فيمن أوثقَ من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمته ملقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وقد فعلت في مواليي الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قَيْنُقَاعَ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ سَكُونٍ ، فوجههم له . فلما كلمه الأوس قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في خَيْمَةِ امْرَأَةٍ ^(٣) من أسلم ^(٤) يقال لها رُفَيْدَةُ فِي مَسْجِدِهِ ، كانت تُدْأَوِي الْجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجْعَلُوهُ فِي خِيَمَةِ رُفَيْدَةَ ، حَتَّى أَعُوْدَهُ مِنْ قَرِيبٍ - فلما

(١) في ابن هشام : « فلم يدرك » .

(٢) الرمة : الحبل .

(٣) س : « لامرأة » .

(٤) كذا في ابن هشام وفي ط : « المسلمين » .

حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاها قومه ، فاحتملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم - وكان رجلاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّمّا ولاك ذلك لتحسين فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألا تأخذّه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه .

• • •

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم ، قال : فإنتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تُسبى ذراريهم ، وأن تُقسّم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك [أمر] ^(١) مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول ^{١٤٩٣/١}

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وهو معرض عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
إجلالا له - فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم ، قال سعد : فإنّي
أحكمُ فيهم بأن تُقتلَ الرجال ، وتُقسَمَ الأموال ، وتسبَى الذراري
والنساء .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ،
عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لسعد :
لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ استنزلوا ، فحبسهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم
في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجّار . ثمّ خرج رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ،
ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ؛ يُخرج بهم إليه أرسالا ؛
وفيهم عدوُ الله حِيصُ بن أخطب ، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم ، وهم سبائة
أو سبعمائة ؛ المكشّر لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد
قالوا لكعب بن أسد - وهم يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
أرسالا^(٢) - : يا كعب ، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : في كل موطن
لا تعقلون : ألا ترون الداعي^(٣) لا ينزع ، وأنت من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ،
هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأبُ حتى فرغ منهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
وَأَتَى بِحِيصَ بن أخطب عدوُ الله وعليه حلّة له فقأحية^(٤) قد
شقّقها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة ، أنملة أنملة ، لئلا يُسلّبها ، مجموعة
يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال :
أما والله ما لمتُ نفمي في عداوتك ؛ ولكنّه من يتخذل الله يتخذل .

١٤٩٤/١

(١) الأرقعة : السموات ، واحدها رقيع .

(٢) أرسالا ، أي طائفة بعد طائفة .

(٣) س : « الراعي » .

(٤) حلة فقأحية : عل لون الورد حين هم أن يفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقَدَرُه ، وملحمةٌ قد كتبت ^(١) على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جَوَّال الثعلبي :

لَعَزُّكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلْ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أُبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلَّلَ يَبْنِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلٍ

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّثْتُ معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقتلُ رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : وملك مالك ! قالت : أقنل ! قلت : ولم ؟ قالت : حدَّثْتُ أحدثه . ١٤٩٥/١
قالت : فانطلقَ بها فضربت عنقها ^(٢) . فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تُقتل !

وكان ثابت بن قيس بن شَمَّاس - كما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهري - أني الزُّبير ^(٣) بن باطا القرظي - وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزُّبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاس في الجاهلية . قال محمد : بما ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير ، أنه كان منَّ عليه يوم بُعث ، أخذه فيجَزَّ ناصيته ، ثم خلَّى سبيله - فجاءه ^(٤) وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهلُ مثلي مثلك !

(١) في ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الحُثني : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٣) قال السهيلي : « هو الزُّبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزُّبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إنَّ الكريم يجزي الكريم . ثم أتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزبير عندي يدٌ ؛ وله على منَّةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيه بها ؛ فهب لي دمه . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : هو لك ، فأتاه فقال :

إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد وهب لي دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهلَ له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك .

قال : أهلُ بيت بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أعطاني مالك فهو لك ، قال : أيُّ ثابت ! ما فعل الذي كان وجهه مِرآة صينية تراءى فيها ^(١) عذارى الحى ؛ كعب بن أسد ؟

١٤٩٦/١

قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ حبيّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدّمنا إذا شددنا ، وحاميّنا إذا كررنا ؛ عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذَهَبُوا ، قَتَلُوا . قال : فإنّى أسألك بيدي عندك يا ثابت ، إلّا ألحقتنّى بالقوم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قبلة دَلَوُ ^(٢) نَضَحَ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنّم خالدًا فيها مُخَلَّدًا أبدًا . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزبير بن باطا :

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فيه » .

(٢) فى ابن هشام : « فتلة » ، قال أبو ذر الحثي ، : « ومن رواه : « قبلة » بالقاف والباء

فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصحبها فى الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استمجال وسرعة » .

وَقَدْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنِّي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَدَّوْا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَيْبٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِنِّي عَلَى فَلَمَّا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِحُجْرًا لَنَا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أُنبت

منهم .

فحدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصُعة ، أخى بنى
عدى بن النّجار ؛ أن سَلَمَى بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلَيْط بن قيس
— وكانت إحدى خالات رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، قد صَلَّتْ معه
القبليتين ، وبابعتَهُ^(١) بيعة النساء — سأَلَتْهُ رفاعَةَ بن شمويل^(٢) القرظيَّ —
وكان رجلاً قد بلغ ولاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يا نبيَّ الله ،
يأبى أنت وأُمّي ! هبْ لى رفاعَةَ بن شمويل ؛ فَإِنَّهُ قد زعم أنه سيُصَلِّي ،
ويأكل لحم الحمل ؛ فوهبه لها ؛ فاستَحْيَيْتُهُ .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم قَسَمَ أموال
بنى قُرَيْظَةَ ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سُهْمَانَ
الخليل وسهمان الرجل ، وأخرج منها الخُمُس ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛
للفرس سهمان وفارسه سهم ، وللراجل مَنّ ليس له فرس سهم ، وكانت
الخليل يوم بنى قُرَيْظَةَ ستة وثلاثين فرساً ، وكان أولُ فَيء وقع فيه السهمان
وأخرج منه الخمس ، فعَلَى سُنَّتِهَا وما مَضَى من رسولِ الله صَلَّى الله عليه
وسلمَ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي ؛ ولم يكن يُسَهِّم للخليل
إذا كانت مع الرجل إلا لفارسين .

ثم بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم سعدَ بن زيد الأنصاري ،

(١) و : « وباعت » .

(٢) ابن هشام : « شمويل » .

أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُرَيْظَةَ إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحاً ، وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد اصطنق لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُثَافَةَ^(١) إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيْظَةَ ، فكانت عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخفّ علىّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد تعصّت^(٢) بالإسلام ، وأبّتْ إلّا اليهوديّة ، فعزلها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ووجد في نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقعَ نعلين خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيّة يبشّرني بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جُرحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدثني ابنُ وكيع ، قال : حدثنا ابن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، في خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعنى بعد أن حكم في بنى قريظة ما حكم — فقال : اللهم إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك . اللهم إنّ كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . فانفجر ككلمه ، فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته^(٣) التي ضربت عليه في المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لني جُجرتي . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿رُحِمَا بَيْنَهُمْ﴾^(٤)

(١) كذا في ابن هشام وشرح المواهب ، والطبري ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفي الأصل : «جنافة» .

(٢) تعصت ، أى عصت .

(٣) س : « القبة » .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمّة ! كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كانت عينه لا تدمعُ على أحد ؛ ولكنّه كان إذا اشتدَّ وجَدُهُ على أحد ، أو إذا وجَدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بني قريظة خَلَاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رَحَى فشدخته شدخاً شديداً . ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصراً بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة . ولمّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزُوهم - يعنى قريشاً - ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكّة .

وكان فتح بني قريظة في ذى القعدة أو في صدر^(١) ذى الحجة ، في قول ابن إسحاق . وأما الواقدي فإنه قال : غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة ، ليالٍ بَقِيْن منه ؛ وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يُشَقَّ لبني قريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل على والزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ كانت تسمى بُنَانَة ، امرأة الحَكَم القرظي ، كانت قتلت خَلَاد بن سُوَيْد ، رمت عليه رَحَى ، فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب عنقها بخَلَاد بن سويد .

• • •

واختلف في وقت غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق ؛ وهي الغزوة التي يقال لها غزوة المُرَيْسَع - والمريثع اسم ماء من مياه خُزَاعَة بناحية قديد إلى الساحل - فقال : ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، عته ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خزاعة .

وزعم ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف بعد فراغه من بني قريظة ؛ وذلك في آخر ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وولى الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لحيان ، يطلب ١٥٠١/١ بأصحاب الرِّجيع ؛ خُبَيْب بن عدى وأصحابه ؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرةً . فخرج من المدينة ، فسلك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على مَخِيض ، ثم على البراء ؛ ثم صفقَ (١) ذات اليسار ، ثم على يَبْن ، ثم على صُخَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، فأغذَّ السير سريعاً ؛ حتى نزل على غُرَّان ؛ وهي منازل بني لحيان - وغُرَّان واد بين أمّج وعُسْفان - إلى بلد يقال له ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فلمَّا نزلها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غرتهم ما أراد ، قال : لو أَنَا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أَنَّا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه ؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم ، ثم كَرَّرا وراح قافلا (٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق .
- قال : والحديث في غزوة بني لحيان - عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابنُ إسحاق : ثم قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، فلم يُقِمْ إِلَّا ليالٍ قلائل حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل لغطفان على لِقَاح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة ؛ ١٥٠٢/١ وفيها رجلٌ من بني غِفَّار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقَاح (٣) .

• • •

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ .

(١) صفق: عدل .

(٣) اللِّقَاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

غزوة ذى قَرَد

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومنهم لا أتتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حدثت في غزوة ذى قَرَد بعض الحديث ، أنه أول من نذِرَ^(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبيلته ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كان إماماً في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإماماً في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذى وقفته ابن إسحاق لغزوة ذى قَرَد والوقت الذى روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - يعنى بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره^(٢) مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفارس لطلحة بن عبيد الله . ١٥٠٣/١ فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيسة قد أغار على ظهري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رباح ؛ خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على سرحه . ثم قمت

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثة أصوات : يا صَبَّاحاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنَّجْل ، وأرتجز وأقول : « أنا^(١) ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم^(٢) ، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة وقعدت في أصلها ، فرميتُه فعقرت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا في متضايق^(٣) علوت الجبل ، ثم أردتهم بالحجارة ؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلقت الله بعيراً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جعلته وراء ظهري ، وخذلوا بيني وبينه وحتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمحاً وثلاثين بُردة^(٤) ، يستخفون^(٥) بها لا يُلْقُون^(٦) شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٧) حتى يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنية^(٨) وإذا هم قد أتاهم عُبَيْثَةُ بن حِصْن بن ١٥٠٤/١ بدر مُمِداً ، ففعدوا يَسْتَضَحُّون^(٩) ، وقعدت على قَرْن^(١٠) فوقهم ، فنظر

(١) كذا في صحيح مسلم ، وفي ط : « وأنا » .

(٢) في اللسان : « أصل المقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع « وما زلت أرميهم وأعقر بهم » ، أى أقتل مركوبهم ؛ يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا في تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين برودة » .

(٥) يستخفون ، أى يطلبون بالقائها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام .

(٨) الثنية : العقبة والطريق في الجبل ، وفي صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من

ثنية » .

(٩) في نهاية ابن الأثير : « بينا نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أى نتغدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسرون في ظلمهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاً وعشب قال تأنلهم : ألا ضحوا رويداً ! أى ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أى نأكل من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبت ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أى يأكل في هذا الوقت ؛ كما يقال : يتغدى ويتعشى في الغداء والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفي صحيح مسلم : « وجلس على

رأس قرن » .

عَيْسَى، فقال : ما الذى أرى^(١) ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح^(٢) ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، برمينا حتى استنقذ^(٣) كلَّ شيء فى أيدينا . قال : فليقسّمْ إليهِ منكم أربعة . فعمدَ إلىَّ أربعة^(٤) منهم . فلما أمكنونى من الكلام ، قلت : أتعرفونى ؟ قالوا : مَنْ أنت ؟ قلت : سلمة بن الأكوع ؛ والذى كرّم وجهه محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبنّى رجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أنا^(٥) أظنّ ، قال : فرجعوا فابرحت مكانى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلّلون الشجر ؛ أوّلهم الآخرم الأسدى ، وعلى إثره أبو قتادة الأنصارى ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكيندى ، فأخذت بعنان فرس الآخرم ، [فولّوا مدبرين] ^(٦)، فقلت : يا آخرم ؛ إنّ القوم قليل ، فاحذرهم لا يقطعوك حتى يلحقَ بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحلّ بينى وبين الشهادة . قال : فحلّيتُهُ ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيسى ، فعقر الآخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرسه ، ولحقَ أبو قتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقر عبد الرحمن بأبى قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الآخرم ؛ فانطلقوا هارين . قال سلمة : فولدنى كَوَم وجه محمد ، استبعتُهم أعدو على رجلى ؛ حتى ما أرى ورأى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً .

قال : وبعد لَوْن قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

(١) صحيح مسلم : « ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم فى الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم ؛ فَحَلَّيْتُهُمْ^(١) فما ذاقوا منه قطرة .

قال : وَيُسْنِدُونَ^(٢) في ثنية ذى أثر^(٣) ، ويعطف على واحد فأرشفه بسهم فيقع في نغص^(٤) كفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : أَكْوَعِي غُدْوَةً^(٥) ! قلت : نعم يا عدو نفسه ؛^(٦) وإذا فرسان على الثنية ، فجئت بهما أقودهما إلى رسول الله^(٦) ، ولحقني عامر عتي بعد ما أظلمت بسطيحة^(٧) فيها مِذْقَةٌ من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وعليت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلَّيْتُهُمْ^(٨) عنه ، عند ذى قَرَدٍ ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك الإبل التي استنقذت من العدو ، وكل رُمح ، وكل بُردة ؛ وإذا بلال قد نَحَرَ ناقة من الإبل التي استنقذت من العدو ، فهو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبَّيدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلّني فلأنتخب^(٩) مائة رجل من القوم ، فأَتْبِعُ القوم فلا يَبْقَى^(١٠) منهم عين . فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بدا - وقد بانَتْ - نواجذُه . [في ضوء النار]^(١١) . ثم قال : أَكُنْتَ فاعلا ! فقلت : إِي وَالَّذِي أَكْرَمَكَ !

(١) فحلَّيْتُهُمْ ، أى طردتهم وأجلَّيْتُهُمْ .

(٢) أسندوا ، أى صدعوا ، وفي صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون في ثنية » .

(٣) كذا ذكر في ط ، ولم أجد هذا الموضع في ياقوت .

(٤) النغص : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمي بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦-٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية » ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) السطيحة : إزاء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمذقة : قليل من لبن مزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلَّيْتُهُمْ » .

(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يَبْقَى منهم مخبر إلا قتلته » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيُقْرَوْنَ^(١) بِأَرْضِ غَطَفَانَ . قَالَ ،
فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ ، فَقَالَ : نَحَرُ لِمِ فُلَانٍ جَزْوَراً ، فَلَمَّا كَشَطُوا^(٢)
عنها جلدها رأوا غُتَبَاراً ؛ فَقَالُوا : أَتَيْتُمْ^(٣) ؟ فخرجوا هاربين ، فَلَمَّا
أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ،
وْخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ . ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ [سَهْمِينَ]^(٤) سَهْمَ الْفَارِسِ ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ ؛ [فَجَمَعَهُمَا لِي
جَمْعِيًّا]^(٥) ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَرَاءَهُ عَلَى الْعِضْبَاءِ^(٦) ؛ [رَاجِعِينَ
إِلَى الْمَدِينَةِ]^(٧) . فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ ؛ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّحُ شَدًّا^(٨)
فَجَعَلَ يَقُولُ : أَلَا مِينَ مَسَابِقِ ! فَقَالَ ذَلِكَ مِرَاراً ؛ فَلَمَّا سَمِعْتُهُ قُلْتُ :
أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا ! فَقَالَ : لَا ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ،
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! ائْذَنْ لِي^(٩) فَلَأَسَابِقَ الرَّجُلِ ! قَالَ :
إِنْ شِئْتَ ، قَالَ : فَطَفَرْتُ^(١٠) فَعُدْتُ ، فَرَبِطْتُ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ فَأَلْحَقَهُ^(١١)
وَأُصْكُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَقُلْتُ : سَبَقْتُكَ^(١٢) وَاللَّهِ ! فَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّ^(١٣) ،
فَسَبَقْتَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ نَمُكِّثْ بِهَا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ^(١٤) .

١٥٠٧/١

* * *

- (١) يَقْرَوْنَ : يَضَافُونَ .
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمَ : « كَشَفُوا جُلْدَهَا » .
(٣) صَحِيحُ مُسْلِمَ : « أَتَاكُمُ الْقَوْمُ » .
(٤) مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمَ .
(٥) الْعِضْبَاءُ : لِقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(٦) شَدًّا ، أَيْ عَدَا عَلَى الرَّجُلَيْنِ .
(٧) صَحِيحُ مُسْلِمَ : « ذَرَفُ » .
(٨ - ٨) صَحِيحُ مُسْلِمَ : « فَرَبِطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبِقُ لِنَفْسِي ، ثُمَّ عُدْتُ فِي إِثْرِهِ ،
فَرَبِطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ ؛ ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ » . وَالشَّرَفُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَعْنَى
رَبِطْتُ ، حَبَسْتُ نَفْسِي عَنِ الْجَرْيِ الشَّدِيدِ .
(٩) صَحِيحُ مُسْلِمَ : « قَدْ سَبَقْتُ » .
(١٠) أَيْ أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَفِي ط : « إِنْ أَظُنُّ » .
(١١) الْخَبَرُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ بِسَنَدِهِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ؛ مَعَ
اِخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله - يعنى مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلك ، ثم صرخ : واصبأحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم - وكان مثل السبع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالتسبل ، ويقول إذا رى : «خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ ، واليوم يوم الرضع» .

فإذا وُجِّهَتْ الحيل نحوه ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرى رَمَى ، ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(١)

قال : فيقول قائلهم : أَوَيْكُنَا^(٢) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! فتأملت^(٣) الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر بن وقش بن زُغَبَة بن زَعُورَا ، أخو بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظُهَيْر أخو بني حارثة بن الحارث - يُشَكُّ فيه - وعُكَّاشَة بن مِحْصَن ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ومُحَرِّز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن رَبِيعٍ ، أخو بني سلمة ، وأبو عِيَّاش ؛ وهو عُبَيْد بن زيد بن صامت ، أخو بني زُرَيْق .

فلَمَّا اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق - لأبي عِيَّاش : يا أبا عِيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ! قال أبو عِيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللثيم . (٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « أكيمنَا » .

(٣) ابن هشام : « قترمت » .

أفرس^١ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرتى خمسين ذراعاً حتى طرحني ؛ فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عبيّاش معاذ بن معاص - أو عائذ بن ما عاص - ابن قيس بن خثلة - وكان^(١) ثامناً - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير أخا بني حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول من لحق بالقوم على رجله ؛ فخرج الفرسان في طلب القوم ، حتى تلاحقوا^(٢) .

١٥٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وجدتني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارس لحق بالقوم مُحَرَز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمه - ويقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له : قمير - وأن الفرع لما كان ، جال فرس^٣ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخليل ، وكان فرساً صنيعاً^(٣) جاماً^(٤) ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قمير ، هل لك في أن تركب هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم ينشَب أن بدّ الخليل بجَمَامِه^(٥) حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشر الكبيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه ؛

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الفرس الصنيع : الذي يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جَمَ الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، والباء هنا للسببية .

حتى وقف على آريته^(١) في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن محمزا إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال له^(٣) الجناح ، فقتل مُحَرَّز ، واستُلب الجناح . ولمَّا تلاحقت الخيول قَتَلَ أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة ، حبيب بن عيينة بن حصن ، وغشاه ببردته ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى^(٤) بيردة أبي قتادة ، فاسترجع^(٥) الناس ، وقالوا : قَتَلَ أبو قتادة ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قَتَلَ لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عُكَّاشَةَ ابنِ مِحْصَنٍ أو باراً وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظهما بالرُّمَح فقتلها جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللقاح . وسار رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى نزل بالجبلِ مِن ذِي قَرْد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسولَ الله ، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيَّة السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيما بلغني : إنَّهم الآن لَيُغَبِّقُونَ^(٦) في غَطَفَان .

وقسم^(٧) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه في كلِّ مائة جزؤراً ،

(١) الآري : الجبل الذي تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة آرياً أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغبقون : يثربون اللين وقت المشي .

(٧) ابن هشام : « قسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قافلاً حتى قدم المدينة^(١) .

فأقام بها بعضُ جمَـأدى الآخرة ورَجَبَ . ثم غزا بلمـصطلق من خُزاعة في شعبان سنة ست .

• • •

ذكر غزوة بني المصطلق

١٥١١/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعليّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبدِ الله بن أبي بكر . وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، قال : كُلُّ قَدْ حدثني بعضُ حديثِ بني المصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم أنَّ بلمـصطلق^(٢) يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ؛ أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ، زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ، فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء^(٣) من مياههم ، يقال له : المرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فتراحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَنَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ؛ فَأَفَاءَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْبِ بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَّابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة ابن الصَّامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار يقال له جهنجاه بن سعيد^(١) ، يقود له فرسه ، فازدحم جهنجاه وسنان الجهني^(٢) حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١ فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهنجاه : يا معشر المهاجرين^(٣) ، فغضب عبد الله بن أبي بن سؤل ، وعنده رهط من قومه^(٤) ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقد^(٥) فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا^(٦) وجلايب^(٧) قريش ما قال القائل : « سَمَنَ كَتَبَكَ يَا كُتْلَكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعرض منها الأذل ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فثنى به إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم من عدوه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفي الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الغفاري ؛ شهد بيعة الرضوان بالحدبية . . . » وذكر خبره في غزاة بني المصطلق .

(٢) في ابن هشام : « سنان بن وبر الجهني » . وقال السهيلي : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم - من جهنة - بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ؛ وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها متنتة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فن دعا في بدعى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له خسين سوطاً ؛ اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده النابتة الجعدى خسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشدد بمصبى . والثاني أن فيها الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا في حد . والقول الثالث اجتihad الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومه » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلايب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلايب

الأزر الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرُّ به عَبَّاد بن بَشْر بن وقش فليقتله ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل - وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها - فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي بن سكر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان عبد الله بن أبي في قومه شريفاً عظيماً - فقال من حضر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من أصحابه من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم ^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدّثاً ^(٢) على عبد الله بن أبي ودفعاً عنه .

١٠١٣/١

فلما استقل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وشار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه تحية النبوة ، وسلّم عليه ، ثم قال : يا رسول الله ، لقد رُحْتُ في ساعة منكّرة ما كنت تروح فيها ! فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : أو ما بلغك ^(٣) ما قال صاحبكم ! قال : وأيّ صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبي ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل ، قال أسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ؛ فإنه ليرى ^(٤) أنك قد استلبته ملكاً ^(٥) .

ثم متن ^(٦) رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالناس يومهم ذلك حتى أسمى ، ولبثهم حتى أصبح ، وصدّر يومهم ذلك حتى آذنتهم الشمس .

(١) يقال : وهم في كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .

(٢) التفسير : « حدّثاً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى » .

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومتن ، أي سار بهم حتى أضعف

إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أضعفها حتى الضعف .

ثم نزل بالنَّاس ؛ فلم يكن إلّا أن وجدوا مَسَّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فَعَلَ ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(١) ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى .

ثم راح بالنَّاس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقُ النَّصِيع ^(٢) ، يقال له نَقْعَاء ، فلَمَّا رَاحَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم هَبَّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوَّفوها ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : لا تخافوا ^(٣) ، فإنما هَبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلَمَّا ١٥١٤/١ قدِموا المدينة وجدوا رفاعَةَ بن زيد بن الثَّأبوت ، أحد بني قَيْنُقَاع — وكان من عظماء يهود ، وكَهَفًا للمنافقين — قد مات فى ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبى بن سَكُول ومَنْ كان [معه] ^(٤) على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلَمَّا نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بأذُن زيد بن أرقم فقال : هذا الذى أوفى الله بأذنه .

• • •

حدَّثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدَّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدَّثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمى فى غَزَاةٍ ، فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُتَفَقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ والله ، ﴿ لَنُزَجَّعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(٥) ؛ فذكرت ذلك لعمى ، فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا فى ط والتفسير ، بالنون ، وفى رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت

فى معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوها » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨٠ .

فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ؛ قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فأصابني همٌ لم يصبني مثله قطّ ، فجلست^(١) في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى^(٢) أن كذبك رسول الله ومقتلك ! قال : حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها ، ثم قال : إن الله صدّقك^(٣) يا زيد^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سكول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنّه قد بلغني أنّك تريد قتل عبد الله بن أبي — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فرتني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهارجل أبرّ بوالده مني ؛ وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ؛ فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نرفق به ، ونحسن صحبتَه ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويعنفونه ويتوعّدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله ، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر في التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلته. قال : فقال عمر : قد والله علمت ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مِقْيَس بن صُبابَة من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسولَ الله ، جئتُك مسلماً وجئتُ أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديّة أخيه هشام بن صُبابَة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فقال فى شعر :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّباتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاهِ الْأَخَادِعِ ^(٢)
وَكَاثَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تِلْمٌ ، فَتَحْمِينِي وَطَاءُ الْمُضَاجِعِ ^(٣)
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى ، وَأَدْرَكَتْ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ ^(٤)
تَأَرَّتْ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ ^(٥)

وقال مقيمُ بن صُبابَة أيضاً :

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ ، لَهَا وَشَلٌ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعلُوهُ وَيَنْصَرِمُ ^(٦)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنَى بَكْرٍ إِذَا ظَلِمُوا ^(٧)

وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين : مالكاً وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بلاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تطلع . والأخادع : عروق القفا ؛ وإنما هما أخذعان ؛ فجعلهما مع يليهما .

(٣) تلم : تحلب . وتحمينى : تمننى . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثورة : الثأر .

(٥) ط : « تأرت به قهراً !! » وما أثبتته من ابن هشام . العقل : الدية . وسراة بنى النجار :

خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٦) جللته ضربة : علوته بها . وباءت : أخذت بالثأر : يقال ؛ يؤت بفلان ؛ إذ أخذت

بثأره . والوشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٧) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجهة . (٣٨)

سبباً كثيراً ، ففشا قَسَمُهُ في المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار زوج النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

١٥١٧/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس - أو لابن عمٍّ له - فكاتبتُه على نفسها - وكانت امرأة حُلْوَةً مَلَاةً (٢) ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا ، وعرفت أنه سِرَى منها مثل ما رأيته ، فدخلتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قوم ، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ؛ فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عمٍّ له - فكاتبتُه على نفسي ، فجئتُك أستعينك على كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ بركة على قومها منها (٣) .

* * *

حديث الإفك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحه : الشديدة الملاحه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك - كما حدّثني أبي إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - حتّى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت [معه] ^(١) عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا ^(٢) .

١٥١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي وعن سعيد بن المسيّب ^(٣) ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [بن مسعود] ^(٤) قال الزهري : كلّ قد حدّثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض . قال : وقد جمعت لك كلّ الذي حدّثني القوم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : وكلّ قد اجتمع حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدّث بعضهم ما لم يحدّث بعض ، وكلّ كان عنها ثقة ، وكلّ قد حدّث عنها ١٥١٩/١ بما سمع .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلمّا كانت غزوة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان يصنع ؛ فخرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العلق ^(٥) لم يهبتجنهن ^(٦) اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيري جلست في هودجتي ، ثمّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ،

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ .

(٣) ابن هشام : « سعيد بن جبير » . (٤) من التفسير .

(٥) العلق : بضم ففتح ؛ وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت القداء .

(٦) التبيج ، كالورم في الجسم ، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة .

ويحملوني فيأخذون بأسفل الدودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجهه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع^(١) ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ؛ فلما رجعت إلى الرجل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرجعت عودي على بدني إلى المكان الذي ذهبت إليه ؛ فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الدودج ، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنني فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا محجب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبت إليه ؛ وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلي . قالت : فوالله إنني لمضطجعة ، إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي^(٢) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس في العسكر ؛ فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف عليّ فعرفني - وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب - فلما رآني قال : إننا لله وإننا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلتك رحمتك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركب رحمتك الله ! واستأخر عني . قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعا يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك في ما قالوا . فارتج^(٣)

(١) الجزع : الخرز . وطفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الطفاري .

(٢) قال السهيلي : « يكنى أبا عمرو » ، وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط مما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى في تخلفه سبب آخر ؛ وهو أنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس .

(٣) ابن هشام : « ارتج العسكر » ، أي تحرك واضطرب .

العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث^(١) أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوتى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً^(٢) ، إلا أننى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رحميتى ولطف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكواى^(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على أُمى تمرّضتني ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدتُ فى نفسى ممّا رأيت من جفائه عني ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أدنت لى فانتقلت إلى أُمى فمرّضتني ! قال : لا علميك ! قالت : فانتقلت إلى أُمى ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى نفّس من وجع بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قومًا عربًا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكُنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ؛ إنّما كنا نخرج فى فسّح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مسطح بنت أبي رهم بن المطّلب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشي معى ، إذ عثرت فى مِرطِها^(٤) ، فقالت : تَعِيسِ مِسْطَح^(٥) ! قالت : قلتُ : بشى لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أوّما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتى ، ورجعت فما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٦) كبدى . قالت : وقلت لأُمى :

(١) ابن هشام : « ألث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكأتى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « ومسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : يشق .

يقفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُنَيَّة خَفَضِي الشأن ^(١) ؛ فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها . ١٥٢٢/١

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ^(٢) ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهن غير الحق ! والله ما علمتُ منهن ^(٣) إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ! وما دخل ^(٤) بيتاً من بيوتى إلا وهو معي . قالت : وكان كُبر ^(٥) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سكل في رجال من الخزرج ؛ مع الذي قال مسطح وحمينة بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزل عنده غيرها ، فأما زينب فقصمها الله ، وأما حمينة بنت جحش] ^(٦) ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارتي ^(٧) لأختها زينب بنت جحش — فشقيت بذلك . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهل أن تضرب ^(٨) أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد — وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً — فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن ١٥٢٣/١

(١) خفضي الشأن : هزبه عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم ومعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادني » .

(٨) و : « تضرب » .

المنافقين ! قالت : وتناوره^(١) النَّاسُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ شَرٌّ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَى ،
قَالَتْ : فَدَعَا عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ؛ فَاسْتَشَارَهُمَا ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَنْفَى خَيْرًا وَقَالَ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلُكَ ، وَلَا نَعْلَمُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا خَيْرًا ؛
وَهَذَا الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ . وَأَمَّا عَلَى فَمِنْهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ ؛
وَلِإِنَّكَ لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ ؛ وَسِلَّ الْجَارِيَةِ فَإِنَّهَا تَصْدُقُكَ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَبْرَةِ يَسْأَلُهَا . قَالَتْ : فَقَامَ إِلَيْهَا عَلَى فَضَرِبَهَا ضَرْبًا
شَدِيدًا^(٣) ؛ وَهُوَ يَقُولُ : اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَتْ : فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا
خَيْرًا ، وَمَا كُنْتُ أُعِيبُ^(٤) عَلَى عَائِشَةَ ؛ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُعْجِبُ عَجِيبِي^(٥)
فَأَمَرَهَا أَنْ تَحْفَظَهُ^(٦) فَتَنَامَ عَنْهُ ، فَيَأْتِي الدَّاجِنَ فَيَأْكُلُهُ^(٧) .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي أَبَوَايَ ، وَعِنْدِي
امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِيَ ؛ فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ ؛
وَلِإِنْ كُنْتَ قَارِفَتْ سُوءًا^(٨) مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ؛ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ ذَلِكَ ، تَقَلَّصَ^(٩)
دُمْعِي ؛ حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَانْتَهَرْتُ أَبَوَايَ أَنْ يَجِيبَا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا . قَالَتْ : وَابْسُمُ اللَّهَ لِأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي
نَفْسِي وَأَصْغَرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِرَائَتَا يقرأ به في المساجد ،

١٥٢٤/١

(١) س : « وتنافر » . وفي ابن هشام : « وتساور الناس » ، أي قام بعضهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيرًا » .

(٣) قال السهيلي : « وأما ضرب على الجارية وهي حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله في ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، وأتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث ما لا يسمعها كتمه » .

(٤) س : « أعتب » .

(٥) و : « عجبتي » .

(٦) س : « بحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .

(٨) قارفت سوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ووصلني به ، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآنٌ ينزل في ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسول الله ! قالت : فقالا لي : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وایم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر^(١) في تلك الأيام ! قالت : فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؛ والله لئن أقرت بما يقول الناس — والله يعلم أني منه بريئة — لتصدقني ؛ لأقولن ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقوني . قالت : ثم التمس اسم يعقوب فما أذكره ؛ ولكنني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ، ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت ؛ قد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالمٍ ، وأما أبوي ؛ فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سررت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فترقأ أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سررت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في . ثم أمر بمسطح بن أثانة وحصان بن ثابت وحمئة بنت جحش — وكانوا ممن أفصح بالفاحشة — فضربوا^(٢) حدّهم^(٣) .

١٥٢٥/١

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ - ٧٤ (بولاق) ، مع

اختلاف في آخر الخبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق .
عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت
له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال :
بسلى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ! قالت : لا والله
ما كنت لأفعله ^(١) ، قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن
ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۖ ۞ ﴾ ^(٢) . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت في أصحابه
الذين قالوا ما قالوا ^(٣) .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ۖ ﴾ ^(٢) الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال :
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْإِسْتِخْصَامِ ۖ ﴾ ^(٤) الآية . فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها
ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وحاجته :
والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال ١٥٢٦/١
لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل في ذلك :
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ ۖ ﴾ ^(٥) الآية .

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس

ابن حجر الكندي :

أَلَا رَبَّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرَ مُؤْتَلٍ
وفى كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ۖ ﴾ وهو من الآية ، والآية :

ابنمين ، قال حسان بن ثابت :

أَكَلْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنْ أَلِيَّةٍ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ

فمعى « أن يؤتوا » في هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحبُّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه ؛ وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابت المعطل فيه . وبمن أسلم من العرب من مضّر ، فقال :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتَ صَاحِبُهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ^(٢)

مَا لَتَقْتِيلِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخْذُهُ مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ^(٣)

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطُلُ . وَبِرْمِي الْعَبْرِ بِالزَّبْدِ^(٤)

يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي مَلْفِظًا أَفْرَى كَفَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥) ١٥٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن

حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ^(٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن

محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن ثابت بن قيس بن الشَّماس أخا

(١) ديوانه ١٠٤ . قال السهيلي : « يعنى بالجلابيب الغرباء . وببيضة البلد ، يعنى منفرداً ؛ وهى كلمة يتكلم بها فى المدح تارة ، وفى معنى القل أخرى ، يقال : فلان بيضة البلد ؛ أى أنه واحد فى قومه عظيم فيهم . وفلان بيضة البلد ؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد » .

(٢) تكلته أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع .

(٣) القود : قتل النفس .

(٤) يغطل : يحول ويتحرك . والعبر : جانب البحر .

(٥) ملفظ ، أى من الفليظ . أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد ، بكسر الراء :

الذى فيه برد . وبعده فى سيرة ابن هشام :

أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يَشِيئُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لِلرَّشْدِ

وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرِزَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ ، وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْوُكْدِ

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٣

بلحارث بن الخزرج ، وَدَّ بَ عَلَى صُفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ فِي ضَرْبِهِ حَسَانَ ، فِجْمَع يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ ، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَلَا أَعْجَبُكَ ^(١) ضَرْبَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ بِالسَّيْفِ ! وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَتَلَهُ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ مِمَّا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : لَقَدْ اجْتَرَأْتَ ! أَطْلَقَ الرَّجُلَ ، فَأُطْلِقَهُ . ثُمَّ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ ؛ فَدَعَا حَسَّانَ وَصُفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُعْطَلِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، آذَانِي وَهَجَانِي ، فَاحْتَمَلْنِي الْغَضَبَ فَضَرَبْتَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَانَ : يَا حَسَانَ أَتَشَوَّهْتَ ^(٢) عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ! ثُمَّ قَالَ : أَحْسِنِ يَا حَسَّانُ فِي الَّذِي قَدْ أَصَابَكَ ، قَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٣) .

١٥٢٨/١

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عِيْوَضًا مِنْهَا بَيْتْرَحًا - وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حُدَيْلَةَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ ؛ كَانَتْ مَالًا لِأَبِي طَلْحَةَ بْنِ سَهْلٍ ، تَصَدَّقَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْطَاهَا حَسَّانُ فِي ضَرْبَتِهِ - وَأَعْطَاهُ سَيْرِينَ ؛ أُمَّةً قِبْطِيَّةً ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ . قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : لَقَدْ سِئِلَ عَنْ صُفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ فَوَجَدُوهُ رَجُلًا حَصُورًا مَا يَأْتِي النِّسَاءَ . ثُمَّ قَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ ابْنِ حَمْزَةَ ، أَنَّ حَدِيثَ عَائِشَةَ كَانَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ شَهْرَ رَمَضَانَ وَشَوَّالًا ، وَخَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سِتَّةِ مَعْتَمِرَاتٍ .

(١) : س « أَلَا أَعْجَل » .

(٢) أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي ، أَيْ أَقْبَحْتَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ حِينَ سَمِيَتْهُمُ الْجَلَابِيبُ مِنْ أَجْلِ هَجْرَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عُمرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
التي صَدَّهَ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ ، وَهِيَ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ
ابْنُ ذَرٍّ الْهَمْدَانِيُّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثَ
عُمَرٍ ، كُلَّهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ؛ يَرْجِعُ فِي كُلِّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ^(١) ، قَالَ : خَرَجَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْتَمِرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَا يَرِيدُ حَرْبًا ، وَقَدْ ١٥٢٩/١
اسْتَنْفَرَ ^(٢) الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، وَهُوَ
يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا بِهِ أَنْ يَعْضُوا لَهُ بِحَرْبٍ ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ
الْبَيْتِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَسَاقَ مَعَهُ
الْهَدْيَ ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ، لِأَيِّمَنِ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا
جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، مُعَظِّمًا لَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ
إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ
الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ؛ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، يَرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، لَا يَرِيدُ قِتَالًا ،
وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ ؛ كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ
عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ .

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ؛ فَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ،
عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنِ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ .

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٣ .

(٢) س : « استنصر » .

وحدثني يعقوب ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، في بضعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١٥٣٠/١ صلى الله عليه وسلم الحديبية ، ونحن أربعة عشر (١) ومائة .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شريحيل المصري ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد المصري ، قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعتُ عبد الله بن أبي أوفى ، يقول : كنّا يوم الشجرة ألفاً وثلثمائة ، وكانت أسلّم تُمن (٢) المهاجرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنّا أصحاب الحديبية أربعة عشر ومائة .

* * *

قال الزهري : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتّى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال له : يا رسول الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضعة عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المَطَافِيلُ^(١)، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذى طُوى، يحلفون بالله^(٢) لا تدخلها عليهم أبداً؛ وهذا خالد بن الوليد في خيئِهم، قد قدموها إلى كُرَاع الغَمِيمِ.

* * *

قال أبو جعفر: وقد كان بعضهم يقول: إن خالد بن الوليد كان يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً.

• ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُصَمِيُّ، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أُنْزَى، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهَدْيِ، وانتهى إلى ذى الحُلَيْفَةِ، قال له عمر: يا رسول الله، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كُرَاع! قال: فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فلم يدع^(٣) كُرَاعاً ولا سلاحاً إلا حمَلَهُ، فلما دنا من مكّة منعه أن يدخل، فسار حتى أتى مِئِنَى، فترل بمِئِنَى، فأثابه عينه أن عِكْرَمَةَ بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابن عَمَتِكَ، قد أُنَاكَ في الحِلِيلِ، فقال خالد: أنا سيفُ الله وسيفُ رسوله - فيومئذ سُمِّيَ سيفَ الله - يا رسول الله ارمِ بي حيث شئت. فبعثه على خيل، فلقى عِكْرَمَةَ في الشَّعْبِ، فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مَكَّةَ، ثم عاد في الثانية، فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مَكَّةَ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مَكَّةَ، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ - إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤) قال: وكفَّ الله النبي صلى الله عليه

(١) العوذ: جمع عائد؛ ومن الإبل: الحديثة النجاج. والمطافيل: التي معها أولادها؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.

(٢) ابن هشام والتفسير: «يعاهدون الله».

(٣) س: «منها».

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلّم عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم^(١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزال أجاهدكم على النّدي بعني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلّك بهم على طريق وعبرٍ حزن^(٣) بين شعاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهّلة عند منقطع الوادي - قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونُتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحيطة^(٤) التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٥) .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهْرَيِ الحِمَضِ في طريق تُخْرِجُه على^(٦) ثنية المُرَارِ على مهبّط الحديدية من أسفل مكة . قال : فسلّك الجيش ذلك الطريق ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانيه ؛ وكُنِيَ بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلّك بهم طريقاً وعراً أجراً » ، والأجرل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلمّا رأت خيل قريش قِترَةَ^(١) الجيش ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المُرّار ، برکتْ ناقته ، فقال الناس : خلأت^(٢) ! فقال : ما خلأتُ ، وما هو لها بخُلُقٍ ؛ ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة يسألوني صلّة الرّحيم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقبل : يا رسولَ الله ما بالوادي ماء نزل عليه ! فأخرجَ سهمًا من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قَلْبٍ من تلك القُلُب فغرز في جوفه ، فجاش^(٣) الماءُ بالرّيحِ^(٤) حتى ضربَ الناسُ عليه بعِطَن^(٥) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ رجلاً من أسلمَ حدثه ، أنّ الذي نزل في القَلْبِ بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْرِ ابنِ يَعْمَرِ بن دارم ، وهو سائقُ بُدْنِ رسول الله صلّى الله عليه وسلم . ١٥٣٤/١ قال : وقد زعم لي بعض أهل العلم أنّ البراءَ بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم . قال : وأنشدتُ أسلمُ أبياتاً من شعر قالها ناجية ، قد ظننّا أنه هو الذي نزل بسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فزعمتُ أسلم أنّ جاريةً من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجيةً في القَلْبِ يَمِيح على الناس^(٦) ، فقالت :

(١) قِترَةُ الجيش : ما يثيره من الغبار . وفي الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشعر خالد وأصحابه إلا وقد خلفهم قِترَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلاء في الإبل بمنزلة الحران في الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة » .

(٣) جاش : ارتفع .

(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن ؛ أصله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللاً بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعى ؛ ضرب ذلك مثلاً لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .

(٦) يَمِيح على الناس : يملأ الدلاء ليستقيهم .

بِأَيِّهَا الْمَائِحُ دَلَوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يُشْنُونَ خَيْرًا وَيُجَدُّونَكَ .

وقال ناجية ، وهو في القليب يَمِيعُ الناس :

قد علمت جاريةً يَمَانِيَةً أَنِّي أَنَا الْمَائِحُ وَاسْمِي نَاجِيَةٌ
وَطَعْنَةً ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ طَعْنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ (١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعائي ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمّر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عروة ، عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عروة ،
عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَا : نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ (٢) قَلِيلِ الْمَاءِ ؛ إِنَّمَا يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا (٣)
فَلَمْ يُلَبِّسْهُ النَّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ ، فَشَكِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْعَطَشَ ، فَتَرَعَ سَهْمًا مِنْ كَنَانَتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ
يُجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدُرُوا عَنْهُ ؛ فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ ١٥٣٥/١
فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةٍ - وَكَانُوا عَيْبَةً نَصَحَ (٤) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ - فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ
لُؤَيٍّ قَدْ نَزَلُوا أَعْدَادَ (٥) مِيَاهِ الْحَدِيدِيَّةِ ؛ مَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ ؛ وَهُمْ مُقَاتِلُونَ
وَصَادُونَ عَنِ الْبَيْتِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ أَحَدٍ ،
وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قَرِيشًا قَدْ نَهَكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا
مَادَدْنَاَهُمْ مُدَّةً وَيُخْلِدُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرُ ، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا

(١) الواحية : الواسعة الشق . والحادية : القوم الذين يعدون ؛ أي يسرعون في العدو .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرض الماء ؛ كلما اجتمع منه شيء في غرفة .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أي خاصته وأصحاب سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

فَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَمَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَسَمُوا ؛ وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ^(١) ، أَوْ لَيْسَتْ فَنَذَرُ اللَّهَ
أَمْرَهُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَنَبْلُغُهُمْ مَا تَقُولُ .

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيضًا فَقَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ،
وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ
لَنَا أَنْ تَحْدِثَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ،
قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ؛ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :
أَوْ لَسْتُ بِالْوَلَدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ ؛ فَلَمَّا بَلَاحُوا ^(٢) عَلَى جَيْتِكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي
وَمَنْ أَطَاعَنِي ! قَالُوا : بَلَى . ١٥٣٦/ ١

° ° °

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الزَّهْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لِسُيَّعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ .

° ° °

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ . قَالَ : فَإِنَّ هَذَا
الرَّجُلَ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِهِ . فَقَالُوا :
اِئْتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يَكْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ
لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ ، فَهَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ ! وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرَى وَجُوهًا وَأَوْشَابًا ^(٣) مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا أَنْ يَنْفِرُوا وَيَدْعَوْكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
امْصُصْ بِظُرِّ اللَّاتِ - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيْفٌ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أُنَحْنُ نَفِيرٌ
وَنَذَرُهُ ! فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) السالفة : صفحة المتق ، وهما سالفتان من جانيه .

(٢) بلحوا ، أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . وفى ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨

(طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أَجْزِكَ بها لأَجْبَتِكَ ؛ وجعل يكلِّمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فكلَّمَا كلَّمَهُ أخذَ بلحيته - والمغيرةُ بنُ شعبة قائمٌ على رأسِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ومعه السيفُ وعليه المغفرُ ؛ فكلَّمَا ^(١) أهوى عروة بيده إلى لحيته النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ضرب يده بنعل السيف ، وقال : أحرَّ يَدَكَ عن لحيته ، فرفع عروة رأسه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : المغيرةُ ١٥٣٧/١ ابن شعبة ، قال : أَيْ غَدْرُ ؛ أَلَسْتُ ^(١) أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ ! وكان المغيرةُ بن شعبة صحباً قوماً في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : أما الإسلام فقد قبلنا ، وأما المالُ فإنه مال غَدْرٍ ، لا حاجة لنا فيه .

وإنَّ عروة جعل يرمي أصحابَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعينه . قال : فوالله إنَّ يتنخَّمُ النبيَّ نَخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلَّكَ بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلموا عنده خفَضُوا أصواتهم وما يُحَدِّثُونَ النظرَ إليه تعظيماً له . فرفع عروة إلى أصحابه ، فقال : أَيْ قَوْمَ ، والله لقد وفدتُ على الملوكِ ووفدت على كسرى وقبصرَ والنَّجاشي ؛ والله إنَّ رأيتُ ملكاً قطَّ يُعْظِمُهُ أصحابه ما يُعْظِمُ أصحابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، والله إنَّ يتنخَّمُ نَخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلَّكَ بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفَضُوا أصواتهم ؛ وما يُحَدِّثُونَ النظرَ إليه ١٥٣٨/١ تعظيماً له ؛ وإنَّه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعوني آتِه ، فقالوا : اتته ، فلما أشرفَ على النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابه ، قال النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : هذا فلان ، وهو من قوم يُعْظِمُونَ البُدنَ فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قومٌ يُلَبِّسُونَ ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدَّوا عن البيت !

• • •

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرى؛ قال فى حديثه : ثم بعثوا إليه الخليص بن علقمة - أو ابن زبآن - وكان يومئذ سيد الأحابيش ؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون^(١) ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض^(٢) الوادى فى قلائده^(٣) ، قد أكل أو باره من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشر قريش ، لانتى قد رأيت ما لا يحل صدّه : الهدى فى قلائده ، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله ؛ قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابى لا علم لك .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أن الخليص غضب عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له ؛ والذي نفس الخليص بيده لتتخذن بين محمد وبين ما جاء له ؛ أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! قال : فقالوا له : مه ! كف عنا يا خليص حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص ، فقال لهم : دعوني آتية ، قالوا : اتته ، فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا مكرز بن حفص ؛ وهو رجل فاجر ؛ فجاء فجعل يكلّم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال أيوب عن عكرمة : إنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم : قد سهّل لكم من أمركم .

• • •

(١) يتألهون : يتعبدون ويعظمون الإله .

(٢) عرض الوادى : جانبه .

(٣) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

فحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ ومحمد بن منصور - واللفظ لابن عمار -
 قالوا : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة عن إياس
 ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثتُ قريش سهيل بن عمرو
 وحويطب بن عبد العزى وحفص بن فلان ، إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم
 ليصالحوه ، فلمّا رأهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهّل الله لكم
 من أمركم ؛ القوم ماثون إليكم بأرحامكم^(١) ، وسألوكم الصلح ؛ فابعثوا الهدى ،
 وأظهروا التّلبيةَ ؛ لعلّ ذلك يلين قلوبهم . فلبّوا من نواحي العسكر حتى
 ارتجت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد
 توادّعوا ، وفي المسلمين ناس من المشركين ، وفي المشركين ناس من المسلمين ،
 قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادى يسيل بالرجال والسلاح . قال
 إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلّحين أسوقهم ، ما يملكون
 لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؛ فأتيت بهم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم ، فلم يسلب
 ولم يقتل ، وعفا .

• • •

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدثنا قال : حدثنا أبو عامر قال : حدثنا
 عكرمة بن عمار الهامى ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما
 اصطلحنا نحن وأهل مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكها ، ثم اضطجعتُ في
 ظلّها ، فأناى أربعة نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في
 رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فأبغضتهم . قال : فتحوّلت إلى
 شجرة أخرى ، فعلقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛
 إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا للمهاجرين ! قتل ابن زُئيم !
 فاخترطُ سيفي ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم
 فجعلته ضِعْفاً^(٢) في يدي ، ثم قلت : والذي كرم وجهه محمد صَلَّى الله عليه
 وسلّم ؛ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلّا ضربت الذى فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .

(٢) ضِعْفاً ، أى حزمة في يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءَ عَمَتِي عامرُ برجلٍ من العَبَكَلَاتِ، يقالُ له مكرز؛ يقوده بِحَقِّقًا^(١)، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم يكن لهم بدءُ الفجور، فعفا عنهم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾^(٢).

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور، عن عبيد الله. قال سلمة: فشددنا على مَنْ في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم من رجلٍ إلا استنقذناه. قال: وغلبنا على من في أيدينا منهم. ثم إن قريشًا بعثوا سهيلَ بن عمرو وحوينطبًا فولتوهم صلحتهم، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا عليه السلام في صلحِهِ.

حدثنا بشر بن معاذ؛ قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكِرَ لنا أن رجلاً من أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زُتَيْم، اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون قتلوه، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيلاً، فأتوه باثني عشر رجلاً فارساً من الكفار، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: هل لكم على عهد؟ هل لكم على ذمة؟ قالوا: لا، قال: فأرسلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ - إلى قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وأما ابنُ إسحاق، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

(١) مجققاً، أي لابساً التجفاف (بكسر التاء)، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقي في الحرب.

(٢) سورة الفتح ٢٤. والخبر في التفسير ٢٦: ٦٠، ٦١ (بولاق).

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
حدثني بعضُ أهلِ العلم أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم دعا خيراًش بن
أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛
ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، ففعلوا به جمل رسول الله وأرادوا قتله ،
فمنعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ؛ حتى أتى رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني من لا أتتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشاً بعثوا
أربعين رجلاً منهم — أو خمسين رجلاً — وأمرهم أن يطبقوا بعسكر رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلّم ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فعفا عنهم ، وخلص سبيلهم — وقد كانوا رموا
في عسكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل — ثم دعا النبي صَلَّى الله
عليه وسلم عمر بن الخطاب ليعذته ^(٢) إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما
جاء له ؛ فقال : يا رسول الله ؛ إني أخاف قريشاً على نفسي ؛ وليس بمكة من
بنى عدى بن كعب أحد يمنعني ؛ وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي
عليها ، ولكنني أدلك على رجل هو أعز بها مني ، عثمان بن عفان !

فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف
قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمته . ١٥٤٣/١
فخرج عثمان إلى مكة ، فلقاه أبا بكر بن سعيد بن العاص حين دخل
مكة — أو قبل أن يدخلها — فترل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم ردفه
وأجاره ؛ حتى بلغ رسالة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فانطلق عثمان حتى
أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف به ؛ قال : ما كنت لأفعل
حتى يطوف به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاقي) .

(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين بلغه
أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة
فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

• • •

حدثني ابن عمارة الأسدي ، قال : حدثني عميد الله بن موسى ، عن
موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن
قافلون من الحديبية ، نادى منادى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم : أيها الناس ؛ البيعة
البيعة ! نزل رُوح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة ،
قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ١٥٤٢/١

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من
بنى أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا
القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛
أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلّم ، وعمرُ أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة ، فبايعناه غير الجند بن
قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : فبايعنا رسول الله على ألا نتفّر ؛ ولم نبايعه على الموت ^(٢) .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بلاق)

وقد قيل في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ،
قال : أخبرنا عكرمة بن عمار الباهلي ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ،
عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ،
فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ،
قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتكم يا رسول الله في أول الناس !
قال : وأيضاً ؛ ورآني النبي صلى الله عليه وسلم أعزل ، فأعطاني حَجَفةً
أو دَرَقَةً . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان في آخرهم ،
قال : ألا تباع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتكم في أول الناس وأوسطهم !
قال : وأيضاً . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فأين الدَرَقَة ، والحَجَفة التي أعطيتك ؟ قلت : لقيتني عمي عامر أعزل
فأعطيتني إياها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنك كالذي
قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَدُّ
ابن قيس ، أخو بني سليمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأني أنظرُ
إليه لاصقاً بإبط نافته ، قد ضَبَّأ^(١) إليها يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ،
أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقالوا له : انت
محمدأ فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل

(١) ضَبَّأ إليها : لصق بها واستتر .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلّم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما المصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ؛ قال : فعَلَامَ نَعْطِي الدّينَةَ^(١) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمَرُ الزَّيْمُ غَرَزَهُ^(٢) ؛ فأنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أَلَسْتُ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعَلَامَ نَعْطِي الدّينَةَ في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنِي . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأُتَصَدَّقُ وأُصَلِّي وأُعتِقُ من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلّمت به ؛ حتى رجوت أن يكون خيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة ابن قيس النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : «باسمك اللهم» ، فقال رسول الله : اكتب «باسمك اللهم» ، فكتبها . ثم قال : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ؛ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير

(١) الدّنية : الذل والأمر الخيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أى ألزم أمره ، والغرز للرحل بمنزله الركاب للسرّج .

إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه. وأن بيننا عيبة مكفوفة^(١) ، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلal^(٣) ؛ وأنه ممن أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم ، دخل فيه — فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدها — « وأنتك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ؛ فأقمت بها ثلاثاً ، وأن معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا » .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمّا رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا — فلمّا رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بلبّيه^(٤) ، فقال : يا محمد قد لجّجت^(٥) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ! قال : صدقت ، قال : فجعل ينثره^(٦) بلبّيه ، ويجره ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد الناس ذلك شراً^(٧) إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، احتسب ، فإن الله جاعل لك ١٥٤٨/١

(١) عيبة مكفوفة ، أى لا تكون عداوة بيننا ، على التثيل .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية .

(٣) الإغلal : الخيانة .

(٤) ابن هشام : « بتلييه » .

(٥) لجّجت القضية : تمت .

(٦) ينثره ، أى يجلبه جذباً شديداً مع جفاء .

(٧) ساقطة من ابن هشام .

ولن معك من المستضعفين فَرَجًا ومُخْرَجًا ؛ إِنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم
عَقْدًا وصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدًا ، وأعطينا عهدًا ، وإنا لا نغدر
بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول :
اصبر يا أبا جندل ؛ فإنما هم المشركون ؛ وإنما دَمُ أحدهم دَمُ كلب !
قال : ويُدْثَنِي قائمُ السيف منه ، قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ
السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا
من المشركين : أبا بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة
أخا بني عبد الأشهل ، وميكرز بن حفص بن الأخيَّف — وهو مشرك — أخا
بني عامر بن لؤي ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب^(١) وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، وحدثنا
سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : اعتَمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم في ذى
القعدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدْعوهُ يدخل مكة ، حتى يقاضيتهم على أن
يقيم بها ثلاثة أيام . فلما كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه ١٥٤٩/١
محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن
عبد الله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، قال لعلِّي عليه السلام : امسحَ
« رسولَ الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبداً ، فأخذه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلَّم — وليس يُحسِن يكتب — فكتب مكان « رسول الله » « محمد » فكتب : « هذا
ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القرب ، ولا
يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم
بها » . فلما دخلها ومضى الأجل ، أتوا علياً عليه السلام ، فقالوا له^(٢) : قل

(٢) ساقطة من و .

(١) ساقطة من و .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ؛ في رأسه بُرة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك .

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل (١) . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهري ، قال : يقول الزهري : فافتتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث اتى الناس - فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك (٢) الستين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور ومروان : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش - قال ابن إسحاق في حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد ابن جارية - وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزهري بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهري والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ؛ إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علنت ؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخابني عامر ؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت ! فاستله أبو بصير ، ثم علاه

(١) س : « في الذي ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالعاً ، قال : إن هذا رجل قد رأى فزعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، فقتل ذمتك ، وأدّى عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل أمه ميسعر حَرْب ! - وقال ابن إسحاق في حديثه : محش حَرْب^(١) - لو كان معه رجال ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ؛ وينقلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش ؛ فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوه ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه بالله وبالرحم^(٢) لِمَا أرسل إليهم ! فنأته فهو أمين ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يؤدوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا هو السفّه ! والله لا يؤدّى ! ثلاثاً .

* * *

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه - يعني رسول الله - نسوةٌ مؤمناتٌ ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ - حتى بلغ : ﴿ بَعْضَ الْكَوَافِرِ ﴾ ^(١) . قال : فطلّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . قال : فنهاهم أن يردّوهنّ ، وأمرهم أن يردّوا الصّدّاق حينئذ .

قال رجل للزهري : أمينٌ أجل الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوّج إحداها معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق في حديثه : وهاجرتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدّة ؛ فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة ؛ حتى قدّما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألانه أن يردّها عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية ؛ فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضاً في حديثه : كان ممّن طلق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ؛ فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان ؛ وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جَرْمُول الخزاعية أمّ عُبَيْد الله بن عمر ؛ فتزوّجها أبو جهّم بن حُذافة بن غانم ، رجلٌ من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

* * *

وقال الواقدي : في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عكاشة بن محبّصن في أربعين رجلاً إلى الغمّر ؛ فيهم ثابت بن أقرم وشُجَاع بن وهب ؛ فأغذّ السير ، ونذر ^(٢) القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتي بعير ، فحدرّوها إلى المدينة .

(١) سورة المتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه ؛ فاشعروا إلا بالقوم ؛ فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحا .

قال الواقدي : وفيها أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا ذى القصة مع عمارة الصبح ، فأغاروا عليهم ، ١٠٠٠/١ فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا نعماً ورثة^(١) ورجلاً واحداً ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجسوم ، فأصاب امرأة من مزينة ؛ يقال لها حليلة ، فدلكتهم على محلة من محال بني سليم ، فأصابوا بها نعمة وشاء وأسراء ؛ وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة ، فلماً قفل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية زوجها ونفسها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارته .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ، في جمادى الآخرة ، إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ساراً إليهم ، فأصاب من نعتهم عشرين بعيراً . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى في جمادى الآخرة .

(١) و : « نعمة ورثاء » ، والراث والرثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أوّل ذلك - فيما حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : أقبل دِحْيَةُ الكَلْبِيّ من عند قيصر ؛ وقد أجاز دِحْيَةَ بَعال ، وكساه كِسْيَ ؛ فأقبل حتى كان بحِمْصَى ، فلقى ناسٌ من جُذَام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يترك معه شيء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخل بيته فأخبره ، فبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى حِمْصَى .

١٥٥٦/١

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلّقها عمر فتزوّجها^(١) بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمّه .

قال : وفيها سرّية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب .

قال : وفيها سرّية عبد الرحمن بن عوف إلى ذومة الجندل في شعبان ؛ وقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إن أطاعوك فتزوّج ابنته ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوّج عبد الرحمن ثُمّاضر بنت الأصْبَغ ؛ وهى أمّ أبي سلّمة ؛ وكان أبوها رأسهم وملكهم .

قال : وفيها أجذب الناسُ جذباً شديداً ، فاستسقى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرّية على بن أبي طالب عليه السلام إلى فدّك في شعبان .

قال : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عَقْبَةَ ، قال : خرج علىُّ بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدّك ، إلى حَيٍّ من بني سَعْد بن بكر ؛ وذلك أنّه بلغ رسولَ الله أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم الليل وكسَمَنَ النهار ؛ وأصاب عَيْناً ؛ فأقرّ لهم أنّه بُعِثَ إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

قال : وفيها سرّية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفَةَ في شهر رمضان .

١٥٥٧/١

وفيها قتلت أمّ قِرْفَةَ ؛ وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلاً

عنيفًا ؛ ربط برجلها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقّاها شقًا ؛ وكانت عجوزًا كبيرة .

وكان من قصتها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :
حدثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى وادي القرى ؛ فلقى به بنى فزارة ؛ فأصيب
به أناس من أصحابه ، وارث زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد
ابن عمرو أحد بنى سعد بنى هذيم ، أصابه أحد بنى بدر ؛ فلمّا قدم
زيد نذّر ألاّ يمسّ رأسه غسل من جنابة حتى يغزّو فزارة ؛ فلمّا
استبل من جراحه (١) ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش إلى
بنى فزارة ، فلقيتهم بوادي القرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحّر
اليغمريّ مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أم قرفة - وهي
فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ، عجوزًا
كبيرة - وبتًا لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة ؛
فقتلها قتلا عنيفًا ، ربط برجلها جبلين ثم ربطهما (٢) إلى بعيرين حتى شقّاها . ١٥٥٨/١
ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبعد الله بن
مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان
هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول :
لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب ؛ فولدت له عبد الرحمن
بن حزن .

وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية ، أن أميرها كان
أبا بكر بن أبي قحافة ؛ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عامر ، قال : حدثنا
عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمّر رسول الله صلى
الله عليه وسلم علينا أبا بكر ؛ فغزونا ناسًا من بنى فزارة ، فلمّا دنونا من الماء أمرنا

(١) س : « جراحه » .

(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشئتّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عنُقًا ^(١) من الناس ؛ وفيهم النساء والذراريُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهمًا بينهم وبين الجبل ، فلمّا رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع ^(٢) أدَم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنقلني أبو بكر ابنتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيني رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ! فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا . قال : فسكت عني حتى إذا كان من الغد لقيتني في السوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوبًا ؛ وهي لك يا رسولَ الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ فقادى بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين . فهذه الرواية عن سلّمة .

• • •

قال محمد بن عمر : وفيها سرّية كُرزبن جابر الفهريّ إلى العُرَيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل في شوال من سنة ست ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارسًا .

• • •

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسلَ ؛ فبعث في ذى الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحبين ؛ حاطب بن أبي بلتعة من لَحْم حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة - حليفًا لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبي شَمير الغساني ، ودحيمة ابن خليفة الكلبيّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامريّ عامر بن لؤي إلى هُوذة بن علي الحنّنيّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهميّ إلى كسرى . وعمر بن أمية الضمّريّ إلى النجاشيّ .

١٥٦٠/١

(٢) القشع : الفرو الخلق .

(١) عنقا : جماعة .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنه - فيما زعم ، وحدَّثنا به ابنُ حميد - قال :
حدَّثنا سلمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد فرَّق
رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزَّ وجلَّ فيما بين
الحديبية ووفاته .

وحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاق ، عن
يزيد بن أبي حبيب المصري ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسولُ الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم إلى ملوك الحائيين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به
إلى ابن شهاب الزُّهري ، مع ثقة من أهل بلدة فعرَقه . وفي الكتاب أنَّ
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خزج على أصحابه ذاتَ غداة ، فقال
لهم : إني بُعِثْتُ رحمةً وكافةً ؛ فأدِّوا عني يرحمكم الله ^(١) ؛ ولا تختلفوا عليَّ
كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسولَ الله ، وكيف
كان اختلافُهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ؛ فأما من قَرَّبَ به ^(٢)
فأحبَّ وسليم ، وأما مَنْ بَعُدَ به فكره وأبى ؛ فشكا ذلك منهم عيسى إلى
الله عزَّ وجلَّ ، فأصبحوا من ليلتهم تلك ؛ وكلُّ رجلٍ منهم يتكلَّم بلغه القوم
الَّذِينَ بُعِثَ إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزمَ الله لكم عليه ؛
فامضوا ^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرَّق رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه ؛
فبعث مسكين بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودِّ أخا بني عامر بن لؤي إلى
هَوَؤَدة بن عليٍّ ، صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن
ساوى أخى بني عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن
جُلَنْدَى وعباد بن جُلَنْدَى الأزدِيَّيْن صاحِبَيْ عُمان . وبعث حاطب بن
أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ؛ فأدَّى إليه كتابَ رسولِ الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم ، وأهدى المقوقس إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أربعَ جوار ،
منهنَّ مارية أمَّ إبراهيم بن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . وبعث رسولُ الله

(١) س : « رحمكم الله » .

(٢) و : « له » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دِحْيَةَ بن خليفة الكلبى ثم الخزرجى^(١) إلى قيصر ، وهو هِرَقْل ملك الروم ؛ فلَمَّا أتاه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نَظَرَ فيه ثم جعله بين فَخِذَيْهِ وخصَّصَته^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب ، قال^(٣) : كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نَهَكَّتْ أموالنا ؛ فلَمَّا كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ، لم نَأْمَنَ إِلَّا نَجِدَ أَمْنًا ؛ فخرجتُ في نَقَرٍ من قريش تُجَار إلى الشام ؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزَرَةً ، فقدمنها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانترع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلَمَّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له — وكانت حِمَصُ منزله — خرج منها يمشى على قدميه متشكرًا لله حين رَدَّ عليه ماردٌ ، ليصلني في بيت المقدس ، تَبَسَّطُ له البُسْطُ ، وتلقني عليها الرياحين ، فلَمَّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقه وأشراف الروم ، أصبح ذات غداة مهمومًا يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهمومًا ، قال : أجل ، أريت في هذه الليلة أن ملكَ الختان ظاهرٌ ! قالوا له : أيها الملك ؛ ما نعلم أمةً تختن إلا يهود ؛ وهم في سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كلِّ مَنْ لك عليه سلطان في بلادك ، فره فليضرب أعناق كلِّ مَنْ تحت يديه من يهود ، واسترح من هذا الحم ؛ فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه ؛ إذ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب ، يقوده — وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها — فقال : أيها الملك ؛ إن

١٥٦٢/١

(١) ط : « الخزرجى » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزرج بن عامر ، وهو جد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) الخبر في الأغاني ٦ : ٣٤٥ - ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشتاء والإبل ؛ يحدث عن أمر حدث ببلاده عجب ؛ فسله عنه .

فلما انتهى به إلى هيرقل رسول صاحب بصرى ، قال هرقل لترجمانه : سله ، ما كان هذا الحدث الذى كان ببلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي ، قد اتبعه ناسٌ وصدقوه ، وخالفه ناسٌ ؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ؛ ففكرتهم على ذلك . قال : فلما أخبره الخبر قال : جردوه ، فجرّدوه ؛ فإذا هو مختون ، فقال هرقل : هذا والله الذى أريت^(١) ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلّب لى الشام ظهراً وبطناً ؛ حتى تأتيتنى ١٥٦٣/١
برجل من قوم هذا الرجل - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو سفيان : فوالله إننا لبغزة . إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيتكم أمس به رحيمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وإيم الله ما رأيت من رجل أرى أنه كان أنكر من ذلك الأغلف - يعنى هرقل - فقال : اذنه فأقعدى بين يديه ، وأعد أصحابى خلتى ، ثم قال : إني سأسأله ؛ فإن كذب فردوا عليه ؛ فوالله لو كذبت ما ردوا على ؛ ولكنى كنتُ امرأ سيّداً أتكرّم عن الكذب ؛ وعرفت أن أيسر ما فى ذلك إن أنا كذبت أنه يحفظوا ذلك على ؛ ثم يحدثوا به عني ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ! قال : فجعلتُ أزهد له شأنه ؛ وأصغر له أمره ؛ وأقول له : أيتها الملك ، ما يهملك من أمره ! إن شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئنى عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سئلَ عمّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض^(٢) ؛ أو سطنا نسباً . قال :

(١) الأغافى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرني عن أتباعه منكم ، مَنْ هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه ؛ فلم يتبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبرني عَمَّنْ تَبِعَهُ ، أيحبه ويلزمه ^(١) أم يقلبه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدَالُ علينا ونُدال عليه ؛ قال : فأخبرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أغمره فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه في هُدًى ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني ، ثم كرّ على الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمت أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبه به ؛ فزعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أيحبه ويلزمه أم يَقْلِبُهُ ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ يفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ؛ فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبتني ^(٢) على ما تحت قدمي هاتين ؛ ولوددت أنني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . ١٥٦٥/١

قال : ففقت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى ؛ وأقول : أي عباد الله ؛ لقد أمرُ ^(٣) ابن أبي كبشة ! أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشأم !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن

(١) س : « ويكره » .

(٢) الأغاني : « فليظن » .

(٣) أمر أمره : قوى واشتد .

خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْلٍ عظيم الروم . السَّلَام على من اتَّبَعَ الهدى . أمّا بعد : أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مرتين ؛ وإن تولَّ فإنَّ لائمَ الأكاذِبين عليك - يعنى تَحِمَّالَه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرِي ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو سفيان ابن حرب ، قال : لمّا كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عامَ الحديبية ، خرجتُ تاجراً إلى الشام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخصرته .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شِهَاب الزُّهْرِي : حدثني أسقفُ النَّصَارَى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأمره رقل وعقّله ، قال : فلمّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مع دحية بن خليفة ، أخذه هِرَقْلُ ، فجعله بين فخذيه وخصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويصف له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنّه لَلنَّبِيِّ الذي كنا ننتظره^(١) ؛ لا شك فيه ؛ فاتّبعه وصدّقه .

فأمر هِرَقْلُ ببطارقة الرُّوم ؛ فجُمِعُوا له في دَسَكْرَةِ^(٢) ، وأمر بها فأُشْرِجَتْ^(٣) أبوابُها^(٤) عليهم ؛ ثم اطلع عليهم من علّية له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشرَ الروم ؛ إني قد جمعتكم لخير ؛ إنه قد أتاني كتاب

(١) و : « ننتظر » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أُشْرِجَتْ : مدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرجل يدعوني إلى دينه ؛ وإنَّه والله للنبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتبنا ؛ فهلّموا فلنّسّبعه ونصدّقْه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فَنَسَخَرُوا نَسْخَرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبواب الدّسْكَرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كرّوهم على - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشر الرُّوم ؛ إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الَّذي قد حدّث ؛ وقد رأيت منكم الذي أسرُّ به ؛ فوقعوا له سُجْدًا ؛ وأمر بأبواب الدّسْكَرة ففتحت لهم ؛ فانطلقوا (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحيّة بن خليفة حين قدّم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنّي لأعلمُ أن صاحبك نبيّ مرسل ؛ وأنَّه الَّذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا ؛ ولكني (٢) أخاف الرُّوم على نفسي ؛ ولو لا ذلك لاتّبعته ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم في الروم مِنّي ، وأجوز (٣) قولاً عندهم مِنّي ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءه دحيّة ؛ فأخبره بما جاء به من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبيّ مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده في كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرُّوم وهم في الكنيسة ، فقال : يا معشر الرُّوم ؛ إنه قد جاءنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعوننا فيه إلى الله عزّ وجل ؛ وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وثبّة رجل واحد ، فضربوه حتى قتله . فلما رجع

(١) الأغاني ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن .

(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دَحِيَّةَ إِلَى هِرْقُل فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرُ قَالَ : قَدْ قُلْتَ لَكَ : إِنَّا نَخَافُهُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا ؛ فَصَافِطِر - وَاللَّهِ - كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ وَأَجْوَزَ قَوْلًا مِنِّي .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَدَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ هِرْقُلُ الْخُرُوجَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَمَعَ الرُّومَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ؛ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ أُمُورًا ، فَانظُرُوا فِيمَ قَدْ أَرَدْتُهَا ! قَالُوا : مَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ ؛ إِمَّا نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا نَعْرِفُهُ بِصِفَتِهِ الَّتِي وَصَفَ لَنَا ، فَهَلُمَّ فَكَلِّتْنِي بَعْدَهُ ، فَتَسَلَّمَ لَنَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا ، فَقَالُوا : نَحْنُ نَكُونُ تَحْتَ يَدِي الْعَرَبِ ؛ وَنَحْنُ أَعْظَمُ النَّاسِ مُلْكًا ، وَأَكْثَرُهُمْ رَجَالًا ، وَأَفْضَلُهُمْ بِلَدًا !

قَالَ : فَهَلُمَّ فَأَعْطِيَهُ الْجِزْيَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، اكْسِرُوا عَنِّي شَوْكَتَهُ وَأَسْتَرِيحُ مِنْ حَرْبِهِ بِمَالٍ أَعْطِيَهُ إِيَّاهُ ، قَالُوا : نَحْنُ نَعْطِي الْعَرَبَ الذَّلَّ وَالصَّغَارَ ، بِخُرُوجِ ١٥٦٨/١ بِأَخْذُونَهُ مِنَّا ؛ وَنَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ عِدْدًا ، وَأَعْظَمُهُمْ مُلْكًا ، وَأَمْنَعُهُمْ (١) بِلَدًا ؛ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا هَذَا أَبَدًا .

قَالَ : فَهَلُمَّ فَلَأُصَالِحْهُ عَلَى أَنَّ أَعْطِيَهُ أَرْضَ (٢) سُورِيَّةَ ، وَيَدَّعِي وَأَرْضَ الشَّامِ - قَالَ : وَكَانَتْ أَرْضُ سُورِيَّةَ أَرْضَ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنَّ وَدِمَشْقَ وَحِمَصَ وَمَادُونَ الدَّرَّبَ مِنْ أَرْضِ سُورِيَّةَ ؛ وَكَانَ مَا وَرَاءَ الدَّرَّبِ عِنْدَهُمْ الشَّامُ - فَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ نَعْطِيهِ أَرْضَ سُورِيَّةَ ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهَا سِرَّةُ الشَّامِ ؛ وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا هَذَا أَبَدًا .

فَلَمَّا أَبَوْا عَلَيْهِ ، قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَتَرُونَ أَنْكُمْ قَدْ ظَفَرْتُمْ إِذَا امْتَنَعْتُمْ مِنْهُ فِي مَدِينَتِكُمْ . ثُمَّ جَلَسَ عَلَى بَعْضِ لَهْ ؛ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الدَّرَّبِ اسْتَقْبَلَ أَرْضَ الشَّامِ ، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَرْضَ سُورِيَّةَ تَسْلِيمَ الْوِدَاعِ ، ثُمَّ رَكَضَ حَتَّى دَخَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ .

* * *

(١) س : « وَأَمْنَعُهُ » .

(٢) س : « عَلَى أَنَّ أَصَالِحَهُ بِأَرْضِ » .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شُجَاعَ بْنَ وَهَبَ ، أَخَا بَنِي أَسَدَ بْنَ خُزَيْمَةَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِيرٍ الْغَسَّانِيَّ ؛ صَاحِبَ دِمَشْقَ .

وقال محمد بن عمر الواقدي : وكتب إليه معه : سلام على مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِهِ . إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى لَكَ مَلِكُكَ .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأه عليهم ، فقال : مَنْ يُنْزِعْ مِنِّي مَلِكِي ! أَنَا سَائِرُ إِلَيْهِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَادَ مَلِكُهُ ^(١) !

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضممرى إلى النجاشي ١٥٦٩/١ في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة ، سلم ^(٢) أنت ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ؛ فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ وَالْمُوَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ؛ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ ابْنُ عَمَّتِي جَعْفَرًا وَنَفَرًا ^(٣) مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقْرَهُمْ ، وَدَعِ التَّجَسَّرَ ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ ؛ فَقَدْ بَلَغْتَ وَنَصَحْتَ ؛ فَاقْبَلُوا نَصُوحِي ؛ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصحم بن أبيجر . سلام عليك

(١) باد ملكه : ذهب .

(٢) س : « سلام » .

(٣) س : « ومعه نفر » .

يَا نَبِيَّ اللَّهِ^(١) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(١) ، من الله الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني إلى الإسلام . أما بعد ؛ فقد بلغتني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفَرِّقًا^(٢) ؛ إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بُعِثَتْ به إلينا ؛ وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه^(٣) ؛ فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا ؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ؛ ١٥٧٠/١ وأسلمت على يديه^(٤) . لله رب العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصم ابن أبيجر ؛ فأني لا أملك إلا نفسي ؛ وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ؛ فأنتي أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة ؛ فإذا كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وحدثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة ؛ فأعطتها أَوْضَاحًا^(٥) لها وفتخًا^(٦) ؛ سروراً بذلك ، وأمرها أن توكل من يزوجه ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها ، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة ، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعتها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالا ، وقالت : كنت أعطيتك ذلك ؛ وليس بيدي شيء ، وقد جاء الله عز وجل بهذا .

(١-١) س : « من الله ورحمته » .

(٢) يقال : ماله ثغروق ، أي شيء وأصله قمع الثمر ، أو ما يلتزق به قمها .

(٣) و : « وأصحابك » .

(٤) س : « يده » .

(٥) أَوْضَاحًا ، أي حلياً من فضة .

(٦) الفتحة : خاتم كبير يكون في اليد والرجل .

١٥٧١/١

فَقَالَتْ أَبْرَهةُ : قَدْ أَمَرَنِي الْمَلِكُ أَلَّا آخِذَ مِنْكَ شَيْئًا ؛ وَأَنْ أُرَدَّ إِلَيْكَ الَّذِي أَخَذْتَ مِنْكَ ، فَرَدَدْتَهُ وَأَنَا صَاحِبَةُ دُهْنِ الْمَلِكِ وَثِيَابِهِ ، وَقَدْ صَدَّقْتُ مُحَمَّدًا ^(١) رَسُولَ اللَّهِ وَآمَنْتُ بِهِ ؛ وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَقْرِيَنِي مِنَ السَّلَامِ .

قَالَتْ : نَعَمْ ؛ وَقَدْ أَمَرَ الْمَلِكُ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ إِلَيْكَ بِمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ عُدُوْدٍ وَعَنْبَرٍ ؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَاهَا عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا فَلَا يَنْكُرُهَا .
قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : فَخَرَجْنَا فِي سَفِينَتَيْنِ ؛ وَبَعَثْنَا مَعَنَا النَّوَاقِي حَتَّى قَدَمْنَا بِالْجَارِ ، ثُمَّ رَكِبْنَا الظَّهْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ ، فَخَرَجَ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَأَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَسْأَلُنِي عَنِ النَّجَاشِيِّ ؛ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْرَهَةَ السَّلَامِ ، فَردَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ؛ وَلَمَّا جَاءَ أَبُو سَفِيَانَ تَرْوِيحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ حَبِيبَةَ قَالَتْ : ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يَقْدَعُ أَنْفَهُ .

* * *

وَفِيهَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى ، وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ؛ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارَسَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِيُسْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ؛ أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ لِثْمُ الْمَجُوسِ .
فَرَزَقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مُزَقَّ مَلِكُهُ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبِيبٍ ، قَالَ : وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدَى بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، إِلَى كِسْرَى بْنِ هَرَمَزٍ مَلِكِ فَارَسَ وَكَتَبَ مَعَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارَسَ ؛ سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسليماً ، فإن أبيت ؛ فإن إثم المحبوس عليك .
فلما قرأه مزقه ، وقال : يكتب إلى هذا وهو عبدى !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حذافة قدِمَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلما قرأه شقّه ، فقال رسول الله : مُزّق ملكه ! حين بلغه أنه شق كتابه .

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كيمرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدتين ، فليأتيا به ؛ فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه — وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس — وبعث معه رجلاً من الفُرس يقال له خرّخُسره ، ١٥٧٣/١ وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتني بخبره ، فخرجنا حتى قلما الطائف فوجدنا رجلاً من قريش بنسخب من أرض الطائف فسألناه عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصّب (١) له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل ! فخرجنا حتى قلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه بابويه ، فقال : إن شاهان شاه ملك الملوك كسرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ؛ وقد بعثني إليك لتنطلق معي ؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك ؛ وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أَمَرَكَما بهذا؟ قالا: أَمَرَنَا بهذا رَبَّنَا - يعنينا كسرى - فقال رسول الله: لكنَّ رَبِّي قد أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحَيِّتي وقصَّ شَارِبِي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتيا نِي غَدًا، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السَّماءِ أَنَّ اللهَ قد سلَّطَ على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلَّطَ عليه ابنه شيرويه فقتله. ١٥٧٤/١

— قال الواقدي: قَتَلَ شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ مضين^(١) من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها —

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب. فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول! إنا قد نَقِمْنَا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنِّي، وقولا له: إنَّ ديني وسلطاني سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى، ويُنْتَهِي إلى منتهى الخُفِّ والخافر؛ وقولا له: إنك إن أسَلَمْتَ أعطيتُك ما تحت يَدَيْكَ؛ ومَلَكْتُك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خُرَّ خمره مِنطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجوا من عنده حتى قدِمَا على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، ولأني لأرى الرَّجل نبيًّا كما يقول؛ ولننظرنَّ ما قد قال؛ فلئن كان هذا حقًّا ما فيه كلام؛ إنه لنبي مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فَإِنِّي قد قُتِلت كسرى، ولم أقتله إلا غَضَبًا لفارس لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم وتجميرهم^(٢) في ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذْ لي الطاعة ممَّن قِبَلَك؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهْجِه حتى يَأْتِيَك أمرى فيه.

فلَمَّا انْتَهَى كتابُ شيرويه إلى باذان قال: إنَّ هذا الرجل لرسول. فأسلم وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَن كان منهم باليمن؛ فكانت حِمِيرَ تقول ١٥٧٥/١

(١) و: «بقين».

(٢) التجمير: الحبس في الثغور.

لخرُخُسره : ذو المِعْجَزَةِ ، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمنطقة بلسان حمير المِعْجَزَةِ^(١) - فَبَسَّوْهُ اليوم ينسبون إليها خُرُخُسره ذو المِعْجَزَةِ .

وقد قال بابويه لباذان : ما كلّمت رجلاً قطّ أهيبّ عندي منه ، فقال له باذان : هل معه شُرْطٌ ؟ قال : لا .

* * *

قال الواقديّ: وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعو إلى الإسلام فلم يُسَلِّم .

° ° °

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجّة وبعض المحرم - فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سَلَمَة ، عن ابن اسحاق . قال : وولى الحجّ في تلك السنة المشركون .

تم الجزء الثاني من تاريخ الطبرى ، ويليهِ
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة ؟ باليمانية ، وفي و : « المعجزة » .

obeikandi.com

فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ — ٥	ذكر الخبر عن أصحاب أهل الكهف
١٧ — ١١	يونس بن متى
٢١ — ١٨	إرسال الله رسله الثلاثة
٢٣ — ٢٢	شمسون
٣٦ — ٢٤	ذكر خبر جرجيس
	• ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم
٤٣ — ٣٧	ذكر ملك أردشير بن بابك
٥١ — ٤٤	ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك .
٥٣ — ٥١	ذكر ملك هرمز بن سابور
٥٣	ذكر ملك بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام
٥٤	ذكر ملك نرسی بن بهرام
٥٥ — ٥٤	ذكر ملك هرمز بن نرسی
٦٢ — ٥٥	ذكر ملك سابور ذى الأكتاف
٦٢	ذكر ملك أردشير بن هرمز
٦٢	ذكر ملك سابور بن سابور
٦٣ — ٦٢	ذكر ملك بهرام بن سابور
٦٨ — ٦٣	ذكر ملك یزدجرد الأئیم
٨١ — ٦٨	ذكر ملك بهرام جور
٨٨ — ٨٢	ذكر ملك فیروز یزدجرد
	ذكر ما كان من الأحداث فی أيام یزدجرد بن بهرام وفیروز بن
٩٠ — ٨٨	عماهما علی العرب وأهل اليمن

صفحة

٩٠	ذكر ملك بلاش بن فيروز
٩٠ - ٩٤	ذكر ملك قباذ بن فيروز
٩٥ - ٩٨	ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام
٩٨ - ١٠٤	قياذ في مملكته وبين عماله
٩٨ - ١٠٤	ذكر ملك كسرى أنو شروان
	ذكر بقية خبر تُبع أيام قياذ وزمن أنو شروان وتوجيه الفرس
١٠٥ - ١٥٤	الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة
١٥٥ - ١٦٦	ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٦ - ١٧٢	رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ أنو شروان
١٧٢ - ١٧٦	ذكر ملك هرمز بن كسرى أنو شروان
١٧٦ - ١٨٧	ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز
	ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك
١٨٨ - ١٩٣	فارس عن أهل فارس
١٩٣ - ٢١٢	ذكر خبر يوم ذي قار
	ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة
٢١٣ - ٢١٨	بعد عمرو بن هند
٢١٨ - ٢٢٩	ذكر ملك شيرويه بن أبرويز
٢٣٠	ذكر ملك أردشير بن شيرويه
٢٣١	ذكر ملك شهر براز
٢٣١ - ٢٣٢	ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز
٢٣٢	ذكر ملك جشنسده
٢٣٢ - ٢٣٣	ذكر ملك آزر ميدخت بنت كسرى أبرويز
٢٣٣	كسرى بن مهرا جشنس
٢٣٣	ذكر ملك خرزآ خسروا
٢٣٣	ذكر ملك فيروز بن مهرا جشنس

صفحة

٢٣٤	ذكر ملك فرّ خزاذ خسروا
٢٣٤	ذكر ملك يزديجرد بن شهريار
	ذكر أقوال علماء المسلمين وغيرهم فيما كان بين هبوط آدم
٢٣٨ - ٢٣٤	إلى الهجرة من السنين
	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار
٢٧٦ - ٢٣٩	آبائه وأجداده
٢٥١ - ٢٤٦	عبد المطلب
٢٥٤ - ٢٥١	هاشم
٢٥٤	عبد مناف
٢٦٠ - ٢٥٤	قصي
٢٦٠	كلاب
٢٦١	مرة
٢٦١	كعب
٢٦٢	لؤي
٢٦٢	غالب
٢٦٣ - ٢٦٢	فهر
٢٦٥ - ٢٦٣	مالك
٢٦٦ - ٢٦٥	النضر
٢٦٦	كنانة
٢٦٦	خزيمة
٢٦٧ - ٢٦٦	مدركة
٢٦٨	إلياس
٢٧٠ - ٢٦٨	مضر
٢٧٠	نزار
٢٧١ - ٢٧٠	معد

صفحة

عدنان	٢٧٦ - ٢٧١
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه	٢٧٩ - ٢٧٧
ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها	٢٨٢ - ٢٨٠
ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده	٢٨٣ - ٢٩٢
ذكر اليوم الذى نبي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذى نبي فيه وما جاء فى ذلك	٢٩٣ - ٢٩٧
ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلا ذلك من الأحداث إلى وقت الهجرة	٢٩٨ - ٣٨٧
ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ	٣٨٨ - ٣٩٣

* * *

ذكر ما كان من الأمور فى أول سنة من الهجرة

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة بالمدينة	٣٩٥ - ٣٩٦

* * *

السنة الثانية

غزوة ذات العشيرة	٤٠٨ - ٤٠٩
سرية عبد الله بن جحش	٤١٠
ذكر وقعة بدر الكبرى	٤٢١ - ٤٧٩
غزوة بنى قينقاع	٤٧٩ - ٤٨٣
غزوة السويق	٤٨٣ - ٤٨٥

* * *

السنة الثالثة

٤٨٧	غزوة ذى أقر
٤٩٢ - ٤٨٧	خبر كعب بن الأشرف
٤٩٣ - ٤٩٢	غزوة القردة
٤٩٩ - ٤٩٣	مقتل أبي رافع اليهودى
٥٣٣ - ٤٩٩	غزوة أحد
٥٣٦ - ٥٣٤	غزوة حمراء الأسد

* * *

السنة الرابعة

٥٤٢ - ٥٣٨	غزوة الرجيع
	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله
٥٤٥ - ٥٤٢	صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب
٥٥٥ - ٥٤٥	ذكر خبر بئر معونة
٥٥٩ - ٥٥٥	غزوة ذات الرقاع
٥٦١ - ٥٥٩	ذكر الخبر عن غزوة السويق

* * *

السنة الخامسة

٥٦٤ - ٥٦٣	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
٥٦٤	غزوة دومة الجندل
٥٨١ - ٥٦٤	ذكر الخبر عن غزوة الخندق
٥٩٤ - ٥٨١	غزوة بني قريظة

* * *

السنة السادسة

٥٩٥	غزوة بنى لحيان
٦٠٤ - ٥٩٦	غزوة ذى قرد
٦١٠ - ٦٠٤	غزوة بنى المصطلق
٦١٩ - ٦١٠	حديث الإفك
٦٤٤ - ٦٢٠	ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صدره المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية
٦٥٧ - ٦٤٤	ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك

١٩٩٠ / ٣٧٢٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-2944-X	الترقيم الدولى

١ / ٩٠ / ٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)